مجموعة الدكتور أسد رستم

٢٠

كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى

للدكتور اسد رستم

مؤرخ الكرسي الانطاكي



الجزء الأول

٣٤-٦٣٤م

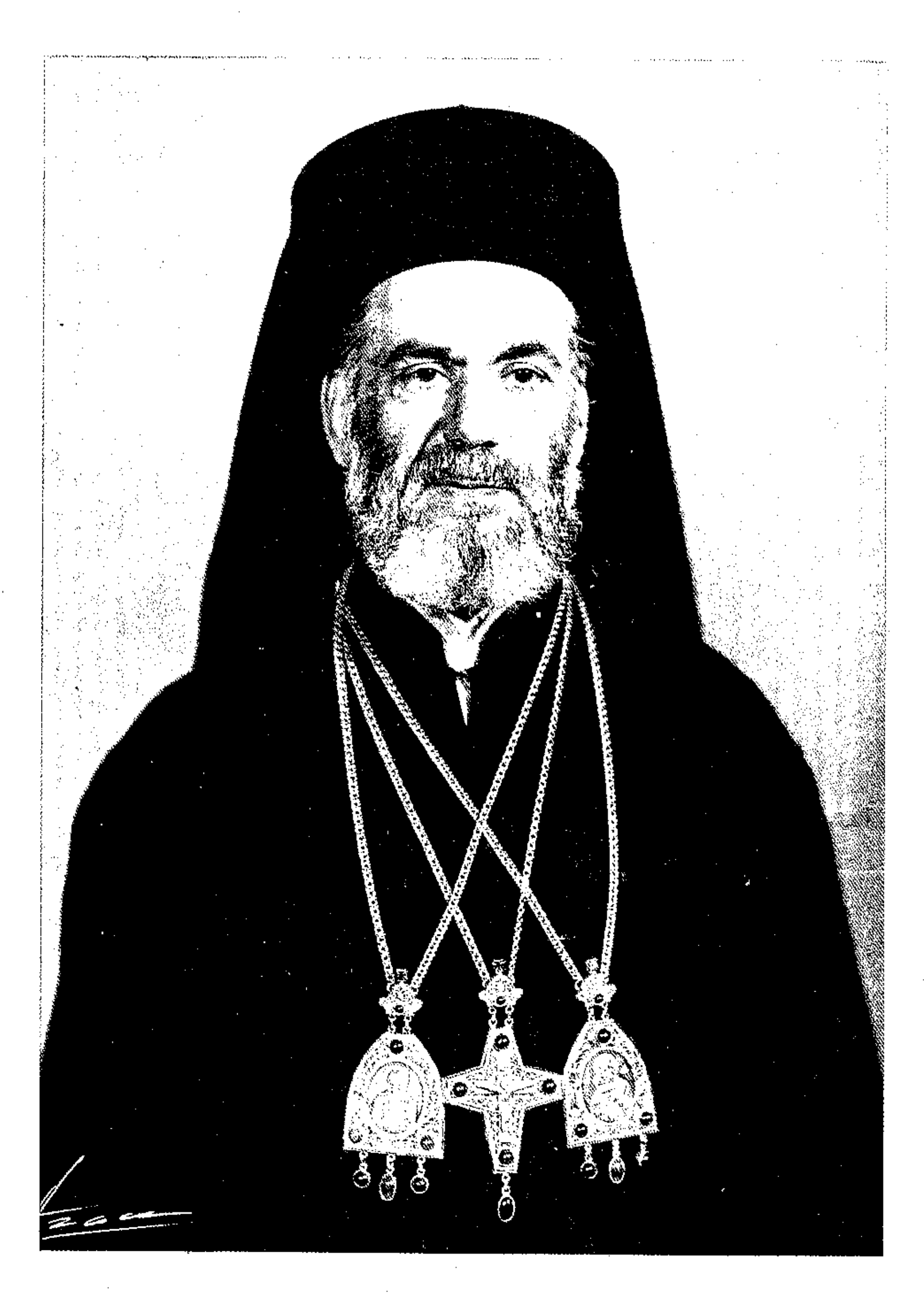
منشورات المكتبة البولسية

طبعة ١٩٨٨

*

*

منشورات المكتبة البولسية
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩-١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢



صاحب الغبطة البطريرك أغناطيوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

محتويات الجزء الأوّل

مقدّمة

✝

بسم الآب والابن والروح القدس
الاله الواحد
آمين

اؤمن باله واحد آب ضابط الكل . خالق السماء والارض . كل ما يرى وما لا يرى . وبرب واحد يسوع المسيح . ابن الله الوحيد . المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور . اله حق من اله حق . مولود غير مخلوق . مساو للآب في الجوهر . الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء. وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس. وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي . وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب . وصعد الى السماء . وجلس عن يمين الآب . وأيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات . الذي لا فناء لملكه .

وبالروح القدس الرب المحيي . المنبثق من الآب . الذي هو مع الآب والابن . مسجود له وممجد . الناطق بالانبياء .

وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية. واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا . واترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي . آمين .

* * *

« ودينا لا يقتصر على ما يثبته العقل بدليل منه . ولو اقتصر على ذلك لما شعرنا بحاجة اليه . ولكنه لا يعلم ما يراه العقل محالا . ولو فعل لكان ضرباً من الضلال والتضليل . وليس كل معقول قابلا للاثبات بحجج العقل . فحقائق الوجود أعمق من ان يسبر غورها عقل محدود وحقائق الوحي كالشمس تبهر ولكنها تنير السبيل » .

وقد أقام العلماء حججاً كثيرة على وجود الله منها حجة الحركة والقول ان الكون سلسلة أحداث وان كل حادث مفعول وكل مفعول يفترض فاعلا . ومنها الاستناد الى قضية الامكان والوجوب والقول ان في الموجودات حاجات وكمالات وان الله وحده كامل بذاته لا يتأتى له الكمال من غيره وانما هو كامل بحكم طبعه والقول ايضاً بتدبير الكون وبأن الله عقل ما لا يعقل وقصد ما لا يقصد وانه قد طبع في كل طبع ما أراده اليه وهيأ لكل طبع فعلا ملائماً له محققاً لغايته .

ولكن أهم من هذا كله وأشد أثراً في النفس دليل الخبرة الشخصية . فالرسل والانبياء والقديسون والمؤمنون جميعهم خبروا الله يوماً بعد يوم ولمسوا عنايتــه لمساً . فعلموا انه عالم بكل معلوم .

ولكم دجا ليلُ الخطوب وأظلمت سبلُ الخلاص فصلوا مع داود : « الى الرب صرخت في ضيقي يا رب أنقذ نفسي . اني ولو سلكتُ في وادي ظل الموت لا أخشى سوءاً لانك معي عصاك وعكازك همــا يعزياني » فأتاهم من ألطافه فرج لم يحتسبوه . وكم أثقلت الذنوب ظهورهم وسوّدت العيــوب صُحفهم فصرخوا مع باسيليوس الكبير : « يا رب يا رب يا من انقذنا من كل سهم يطير في النهار أنقذنا ايضاً من كل عائق يسري في الدجى » فستر عفوُه وشمل لطفُه . فكانت صلاتهم نوراً لهم وبرهاناً !

وندموا واستغفروا وتقدموا من جسد الرب ودمــه الكريم للتطهير والتقديس والانارة والحراسة وللنمو في الفضيلة والكمال فخرجوا شاكرين واثقين من شفاء النفس والجسد وانارة العين وسلامة القوى ممتلئين حكمة عاملين بالوصايا عائشين بالبر والطهارة للسيد له المجد .

* * *

ومنزة ديننا ان الكلمــة صار جسداً فكان الهاً كاملا في انسان كامل . فالشرقي كان قد أذعن لله ولكنه لم يكن حراً طلقاً فجاء أذعانه سلبياً . وكان

الغربي قد نشط وتحرر وحاول جهد المستطاع ان يصل بالانسان الى درجة الكمال . ولكنه كان لا يزال يجهل الله فجاء المسيح الهــاً كاملا في انسان كامل فأوجد للشرق ضالته وأعطى الغرب ما طلب واستقصى . وأظهر الحقيقة ، وهو الحقيقة المتجسدة ، فأبان للشرق الاله الكامل متحداً بالانسان الكامل وأكد للغرب ان الانسان الكامل انما هو مظهر من مظاهر الاله الكامل . ومن هنا سجود مجوس الشرق « للاله المولود » ومن هنــا ايضاً قول ممثل الغرب بيلاطس البنطي « ها هوذا الرجل » .

ولم يبق بعد هذا اي مجال لثقافة شرقيــة وثقافة غربية فالمولود الجديد أوجد ثقافة انسانية شاملة ثقافة الشرق والغرب معاً وأوجب على الخلق اجمعين ان يجعلوا من انفسهم بشراً اقويــاء طلقاء كاملين قدر المستطاع لينصرفوا الى تطبيق مشيئة الله على أكمل وجه .

والكنيسة في العالم هي جماعة المقدسين في المسيح وبنعمة الروح القدس المدعوين ليكونوا قديسين بشراً أحراراً كاملين قدر المستطاع منصرفين الى تطبيق مشيئة الله على أكمل وجه . والكنيسة فوق العالم هي سر الله المكنون . ولولا هذا لما عاشت في العالم .

والهرطقــة على مر العصور هي تفريق ما جمعه المسيح في شخصه . فالابيونيون *Ebionites* لم يروا في المسيح الا نبياً عظيماً خصه الله بشرط وافر من الحكمة . والمشبهون *Docetistes* لم يروا فيه انساناً فقالوا وما صلبوه ولكن شبه لهم . والآريوسيون جعلوه مخلوقــاً وسطاً بين الله والانسان والنساطرة قالوا انه ولد انساناً ثم حل فيــه روح الله وبالتالي فالعذراء ام يسوع لا والدة الاله . والمونوفيسيون قالوا بطبيعة واحدة الهية لا بطبيعتين الهية وبشرية . والمونوتيليون قالوا بمشيئة واحدة الهية لا بمشيئتين الهية وبشريــة . ولم تكن حرب الايقونات نزاعاً سطحياً حول طقس معين من طقوس الكنيســة . وانما كانت بحثاً في سر التجسد نفسه . فمن حارب الايقونات انكر حرمة شكل الاله المنظور وهدد سر التجسد بالانهيار . وانكار الاسرار المقدسة عند الانجيليين ولا سيما سر الاستحالة

هو في حد ذاته خروج على اتحاد الاله الكامل بالانسان الكامل . « ففي المسيح يحل كل ملء اللاهوت جسدياً وفيه نحن نمتلىء » (كولوسي ٢ : ٩) .

* * *

وكنيستنا واحدة جامعة مقدسة رسولية . فاننا جميعنا قد اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد ، يهوداً كنا ام يونانيين ، عبيداً ام احراراً ، وسقينا جميعاً من روح واحد . ونحن جسد واحد هو جسد المسيح واعضاء كلٌ بمقدار . ومكانة كنيستنا في تاريخ البشر انها اذعنت لله وسعت لتطبيق مشيئته وطلبت من المؤمنين ايماناً وعملا في آن واحد .

والكنيسة تتألف من عنصرين الهي وبشري ، من الحقيقة الالهية المعطاة لها ومن سعيها البشري لتنفيذ المشيئة . وقد يسهو البعض عن ان النعمة الالهية لا تقسر الناس قسراً وانما تعمل فيهم عمل النور في الهواء فتخترق نفوسهم لتعطيهم حرارة واشعاعاً . ونحن اعضاء هذه الكنيسة الجامعة بشر وكبشر نستبق التطور احياناً فنلجأ الى الاكراه والقسر . واكليروسنا قـد يستكن او يتحرك . فبينما يستكن الاكليروس الشرقي في بعض الاحيان يتحرك الغربي أحياناً الى ان يمسي متهجماً صلفاً . وهكذا فانه نشأ على ممر العصور شيء من الاختلاف في تطبيق العقائد الواحدة . ولم يخل حقل الرب في فرعيه الغربي والشرقي من الزوان من حب السيطرة والمجد الفارغ ومن الطمع والحسد وسوء الظن والحقد فكان انشقاق مؤلم مخيف .

ويتوجب على المؤمنين والحالة هذه ان يصلوا بحرارة لاجل زوال هذا الشقاق وان يبتهلوا بقلب منكسر ونفس منسحقة لاجل التقارب والوحدة والا ينسوا قول الذهبي الفم : « ان الذي يشق كنيسة الله يعمل عملا أفظع من انكار الايمان . لأن الذي يُنكر الايمان يهلك نفساً واحدة واما الذي يشق الكنيسة فانه

يُهلك نفوساً كثيرة » . وعلى كل مؤمن ان يلاحظ هؤلاء الذين يحدثون الشكوك والشقاق وان يعرض عنهم لأنهم على حد قول بولس الرسول « لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم » .

واذا ما صلينا وابتهلنا لوحدة الصفوف فانما نفعل ذلك لاجل متابعة العمل في حقل الرب بعد جمود دام طويلا . وحقل الرب واسع جداً يشمل العالم بأسره . والعمل فيه لا يثمر الا اذا اقترن بظروف صالحة معينة . وأهم هذه الظروف التجدد الداخلي الذي يتحلى بانكار الذات. وانكار الذات يبدأ باعتراف داخلي بالعيوب وعدم الوصول الى الكمال ويفرض تنازلا حقيقياً عما نسميه كرامة شخصية . وهو يتطلب استعداداً للتعاون مع الغير في سبيل مبدأ صحيح عام كلي المفعول . والمبادىء الأدبية الروحية كثيرة لا يخلو منها فؤاد . ولكن المقصودة هنا هي تلك التي يعترف جمهور المؤمنين بصحتها وتوجب الكنيسة الجامعة تطبيقها. واذا كان الشرقيون منا قد أخطأوا في مجرد التمادي في التأمل والتعبد والمحافظة على قدسية الايمان والوقوف عند هذا القدر ، فالغربيون منا أخطأوا ايضاً في التشديد على نواح معينة من العمل واعطائها المرتبة الاولى . وهكذا فانه يحق للارثوذكسي الشرقي ان يفاخر بشدة حرصه على استقامة الايمان ولكنه ينسى في بعض الاحيان قول الرسول بولس : « ولو كانت لي النبوة وكنت أعلم جميع الأسرار والعلم كله ، ولو كان لي الايمان كله حتى لأنقل الجبال ، ولم تكن فيّ المحبـة فلست بشيء » ! ويحق للكاثوليكي ان يفاخر بدوره بأعماله الكثيرة ولكنه ينسى في بعض الأحيان قول هذا الرسول نفسه : « ولو بذلت جميع أموالي احساناً ولو أسلمت جسدي لأحرق ولم تكن فيّ المحبة فلا انتفع شيئاً »! والواقع ان عيب الكاثوليكيين والأرثوذكسيين كان ولا يزال منذ الانشقاق اغفال المحبة . « والمحبة تتأنى وترفق ولا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ ولا تأتي قباحة ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق . تتغاضى عن كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء » !!

* * *

وقد أزمن الداء وتعسر برؤه . ولكنه ليس من النوع الذي لا ينجع فيه دواء . ورأينا ان نبتعد عن سياسة القسر والاكراه فلا نستغل ظرفاً سياسياً ولا نستعين بسلطة زمنية مسيطرة . فقد جربنا هذا النوع من العلاج مراراً وتكراراً فأخفقنا وتباعدنا .

وعلينـا ايضاً ان نقلع عن التشويق الى طقس معين ارثوذكسياً كان ام كاثوليكياً . فكنيسة المسيح غربية وشرقية في آن واحد . ويجب ان تظل هكذا لأن السيد المخلص اله كامل في انسان كامل ولأن هـذه الصفة الشاملة التي تضم الشرق والغرب صفة لازمة للكنيسة على مر العصور . وكفانا نحن الاثنين الى ان يتم اتحادنا ، ان هيرارخيتينا رسوليتان وان دستور ايماننـا الهي بشري واحد لا غش فيه واننا نمارس أسراراً الهية مقدسة واحدة تنشيء فينا بنعمة الله عندما نصبح مستعدين ظرفاً روحياً طاهراً يتطلب الاتحاد .

واذا ما تمت هذه المهادنة بيسوع وله وتابعنا الصلاة المخلصة الحارة « من اجل ثبات كنائس الله المقدسة واتحاد الجميع » زال من نفوسنا مركب الشقاق والانشقاق وحل محله مركب المحبـة . وعندئذ نجلس معاً ونتبادل الرأي بالهام الروح القدس الى ما فيه مشيئة الله وخير البشر .

* * *

وكنيستنا الانطاكية يونانية سريانية عربية . فقد كانت يونانية برجالها في المدن وبفكرها ولغتها وطقوسها وكانت سريانية وعربية بشعبها في القرى والارياف . ولا يخفى ان الارياف السورية اللبنانية الفلسطينية الاردنية استعربت قبل الفتح الاسلامي بتسع مئة سنة وان السريانية تقلصت تدريجياً فانحصرت في القرى والمدن ثم في التلال النائية في لبنان والقلمون مثلا . واخبار العرب والعروبة ثابتة في المراجع الهلينية وفي سفر الاعمال وفي اخبار القديسين ولا سيما افثيميوس العظيم (٣٧٧ ـ ٤٧٣) وسمعان العمودي (٣٩٠ ـ ٤٦٠) .

ولا نرى مبرراً للضجـة التي يثيرها بعض اخواننا من رجال الكنائس السريانية كلما وجدوا مخطوطة من مخطوطات كنائسنا الأرثوذكسية مكتوبة باللغة السريانية . فمجرد العثور على هـذه المخطوطات لا يجيز الاستنتاج ان كنيسة انطاكية كانت سريانيـة بلغتها وطقوسها ثم تهلنت . فالواقع الذي لا مفر من الاعتراف به هو ان هذه الكنيسة التي تتشرف بالانتماء اليهـا جمعت في جميع عصورها يونانيين وسريانيين وعرباً ، وان لغتها الرسميـة وطقوسها وقوانينها وثقافتها كانت يونانية قبل ان تكون سريانية او عربية .

وقد يفيد ان نذكر اخواننا السريانيين ان مثل اجتهادهم هذا لا يصح الا في احوال منطقية معينة . فلا بد من كلية معترف بصحتها . كأن نقول مثلا ان اللغة التي كتب بها كتاب كنسي هي وحدها لغـة الكنيسة التي استعملت هذا الكتاب . ولا بد من جزئية صحيحة ايضاً كأن يقال ان هذا السواعي الارثوذكسي كتب بهذه اللغة . فتلزم النتيجة بطبيعة الحال . فكل ما صدق على حد صدق على كل ما يصدق عليه ذلك الحد ايجاباً وسلباً . واني لنا ان تكون هذه الكلية صحيحة وكنيستنا الارثوذكسية كانت ولا تزال تعمل بوصية الرسول فتجعل الصلاة بلغة يفهمها الشعب وقد رأينا بام عيننا كتاباً طقسياً ارثوذكسياً يعود الى السنة ١٦٨٠ مكتوباً باللغات الثلاث معاً اليونانيـة والعربية والسريانية . واذا جاز استنتاج اخواننا فماذا نقول عن اللغـة الكرجية في كنائس فلسطين ، فالرقوق الكنسية الكرجية والكتب القديمة الكرجية كثيرة في ديري المصلبة والقديس سابا .

* * *

وندرس ماضي كنيستنا لفهم حاضرها واعداد العدة لمستقبلها . ولا سبيل لفهم الحاضر فهماً تاماً كاملا شاملا الا بالطريقة العلمية المثلى . والطريقة العلمية المثلى تستوجب جمع جميع مخلفات الآباء بالاضافة الى الاناجيل الطاهرة والرسائل المقدسة وفهمها فهماً دقيقاً كاملا . وفهم هذه المخلفات فهماً علمياً كاملا يوجب

التذرع بما يسميه المؤرخون العلوم الموصلة. والعلوم الموصلة لتاريخ كنيستنا تشمل اجادة اللغات التي كتبت بها الاناجيل والرسائل ومخلفات الآباء. وهي بترتيب اهميتها اليونانية واللاتينية والسريانية والعربية . ولما كان لا بد من الاطلاع على ابحاث المؤرخين الزملاء وجب علينا ان نجيد الالمانية والافرنسية والروسية والانكليزية وغيرها. وقد جُمعت مخلفات الآباء ونشرت بنصوصها الاصلية ونُقلت الى اللاتينية وبعض اللغات الحديثة . وأكمل هذه المجموعات مجموعة الاب جاك بول مين الافرنسي (١٨٠٠ ـ ١٨٧٥) . فانه أصدر ما بين السنة ١٨٤٤ والسنة ١٨٥٥ أكثر من مئتي مجلد شملت مخلفات الآباء اللاتينيين حتى السنة ١٢١٦ (١) . ثم نشر ما بين السنة ١٨٥٧ والسنة ١٨٦٦ مئة وواحداً وستين مجلداً من مخلفات الآباء اليونانيين حتى السنة ١٤٣٩ (٢) . ويعنى الآباء البنديكتيون في بلجيكة بجمع نصوص الآباء ومقررات المجامع وسير القديسين والنقوش الكتابية المسيحية لنشرها نشراً علمياً في سلاسل ثلاث لاتينية ويونانية وشرقية (٣) . وقد ظهر مجلد في برنامج هذا المشروع العظيم في السنة ١٩٥١ (٤) . وظهر بعـده في السنة ١٩٥٣ الجزء الاول من المجلد الاول. وتعاونت اكاديمية برلين مع اكاديمية فينة في نشر نصوص الآباء نشراً دقيقاً كاملا . فنشرت برلين منذ السنة ١٨٩٧ ثلاثة واربعين مجلداً من النصوص اليونانية (٥) ونشرت فينة ثلاثة وسبعين مجلداً من النصوص اللاتينية (٦) وكرس شابو وغويدي وهيبرنا وكراديفو وفورجي اوقاتهم لنشر النصوص التي جاءت باللغـات الشرقية فنشروا منذ السنة ١٩٠٣ مئة وسبعة واربعين مجلداً في سلاسل اربعة سريانية وقبطية وعربية وحبشية (٧) ونشر غرافان ونو منذ السنة ١٩٠٧ سبعة وعشرين مجلداً من النصوص الشرقية (٨) . وهنالك مقررات المجامع

1) *Migne, J. P., Patrologiae Cursus Completus, Series Latina.*
2) *Migne, J. P., Patrologiae Cursus Completus, Series Graeca.*
3) *Corpus Christianorum.*
4) *Clavis Patrum Latinarum.*
5) *Die Griechischen Christlichen Schriftsteller der Ersten Drei Jahrhunderte.*
6) *Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum.*
7) *Chabot, J. P., Guidi, J., Hyvernat, H., Carra de Vaux, B., Forget, J., Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium.*
8) *Graffin, R., Nau, F., Patrologia Orientalis.*

المسكونية والمحلية وقد نشرهـا دومينيكوس منسي ما بين السنة ١٧٥٩ والسنة ١٧٩٨ في فينة في واحد وثلاثين مجلداً (١) . وقام بعده العلامة الالماني شفارتز فبدأ في السنة ١٩١٤ بنشر اعمال المجامع المسكونية نشراً علمياً دقيقاً (٢) . ولا بد من التنويه هنا بفضل المونسنيور دوشان لعنايته بالمناشير البابوية وفضـل الأب غرومل لاهتمامه بمحفوظات البطريركية المسكونية (٣) .

وينتقل المؤرخ المدقق في المرحلة الثانية من عمله الى نقـد هذه المراجع الاولية ليتثبت من أصالتها وعدم تزويرها او الدس فيها . ويعين تاريخها ومكان تدوينها . ثم يتحرى نصوصها فيجيء بلفظها الاصلي ويتذرع بالعلوم الموصلة الى فهم ظاهرها وباطنها . ثم يدقق في أخبار رواتها فيتعرف الى أحوالهم ويتوصل الى تقدير عدالتهم وضبطهم . فيتمكن من المفاضلة بينهم ويعين درجات متانـة رواياتهم فيجعلهم ثلاثة : راوٍ لاتقبل روايته وآخر ضعيف الرواية مجهول المكانة وثالث هو أولاهم في انتباهه ولكنه على هـذا يظل موضوعاً للنظر والاختبار . ولا يصل المؤرخ في هذا النقد كله الى نتيجة ايجابيـة يمكنه الاعتماد عليها للتثبت من حقيقة الماضي . ولا يقطع في شيء سوى أمر واحد هو اسقاط رواية من لا يعتمد عليه .

وأفضل ما يرجع اليه في نقـد المراجع لتاريخ الكنيسة في القرون الاولى مصنّفات هرناك وبوخ ولابريول وبومشتارك وشابو (٤) . ولا يستغنى في معالجة مراجع العصور الوسطى اليونانية عن مصنفي العلامة الالماني كارل كرومباخر (٥) وفي معالجة المراجع اليونانية الحديثـة عن كتاب ثيودوري بابادوبولو (٦) .

1) *Mansi, J. D., Sacrorum Conciliorum Nova et Amplissima Collectio.*
2) *Schwartz, E., Acta Conciliorum Oecumenicorum.*
3) *Duchesne, Mgr., Liber Pontificalis; Grumel, V., Regestes des Actes du Patriarcat de Constantinople.*
4) *Harnack, Ad., Geschichte der Altchristlichen Literatur; Puech, A., Histoire de la Littérature Grecque Chrétienne; Labriolle, P., Hist. de la Lit. Chrét. Latine; Baumstarck, A., Gesch. der Syrischen Lit.; Chabot, J. B., La Lit. Syriaque.*
5) *Krnmbacher, K., Gesch. der Byzantinischen Litteratur, (527 - 1453); Die Griechische Lit. des Mittelalters.*
6) *Papadopoullos, Th. Hist. of Greck Church and People under Turkish Domination.*

وتجيء المرحلة الثالثة في التأريــخ وهي دور اثبات الحقائق المفردة . فيتابــع المؤرخ البحث والتنقيب للوصول الى طمأنينة العقل وسلامة الاستنتاج . فيبتعد أولا عن الروايات التي انفرد بها راوٍ واحد . فاذا كانت العلوم الطبيعية تتطلب المشاهــدة والاستدلال القياسي والتحقيق بالمقابلة والتجربة فتبتعد كل الابتعاد عن الاطلاق في النتيجة من مشاهدة واحدة فالتأريخ أولى بذلك منها لانه بعيد عن المشاهــدة ضعيف الاستدلال بالقياس عديم التجربة . فحري بنا ان نبتعد عن كل رواية تاريخية انفرد بها راوٍ واحد. فاذا قضت الظروف بتدوينها فعلينا ان نصرح بأنها فريدة في بابها . وقد تتعدد الروايات التاريخية في أمر واحد فتتوافق او تتناقض . وحيث تتناقض يجب على المؤرخ ان يترفع عن اتخاذ موقف وسط بين الطرفين. فاذا ما وقع مثلا على أصل من الاصول فيه ان عدد الشهداء كان أربع مئة وآخر فيه انهم كانوا مئتين فانه من الخطأ الفاضح ان يوفق بين الطرفين فيزعم ان العدد الحقيقي كان وسطاً بين الطرفين أي ثلاث مئــة . فاذا جعل أحدهم حاصل الرقمين ٢ × ٢ أربعــة وجعل الآخر الحاصل ستة فهل يقال ان الحاصل الحقيقي لا هذا ولا ذاك بل هو خمسة ! وعلى المؤرخ ان يعيد النظر لعله يكشف الستار عن عيب في احدى الروايتين لم ينتبه اليه اولا او لعله يجد ما يجعله يثق بالواحدة أكثر من الاخرى . فيسقط ما قلت ثقته فيه ويرجح القول الآخر. وعليه ان يمتنع عن الحكم اذا عمّ الشك وبانت قلة الثقة . فليس هنالك ما يضطره لابــداء رأيه واصدار حكمه . والعالم من يعلم انه لا يعلم . والشك في الايمان قبل اليقين. وشدة الانطباق بين الروايات المختلفة توجب الشك لا الثقة . وهنالك تآلف بين الحقائق التاريخية لا بــد من الالتفات اليه . والاستعارة هنا من فن الموسيقى . فكما تتآلف الالحان فتؤلف مجموعاً شائقاً كذلك الروايات التاريخية المختلفة فانها اذا ما عبرت عن الحقيقة الراهنة تتآلف بعضها مع بعض فتتناصر على البطل وتلمع لمعان الحق . وقد تتوفر الحقائــق المفردة في ناحية وتعدم في الناحية الاخرى فيجتهد المؤرخ في تلافي ما قد يقــع من فراغ ويتذرع بالمنطق فيعمل أحيانــاً بما نسميه الاجتهاد السلبي وأحياناً اخرى بالاجتهاد الايجابي . والاجتهاد السلبي هو ما عبر عنه المناطقة بقولهم: «السكوت حجة» . ومعناه ان يتمكن

المؤرخ من القول بأن كذا و كذا حدث او لم يحدث لان الاصول ساكتة خالية . وهو أمر خطر للغاية . فقد يكون السكوت حجــة وقد لا يكون . ولا بد من التثبت من امور ثلاثة قبل التذرع بمثل هذه الحجة . وهي ان يكون المؤرخ على يقين جازم من أمر اطلاعه على جميع الاصول وان لا يعتريــه شك في ان ما لديه من هذه المراجع الاولية هو جميع ما دونه السلف في الموضوع الذي يبحث وانه لم يضع منها شيء . وثالثاً ان يتأكد من استحالــة سكوت الاصول عن الموضوع الذي يبحث . وهكذا فان حجــة السكوت لا تتم الا اذا اقترن بالراوي حالتان لا تنفصلان : اولاهما ان تكون الوقائع التي يمكن ان يكون قد سكت عنها وقائع يهتم بها اهتماماً شديداً . والثانية ان يكون الراوي قد صمم على تدوين جميع الاخبار التي احاط علماً بها .

وسيتضح في تضاعيف هذا الكتاب ان بعض علماء الاوساط البروتستانتية وبعض علماء الكنيسة الكاثوليكية الغربيــة لم يتقيدوا في بعض ابحاثهم بقواعد علم المصطلح فدونوا استنتاجات من هذا النوع لا يقرها المنطق .

وهنالك محاولات في بعض المصنفات الغربيــة ، للحط من قــدر رجالات الكنائس الارثوذكسية وللمبالغة في الاختلافات التي نشأت بين بعض كنائسنا . وهي امور لا تخفى على كل ذي بصر.

وبعد هذا القدر كله من التحذير نوصي وننصح بمطالعــة المصنفات التالية : اولا الموسوعات والقواميس العامة : قاموس الدومين كابرول ولكلرك في الليتورجية والآثار المسيحيــة (١) . وقاموس بودريار وفوغت وروزيس في تاريخ الكنيسة وجغرافيتها (٢) ، وقاموس فاكان ومانغينو وأمان في اللاهوت الكاثوليكي (٣). وقاموس آليس في الايمان والدفاع عنه (٤) . وموسوعة هوْك

1) *Dom F. Cabrol et dom H. Leclercq, Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie.*
2) *Baudrillart, A., Vogt, A., Rouziès, M., Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastiques.*
3) *Vacant, A., Mangenot E., Amann, E., Dictionnaire de Théologie Catholique.*
4) *Alès, A., Dictionnaire Apologétique de la foi Catholique.*

الفنية البروتستانتيـــة في اللاهوت والكنيسة (١) ومصنف غونكل وزشرنك في الدين في الماضي والحاضر (٢) وموسوعة هايستنغس في الدين والفلسفة الادبية (٣) ولا يخفى ان اهميـــة المقالات في الموسوعات والقواميس العامة تختلف باختلاف كتابها .

ثانياً التواريخ العامة : ولا يستغني باحث في تاريخ الكنيسة عن الاطلاع على كتابي هرنك ولوفس في تاريخ العقيدة (٤) . ويجب الرجوع من آن الى اخر الى مصنف تيكسيرون في الموضوع نفسه (٥). وافضل خلاصة لموقفنا من مشاكل العقيـــدة كتاب فلاديمير لوسكي (٦) ورسالة المطران سيرافيم (٧) وكتاب الانوار في الاسرار للمطران جراسيموس وقد يفيـــد الرجوع الى كتـــاب للعلامة مالتزيف للمقابلـــة والمقارنة بين العقيدة الارثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية (٨) .

ولا تزال مجلدات العلامة تيلمون الستة عشر على علاتها مرجعاً مفيداً من حيث احاطتها ووفرة وثائقها (٩) . ولا بد من الاطلاع على عمـــل المونسنيور دوشان للمدة نفسها (١٠) وكتاب الاب بارغوار في تاريخ الكنيسة البيزنطية من

1) *Hauck, A., Realencyclopadie fur Protestantische Theologie und Kirche.*
2) *Gunkel, H., Zscharnack, L., Die Religion in Geschichte und Gegenwart.*
3) *Hastings, J., Encyclopedia of Religion and Ethics.*
4) *Harnack, A., Lehrbuch der Dogmengeschichte; Loofs, F., Leitfaden zum Studium der Dogmengeschichte.*
5) *Tixeront, J., Histoire desDogmes.*
6) *Lossky, V., Théologie Mystique de l'Eglise d'Orient.*
7) *Seraphim, l'Eglise Orthodoxe.*
8) *Moltzew, A., Dogmatische Erlauterungen zur Einfuhrung in das Verstandnis der Orthodox-Katholischen Auffassung in ihren Verhaltnis zur Romischen und Protestantischen.*
9) *Tillemont, L., Mémoires pour servir à l'Histoire Ecclésiastique desSix Premiers Siècles.*
10) *Duchesne, Mgr. L., Hist. Ancienne de l'Eglise; L'Eglise au VIeSiècle.*

السنة ٥٢٧ حتى السنة ٨٤٧ (١) ومصنف ماسبيرو في بطاركة الاسكندرية (٢) وكتاب ليبيديف العالم الروسي في انفصـــال الكنائس في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر (٣) ومؤلفي لويس براهيه في الكنيسة والشرق وفي الانشقاق (٤) وكتاب ذيميتراكوبولو في العالم اليوناني الارثوذكسي (٥) ومصنف دوسيثيوس في بطريركية اوروشليم (٦) وكتاب ذيوميذس كيرياكوس في تاريخ الكنيسة الشرقية من السنة ١٤٨٣ حتى السنة ١٨٩٨ (٧) . وافضل ما ظهر في الغرب في هذا الباب، باب التواريخ العامة مجموعة فليش ومارتان في تاريخ الكنيسة ومجموعة هيفيلي في تاريخ المجامع (٨) . وافضل ما جاء في تاريخ كنيسة انطاكية كتاب الطيب الذكر خريسوستوموس (باباذوبولوس) رئيس اساقفة اثينة وبلاد اليونان. فانه بعد ان صنف في تاريخ كنيسة اوروشليم وكنيسة الاسكندرية وكنيسة القسطنطينية اتحف الارثوذكسيين بكتاب جليل في تاريخ كنيسة انطاكية . واننا ننتظر بفارغ الصبر المجلد الثالث والعشرين من مجموعة فليش ومارتن في تاريخ الكنائس « المنفصلة » .

وهنالك مئات من الابحاث في مواضيع خصوصية محدودة في اللغـــات الالمانية والافرنسية والروسية والانكليزية والايطالية واليونانية اشرنا اليها في محلاتها اشارات واضحة تامة تعاون على الرجوع اليها عند الحاجة .

1) *Pargoire, J., l'Eglise Byzantine.*
2) *Maspero, J., Hist. desPatriarches d'Alexandrie.*
3) *Lebedev, A. P., Hist. de la Séparation des Eglises.*
4) *Brehier, L., L'Eglise et l'Orient au Moyen Age; Le Schisme Oriental.*
5) *Demetracopoulos, A. C., Graecia Orthodoxa.*
6) *Dositheos, Istoria peri ton en Ierosolumois Patriarcheusánton.*
7) *Kyriakos, D , Gesch. der Orientalischen Kirche.*
8) *Fliche et Martin, Histoire de l'Eglise; Héfélé - Leclercq, Histoire des Conciles.*

وقـد لقيت في شخص كل من حضرات الآباء اغناطيوس (هزيم) وجاورجيوس (خضر) واسبيريدون (خوري) غيرة واندفاعاً وتضحيـة . ولولا جهود السيد اندره جحا وغيرته الارثوذكسية ونشاطـه الذي لا يعرف الكلل واهتمام غيره من شباب الحركة الارثوذكسية المباركة لما تم طبع هـذا الكتاب في هذا الوقت القصير .

عن الشوير ورأس بيروت
في يوم تذكار القديس الانطاكي
يوحنا الذهبي الفم
١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٥٨

اسد رستم

« لقـد بزغت النعمة من فمك فأنارت المسكونة
فتشفع الى الكلمة المسيح الاله في خلاص نفوسنا »

الباب الأول

ظهور النصرانية وانتشارها

٣٠ — ٣١٣

الفصل الأول

كنيسة أوروشليم أم الكنائس

منذ الصلب حتى حلول الروح القدس : وأسلم السيد الروح معلقاً على الصليب يوم الجمعة في ما يعادل في حسابنا السابع من نيسان من السنة ٣٠ بعد الميلاد (١) . وأنزل يوسف الذي من الرامة جسد السيـــد ولفه في كتان ووضعه في قبر منحوت لم يكن قد وُضع فيه أحد . وكان قد أخذ السبت يلوح . وكانت النساء اللواتي أتين مع السيـــد من الجليل يتبعن فأبصرن القبر وكيف وضع فيه جسده . فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً . وفي أول الاسبوع باكراً جـــداً أتين الى القبر يحملن الحنوط . فوجدن الحجر مدحرجاً . فدخلن فلم يجدن جسد الرب . فاذا برجلين بلباس برّاق يقولان لهن انه ليس ههنا لكنـــه قد قام . أذكرن كيف كلمكنّ وهو في الجليـــل اذ قال ينبغي لابن البشر ان يُسلم الى أيدي أناس خطأة ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث . فذكرن كلامـــه ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين . وهؤلاء اللواتي أخبرن الرسل هنّ مريم المجدلية وحنـــة ومريم ام يعقوب وأُخَر معهن . فقام بطرس وأسرع الى القبر وتطلع فرأى الأكفان موضوعة على حـــدة فانصرف متعجباً . وكان اثنان في ذلك اليوم سائرين الى عمواس وكانا يتحادثان في هذا كله فدنا السيـــد منهما وسار معهما واشترك في حديثهما فقـــال يا قليلي الفهم وبطيئي الايمان أما كان ينبغي للمسيح ان يتألم ثم يدخل الى مجده . فلما اقتربوا من القرية دخـــل يسوع

---

1) *Loisy, A., La Naissance du Christianisme, 1933, 106-107; Guignebert, C., Jésus, 1933, 564 ff.; Braun, M., Jésus, Histoire des Religions (Gorce et Mortier), 1948, III, 155; Masset, H., Hist. du Christ., I, 1.*

ليمكث معهما . ولما اتكأ أخــذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما . فانفتحت أعينهما وعرفاه فغاب عنهما. فقاما في تلك الساعة ورجعا الى اوروشليم فوجدا الأحد عشر والذين معهم مجتمعين وهم يقولون لقــد قام الرب وتراءى لسمعان . فأخذا يخبران بما حدث . وبينما هم يتحدثون وقف يسوع في وسطهم وقال السلام لكم أنا هو لا تخافوا . وقال ينبغي للمسيح ان يتألم وان يقوم في اليوم الثالث من بين الأموات وان يكرز باسمــه بالتوبة ومغفرة الخطايا في جميع الامم ابتداءً من اوروشليم . وأنا أرسل اليكم موعد أبي فامكثوا أنتم في المدينة الى ان تلبسوا قوة من العلاء . ثم خرج بهم الى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم . وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء . فسجدوا له ورجعوا الى اوروشليم بفرح عظيم . وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون الله ويباركونه (١) .

يوم العنصرة : والعنصرة كلمة عبرانية معناها اجتماع او محفل . وعيد العنصرة عند اليهود هو عيد الشكر وعيد تذكار قبولهم الشريعة في طورسينا على يد موسى (٢) . وعيد العنصرة عند النصارى هو عيد تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ . وهو بعد عيــد الفصح بخمسين يوماً ولذا يسمى باليونانية بنتيكوستي *Pentekoste* .

وعاد الرسل الى اوروشليم وواظبوا على الصـــلاة بنفسٍ واحدة مع النساء ومريم ام يسوع ومع اخوته . وكان عدد « الاخوة » جميعاً نحو مئـــة وعشرين . فطلب اليهم بطرس ان ينتخبوا من الرجــال الذين رافقوا يسوع منذ معمودية يوحنا رجلا يحل محل يهوذا الذي علّق نفسه فانشنق . فقدموا اثنين يوسف البار المسمى برسابا ومتيا . وصلوا وقالوا أيها الرب العارف قلوب الجميع أظهر أي هذين اخترت لكي يُستخلف في الخدمة والرسالة التي سقــط عنها يهوذا . ثم ألقوا القرعة فوقعت على متيا فأحصي مع الرسل الأحد عشر (٣) .

١) انجيل لوقا : الفصل الرابع والعشرون .
٢) سفر المكابيين الثاني : الفصل الثاني عشر : ٣٢ .
٣) سفر الأعمال : الفصل الاول .

ولما حلَّ يوم الخمسين بعد القيامة كانوا كلهم معاً في مكان واحد . فحدث بغتةً صوت من السماء كصوت ريح شديدة وملأ كل البيت الذين كانوا جالسين فيه . وظهرت ألسنة منقسمة كأنهــا من نار فاستقرت على كل واحد منهم . فامتلأوا كلهم من الروح القدس وطفقوا يتكلمون بلغات اخرى . وكان في اوروشليم رجال من اليهود أتقياء من كل امــة تحت السماء من البرتيين والماديين والعيلاميين وسكان ما بين النهرين واليهودية وقبدوقية والبونط وآسية وفريجية وبمفيلية ومصر وليبية والغرباء من رومة واليهود الدخلاء والكريتيين والعرب . وكانوا كلهم مندهشين متحيرين يقول بعضهم ما عسى ان يكون هــذا ويقول آخرون مستهزئين انهم قد امتلأوا سُلافة . فقال بطرس الى اليهود فليعلم يقيناً جميع آل اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه رباً ومسيحاً . وقال الى الاخوة فيسوع هذا قد اقامه الله ونحن كلنا شهود واذا كان قد ارتفع بيمين الله وأخذ من الآب الموعد بالروح القدس أفاض هذا الروح الذي تنظرون وتسمعون. فلما سمع اليهود نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع ايهــا الرجال الاخوة . فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا فتنالوا موهبة الروح القدس . فالذين قبلوا كلامه اعتمدوا فانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثـــة آلاف نفس. وكانوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات .

ام الكنائس : وكان جميع المؤمنين معــاً . كان كل شيء مشتركاً بينهم . وكانوا يبيعون املاكهم وامتعتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد . وكانوا يلازمون الهيكل كل يوم بنفس واحدة ويكسرون الخــبز في البيوت ويتناولون الطعام بابتهاج ونقاوة قلب مسبحين الله ونائلين حظوة لدى جميع الشعب . وكان الرب كل يوم يضم الذين يخلّصون الى الكنيسة (١) .

ثم صعد بطرس ويوحنا الى الهيكل معاً لصلاة الساعة التاسعة . وكان رجل أعرج من بطن امه يُحمَل . وكان يوضع كل يوم عند باب الهيكل ليسأل صدقة.

١) سفر الاعمال : الفصل الثاني .

فلما رأى بطرس ويوحنا سألهما صدقة . فتفرس فيه بطرس مع يوحنا وقال ليس لي فضة ولا ذهب ولكني اعطيك ما عنـــدي باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش . وأمسكه بيده وأنهضه . فوثب وقام وطفق يمشي ودخل معهما الى الهيكل وهو يمشي ويسبّح . فتبادر اليهم الشعب وهم منذهلون . فوعظ بطرس قائلا ما بالكم متعجبين من هذا ولماذا تتفرسون فينا كأننا بقوتنا وتقوانا جعلنا هذا يمشي . ان إله ابراهيم واسحق ويعقوب قد مجّد فتاه يسوع الذي اسلمتموه أنتم وأنكرتموه وقد حكم هو باطلاقه (١) . وان كثيرين من الذين سمعوا آمنوا فصار عدد الرجال خمسة آلاف .

وفي الغد اجتمع في اوروشليم رؤساء اليهود والشيوخ والكتبة وحنّان رئيس الكهنة وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة . وكانوا قـــد أمروا بحبس بطرس ويوحنا . فلما اكتمل الجمع اقاموا بطرس ويوحنا في الوسط وسألوهما بأي قوة صنعتما هـــذا . فأجاب بطرس : باسم يسوع المسيح الناصري الذي أقامه الله من بين الاموات بذاك وقف هذا امامكم متعافياً . فلما رأوا جرأة بطرس ويوحنا ونظروا الرجل الذي شفي واقفاً معهما لم يكن لهم شيء يقولونه فتهددوهما ألا يكلما أحداً من الناس بهذا الاسم . فأجاب بطرس ويوحنا وقالا لهم : احكموا أنتم ما العدل أمام الله ان نسمع لكم أم نسمع لله فإننا لا نقدر ان لا نتكلم بما عاينا وسمعنا . فهددوهما وصرفوهما . فصلّى المؤمنون ان يهبهم الله ان ينادوا بكلمته بكل جرأة . وباع يوسف اللاوي القبرصي الأصل الذي لقبه الرسل برنابا الذي تفسيره ابن العزاء حقله وأتى بثمنه وألقاه عند أقدام الرسل (٢) . وكان المؤمنون بالرب يأخذون في الازدياد جماعات من الرجال والنساء . وجرت على أيـــدي الرسل آيات وعجائب كثيرة (٣) .

وامتلأ رئيس الكهنة ومن معه غيرة . وألقوا أيديهم على الرسل وجعلوهم في الحبس . ففتح ملاك الرب ابواب السجن وأخرجهم وقال : « كلموا الشعب

١) سفر الاعمال : الفصل الثالث .
٢) سفر الاعمال : الفصل الرابع .
٣) سفر الاعمال : الفصل الخامس : ١٢ و١٤ .

بجميع كلمات تلك الحيـــاة » . فلما كان الفجر ذهب الرسل الى الهيكل وطفقوا يعلمون . ثم التأم محفل اليهود وأنفذوا الى السجن ليحضروا الرسل . فجاء رجال الشرطة ولم يجدوهم . فعادوا واخـــبروا ان السجن مقفل وانهم لم يجدوا احداً في الداخل . فتحير اعضاء المحفل ثم علموا ان الرسل في الهيكل يعلمون الشعب . فانطلق الوالي مع الشرطة وأحضر الرسل . فسألهم رئيس الكهنة : قد أمرنا كم أمراً ألا تعلموا بهـــذا الاسم . فأجاب بطرس والرسل : ان الله أحق من الناس بأن يطاع ! فتشاور الاعضاء في قتلهم فنهض أحدهم غملائيل وأمر بأن يخرج الرسل قليلا ثم قال : اعدلوا عن هؤلاء الرجال واتركوهم لأنه ان كان هـــذا الرأي من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تستطيعون نقضه . فارتضوا برأيه ودعوا الرسل وجلدوهم وأمروهم ان لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم . فخرج الرسل فرحين بأنهم حسبوا مستأهلين ان يهانوا لأجل اسم يسوع . وعادوا الى التعليم والتبشير في الهيكل وفي البيوت (١) .

بداية التنظيم: ولما تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين بأن اراملهم كنّ يهملن في الخدمـــة اليومية . فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا : لا يحسن ان نترك كلمة الله ونخدم الموائد . فاختاروا ايها الأخوة سبعة رجال منكم يشهد لهم بالفضل قد ملأهم الروح والحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة . ونحن نواظب على الصلاة وخدمـــة الكلمة . فاختار الجمهور اسطفانوس وفيليبوس وبروكوروس ونيقانوروس وطيمون وبرمناس ونيقولاوس دخيلا انطاكياً وأقاموهم امام الرسل فصلّوا ووضعوا عليهم الأيدي (٢) . وهؤلاء هم الشمامسة . وهنالك اشارات في مواضع اخرى من هـــذا السفر نفسه أي سفر الأعمال الى الـ *Presbyteroi* (٣) . وهؤلاء هم الشيوخ المقدمون أعوان الرسل في الخدمة الروحية . وهكذا فتكون أم الكنائس قـــد انتظمت منذ اوائل عهدها

١) اعمال الرسل : الفصل الخامس : ١٧ ـ ٤٢ .
٢) سفر الاعمال : الفصل السادس : ١ ـ ٧ .
٣) سفر الاعمال : الفصل الحادي عشر : ٣٠ والفصل الخامس عشر : ٢ والفصل الحادي والعشرين : ١٨ .

برسل يقودون وشيوخ يدبرون وشمامسة يخدمون وتلامذة وأخوة مؤمنين . وكان أنفذ الرسل كلمةً بطرس ويعقوب اخو الرب .

اول الشهداء : (٣٦ ـ ٣٧) وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر في اوروشليم جداً . وكان جمع كثير من الكهنة اليهود يطيعون الايمان . وكان اسطفانوس الشماس مملوءاً نعمة وقوة . وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب . فنهض قوم من اليهود الغرباء يباحثون اسطفانوس فلم يستطيعوا ان يقاوموا الحكمة والروح . حينئذ دسوا رجالا يقولون إنا سمعناه يجدف على موسى وعلى الله . فهيجوا الشعب والشيوخ والكتبة فنهضوا جميعاً واختطفوه وأتوا به الى المحفل . وأقاموا شهود زور يقولون ان هذا الرجل لا يزال ينطق بكلمات تجديف على المكان المقدس والناموس . فإنا سمعناه يقول ان يسوع الناصري سينقض هذا المكان ويبدّل السنن التي سلمها الينا موسى . فقال رئيس الكهنة هل هذه الامور هكذا . فقال اسطفانوس قولا طويلا في تاريخ اسرائيل ثم اختتم كلامه بالعبارات التالية : « يا قساة الرقاب وغير المختونين في قلوبكم وآذانكم أنكم في كل حين تقاومون الروح القدس . كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أي نبي من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم . أنتم الذين تسلمتم الناموس بترتيب الملائكة ولم تحفظوه » . ثم أردف فقال : « هاءنذا أرى السموات مفتوحة وابن البشر قائماً عن يمين الله » . فصرخوا وهجموا عليه وطرحوه خارج المدينة ورجموه . وكان هو يقول ايها الرب يسوع اقبل روحي . ثم جثا وصرخ يارب لا تُقم عليهم هذه الخطيئة . ثم رقد في الرب (١) .

اضطهاد وتبدد : وحدث اضطهاد شديد من اليهود على أم الكنائس . وكان بين المتلفين فيها شابٌ يهودي من طرسوس يدعى شاوول . وكان هذا قد أمّ اوروشليم ليدرس الشريعة على غملائيل المعلم الكبير . فدفعته عاطفته الشديدة الى الاشتراك في اتلاف الكنيسة فطالب برجم اسطفانوس وشهد الرجم مشجعاً وعاد

١) سفر الاعمال : الاصحاح السابع — *Abel, F. M., Histoire de la Palestine, I, 450.*

مملوءاً نقمة فدخل بيوت المؤمنين بيتاً بيتاً وجرّ الرجال والنساء وسلمهم الى السجن . ثم أقبل الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق الى المجامع حتى اذا وجد اناساً من هذه الطريقة رجالا او نساءً يسوقهم موثقين الى اوروشليم (١) .

وكان من جراء هذا الاضطهاد ان تبدد المؤمنون في اليهودية والسامرة «ما عدا الرسل» . فانحدر فيليبوس احد الشمامسة الى السامرة وكرز بالمسيح فاعتمد كثيرون رجالا ونساء . وانحدر اليهم بطرس ويوحنا فوضعا ايديهما عليهم فنالوا الروح القدس . ثم انطلق فيليبوس نحو الجنوب وسلك الطريق بين اوروشليم وغزة فتقبل النعمة على يده رجل حبشي خصي ذو منزلة عظيمة عند كنداكة ملكة الحبشة . وتابع فيليبوس التبشير فوجد نفسه في اشدود ومن هناك جال مبشراً في جميع المدن الى ان انتهى الى قيصرية عاصمة فلسطين آنئذ (٢) .

شاوول بولس : (٣٦ ـ ٣٧) وقصد شاوول بعد مقتل اسطفانوس الى دمشق برسالة من رئيس كهنة اليهود ليسيء الى المؤمنين فيها . فظهر له يسوع في الطريق وهداه الى الايمان . وبعث به الى التلميذ حنانيا في دمشق فعلمه ماذا يفعل . ونادى بولس باسم يسوع اولا في دمشق ثم في بلاد العرب القريبة منها ثم في اوروشليم . فالتمس اليهود اليونانيون قتله . فلما علم الاخوة بذلك أحدروه الى قيصرية ثم ارسلوه الى طرسوس مسقط رأسه (٣) .

اللدة ويافة وقيصرية : وسارت الكنيسة في سلام في اليهودية والجليل والسامرة (٤) . وكان بطرس يطوف في جميع الأطراف فنزل الى لدة فأبرأ اينياس فرجع جميع الساكنين في لدة وشارون الى الرب . وزار يافة فجثا على ركبتيه وصلى ثم التفت الى جثة طابيثة وقال قومي ففتحت عينيها وقامت . فذاع الخبر في يافة فآمن كثيرون بالرب . وبقي مقيماً في يافة اياماً كثيرة عند سمعان

١) سفر الاعمال : الفصل الثامن : ١ ـ ٤ والفصل التاسع : ١ ـ ٣ .
٢) سفر الاعمال : الفصل الثامن : ٤ ـ ٣٩ .
٣) سفر الاعمال : الفصل التاسع : ٢٦ ـ ٣١ .
٤) سفر الأعمال : الفصل التاسع : ٣١ .

الدباغ (١) . وكان في قيصرية عاصمة فلسطين قائد مئة اسمه كرنيليوس . وكان كرنيليوس تقياً يخشى الله هو وجميـع أهل بيته . فرأى في رؤيا ملاك الله داخلا عليه وقائلا أرسل رجالا الى يافة واستحضر سمعـان الملقب بطرس فهذا يقول لك ماذا ينبغي ان تعمل . فجاءه بطرس وقال : « قد علمتم انه حرام على رجل يهودي ان يخالط أجنبياً او يدنو اليه . اما انا فقد أراني الله الا أقول عن أحـد انه بخس او دنس . فالله لا يحابي الوجوه ولكن في كل امـة من اتقاه وعمل البر فانه يكون مقبولا عنده . وأنتم قد علمتم كيف مسح الله بالروح القـدس وبالقوة يسوع الناصري وكيف قتله اليهود معلقين اياه على خشبـة . هذا اقامه الله في اليوم الثالث وأعطاه ان يظهر علانيـة لا للشعب كله ولكن لشهود اصطفاهم الله من قبل أي لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معـه بعد قيامته . وقد أوصانا ان نكرز للشعب ونشهد بأنه هو الذي عينه الله دياناً للاحياء والأموات . وكل من يؤمن به ينال مغفرة الخطايا » . وفيما كان يتكلم حل الروح القدس على جميع الذين سمعوا الكلمة . ثم أمر بطرس ان يعتمدوا باسم الرب (٢) .

وسمع الرسل والاخوة الذين في اليهودية ان الأمم ايضاً قد قبلوا كلمة الله . فلما صعد بطرس الى اوروشليم خاصمه الذين من أهـل الختان قائلين انك دخلت عند رجال قُلف وأكلت معهم . فشرح لهم بطرس ما جرى وقال : بعد حلول الروح القدس على هؤلاء القلف تذكرت كلام الرب حيث قال ان يوحنا عمَّد بالماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس . فان كان الله قد اعطاهم نظير الموهبة التي اعطانا نحن فمن أنا حتى استطيع ان أمنع الله . فلما سمعوا ذلك سكتوا ومجدوا الله (٣) .

ثاني الشهداء : وكان الامبراطور كاليكيولا قد عطف في السنة ٣٧ على نديمه هيرودوس أغريبة فجعله ملكاً وولاّه على تترارخيتين في أقصى الشمال في

١) سفر الأعمال : الفصل التاسع : ٣٢–٤٣ .
٢) سفر الأعمال : الفصل العاشر .
٣) سفر الاعمال : الفصل الحادي عشر : ١–١٩ .

فلسطين . ثم ولاّه على الجليل وعلى بلة في شرقي الاردن وتوابعها . وفي السنة ٤١ بعـد الميلاد وسَّع الامبراطور كلوديوس صلاحيات هيرودوس فولاه بالاضافة الى ما تقدم على السامرة واليهودية . وكان هيرودوس قد اشتهر بتهتكه في أثناء اقامته في رومة وبعدها فلما أصبح ملكاً على جميع فلسطين ودخلت اوروشليم في ملكه أحب ان يتودد الى رجال الدين ويسترضيهم . فشدد في السنة ٤٣ على المؤمنين بيسوع وألقى الأيدي على قوم من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف . ولما رأى ان ذلك يرضي اليهود عاد في ربيع السنة ٤٤ فقبض على بطرس ايضاً . وكانت أيام الفطـير فلما أمسكه جعله في السجن وفي عزمه ان يقدمه الى الشعب بعد الفصح . وكانت الكنيسة تصلي من أجل بطرس بـلا انقطاع . ولما أزمع هيرودوس ان يقدمه جاء ملاك الرب في الليل وأيقظ بطرس وأخرجه من السجن . فتوجـه بطرس الى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلون . فلما فتحوا ورأوه دهشوا . فقص عليهم كيف أخرجه الرب من السجن وقال : « أخبروا يعقوب والاخوة بهذا » ثم خرج ومضى الى موضع آخر (١) .

ام المؤمنين : وكانت مريم ام يسوع قد نالت نعمـة عند الله فحل الروح القدس عليها وظللتها قوة العلي . فذهبت الى مدينـة يهوذا ودخلت الى بيت زكريا وسلمت على اليصابات . فعندما سمعت اليصابات سلامها ارتكض الجنـين في بطنها وامتلأت من الروح القدس فصاحت مباركة انت في النساء ومباركة ثمرة بطنك . من أين لي هـذا ان تأتي ام ربي اليّ . فقالت مريم تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي . فها منذ الآن تطوبني جميـع الأجيال لأن القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس ورحمتـه الى أجيال وأجيال للذين يتقونه (٢) . ثم ولدت الرب واضجعته في مذود فسبَّح جمهور من الجنـد السماويين قائلين : المجد لله في العلى وعلى الارض السـلام وللناس المسرة .

١) سفر الاعمال ١٢ : ١ – ١٨ .
٢) انجيل لوقا : الفصل الاول : ٣٥–٥٤ .

فسمعت مريم بهذا « وحفظته كله وتفكرت به في قلبها » . ولما أتم يوسف ومريم كل شيء حسب الناموس رجعا بيسوع الى الناصرة فكان الصبي ينمو ويتقوى ممتلئاً حكمة . وكان أبواه يذهبان الى اوروشليم كل سنة في عيد الفصح . فلما بلغ اثنتي عشرة سنة صعدا الى اوروشليم . ولما تمت الأيام عند رجوعهما بقي الصبي في اوروشليم . فطلباه فلم يجداه . وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل جالساً فيما بين المعلمين يسمعهم ويسألهم . فقالت امه له : لما صنعت بنا هكذا اننا كنا نطلبك متوجعين. فقال : انه ينبغي لي ان أكون فيما هو لأبي . ثم نزل معهما الى الناصرة . « وكانت امه تحفظ ذلك الكلام كله في قلبها » (١) . ثم اعتمد يسوع ولما ابتدأ في الوعظ والعمل كان له نحو ثلاثين سنة . وكان عرس في قانا الجليل . وكانت مريم هناك . فدعي يسوع وتلاميذه الى العرس . وفرغت الخمر فاشتركت مريم في اداء الرسالة فقالت ليسوع ليس عندهم خمر . فقال لم تأت ساعتي بعد . فقالت للخدام مهما يأمركم به فافعلوه . فحول يسوع الماء خمراً (٢) . وكانت هذه اولى عجائبه . ورافقت مريم يسوع حتى ساعة موته على الصليب . فقد جاء في انجيل يوحنا الحبيب انها كانت واقفة عند صليب يسوع وان السيد قال لها مشيراً الى الذي كان يحبه : « هوذا ابنك » وانه قال لهذا : « هذه امك » وان يوحنا أخذها من تلك الساعة الى خاصته (٣) . وبعد الوفاة وبعد ان قام السيد من بين الأموات واظبت مريم على الصلاة مع الرسل والتلاميذ (٤) .

ويرى بعض العلماء المتطرفين المتحذلقين في النقد ان السيدة العذراء لم تنتسب الى ام الكنائس وانها لم تقم بأي دور فيها وان أم الكنائس لم تُعر شخص العذراء أي اهتمام . وهم يستندون في رأيهم هذا الى سكوت متى ومرقس عما جاء من أخبار العذراء في لوقا ويوحنا . ويرون أن متى يجعل من مريم العذراء شخصية سلبية وان مرقس يذهب الى أبعد من هذا فيزجها في مرتبة اخوة

١) انجيل لوقا : الفصل الثاني : ٦–٥١ .
٢) انجيل يوحنا : الفصل الثاني : ١–١٢ .
٣) انجيل يوحنا : الفصل التاسع عشر : ٢٥–٢٨ .
٤) سفر الأعمال : الفصل الاول : ١٤ .

الرب واخواته في الجسد (١) . والاشارة هنا الى ما جاء في الفصل الثالث من انجيل مرقس الى الآيات العشرين والحادية والعشرين والحادية والثلاثين حتى الخامسة والثلاثين : « وسمع ذووه فخرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا انه شارد العقل . وجاءت امه واخوته ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه . فقالوا له ان امك واخوتك خارجاً يطلبونك فأجابهم من أمي واخوتي . ثم أدار نظره في الجالسين حوله وقال هؤلاء هم أمي واخوتي لأن من يعمل مشيئة الله ذاك أخي وأختي وأمي » .

ونحن نرى ان التضلع من اللاهوت لا يكفي وحده للتثبت من صحة الروايات في تاريخ الكنيسة ومن سلامة الاستنتاج . فهؤلاء الرجال وفي طليعتهم موريس غوغل عميد كلية اللاهوت البروتستانتية في باريز يجهلون فيما يظهر أبسط قواعد المصطلح . فلا يكون سكوت الاصول حجة الا بشروط معينة . وهي ان يكون المؤرخ على يقين جازم من أمر اطلاعه على جميع الاصول . وان لا يعتريه شك في ان ما لديه من الاصول هو «جميع ما دونه السلف في الموضوع الذي يبحث» . وانه « لم يضع مما دونه السلف شيء » . وعليه ان يتثبت من « استحالة » السكوت في الاصول عن الموضوع الذي يدرس . فقد تسكت الاصول عن امور شتى تكون قد وقعت في الماضي .

ونحن علاوة عما تقدم لا نرى مبرراً لاعتماد مرقس دون لوقا . فالاثنان دوّنا في عصر واحد وفي زمنين متقاربين جداً . وهناك ما يجعلنا نؤثر رواية لوقا من حيث الاحاطة على رواية مرقس لأن لوقا توخى كتابة سيرة السيد لأجل المثقفين من الوثنيين . ويوحنا الحبيب اتخذ العذراء الى خاصته منذ وفاة السيد . فهو والحالة هذه أقرب لفهمها والاحاطة باخبارها من مرقس ومتى .

1) *Goguel, M., La Naissance du Christianisme, Paris, 1946, 138 - 141 ; Harnack, A., Das Magnificat der Elisabeth, Sitzungsberichte der Berliner Akademie, 1900, 538 ff.; Loisy, A., L'Origine du Magnificat, Rev. d'Hist. et de Lit. Relig. 1897, 428 - 432.*

الفصل الثاني

حيث دُعي المؤمنون مسيحيين اولاً

٣٤ ـ ٤٤

انطاكية : وكان سلوقوس الأول قد رصد النسر من الجبل الأقرع فأنشأ حيث حل هذا النسر في الثالث والعشرين من نيسان سنة ٣٠٠ قبل الميلاد مدينة سلوقية . ثم كفر وضحى في جبل سيلبيوس *Silpios* ورصد النسر في اول ايار من تلك السنة فأكمل بناء انتيغونية التي كان قد شرع مناظره انتيغونوس *Antigonos* في بنائها على بعد قليل من موقع انطاكية . ولاحظ سلوقوس بعد ذلك ان النسر حمل فريسته وأتى بها سفح سيلبيوس فأمر بنقل المواد التي كانت قد استحضرت لبناء انتيغونية الى السهل عند سفح سيلبيوس . وفي الثاني والعشرين من شهر ارتميسيوس (ايار) من السنة ٣٠٠ وعند بزوغ الشمس أسس عاصمة لملكه دعاها انطاكية على اسم والده انطيوخوس (١) .

ورأى المؤرخ ديودوروس ان انتيغونوس انتقى منحنى العاصي مركزاً لعاصمته ليكون في وسط يشرف منه على سير الأمور في ولايته الشرقية والغربية في آن واحد (٢) . وجاء في جغرافية سترابون وفي خطب ليبانيوس ان انطاكية جمعت في موقعها الجغرافي بين فوائد البحر والبر . فالبحر كان قريباً والعاصي كان صالحاً للملاحة بين انطاكية والبحر (٣) . ورغب سلوقوس وخلفاؤه في انماء عاصمتهم هذه فربطوها بسترابية بابل بطريقين معبدتين تسهيلا

1) *Strabo, Geog., XVI, 749.*
2) *Diodorus, XX, 47.*
3) *Strabo, Geog., XVI, 751 ; Libanios, Or., XI, 35 - 41.*

لنقل الجيوش وتشويقاً لانتقال التجار وتبادل السلع . وقالوا بتهلين الشرقيين من رعاياهم فسهلوا لهم الاقامة في العاصمة . ونمت انطاكية في عهد السلاقسة فأصبحت اربعة أحياء كل منها محاط بسور منيع منفصل عن الآخر . ومن هنا نعتها باللفظ اليوناني *tetrapolis* ومعناه المدن الأربع . وقيل انها دعيت تترابوليس لانها كانت احدى المدن الأربع الكبيرة التي بناها سلوقوس . وهي انطاكية وسلوقية وابامية واللاذقية (١) .

وفي السنة ٦٤ قبل الميلاد استولى بومبايوس على مملكة السلاقسة وعلى غيرها مما جاورها فاحترم حق انطاكية في ادارة شؤونها الداخلية وأشاد فيها ندوة الذاريوم وجعلها عاصمة ولاية سورية بكاملها ومقر الحاكم الروماني العام *Pegatio* . وفي السنة ٢٧ قبل الميلاد عندما اعيد النظر في نظام الولايات ظلت انطاكية عاصمة لسورية (٢) . ولم تسلخ اليهودية ـ فلسطين ـ عنها قبل السنة ٧٠ بعد الميلاد .

وكانت انطاكية لم تزل رافلة بحلل الفخر فانشأ فيها الفاتحون الهياكل والقصور والمراسح . وجروا المياه اليها وبنوا الحمامات فيها على طريقتهم الخاصة . وفتح هيرودوس الكبير فيها طريقاً بأعمدة على الجانبين . وظلت انطاكية زاهرة فيما يظهر حتى الفتح الاسلامي . فقد جاء في كتاب فتوح الشام للواقدي ان أبا عبيدة كتب الى الخليفة عمر في السنة ٦٣٧ ما نصه : واني لم أقم بها ـ أي بانطاكية ـ لطيب هوائها . « واني خشيت على المسلمين ان يغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم عن طاعة ربهم » (٣) .

وقال سلوقوس الكبير وخلفاؤه بتهلين سورية وغيرها من ممتلكاتهم فاستقدموا المقدونيين واليونانيين وانزلوهم المدن والقرى ومنحوهم الامتيازات

1) *Strabo, Geog., XVI, 750; Jones, A. H. M., Cities of East. Rom. Provinces, 243.*
2) *Bevrlier, E., Le Koinon de Syrie et les siryarques Artabenes et Herode, Rev. Numismatique, 1894, 287.*
٣) ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

ليستعينوا بهم في الحرب وفي التهلين . وكان نصيب انطاكية من هؤلاء كبيراً . فساد العنصر اليوناني فيها وظل مسيطراً على مقدراتهـا قروناً طوالا . وهكذا وبناء على ما نعلمـه عن انطاكية وعن بعض المدن المماثلة لها المعاصرة فانه يجوز الافتراض ان مجلس العموم في انطاكية ومجلس ادارتها كانا لا يزالان عند ظهور النصرانية يونانيين في صبغتها وان معظم المواطنين اصحـاب الحق في التصويت كانوا اما يونانيين في الأصل او متهلنين تهلناً كامـلا (١) . ومما يجوز القول به ايضاً ان حقوق التمتع بالغمنازيون كانت محصورة بهؤلاء (٢) وان تدابـير خصوصية كانت لا تزال تتخذ لحصر الملكية في انطاكية في يد اليونانيين (٣) . ومن المفيد ان نذكر لهذه المناسبة ان الانطاكيين ظلوا يفاخرون بأصلهم اليوناني الهليني حتى الفتح الاسلامي . فذكّر ليبانيوس الانطاكيين بتحدرهم من هرقيل وبأصلهم اليوناني الهليني في القرن الرابع بعد الميلاد (٤) . ويوليانوس الجاحد أشار في الكلام الذي وجهه الى الانطاكيين الى أصلهم اليوناني الهليني وذكرهم بأنه هو يوناني ايضاً بعاداته وتفكيره . وفي القرن الخامس مرت افذوكية الأثينية زوجة الامبراطور ثيودوسيوس الثاني بانطاكية في طريقها الى اوروشليم وخطبت في الانطاكيين ففاخرت بأنها من عرقهم ودمهم (٥) .

وأمّ العاصمة المقدونية اليونانية منذ تأسيسها عناصر مختلفة من سكان الدولة السلوقية بينهم الآرامي المحلي واليهودي والغلطي والبرتي وغيرهم . ومن هنا في الأرجح اعتزاز ليبانيوس في ان بلدته انطاكية كانت مضيافة تتقبـل النازلين عليها برحابة صدر واكرام . فهو يقول في خطاب له : « ليس هنالك مدينة لم تتقبل منها بعض أبنائها . وليس من قبلنا من هـذه المدن أقل بكثير ممن بقي فيها » (٦) . وأهم هـذه العناصر غير اليونانية في نظرنا هم العرب واليهود .

1) *Cumont, Franz., Population of Syria, Journ. of Rom. Studies, 1934, 188.*
2) *Reinach, Theod., L'Emp. Claude et les Juives, Rev. Etudes Juives, 1924, 118.*
3) *Cumont, Franz., Fouilles de Doura-Europos, 309.*
4) *Libanius, Orations, XI, 57, 63.*
5) *Evagrius Scholasticus, Hist. Ecc., I, 20.*
6) *Libanius, Orations XI, 164.*

فالأرياف السورية كانت قد استعربت منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد (١) . واليهود كانوا قد عششوا فيها منذ ان استقدمهم ديمتريوس الثاني في السنـة ١٤٥ قبل الميلاد ليعاونوه في تثبيت دعائم ملكـه ضد مناظريه الانطيوخيين . فان يوناثان صديقه كان قد أمدّه بثلاثة آلاف مقاتل منهم (٢) . ومما جاء في تاريخ يوسيفوس ايضاً ان زماريس *Zamaris* اليهودي البابلي قام الى انطاكية بخمس مئة خيال (٣) . ويستدل من بعض ما جاء في خطب ليبانيوس ان بعض الفلاحين الذين عملوا في مزارعه كانوا يهوداً ايضاً (٤) .

ويرى البحاثة كارل كرايلنغ ان عدد اليهود في انطاكية تراوح بين خمسة واربعين الفاً وخمسة وستين الفاً (٥) من مجموع عام بلغ اربع مئة الف على وجه التقريب . وتدل النصوص والآثار الباقية ان اليهود سكنوا في مختلف أحيـاء المدينة وفي ضواحيها . فبعضهم أقام في حيّ الكيراتيون *Kerataion* بالقرب من الباب الشرقي (٦) والبعض الآخر عنـد الباب الغربي باب دفنة (٧) . وسكن بعضهم في دفنة نفسها كما عمل آخرون منهم في المزارع العديدة في السهل الى الشمال الشرقي من انطاكية (٨) .

ولا صحة فيما يظهر لما جـاء في تاريخ يوسيفوس (٩) من ان سلوقوس المؤسس الأول منح اليهود في انطاكية حقوق المواطن الهليني . فان رجـال الاختصاص يرون ان يوسيفوس ناقض نفسه بنفسه وانه كتب في عهد متأخر كثرت فيه الدعايات المغرضة (١٠) . وجلّ ما يمكن القول به هو ان الجيش

1) *Dobias, J., Hist. de la Province Rom. de Syrie, 550.*
2) *Josephus, Antiq., XIII, 5, 135 - 144 ; Krauss, S., Antioche, Rev. Etudes Juives, 1902, 34.*
3) *Antiq., XVII, 2, 24.*
4) *Orations, XLVII, 13 ; Pack, R., Studies in Libanius, 48.*
5) *Kraeling, C. H., Jewish Community at Antioch, Journ. of Bib. Lit., 1932, 135.*
6) *Leclercq, H., Antioche, II, 150*
7) *Chrysostomos, J., Homelies against the Jews, I, 6.*
8) *Talmud de Jerusalem, II, 144.*
9) *Josephus, Cont. Apion, II, 4, 39 ; Jewish Wars, VII, 3, 43.*
10) *Marcus, R., Complete Works of Josephus, VII, App. C, 739; Bevan, House of Seleucus, II, 166.*

السلوقي حوى بعض العناصر اليهودية البابلية وان شرف الخدمة قضى بمعاملة اليهود العسكريين معاملة العناصر الهلينية فتسنى لهؤلاء اليهود دون سواهم ان يتمتعوا بحقوق المواطن الهليني (١) . ومما يجوز القول به ايضاً ان يهود انطاكية تمتعوا بحرية العبادة وبتنظيم محاكم خاصة تنظر في شؤونهم وبانتخاب رئيس لجاليتهم شأن غيرهم من الجاليات غير الهلينية . والاشارة هنا الى نظام الـ *Politeia* الذي ذكره يوحنا الذهبي القم في كلامه عن اليهود (٢) .

ومما جاء في تاريخ الحروب ليوسيفوس ان الجالية اليهودية في انطاكية كانت في العصر الذي نحن بصدده غنية سعيدة تستهوي العناصر الهلينية لحضور حفلاتها (٣) . وان مرقس انطونيوس أوجب ابقاء القديم على قدمه واعادة ما أخذ من اليهود اليهم وان طيطس لم يسمح باخراج اليهود من انطاكية ولم يصغ الى رغبات الانطاكيين في ذلك (٤) .

ومما يجب ذكره عن اليهود في انطاكية عند ظهور النصرانية انهم كانوا في الأرجح لا يزالون منقسمين على أنفسهم . فان بعضهم كان لا يزال متمسكاً بكل قديم والبعض الآخر كان يقول بوجوب التهاون والاختلاط باليونانيين والأخذ عنهم . ومن هنا في الأرجح خروج انطيوخوس ابن رئيس الجالية اليهودية على اليهود في انطاكية وحضه الجنود والجماهير على اكراه أبناء ملته على العمل يوم السبت (٥) .

أول المؤمنين في انطاكية : ولعل نيقولاوس « الدخيل الانطاكي » هو أول المسيحيين الانطاكيين . فهو أحد الاخوة السبعة الذين انتخبوا ليشرفوا على الخدمة اليومية عندما تذمر اليهود اليونانيون بأن أراملهم كنّ يُهملن في هذه الخدمة وهو أحد هؤلاء السبعة الذين ملأهم الروح والحكمة وشُهد لهم بالفضل (٦) .

1) *Kraeling, C. H., op. cit., 138.*
2) *Chrysostomos, J., op. cit., I, 3.*
3) *Josephus, Jewish Wars, VII, 3, 45.*
4) *Josephus, Antiq. XIV, 12, 323 ; Wars, VII, 5, 109.*
5) *Josephus, Wars, VII, 3, 46, 54 ; Kraeling, C. H., op. cit., 151.*
٦) أعمال الرسل : ٦ : ١ — ٧

ثم كان ما كان من أمر الشهيد الأول اسطفانوس القديس . وقضت العناية الإلهية بأن يتفرق التلاميذ في البلدان . وكان قوم من هؤلاء قبرصيين وقيروانيين فقدموا انطاكية وأخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع . وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا الى الرب . فبلغ خبر ذلك الى مسامع الكنيسة التي باوروشليم فأرسلوا برنابا الى انطاكية . فلما أقبل ورأى نعمة الله فرح ووعظهم كلهم بأن يثبتوا في الرب فانضم الى الرب جمع كثير . ثم خرج برنابا الى طرسوس في طلب شاوول . ولما وجده أتى به الى انطاكية . وترددا معاً سنة كاملة وعلّما جمعاً كثيراً (١) .

بطرس الأسقف الاول المؤسس : (٣٤) وعلى الرغم من هذا كله فان الآباء المؤرخين المفسرين الأولين يصرون على ان بطرس الرسول هو الذي أسس الكنيسة في انطاكية . فالقديس ايرونيموس في تعليقه على الفصل الثاني من الرسالة الى أهل غلاطية يأخذ على القديس لوقا الانجيلي صاحب سفر الأعمال اهماله بطرس وعمله التأسيسي في انطاكية (٢) . وينهج افسابيوس المؤرخ النهج نفسه في تاريخه الكنسي فيؤكد ان الفضل في تأسيس الكنيسة في انطاكية يعود الى بطرس الرسول (٣) . واذا ما ذكرنا ان السيد المخلص قضى في السنة ٣٠ بعد ميلاده كما سبق وأشرنا وان بولس تقبل النعمة بعد ذلك بسنة واحدة أي في السنة ٣١ وانه لم يعد الى اوروشليم الا بعد سنوات ثلاث أي في السنة ٣٤ وانه لم يجد آنئذ من الرسل في اوروشليم سوى يعقوب أخي الرب وان بطرس الرسول كان آنئذ منطلقاً يبشر في كل مكان وانه بموجب التقليد الكنسي ترأس كنيسة انطاكية سبع سنوات متتالية حتى السنة ٤١ بعد الميلاد نقول اذا ما ذكرنا جميع هذه الامور جاز لنا الافتراض بأن بطرس الرسول أسس كنيسة انطاكية في السنة ٣٤ بعد الميلاد .

١) أعمال الرسل : ١١ : ١٩—٢٦
2) *«Primum Episcopum Antiochenae Ecclesiae Petrum fuisse, eumque Romae translatum ». S. Jerome, Migne, Pat. Lat., Vol.26, Col. 340, Vol.23, 637.*
3) *Eusebius, Hist. Eccl., III, 36; Origène, In Lucam Hom., VI, C., Pat Gr., Vol.13, Col. 1814; Chrysostome, Hom. in Ignatium, Pat. Gr., Vol. 50, Col., 591; Cullman, O., Saint Pierre, 45 - 46.*

ومما جاء في التقليد ايضاً عن افسابيوس المؤرخ ونيقيفوروس كاليستوس ان كثرة اشغال بطرس اضطرته الى التغيب عن انطاكية وانه سام لهذه المناسبة القديس افوذيوس *Evodios* نائباً عنه وخلفاً له (١) .

ويرى *Tillemont* ان بطرس أسس كنيسة انطاكية ورعاها بعنايته ولكنه كسائر الرسل قضى معظم وقته متجولاً مبشراً فلم يمكث في انطاكية الا فترات وجيزة (٢) . ويفرّق *Belser* الألماني بين تنصرين اثنين في انطاكية أولها تنصر بعض الأوساط اليهودية في السنة ٣٣ وقيام كنيسة مسيحية متهودةعلى يد بطرس في السنة ٣٤–٣٥ والثاني تنصر العناصر الاممية الذي لم يبدأ الا بعد البت في قضية كورنيليوس وقبوله فيالكنيسة أي فيالسنة ٣٩ او ٤٠ (٣) . ولا يتردد الأب *James Kleist* اليسوعي في الاعتراف برئاسة بطرس على كنيسة انطاكية وتأسيسه لها . فانه يجعل اغناطيوس « الحامل الاله » الأسقف الثالث على انطاكية بعد بطرس (٤) . اما الأب *Jean Colson* الذي يخصص كتاباً كاملا للاسقف في الكنائس الاولى فانه يجعل برنابا المؤسس في انطاكية دون ان يذكر بطرس مرة واحدة او يبين موقفه من أقوال افسابيوس وغيره من الآباء ودون ان يبدي رأيه في عيد « منبر بطرس » الذي لا تزال الكنيسة الكاثوليكية تكرس له يوماً معيناً في كل سنة (٥) .

ويصعب على المؤرخ المدقق ان يتتبع بطرس وغيره من المبشرين ليتثبت من كيفية تأسيس الكنائس في فلسطين ولبنان وسورية . فدوروثاوس الصوري صنّف لائحة طويلة بأسماء التلامذة السبعين وغيرهم ممن ورد ذكرهم في الرسائل المقدسة وجعلهم يؤسسون الكنائس في امهات المدن في الأقطار الشامية الثلاثة . ولكن افسابيوس المؤرخ لا يتعرف الى هذه اللائحة (٦) . ولما كان افسابيوس

1) *Eusebius, Hist. Eccl., III, 22 ; Nicephorous Callistus, Hist. Eccl., III, 11.*
2) *Lenain de Tillemont (1691 - 1738), Mémoires, I, art. 27, 159 - 160.*
3) *Belser, Die Apostelgeschichte, 150.*
4) *Kleist, J., St. Ignatius of Antioch, Ancient Christ. Writers, 54.*
5) *Colson, J., L'Evêque dans les Communautés Primitives, «Unam Sanctam», 1951, 27 - 44.*
6) *Eusebius, Hist. Eccl., I, 12.*

من اقدم المراجع وأوسعها نرانا مضطرين ان نشك في لائحة دوروثاوس لأن الأصل في التأريخ اتهام الأخبار لا براءة ذمتها .

ومن هذه الروايات غير الثابتة ان الصوريين والصيداويين والطرابلسيين ادعوا ان بطرس أسس كنائسهم (١) . ومنها ايضاً انه هو الذي أسس كنيسة قيصرية فلسطين وسام زكّى اسقفاً عليها (٢) . وان سمعان الغيور بشر في منبج وحلب وان يهوذا دعا الى الايمان أهل بيروت وأرواد وانه استشهد في احداهما وان كيفا أحد السبعين نادى بالانجيل في بعلبك وحمص والرستن وحماه وتوفي في شيزر وان يوسي بشر في درعة وطيمون في بصرى (٣) . اما أعمال حنانيا وبولس في دمشق فانها ثابتة بنص سفر الأعمال ورسائل بولس .

المعمودية والاختتان : ومنذ ان بدأ الرسل والأخوة في الكرز والتبشير نشأ اختلاف بينهم حول دخول الوثنيين في النصرانية . وقد سبق لنا وأشرنا الى اضطرار بطرس ان يدافع عن موقفه وفعله عندما قبل كورنيليوس قائد المئة في الدين الجديد . والواقع ان اليهود كانوا منذ قيام دولتي البطالسة والسلاقسة قد انقسموا على انفسهم فقال بعضهم بوجوب الأخذ بأساليب حضارة اليونان والتمشي مع هؤلاء وقال آخرون بالمحافظة على كل قديم عند اليهود . فلما تقبل اليهود رسالة المخلص قال المتهلنون منهم بوجوب التسامح مع الوثنيين الذين يقبلون المسيح واعفائهم من اتمام جميع ما جاء في شريعة موسى كحفظ السبت والاختتان وما شاكل ذلك . أما اليهود المحافظون الذين قبلوا رسالة الإنجيل فانهم أوجبوا على الوثنيين « اتمام الناموس » قبل الدخول في الدين الجديد .

ويذهب بعض رجال البحث في تعليل هذا الاختلاف في الرأي بين الأخوة الى ان ابناءَ الجليل لم يتهودوا الا في آخر الزمان وأنهم كانوا قد قالوا

1) *Liber de Gestis Petri.*
2) *Constit. Apostol., VII, 47.*
٣) الدرر النفيسة للبطريرك اغناطيوس برصوم ص ١٤٦ – ١٤٧ .

بشيء من هذا التوسع في تطبيق الناموس في زمن السيد المخلص (١) . ونحن نرى ان موقف هؤلاء العلماء نظري صرف فليس هنالك أي نص يمكن الاستناد اليه لافتراض هذا التعليل . والأقرب الى الحقيقة التاريخية أن يكون تهلن « الأخوة اليونانيين» قد جعلهم أبعد نظراً وأوسع أفقاً من الأخوة غير اليونانيين وأن يكون كلام السيد المخلص الى بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس قد أثّر في نفوس الأخوة اليونانيين فجعلهم يرون في الرسالة رسالة عالمية يُنقَض بموجبها الهيكل ويكرز بها بالانجيل في جميع الأمم « وهذا الذي تنظرون ـ حجارة الهيكل ـ ستأتي أيام لا يُترَك فيها منه حجر على حجر الا يُنقض . وينبغي أن يُكرز أولا بالانجيل في جميع الأمم . وحينئذ يُشاهد ابنُ البشر آتياً على السحاب بقوة وجلال عظيمين» (٢) . ومما لا يجب اغفاله في معالجة هذا الأمر ان يهود الجليل كانوا من أشد اليهود تحمساً في إبان الثورة على رومة بعد ذلك بقليل .

وحدث اضطهاد شديد على الكنيسة في أوروشليم بسبب موقف اسطفانوس كبير هؤلاء الأخوة المتهلنين . فتبدد الأخوة في بلاد اليهودية والسامرة ما عدا الرسل (٣) . واجتازوا الى فينيقية وقبرص وانطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود. ولكن قوماً منهم كانوا قبرصيين وقيروانيين. فهؤلاء لما قدموا انطاكية أخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع فآمن عدد كبير ورجعوا الى الرب (٤) . ثم وصل الى انطاكية فريق من المسيحيين الذين من أصل يهودي فنقلوا اليها حدّة في المناقشة حول علاقة الناموس بالانجيل وأوجبوا على الأخوة الذين من أصل وثني أن يختتنوا ويتمموا الوصايا التي فرضها الناموس . فرأى الاخوة في انطاكية أن يوفدوا بولس وبرنابا وطيطس وغيرهم الى أوروشليم لمباحثة الأخوة فيها بهذا الشأن (٥) .

1) *Heitmuller, W., Zum Problem Paulus und Jesus, Z.N.T.W., 1912, 320-337; Bauer, W., Jesus der Galilaer, Festgabe fur Ad. Julicher, 1927, 16 - 34.*

٢) مرقس : ١٣ : ٢ و١٠ و٢٦

٣) أعمال الرسل : ٨ : ١-٢

٤) أعمال الرسل : ١١ : ١٩-٢١

٥) أعمال الرسل : ١٥ : ١-٤

مجمع في أوروشليم : (٤٣ ـ ٤٤) وبعد ان شيّعت كنيسة انطاكية هذا الوفد اجتاز أعضاؤه فينيقية والسامرة محدثين المؤمنين بتوبة الأمم فسُرّ جميع الأخوة سروراً عظيماً . ولما قدم الوفد أوروشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والكهنة فأخبروهم بجميع ما صنع الله معهم «وأن قوماً من الذين آمنوا من مذهب الفريسيين قاموا وقالوا انه يجب أن يختتنوا ويُؤمروا بأن يحفظوا ناموس موسى » (١) . فاجتمع الرسل والكهنة لينظروا في هذا الأمر . واذ جرت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم أيها الرجال الأخوة انكم تعلمون انه من الأيام الأولى اختار الله من بيننا أن الأمم من فمي يسمعون كلمة الانجيل فيؤمنون . والله العارف بالقلوب شهد لهم اذ أعطى لهم كما لنا الروح القدس ولم يفرّق بشيء بيننا وبينهم اذ طهر بالإيمان قلوبهم . فالآن لمَ تجرّبون الله لتضعوا على رقاب التلاميذ نيراً لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله . ولكن بنعمة الرب يسوع نؤمن أن نخلص نحن مثل أولئك . فسكتت الجماعة كلها واستمعت لبرنابا وبولس وهما يشرحان جميع ما أجرى الله على أيديهما من الآيات والعجائب في الأمم . وبعد أن سكتا أجاب يعقوب قائلا قد شرح سمعان كيف افتقد الله الأمم منذ الأول ليتخذ منهم شعباً لإسمه . وعليه وافق الأنبياء . ولذلك أحكم بألا يُثقل على من يرجع الى الله من الأمم وبأن يُرسَل اليهم أن يمتنعوا من نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم . وأمن بولس على انجيل القلف كما أمن بطرس على الختان (٢) .

واختار الرسل والكهنة مع جميع كنيسة اوروشليم يهوذا وسيلا وبعثوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا وطيطس وسائر أعضاء الوفد وكتبوا كتاباً بما أجمعت الكلمة عليه . فلما أتى هؤلاء جميعاً الى انطاكية جمعوا الجمهور ودفعوا اليهم الرسالة فقرأوها وفرحوا بالعزاء . وبقي سيلا في انطاكية . اما يهوذا فانه انطلق وحده .

١) أعمال الرسل : ١٥ : ٥

٢) أعمال الرسل : ١٥ : ١-٣٥ ، رسالة بولس الى أهل غلاطية : ٢ : ١-٢١

بولس وكيفا (١) : ولم تنته المشادة بين الاخوة الذين من أصل يهودي والاخوة من أصل وثني . فقد جاء في رسالة بولس الى أهل غلاطيـة بعد الكلام عن مؤتمر اوروشليم انه لما قدم كيفا (بطرس) الى انطاكية قاومه بولس مواجهة لأنه قبل قدوم قوم من عنـد يعقوب أي من اوروشليم كان كيفا يأكل مع الأمم أي يتناول العشاء الرباني مع الاخوة الذين من أصل وثني . فلما قـدم هؤلاء تنحى كيفا واعتزل مخافة من أهل الختان . وتظاهر معه سائر الاخوة الذين من أصل يهودي حتى ان برنابا ايضاً انجذب الى تظاهرهم . فلما رأى بولس ان هؤلاء لا يسيرون سيراً مستقيماً الى حق الانجيل قال لكيفا أمام الجميع ان كنت أنت مع كونك يهودياً قـد عشت عيش الأمم لا كاليهود فلمَ تُلزم الأمم ان يسلكوا مسلك اليهود . إن الانسان لا يُبرّر بأعمـال الناموس بل بالايمان بيسوع المسيح (٢) .

وُدعي المسيحيون مسيحيين في انطاكية أولاً : وسمـع الانطاكيون الوثنيون اسم السيد المسيح بدون انقطاع لأن الاخوة كانوا يبشرون به ويصلون له ويعتمدون باسمـه فأطلقوا عليهم اسم المسيحيين (٣) . وكان المسيحيون في الأماكن الاخرى يدعون أنفسهم اخوة او تلاميذ او مؤمنـين . واليهود اعتبروهم خارجـين فلم يطلقوا عليهم الاسم مسيحيين لأنهم كانوا يعتبرون اسم المسيح مقدساً فاكتفوا بأن دعوهم ناصريين نسبـة الى يسوع الناصري . ويرى بروشن الألماني ان الاسم مسيحيين كما استعمله الانطاكيون الوثنيون حمل بادىء ذي بدء شيئـاً من التهكم على الاخوة . فهؤلاء في نظر الوثنيين كانوا يمسحون مسحاً (٤) . ولعل في كلام ثيوفيلوس الانطاكي ما يؤيد هـذه النظرية في أصل هذه التسمية (٥) . وأطلق هذا الاسم الجديد أولا على اتباع السيد من غير اليهود ثم على كل من قبله مخلصاً .

١) لقب آرامي سرياني معناه الصفا أطلقه السيد على سمعان بطرس .
٢) الرسالة الى أهل غلاطية : ١٢ : ١١–١٦
٣) أعمال الرسل : ٢٤ : ٥
4) *Preuschen, Apgesch., 74.*
5) *Theophile d'Antioche, Ad Autel., I, 12.*

وأقدم الآثار التي تشير الى المسيحيين بهذا الاسم الانطاكي كتابة من نوع الغرافيتو وُجدت على جدار في خرائب بومباي في ايطالية سنة ١٨٦٢ . وقد جاء فيها الاسم هكذا: *HRISTIAN* . وهي تعود بطبيعة الحال الى السنة ٦٤ بعد الميلاد (١) . وأشار تاسيتوس الى نصارى السنة ٦٤ في رومة بالاسم مسيحيين (٢) .

انطاكية ام الكنائس الأممية : وأقبل اليونانيون الوثنيون المقيمون في انطاكية عاصمة الشرق آنئذٍ على النصرانيـة وكثر عددهم فأصبحت انطاكية مركز الرسالة العالمي ونقطة الانطلاق للتبشير بين الأمم . فقد جـاء في الفصل الثالث عشر من سفر الأعمال انه « كان في انطاكية انبياء ومعلمون منهم برنابا وسمعـان الملقب بالأسود « نيجر » ولوقيوس القيرواني ومناحيم الذي تربّى مع هيرودوس رئيس الربع وشاوول بولس . وبينما كان هؤلاء يخـدمون للرب ويصومون قال لهم الروح القدس افرزوا لي شاوول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما اليه . فصاموا حينئـذ وصلوا ووضعوا أيديهم عليهما وصرفوهما . فانحدرا الى سلوقية ومن هناك أقلعا الى قبرص » . وكان ما كان من أمر انطـلاق بولس وصحبه الى آسية الصغرى ومقدونية وبلاد اليونان وايطالية . وليس لنا ان نتتبعه في ذلك لأن هدفنا في هذا الكتاب هو تاريخ كنيسة انطاكيـة دون غيرها من الكنائس . ولكن لا بد من الاشارة هنا الى ان أعمـال بولس نشأت عن حرارة الايمان في انطاكية وعن تضحية أبناء انطاكية في سبيل الكرز باسم يسوع .

وانتشر الايمان بالسيد المخلص في هذه الفترة نفسها في ما وراء الفرات . ويعود الفضل في ذلك الى الرسول توما والى أخيه او تلميذه أدّي . فقد جاء في تاريخ الكنيسة لافسابيوس ان توما الرسول الذي كان يدعى يهوذا ايضـاً بشر بالانجيل في بلاد الفرات وما وراءها (٣) . ومما جـاء في هذا التاريخ نفسه ان أدّي او ثدّي *Thaddaion* أحـد السبعين هو الذي أسس كنيسـة الرها (٢٩ او ٣٢) وغـيرها من الكنائس في العراق وبعض ما جاورها (٤) . وقد

1) *Schultze, V., Christeninschrift in Pompeii, Z. f. Kirchengesch., IV,125-130.*
2) *Tacitus, Ann., XV, 44.*
3) *Eusebius, Hist. Ecc., III, I.*
4) *Eusebius, Hist. Ecc., I, 13.*

تسرع القديس ايرونيموس فيما يظهر في قراءة هذا النص فقرأ "لبتّس" بدلاً من "تدّي" (١) . وقد تكون هذه القراءة من ناسخ قديم . ويؤكد مؤرخو الكنيسة الأرمنية ان تدّي وبرثلماوس أسسا كنيستهم وان مقاميهما لا يزالان محجين يزورهما المؤمنون في ماكو وبشمكالي حتى يومنا هذا (٢) .

ومما جاء في تاريخ الكنيسة لافسابيوس ان أبجر الخامس ملك الرها *Edessa* كان قد بعث وفداً الى السيد المسيح حاملا رسالة يعترف فيها الملك بالإيمان بالمخلص ويسأله القدوم الى الرها ليشفيه من عاهة ألمت به ويسكن في مدينته وان السيد له المجد أجاب برسالة بارك الملك فيها ومدينته ووعده بارسال أحد تلاميذه ليشفيه نفساً وجسداً ولكن بعد صعوده الى السماء . فأنجز توما الرسول وعد الرب فانطلق أدّي الى الرها وحل ضيفاً على طوبيا ابن طوبيا اليهودي الفلسطيني ثم مثل أمام أبجر الخامس فأبصر هذا الملك هالة تحيط برأس الرسول فآمن فشفاه أدّي من داء النقرس الذي كان قد ألمّ به وعمده وبشر أهل الرها وبنى فيها كنيسة فاخرة . ثم حمل مصباح الانجيل المنير الى بلدان كثيرة ما بين النهرين منها آمد أي دياربكر وجنوبي ارزون ووادي دجلة الشرقي وبازبدي وحديابين أي أربيل . ثم عاد الى الرها وصار أول أساقفتها وفيها توفي (٣) . وجاء مثل هذا الى حد بعيد في الـ *Acta Edessena* التي نظمها لبونة ابن سنّاك ابن عبد شادر كاتب الملك وختمها حنّان (٤) .

ولكن علماء الكنيستين اليونانية واللاتينية يرون أن خبر تبادل الرسائل بين السيد المخلص وبين أبجر وقصة أدّي وعلاقته بأبجر وضعا وضعاً في القرن الثالث أو الرابع بعد الميلاد وذلك لأسباب أهمها اقتباس آيات وردت في أناجيل متى ولوقا ويوحنا (٥) وجدها في متن الرسالتين مما يدل دلالة واضحة على أن واضع هاتين الرسالتين كتبهما بعد انتقال السيد وبعد تدوين سيرته في هذه الأناجيل . وهنالك

1) *Asseman., B.O., I, 10 ; Bar Hebraeus, B.O., II, 391.*
2) *Ormanian, Patriarch Malakhia, The Church of Armenia, 3.*
٣) الدرر النفيسة للبطريرك اغناطيوس برصوم ص ٧٦ — ٧٧
4) *Leclercq, H., Edesse, Dict. Théol. Chrét.*
٥) متى : ١١ : ٥ ، لوقا : ٧ : ٢١ و٢٢ ، يوحنا : ٢٠ : ٢٩

خلط في تواريخ بعض الحوادث لا يتفق والصحة (١) .

ومن الأخبار التي لم تثبت صحتها — وقد لا تثبت أبداً — ما أخذه بعض المؤرخين عن سفر أعمال توما الذي وضع فيما يظهر في أوائل القرن الثالث بعد الميلاد (٢) . ومما جاء في هذا السفر المنحول أن القرعة أصابت توما الرسول للتبشير في الهند . فباع نفسه لتاجر هندي اسمه حبان بصفة صانع ماهر يبني القصور ولما اتصل بملك الهند وتناول منه مالا جليلا برسم البناء وزعه على أهل البؤس والفاقة وقال للملك انه بنى له به قصراً في السماء . فلما أوقع الملك به ثم عرف صحة قوله بحلم ظهر لأخيه استنار لبه بالنعمة الإلهية فآمن بالسيد المسيح هو وجمهور من رجال دولته وبني قومه بعدما عاينوا بواهر المعجزات التي فعلها الله على يد رسوله المجاهد الأمين (٣) .

★

1) *Leclercq, H., La Légende d'Abgar, Dict. Arch. Chrét.*
2) *De Miraculis Beati Thomae Apostoli ; Passio Sancti Thomae Apostoli; Acta Apostolorum Apocrypha.*
٣) الدرر النفيسة للبطريرك اغناطيوس برصوم ص ٢١٣ — ٢١٤ .
Amiot, F., Evangiles Apocryphes, 262 - 274.

الفصل الثالث

البدع والفرق والهرطقة

في القرن الأول

سيمون الساحر : وظهرت البدع في عصر الرسل أنفسهم . فانه جـاء في الفصل الثامن من سفر الأعمال ان سيمون الساحر السامري تنصر واعتمد وأراد ان يشتري موهبة الروح القدس بالمال فزجره بطرس الرسول وطرده : « وانحدر فيلبس الى مدينة السامرة وجعل يكرز لهم بالمسيح . وكان قبلا رجل اسمه سيمون يسحر في المدينة ويُدهش شعب السامرة مدعياً انه شخص عظيم . فأصغوا اليه من صغيرهم الى كبيرهم قائلين هذا هو قوة الله التي تُدعى عظيمة . وانما أصغوا اليه لأنه كان منذ زمان كثير يخلبهم بسحره . فلما آمنوا بما كان فيلبس يبشرهم به من ملكوت واسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالهم ونساؤهم . وسيمون ايضاً آمن واعتمد ولزم فيلبس . واذ عاين ما كان يُجرى من القوات والآيات دهش . ولما سمع الرسل الذين في اوروشليم ان أهل السامرة قد قبلوا كلمة الله أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا . فانحدرا وصليا من أجلهم لكي ينالوا الروح القدس لأنه لم يكن قد حل على أحد منهم سوى انهم كانوا قد اعتمدوا باسم الرب يسوع . فلما رأى سيمون انه بوضع أيدي الرسل يعطى الروح القدس عرض عليهما نقوداً قائلا أعطياني انا ايضاً هذا السلطان حتى ينال الروح القدس كل من أضع يدي عليه . فقال له بطرس لتذهب فضتك معك الى الهلاك لأنك ظننت ان موهبة الله تُقتنى بالنقود . فلا حصة لك ولا نصيب في هذا الأمر لأن قلبك غير مُستقيم أمام الله . فتب من شرك هذا وتوسل الى الرب عسى ان يُغفر لك وهم قلبك فاني أراك في مرارة العلقم ورباط المعصية .

فأجاب سيمون توسلا انتما الى الرب من أجلي لئلا يُصيبني شيء مما ذكرتما » .

ومما جاء في بعض المراجع ان سيمون انطلق بعد هذا الى رومة فعظم شأنه. وهو قول ضعيف لأنه مأخوذ عن نصوص غير معترف بصحتها كسفر أعمال بطرس ورسالة الرسل وغيرهما من كتب الابوقريفة .

ويقول القديس يوستينوس الذي انتسب الى منطقة السامريين ان اتباع سيمون كانوا كُثُراً وانهم اعتبروه الإله الأعلى واشركوا معه انوية *Ennoia* الفكر الذي انبثق عنه فتجسد في امرأة اسمها هيلانة (١) . ومما جاء في الدفاع ضد الهرطقة للقديس ايريناوس ان سيمون قال بإله ذكر أعلى *Sublimissima Virtus* وبفكر *Ennoia* منبثق عن هذا الإله الأعلى انثى موازية له وأن انوية هذه خلقت الملائكة الذين خلقوا العالم وان هؤلاء الملائكة حبسوا انوية في جسم امرأة وأوقعوا بها أنواعاً من الإهانات وان أنوية هذه هي هيلانة امرأة مينيلاوس *Menelaus* الزانية في صور . ومما قاله سيمون بموجب رواية القديس ايريناوس أن الإله الأعلى أظهر نفسه بصفة الإبن بيسوع بين اليهود وبصفة الآب بين السامريين في شخص سيمون وفي بلاد أخرى بصفة الروح القدس (٢) .

ومما نقله أفسابيوس المؤرخ عن هيغيسبوس *Hegesippus* أن ميناندروس الكبّاراتي *Menandros Capparatea* وذوسيثفس *Dositheus* وكليوبيوس *Cleobius* جميعهم ادعوا الالوهية في القرن الأول وعلموا مثل ما علم سيمون الساحر . ويرى البعض أن ميناندروس تتلمذ على يد سيمون وعلم في السامرة وانطاكية (٣) .

ستورنينوس : ومن هؤلاء ايضاً ستورنينوس *Saturninus* الذي علّم في انطاكية في عهد تريانوس الامبراطور (٩٨–١١٧) فصادف نجاحاً ملموساً . ومما يعزى اليه انه قال بإله واحد أب خلق القوى والملائكة ورؤساءهم . وقال ان سبعة من هؤلاء الملائكة كوّنوا العالم المنظور ثم قُدّر لهم ان يرمقوا الإله

1) *S. Justinus, Apol., 1, 26, 56 ; Dial., 120.*
2) *S. Irenaeus, Haer., I, 23.*
3) *Eusebius, Hist. Ecc., IV, 22.*

الأعلى بالرؤيا فخلقوا الانسان على صورة هـذا الإله ولكنهم جعلوه يزحف زحفاً فشمله الإله الأعلى بعطفـه وحنانه لأنه كان على مثاله فأمر ان ينتصب فيمشي على قدميه . ومما يعزى الى ستورنينوس ايضاً انه جعل إله اليهود أحـد هؤلاء الملائكة وجعل الباقين مصدر وحي الأنبياء وأشرك الشيطان في هـذا الوحي في بعض الأحيان . وجعل الملائكـة السبعة في نزاع متواصل مع الإله الأعلى كما جعل هذا الإله يفصل عن نفسه مخلصاً ليقضي على هؤلاء الملائكـة ويخلص الانسان او أولئك البشر الذين أسعدهم الحظ بأن ينالوا من الإله الأعلى نعمة تمكنهم من الخلاص . والمخلص في عرف ستورنينوس لم يولد ولادة بشرية ولم يكن له جسم بشري (١) .

ورأى ستورنينوس ان الزواج والتوالد من أعمال الشيطان وفرض عفـة وزهداً شديدين ولم يدّعِ الالوهية فاحترمه الانطاكيون وأعجبوا به (٢) .

كيرينثوس : واشتهر في هـذا القرن الأول أيضاً مبتدع آخر اسمـه كيرينثوس *Cerinthos* . ولا نعلم سنة ولادته كما اننا نجهل تاريخ وفاته . وجلّ ما يمكن قوله عن أخباره الشخصية أنه كان يهودياً مصرياً قدم أوروشليم في أيام الرسل وأقام فيها ثم انتقل الى قيصرية فلسطين فانطاكية وعـلم فيها . وألقى العصا في آسية الصغرى ولعله توفي فيها .

ومما دوّنه القديس ايريناوس عن هذا المبتدع انه أزعج يوحنـا الحبيب بتعاليمه وضلاله فاضطره ان يقول عنه لدى دخوله الى أحـد حمامات أفسس ووقوع نظره عليه : لنهرب مسرعين من هذا البيت قبل أن يتهدم علينا فان فيه كيرينثوس عدو الحق (٣) . وقال هذا القديس أيضـاً أن كيرينثوس أوجب حفظ السبت والإختتان وغـير ذلك من فروض الناموس وانه ادعى بأن السيد هو ابن يوسف ومريم وان ملاكاً من الملائكة خلق الكون وآخر الذي هو اله اليهود أعطى الشرائع والناموس وأن شيئاً من الروح القدس المنبثق من الإله

1) *Eusebius, Hist. Ecc., IV, 22 ; Irenaeus, I, 23-24.*
2) *Duchesne, Mgr. Louis, Early Hist. of Christian Church, 114-119.*
3) *Irenaeus, Haer., III, 3; Eusebius, Hist. Ecc., IV, 14.*

الأعلى حلّ على يسوع عند اعتماده في الأردن فرافقه حتى الصلب (١) . وأضاف القديس هيبوليتوس *Hippolytus* ان كيرينثوس نفى قيامة السيد بعـد الصلب وارجأها حتى قيامة « جميع الأتقياء » (٢) .

الغنوسية : وأثر الغنوسية ظاهر في هـذه التعاليم كلها . واللفظ اليوناني غنوسيس *Gnosis* معناه المعرفة او الحكمـة . والغنوسية محاولة فلسفية دينية لتفسير الشر والخلاص منه. والغنوسيون قالوا بإله أعلى لا يُدرك صدرت عنـه أرواح سموها ايونات وأراكنة . وان هـذه صدرت زوجاً فزوجاً ذكراً وانثى فتضاءلت في الألوهية كلما ابتعدت عن مصدرها الإله الأعلى . وقالوا ان أحـد هذه الأراكنة أراد ان يرتفع الى مقام الإله الأعلى فطرد من العالم المعقول . ثم أضافوا انه صدر عن هـذا الأركون الخاطىء أرواح شريرة مثله وصدر العالم المحسوس الذي لم يكن ليوجد لولا الخطيئة . فهو والحالة هـذه عالم شر ونقص بصانعه وبالمادة المصنوع منها . وقالوا ايضاً ان هـذا الأركون الخاطىء حبس النفوس البشرية في أجسامها فكوّن الانسان وان هـذه النفوس تتوق الى الخلاص وان الناجين قليل لأن الناس طوائف ثلاث متمايزة : طائفة اولى تشمل الروحيين الذين هم من أصل إلهي وهم الغنوسيون صفوة البشر وطائفـة ثانية تتألف من الماديين الذين لا يمكنهم الصعود فوق العالم السفلي وطائفـة ثالثة تجمع الحيوانيين الذي قدر لهم الارتفاع والسقوط ، النجـاة والهلاك . واختلفوا في وسيلة النجاة فمنهم من قهر الجسم وطرح كل ما يثقل النفس ويمنعها من الوصول الى المقر الذي هبطت منه ومنهم من قال بدناءة الجسم فأطلق العنان للشهوة . وعظموا الفراغ بين الإله الأعلى والعالم وخشوا استحالة رجوع النفوس الى هذا الإله فقالوا بايونات تصدر عن الإله الأعلى ووجدوا فيها سلسـلة من الوسطاء بين الأنفس والإله الأعلى . فاذا ما حاولت الأنفس الاجتيـاز من عالمها السفلي الى العلوي قالت « كلمة السر » لكل ايون تصادفه وتحولت الى صورته . وكان

1) *Irenaeus, Haer., I, 26.*
2) *Pseudo-Tert., 48 ; Epiph., 28 ; Philastr., 36.*

القول بالوسطاء شائعاً فسماهم البعض مثلا أخذاً عن الافلاطونية ودعاهم البعض الآخر « كلمات » *Logos* أي القوى الطبيعية الكبرى بموجب الفلسفة الرواقية. وسماهم فيلون اليهودي « الملائكة » وغيره عبّر عنهم « بالجن » (١).

النصارى المتهودون : وهكذا فان الرسل والتلاميذ والأساقفة الأولين عانوا مشقة شديدة في مكافحة هـذه البدع والصمود في وجهها كي لا تتسرب الى أوساط المؤمنين الأولين. ولكن المشقـة الكبرى جاءت من بعض فرق النصارى المتهودين. فان بعض المسيحيين الأولين لم يذعنوا لقرارات مجمـع السنة ٤٣ــ٤٤ ولم يباركوا عمل بولس الرسول واتباعـه في التبشير بين الأمم. والغريب المستغرب انهم لم يقفوا عن هذا الحد من الاختـلاف بل تأثروا بولس العظيم في آسية الصغرى وبلاد اليونان مبينين خطـأ الرسول موجبين الاختتان وحفظ السبت وما شا كل ذلـك من فرائض الناموس. وعظم أمرهم فخشي بولس سوء العاقبة فرد على هؤلاء برسائل ست بعث بها الى كنائس معينة فلاقت رواجاً كبيراً. فقد جاء في رسالته الأولى الى أهل كورينثوس : «أدُعي أحد وهو مختون فلا يعد الى القلف. أدعي أحد وهو في القلف فلا يختـتن. ليس الختان بشيء ولا القلف بشيء بل حفظ وصايا الله فليستمر كل واحد على الدعوة التي دعي فيها. أدعيت وأنت عبد فلا يهمك ذلك ولكن ان أمكنك ان تنـال الحرية فالأحرى أن تغتنمها. لأنه من دُعي في الرب وهو عبد فهو معتق للرب، وكذلك من دعي وهو حر فهو عبد للمسيح. قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس » (٢). وأصغى المسيحيون في غلاطية الى هؤلاء الدعاة فاستحقوا وعظاً وارشاداً شديدي اللهجة. وكتب الرسول الى اهل رومة بهذا المعنى فقـال : « ليس اليهودي هو من كان في الظاهر ولا الختان ما كان ظاهراً في اللحم بل انما اليهودي هو من كان في الباطن. والختان هو ختان القلب بالروح لا بالحرف ومدحه ليس من الناس بل من الله » (٣).

١) بتصرف عن تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم : ٢٤٤ــ٢٤٦
٢) رسالة بولس الرسول الأولى الى أهل كورينثوس : ٧ : ١٨ــ٢٤
٣) رسالة بولس الرسول الى أهل رومية : ٢ : ٢٨و٢٩

ثم دخل في النصرانية المتهودة يهود آخرون فأدخلوا آراء غريبة تمت بصلة قوية الى المذاهب اليهودية الرائجة آنئذ والى الفلسفة الغنوسية اليونانية. ولاقت هذه الآراء ارضاً خصبة في وادي الليكوس *Lycus* بين فريجية وليدية وكارية في آسية الصغرى وفي الأوساط المسيحية في هيرابوليس *Hierapolis* واللاذقيـة وكولوسي *Colossae*. فهرع إبفراس *Epaphras* « الحبيب » يُخبر بولس بذلك في منفاه. فكتب بولس الى أهل كولوسي يُحذرهم « ألا يَسلُبهم أحد بالفلسفة والغرور بالباطل حسب سُنّة الناس على مقتضى أركان العـالم لا على مقتضى المسيح» الذي « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » وهم « مملوءون فيه وهو رأس كل رئاسة وسلطان » وألا يحكم عليهم أحـد « في المأكول او المشروب او من قبيل عيد او رأس شهر او سبوت» وألا يُخيبهم احد في جعالتهم مبدعاً مذهب تواضع وعبادة للملائكة وخائضاً في سُبُلٍ لا يُبصرها » (١).

وهكذا فانه يستدل من كلام بولس الرسول ان هؤلاء الدخلاء علموا بحفظ اعياد خصوصية وحفظ رؤوس الأشهر وحفظ السبت وانهم حرّموا بعض المآكل وأوصوا بعبادة الملائكة.

وينبّه يوحنا الحبيب في رسالته الاولى الى « مسحاء دجالين» كثيرين (٢ : ١٨). ويقول « منا خرجوا ولكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منـا لاستمرّوا معنا » (٢ : ١٩). ثم يستطرد فيقول « من الكذاب إلا الذي يُنكر ان يسوع هو المسيح » (٢ : ٢٢). ويرى أهلُ العلم ان الاشارة هنا هي للابيونيين *Ebionaioi* الذين تفرعوا عن كنيسة اوروشليم وتفرقوا مبشرين معلمين ان المخلص هو ابن يوسف وأن بولس مرتد عن الدين القويم متمسكين بالانجيل الى العبرانيين مستمسكين بالناموس متخذين اوروشليم قبـلة لهم في صلواتهم (٢). ويختلف رجال البحث في أصل هـذا الاسم فينسبه بعضهم الى أبيون المؤسس ــ وهو قول ضعيف ــ ويقول آخرون انه مشتق من العبرية ابيونيم ومعنـاه الفقراء وانه

١) رسالة بولس الرسول الى اهل كولوسي : الفصل الثاني
2) *James, M. R., Apocryphal New Testament, Gospel of Ebonites, 8 - 10.*

مأخوذ من الآية : « طوبى لكم أيها المساكين فان لكم ملكوت الله » (١) .

ويذكر يوحنا الحبيب في الفصل الرابع من رسالته الأولى الأنبياء الكذبة الكثيرين الذين خرجوا الى العالم فيوجب على المؤمنين اختبارهم فيقول : « وبهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بأن يسوع المسيح قد أتى (في الجسد) فهو من الله ، وكل روح لا يعترف بيسوع ليس من الله» . والفرق هنا هو بين من يعترف بتجسد الكلمة وبين من ينكر المسيح في ناسوته أو لاهوته . ولعل هؤلاء الملحدين هم الدوكينيون الذين قالوا ان يسوع المسيح لم يولد من لحم ودم ولم يكن له جسد ولم يتألم ولكن شُبّه لهم . واللفظ *Dokein* يوناني معناه لاح وبدا (٢) . وعاد يوحنا الحبيب الى هؤلاء مرة ثانية في رسالته الثانية فقال « لقد دخل الى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد . هذا هو المُضِلُّ والضدُّ للمسيح . كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله . ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً . ان كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك في اعماله الشريرة » .

وينبه الرسول الحبيب في الفصل الثالث من رسالته الاولى الى نوع ثالث من الضلال فيقول : « لا يضلكم أحد . من يفعل البر فهو بار ومن يفعل الخطية فهو من ابليس » . ويرى المجتهدون من علماء اليوم في هذا التنبيه اشارة الى ضرب من الأنتينومية *Antinomism* التي ذرت قرنها منذ ذلك العهد أي الى القول بأن من يؤمن لا يخطىء وبالتالي فلا يربطه ناموس (٣) .

وتوجه رؤيا يوحنا الحبيب ما بين السنة ٧٥ والسنة ٨٥ انذاراً الى ثلاثة من الكنائس السبع التي في آسية الى تيتيرة وبرغامون وأفسس انذارات بوجوب الابتعاد عن النيقولاويين الذين يتمسكون بتعليم بلعام الذي علّم بالاق أن يلقي

١) انجيل لوقا : ٦ : ٢٠ وانجيل متى : ٥ : ٣

Barelle, G., Ebionites, Dict. Théol. Chrét.

2) *Barelle, G., Docetisme, Dict. Théol. Chrét.*

3) *Goguel, M., Naissance du Christianisme, 445.*

معثرة أمام بني اسرائيل «حتى يأكلوا من ذبائح الأوثان ويزنوا » . وتأخذ الرؤيا على ملاك كنيسة تيتيرة انه يدع المرأة ايزابل الزاعمة انها نبية تعلم وتضل العباد حتى يزنوا ويأكلوا من ذبائح الأوثان ولا سيا انها امهلت مدة لتتوب من زناها فلم ترض أن تتوب ولذا فهي تُطرَحُ في فراش والذين يزنون معها في ضيق شديد ان لم يتوبوا من أعمالهم . « ولسائر من في تيتيرة من جميع الذين ليس لهم هذا التعليم والذين لم يعرفوا أعماق الشيطان اني لا ألقي عليكم ثقلا آخر ولكن تمسكوا بما هو عندكم الى أن آتي » (١) .

ولا نعلم بالضبط من هم هؤلاء النيقولاويون . ويذهب البعض الى انهم شيعة نيقولاوس الانطاكي احد الشامسة السبعة الذين رسمهم الرسل وان نيقولاوس هذا ضل في الايمان وخرج عن الكنيسة . ولكن مراجع اصحاب هذا الرأي متأخرة ونصوصها مبهمة غامضة. فلا بد والحالة هذه من الاعتراف بأننا لا ندري من هم هؤلاء بالضبط. اما تعاليمهم التي استوجبت هذه الانذارات الشديدة اللهجة فانها قد تكون من نوع التعاليم الانتيمونية التي سبقت الاشارة اليها . وقد يكون الزنى المشار اليه في هذا الفصل من الرؤيا هو النوع نفسه الذي ورد في الفصل الخامس عشر من سفر الاعمال ذاك الذي عُبر عنه بالكلمة اليونانية *Porneia* أي التزاوج بين الأقرباء الذي نهى عنه الناموس . فاذا كان هذا هو الواقع يصبح النهي عن الزني وعن الأكل من ذبائح الأوثان نهياً عن قلة الاكتراث بتعاليم التوراة والناموس وارتكاب ما يخل بالآداب (٢) .

هذه أهم انواع البدع والهرطقات التي اعترضت في القرن الاول سبل الآباء في الكنائس في الشرق . وليس غريباً أن تظهر هذه البدع والهرطقات في الشرق في القرن الاول من تاريخ الكنيسة فالشرق كان لا يزال منذ عهد خلفاء الاسكندر اشد اهتماماً بالفكر والفلسفة من الغرب واكثر اقبالا على كل جديد .

١) رؤيا يوحنا : ٢ : ١٤ و١٨ – ٢٦

2) *Goguel, M., Les Nicolaïtes, Rev. de l'Hist. des Relig., 1937, 5 — 36.*

الفصل الرابع

النظم والعقائد في القرن الأول

الرسل : وكانت ام الكنائس قد انتظمت حول الرسل الأطهار معترفة بسلطتهم المطلقة صاغية لوعظهم وارشادهم طائعة عن ايمان ومحبـــة . وتبعها في ذلك جميع الكنائس على الاطلاق .

واللفظ اليوناني *Apostolos* الذي يُطلق في الأناجيل والرسائل على الرسل الاثني عشر وعلى قليلين غيرهم مشتق من الفعل *Apostellein* . وهذا الفعل اليوناني مركب من *Apo* ومعناه بعيد و *Stellein* ومعناه أرسل او أوفد . وقد ورد هذا اللفظ في الترجمة السبعينية للدلالة على حمل رسالة دينية ونقلها . ويؤكد افسابيوس المؤرخ ان اليهود دعوا منذ عهد اشعيا مَن حمل منشور زعيم من الزعماء رسولا . ويؤيد افسابيوس كل من ابيفانيوس ومكاريوس المغنيسي . ويفيد ابيفانيوس ان يوسف الجليلي الذي عاصر قسطنطين الكبير وحمل رسالة الى يهود قيليقية سمي لهـــذه الغاية رسولاً بوضع الأيدي . ويرد مكاريوس المغنيسي على بورفيريوس الفيلسوف فيقول ان الرسل الدجـــالين الذين اشار اليهم بولس الرسول كانوا رسلاً من اليهود يحملون مناشير يهودية معينة (١) .

والرسول في سفر الاعمال هو أحـــد الاثني عشر الذين انتقاهم السيد المخلص فتبعوه منـــذ اعتماده حتى صلبه . ومن هنا قول بطرس الرسول لمناسبة الخيانة التي ارتكبها يهوذا الأسخريوطي: «فينبغي اذاً ان يُعين واحد من الرجال الذين اجتمعوا معنا في كل الزمان الذي فيه دخل وخرج الرب يسوع بيننا منذ

1) *Epiphaneos, Haer. XXX, 4, ff; Makarios, III, 22, 29.*

معمودية يوحنا الى اليوم الذي ارتفع عنا ليكون شاهداً معنا بقيامته » . وهؤلاء الرسل بموجب نص سفر الاعمال هم الذين « اصطفاهم السيد وأوصى لهم بالروح القدس ليكونوا له شهوداً في اوروشليم وجميع اليهودية وفي السامرة وأقصى الارض » . والرسل هم الذين « استقر عليهم الروح القدس في كل واحد منهم» . وهم ايضاً اولئك الذين « جرت على أيديهم آيات وعجائب كثيرة اهمها استحلال الروح القدس على غيرهم بالصلاة ووضع الأيدي » (١) .

ويقول مرقس الانجيلي ان السيد اصطفى الرسل اصطفاء فانه « فيما كان ماشياً على شاطيء بحر الجليل رأى سمعان واندراوس أخاه يلقيان شبا كاً في البحر فقال اتبعاني فأجعلكما صيادي الناس » . وهم الذين انتقاهم بعد ان صعـــد الى الجبل « ليكونوا معه وليرسلهم للكرازة فأعطاهم سلطانـــاً أن يشفوا المرضى ويخرجوا الشياطين » (٢) . ويؤيد متى ولوقا ويوحنا هذه الرواية ويضيف يوحنا ان الرب نفخ في الرسل بعد قيامته وقال : « خـــذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم تُمسك لهم » (٣) .

وأطلق هذا اللقب على غير الرسل الاثني عشر . فقد جاء في الفصـــل الرابع عشر من سفر الأعمال أن بعض أهل أيقونية كان مع اليهود وبعضهم مع « الرسولَين » والاشارة هنا الى بولس وبرنابا . وقد سلم بولس على اندروتيكوس ويونياس في رسالته الى اهل روميـــة جاعلا منهما « رسولين » في المسيح قبله (٧:١٦) . وجاء في الفصل الخامس عشر من رسالة بولس الى أهل كورينثوس ان الرب ترآءى لكيفا ثم للأحد عشر ثم لأ كثر من خمس مئـــة ثم ليعقوب ثم «لجميع الرسل» . ويرى صاحب الذيذاخة ان كل من حمل كلمة الله فهو رسول وعندما يشير الى الرسل الاثني عشر يستعمل اللفظين اثني عشر . ويبين انه ليس للرسول العادي ان يمكث اكثر من يوم واحد في محـــل واحد وانه يجوز له ان

١) سفر الأعمال ١ : ٢١ – ٢٢ و٢ : ١ – ٤ و٥ : ١٢ و٨ : ١٤ – ٢٤
٢) انجيل مرقس ١ : ١٦ – ٢٠ و٣ : ١٣
٣) انجيل يوحنا ٢٠ : ١٩ – ٢٤

يقيم يومين متتاليين عند الحاجة . ثم يؤكد انه اذا أقام أكثر من يومين أصبح من الدجالين (١) .

الأنبياء والمعلمون : « وكان في الكنيسة التي بانطاكية أنبياء ومعلمون منهم برنابا وسمعان الملقب بالأسود ولوقيوس القيرواني ومناين » (٢) . والأنبياء والمعلمون في نظر بولس غير الناطقين بالألسنة . فالذي كان ينطق بالألسنة كان لا يكلم الناس بل الله أما الذي تنبأ فانه كلم الناس كلام بنيان وموعظة وتعزية (٣) . وبعض هؤلاء في نظر كاتب سفر الأعمال انبياء ينبئون بما سيقع من حوادث . فان أغابيوس أنبأ بالروح أن ستكون مجاعة شديدة في جميع المسكونة فوقع ذلك في أيام كلوديوس (٤) .

وليس في المراجع الأولية ما يخولنا تحديد صلاحيات هؤلاء الأنبياء أو يمكننا من القول بأنهم حازوا درجة معينة من درجات الكهنوت . فاهتمام صاحب الذيذاخة بهم واعترافه بحقهم في أخذ باكورة المواسم وفي دعوة المؤمنين الى الاجتماع والتمتع بلقب « رئيس الكهنة » (٥) لا يكفي وحده لجعلهم رؤساء الكنائس وأصحاب السلطة فيها . فان ظروف التبشير والوعظ في القرن الاول قضت بتسهيل مهمة الأنبياء ولا سيما وان معظمهم كان متجولاً غريباً لا يملك ما يعتاش به ولا يمارس مهنة تدر عليه بالمال اللازم لقضاء حاجاته (٦) .

أما المعلمون *Didascales* فانهم كانوا يقومون فيما يظهر بالعمل نفسه الذي قام به الأنبياء أي التبشير والارشاد . والفرق بين الاثنين نشأ عن مصدر الوعظ فالأنبياء اعتمدوا الوحي والمعلمون اجتهدوا اجتهاداً (٧) .

---

1) *Kleist, J. A., Didache, 11.*

٢) رسالة بولس الرسول الاولى الى أهل كورينثوس ١٣:١ ، سفر الأعمال ١٣:١

٣) رسالة بولس الرسول الاولى الى أهل كورينثوس ١٤:٢ — ٣

٤) سفر الأعمال ١١:٢٧ — ٢٨

5) *Kleist, J. A., Didache, 11, 13.*

٦) وهنالك من يجتهد في نص الذيذاخة فيخلص الى التفريق بين النبي العادي الضارب في الأرض وبين النبي المستقر في كنيسة متينة فيجعل من هذا الاخير رئيساً على كنيسته ،
Prophète : Dict. Apolog. de la Foi Cath., I, 1768; Goguel, M., Eglise Primitive, 141 - 144.

7) *Mourret, Rev. Fernand, S. S., Hist. of Cath. Church, I, 83.*

الاساقفة : وتوجب الذيذاخة على المؤمنين انتخاب أساقفة وشمامسة مستقيمين امناء مجربين ذوي سهولة ودماثة في الأخلاق لا يحبون المال فتنيط بالأساقفة ممارسة أقدس الأسرار وأرفعها وتعلمهم الصلاة لهذه المناسبة (١) . وكان قد سبق لبطرس الرسول ان دعا المسيح أسقفاً على النفوس (٢) ولبولس أن جعله وكيل الله وأوجب أن يكون بغير عيب رجل امرأة واحدة صاحياً عاقلا مهذباً مضيفاً للغرباء قادراً على التعليم غير مدمن الخمر ولا سريع الضرب بل حليماً غير مخاصم ولا محب للمال يُحسن تدبير بيته ويضبط ابناءه في الخضوع بكل عفاف (٣) .

والأسقف *Episkopos* لفظ يوناني مركب معناه الرقيب او الناظر وهو مؤلف من *Epi* ومعناه « على » و *Skopein* ومعناه لاحظ او راقب . وقد اجتهد ابن السكيت وغيره من علماء اللغة في اصل هذا اللفظ فجعلوا كلمة اسقف مشتقة من السَقف وهو عندهم طول في انحناء فقالوا سمي اسقفاً لأنه يتخاشع . وهو اجتهاد في غير محله . واللفظ *Episkopos* قديم العهد عند اليونان فقد جاء في اشعار هوميروس ان الآلهة اساقفة على القيام بالعهود المقطوعة (٤) . وجاء في شرائع افلاطون ان ذيكي أرسل نمسيس اسقفاً ليؤدب الأولاد عما ارتكبوه من ذنوب ضد الوالدين (٥) . وورد هذا اللفظ نفسه في الترجمة السبعينية بمعنى المراقب (٦) والحاكم (٧) ورئيس الكهنة (٨) .

الشيوخ : وتشير رسائل الرسل في كثير من الأحيان الى زعماء الكنائس فتجعلهم رؤساء او مدبرين او ملائكة او رعاة او اساقفة او شيوخاً . فقد جاء

---

1) *Didache, 15.*

٢) رسالته الاولى — الفصل الثاني

٣) رسالته الى تيطس وتيموثاوس

٤) الالياذة : ٢٢:٢٥٤ وما بعده

٥) الشرائع ٤ : ٧١٧

٦) سفر ايوب ٢٠:٢٧

٧) سفر المكابيين الاول ١:٥

٨) نحميا ١١:٩ ، *Reville, J., Orig. de l'Episcop., I, 152 ff.*

في رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل تسالونيكية وفي فصلها الخامس اشارة الى الذين يتعبون « ويرأسون » كما جاء في رسالة بولس الى أهل رومية في فصلها الثاني عشر أمر يوجب على المعلم التعليم والواعظ الوعظ « والمدبر العناية » . وجاء ايضاً في الفصل الثالث عشر من الرسالة الى العبرانيين « اذكروا مدبريكم » . والكواكب السبعة في الفصل الاول من الرؤيا هم « ملائكة » الكنائس السبع . والمسيح في رسالة بولس الى أهل افسس وفي فصلها الرابع هو الذي جعل بعضاً رسلاً وبعضاً أنبياء وبعضاً مبشرين وبعضاً « رعاة » ومعلمين . وليس في هذه النصوص ما يمكننا من التعرف بوضوح الى نوع العمل الذي كان يقوم به كل من هؤلاء الرؤساء والمدبرين والرعاة والأساقفة والشيوخ او الى درجة السلطة التي كانوا يمارسونها .

وأكثر هذه الألقاب استعمالا في رسائل الرسل الأسقف وقد سبقت الاشارة اليه والشيخ *Presbyteros* . وليس في استعمال هذين اللقبين ما ينبىء بوضوح ان احدهما كان أعلى رتبة من الآخر . فالشيوخ هم رؤساء الكنائس في رسائل بطرس ويعقوب (١) . والاساقفة والشيوخ هم رؤساء كنيستي فيليبي وأفسس . والرؤساء في الرسائل الرعائية هم أساقفة أحياناً وشيوخ أحياناً اخرى.

ويصعب التفريق بين الأسقف والشيخ في رسالة اقليمس الروماني الى أهل كورينثوس (٢) كما يتعذر العثور على أية اشارة واضحة الى الشيوخ في نص الذيذاخة (٣) . وقد يكون السبب في هذا كله ان تنظيم الكنائس في القرن الاول لم يكن واحداً مطرداً فيها جميعها (٤) .

الدرجات في اوروشليم : ولا يختلف اثنان فيما نعلم في ان أم الكنائس كانت في أوائل عهدها اخوية تعمل بقلب واحد وروح واحد وان الرسل كانوا قطب الدائرة فيها . فهم الذين شهدوا قيامة الجسد وهم الذين حملوا التعاليم

١) رسالة بطرس الرسول الاولى ٥ : ١-٥ ورسالة يعقوب ٥ : ١٤
2) *Kleist, J. A., Epistle of Clement of Rome, 21, 42, 44, 47, 54, 57.*
3) *Kleist, J, A., Didache, Introduction, pp. 4 and 6.*
4) *Prat, F., Evêques, Dict. Théol. Chrét. ; Goguel, M., Eglise Primitive, 137 - 144.*

وهم أيضاً الذين نقلوا هدي الروح القدس الى جمهور المؤمنين.

ويشير صاحب سفر الأعمال (١١ : ٢٩-٣٠) الى المساعدة المالية التي قدمها الانطاكيون الى كنيسة اوروشليم فيقول انها أرسلت الى «الشيوخ» على أيدي برنابا وشاوول . ونقرأ بعد هذا ان بولس وبرنابا شكوا أمر النزاع حول الاختتان الى «الرسل والشيوخ» وان «الرسل والشيوخ» اجتمعوا لينظروا في هذا الأمر (١٥ : ٢و٦) . ثم نرى «الرسل والشيوخ وجمهور المؤمنين» يختارون رجلين منهم ليحملا نص القرار في هذه المشكلة الى الاخوة في انطاكية (١٥ : ٢٢) فيقولون في متن هذا القرار «لأنه قد رأى الروح القدس «ونحن» ألا نضع عليكم ثقلا فوق هذه الأشياء » (١٥ : ٢٨) .

وهكذا فانه يجوز القول بناء على هذه النصوص ان الشيوخ في كنيسة أوروشليم شاركوا الرسل في ادارة أم الكنائس واشتركوا معهم في تحمل المسؤوليات وأبدوا رأيهم في العقيدة ونقلوا هدي الروح القدس مع الرسل الأطهار (١) . ويجوز القول أيضاً بناء على الآيتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة في الفصل الخامس من رسالة يعقوب أخي الرب وأسقف اوروشليم نفسها ان هؤلاء الشيوخ لم يكونوا وجهاء نافذي الكلمة في كنيسة اوروشليم فحسب بل كهنة يمارسون الطقوس (٢) : « هل فيكم مريض فليدعُ شيوخ الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب فان صلاة الايمان تُخلص المريض والرب يُنهضه وان كان قد ارتكب خطايا تُغفر له » .

واللفظ اليوناني الذي استعمل للدلالة على هؤلاء الشيوخ في المراجع الأولية هو الكلمة *Presbyteroi* ومعناها الشيوخ المتقدمون . ولعلهم كانوا في أم الكنائس أقدم المؤمنين في نعمة الايمان وأوجههم (٣) .

وجاء بعد الشيوخ في أم الكنائس الشمامسة . والشماس لفظ سرياني معناه

1) *Colson, J., L'Évêque dans les Communautés Primitives, «Unam Sanctam», 17 - 21.*
2) *Zeller, J., La Vie Chrét. à la Fin du Premier Siècle, (Fliche et Martin), I, 271.*
3) *Colson, J., op. cit., 18.*

خادم ديني . وهو يقابل اللفظ *Diakonos* اليوناني الوارد في سفر الأعمال وغيره من الرسائل المقدسة . وقد سبق لنا وأشرنا الى كيفية انتقاء الشمامسة السبعة الأولين . فان المؤمنين انتخبوهم انتخاباً والرسل باركوهم بوضع الأيدي فقاموا بمهام روحية منذ البدء . وأشهرهم اسطفانوس الشهيد . ولعل السبب الرئيسي لانتقائهم كان اشراك العنصر اليهودي الهليني في الخدمة قبل أن يكون مجرد خدمة موائد (١) .

وضيّق أغريبة على المؤمنين في اوروشليم وشدّد عليهم فاستشهد يعقوب ابن زبدي وألقي بطرس في السجن وافلت وقضت حرارة الايمان بالتبشير فتفرق الرسل الاثنا عشر وتزعم يعقوب أم الكنائس وما فتيء حتى استشهاده في السنة ٦٢ .

ويعقوب هذا هو « اخو الرب » واخو سمعان ويوسي ويهوذا الرسول : وهو الذي قال عنه بولس انه رأى الرب وحده (٢) . وهو الذي يعتز بولس بموافقته فيذكره قبل بطرس ويوحنا (٣) . ولا نعلم بالضبط متى قبل يعقوب الرسالة . ولكن صاحب الانجيل الى العبرانيين يؤكد ان يعقوب أقسم في ليلة العشاء انه لن يذوق طعاماً قبل قيامة المسيح من الموت وان المسيح بعد ان داس الموت ذهب الى يعقوب هذا وقال له : « كل خبزك لأن ابن الانسان قد قام من بين الأموات » (٤) . وجاء في التقليد ان يعقوب اخا الرب كان قد اشتهر بين اليهود بالورع والتقوى والمحافظة على الناموس وانه كان قد تقدم على كهنتهم فلبس القميص والجبة والعمامة ووضع الصحيفة الذهبية على عمامته ودخل قدس الأقداس وحده (٥) . ومما أجمع عليه الآباء ان يعقوب اخا الرب امتنع عن اللحم والخمر وتقشف وتعبد واكثر السجود ولم يحلق رأسه ولم يحتذ حذاء . ويقول

1) *Colson, J., op. cit., 18, N. 2; Goguel, M., Naissance du Christianisme, 190 — 191.*

٢) رسالة بولس الاولى الى اهل كورينثوس ١٥ : ٧

٣) رسالة بولس الى اهل غلاطية ٢ : ٩

4) *Jérome, De Virris Inl., 2.*

5) *Eusèbe, Hist. Ecc. II, 23; Epiphanios, Haer., XXIX, 4, LXXVIII, 13.*

اقليمس الاسكندري انه لم يتقدم أحد على يعقوب فانتخب اسقفاً على اوروشليم في اليوم الاول بعد الصعود (١) .

ويرى رجال الاختصاص من علماء الكنيسة ان نصوص سفر الاعمال ورسائل بولس تجعل من يعقوب خلفاً للرسل في اوروشليم يمارس سلطتهم ويقوم بالاعمال نفسها التي قاموا هم بها في اثناء وجودهم في اوروشليم . فهو في نظر هؤلاء العلماء رئيس أم الكنائس يعمل على ادارتها وسياستها بالتعاون مع شيوخها كما يرأس الأسقف الكنيسة في عهدنا (٢) .

الدرجات في انطاكية : وليس لدينا من النصوص الأولية ما يخولنا التبسط في وصف هذه الدرجات في انطاكية وتعيين الصلاحيات اللاحقة بكل منها . وجل ما يجوز قوله هو ان بطرس كان راعي هذه الكنيسة منذ نشأتها وأن افوذيوس حلّ محله . فلما توفي هذا أو استشهد تسلم زمام الامور في هذه الكنيسة اغناطيوس ثيوفوروس أي حامل الاله .

ومما لا ريب فيه أيضاً ان برنابا بذل بسخاء من وقته ونشاطه في خدمة الكلمة في انطاكية وان عدداً من الأنبياء والمعلمين أقاموا في انطاكية واشتركوا في تدبير كنيستها . وقد سبقت الاشارة الى أسمائهم والظروف التي اقتادتهم الى انطاكية فلتراجع في محلها . وجل ما لدينا عن صلاحياتهم مضمون الآية : «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاوول للعمل الذي دعوتهما اليه . فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي وأطلقوهما » (٣) .

ويجوز القول أيضاً أن مجمع الرسل والشيوخ في اوروشليم استمع الى بولس وبرنابا يشرحان أمر المشادة التي نشبت في انطاكية حول ختن الأمميين

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., II, 1, 2.*

2) *Colson, J., op. cit., 21 — 26.*

٣) سفر الأعمال ١٣ : ٢-٣

Goguel, M., Naissance du Christianisme, 211-220; Loisy, A., Actes, 501.

فيها قبل دخولهم في النصرانية وان بطرس اشترك في البحث وان يعقوب أخا الرب قال كلمته أيضاً فاتخذ المجمع قراراً وأوفد يهوذا وسيلا الى انطاكية لينقلا قراره الى الاخوة الأمميين في انطاكية وسورية وقيليقية (١) .

الدرجات في الكنائس المجاورة : وبشر بولس وبرنابا في قبرص وآسية الصغرى وأسسا الكنائس « وانتخبا للمؤمنين شيوخاً *Presbyteroi* ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به » (٢) .

« ومن ميليتس أرسل بولس الى أفسس واستدعى شيوخ الكنيسة *Presbyteroi* وقال لهم ها أنا أذهب الى اوروشليم مقيداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفني هناك . فاحترزوا اذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها « أساقفة » لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (٣) . وهكذا فاننا نرى الرسول المؤسس مدبراً أعلى لكل كنيسة أسسها في آسية الصغرى ونراه أيضاً يقيم شيوخاً محليين في هذه الكنائس يدعوهم أساقفة في بعض الأحيان لرعاية الكنيسة (٤) .

وينبئنا البطريرك افتيشيوس ان رئيس كنيسة الاسكندرية كان في بادىء الأمر الاول بين اقرانه الشيوخ او الاساقفة *Primus Inter Pares* (٥) . وكان هؤلاء يقيمونه رئيساً بوضع الأيدي كما أقام شيوخ افسس تيموثاوس اسقفاً عليهم(٦). ولعل السبب في ذلك ان اسقف الاسكندرية ظل الاسقف الأوحد في مصر حتى اوائل القرن الثالث . فالأسقف ديمتريوس الثالث (١٨٩ ـ ٢٣٢) كان اول من سام اساقفة في مصر خارج الاسكندرية . ولنا في نص الـ *Ambrosiaster* ما يؤيد هذه النظرية . فقد جاء في هذا المرجع الأولي (القرن الرابع) ان لكهنة

١) سفر الأعمال ١٥ : ٢٢ـ٢٧
٢) سفر الأعمال ١٤ : ٢٣
٣) سفر الأعمال ٢٠ : ١٧ و٢٢ و٢٨

4) *Colson, J., op. cit., 39 - 44.*
5) *Patrologia Graeca, Vol. 61, 982.*

٦) رسالة بولس الاولى الى تيموثاوس ٤ : ١٤

مصر حق التثبيت في حال خلو الكراسي من الأساقفة (١) .

وتطل علينا السنة ٩٧ فاذا بالقديس اقليمس الروماني يحاول حل الخلاف الذي نشب في كنيسة كورينثوس فيحث المؤمنين على المحبة والتوبة والتواضع ويذكرهم بأن السيد نفسه رفع الرسل الى مرتباتهم وان الرسل هم الذين أقاموا الأساقفة والشامسة وان هؤلاء انتخبوا خلفاءهم وان الخضوع لهؤلاء واجب(٢).

الذيذاخة : ويجيء القرن التاسع عشر فيحرك الروح فيلوثيوس متروبوليت نيقوميذية فيجد في السنة ١٨٧٣ نسخة قديمة من «تعاليم الرسل» للأمميين الراغبين في تقبل رسالة السيد المخلص . ويتهافت علماء الكنيسة على قراءتها ودرسها فتنتقل في السنة الاولى لظهورها مطبوعة الى لغات الغرب (١٨٨٣) .

والذيذاخة لمؤلف مجهول من أعيان كنيسة انطاكية (أو مصر) عاش ما بين السنة ٥٠ والسنة ١٥٠ وجمع في كتاب واحد التعاليم المنقولة عن الرسل التي يجب تلقينها للامميين الراغبين في الدخول في النصرانية (٣) .

ويتضح من هذه الذيذاخة ان نظام الكنيسة عند نهاية القرن الاول قضى بالاعتراف بسلطة الأنبياء بعد الرسل وسلطة المعلمين وال « *Episcopoi-Presbyteroi* » فالشامسة (٤) .

الاسرار : ومارس المؤمنون في القرن الأول اسراراً ثلاثة : المعمودية ووضع الأيدي و كسر الخبز . فكان على المؤمن أن يعتمد باسم الرب اولاً ليتحد بشخص المسيح السري الذي كان ولا يزال حياً بالكنيسة . وكان عليه أن يتثبت بوضع الأيدي ليتغلغل في نفسه فعل الروح القدس فيطهرها . وباشتراكه بسر الأفخارستيه كان يترجى الاتحاد مع الحاضر تحت اعراض الخبز والخمر(٥).

1) *Ambrosiaster, Eph., 4, 11 ff.*
2) *St. Clement of Rome, Epistles, Newman, 42 - 44.*
3) *Quaesten, J., Initiation aux Pères de l'Eglise, I, 36 - 48.*
4) *Kleist, J. A., Didache, 11 - 15.*
5) *Batiffol, P., Etudes d'Hist. et de Théol. Positive, I, 1 - 41.*

الليتورجية والطقوس : وكان على المسيحي في القرن الأول أن يصلي ثلاث مرات في اليوم الواحد (١) وذلك في الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة (٢) أي في الساعة التاسعة صباحاً وعند الظهر وفي الساعة الثالثة بعده . وكان عليه أن يصلي واقفاً حاسر الرأس رافع اليدين حتى الكتفين . وحضت الذيذاخة المؤمنين على الاتصال في كل يوم بالقديسين أي باخوانهم المسيحيين ليجدوا في كلامهم عزاء وغذاء للنفوس . وأوجبت التراضي والاعتراف بالخطايا قبل تقديم الذبيحة الالهية في يوم الأحد (٣) . والصلوات في الذيذاخة الصلاة الربانية وصلاة المعمودية وصلاة الذبيحة المقدسة . وقد جاءت الصلاة الربانية متوجة بالذوكسولوجية : « لأن لك القوة والمجد الى الأبد » (٤) .

ولا نعلم الشيء الكثير عن المعمودية في القرن الأول . فالذيذاخة توجب وعظ المهتدين وتدريبهم في مبادىء النصرانية وتفرض صوم يوم أو يومين على كل من يصبح مستعداً للمعمودية وتحض مرشده وغيره من المؤمنين على الاشتراك معه في الصوم التمهيدي وتعين الذيذاخة ايضاً نوع المياه فتوجب الاعتماد بالمياه الجارية ولكنها تسمح باستعمال غيرها في حال تعذرها كأن تجمع كمية كافية من المياه في أحد الأوعية . وهي تجيز تسخين المياه في بعض الأحيان . والتغطيس واجب وقد يكتفي بالرش اذا قضت الظروف باللجوء اليه . ويجب على من يتولى أمر التعميد أن يعمد باسم الآب والابن والروح القدس(٥) . ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذا لم يكن كل ما في المعمودية وان المسيحيين آنئذ قالوا بماء جاء في رسالة بطرس الاولى (٣ : ٢١) فاعتبروا الماء «رمزاً لاختيار الضمير الصالح الذي يخلصهم بقيامة يسوع المسيح » كما قالوا مع بولس الرسول « برب واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة » (٦) ومع فيليبوس والخصي « بأن يسوع المسيح هو ابن الله » (٧) .

1) *Didache, 11.*
2) *Clement of Alexandria, Stromata, 7.*
3) *Didache, 4, 14, 16.*
٤) سفر اخبار الأيام الاول ٢٩ : ١١ « لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد » .
5) *Didache, 7.*
٦) رسالته الى اهل افسس ٤ : ٥
٧) سفر الاعمال ٨ : ٣٧

ويجب ألا يغيب عن البال ان اليهود مارسوا آنئذ معمودية شابهت في بعض مراحلها ومظاهرها معمودية النصارى . فانهم أوجبوا على الداخل في دينهم أن يتعلم مبادىء هذا الدين وان يُختتن ويُعمَّد بالماء (١) . ولكن هذا التشابه وسكوت الذيذاخة عن مغفرة الخطايا وعن المقصود بالضبط من العبارة باسم الآب والابن والروح القدس وعدم توضيح علاقة المسيح بالمعمودية لا يعني ان معمودية الذيذاخة تقع في صعيد واحد مع معمودية اليهود (٢) . فالسكوت لا يتخذ حجة *Argumentum ex Silentio* الا في ظروف منطقية يصعب توفرها في غالب الأحيان . وهي غير متوفرة في هذه الحالة . وقد سبقت الاشارة الى هذا النوع من الخطأ في عرض الكلام عما قاله بعض العلماء المتحذلقين عن دور السيدة العذراء في إداء الرسالة فليراجع في محله .

ومارس المسيحيون في القرن الأول سر الافخارستية . فقاموا باكراً في يوم الرب في الساعة نفسها التي تغلب فيها على الموت وأموا الكنيسة للصلاة فبارك الأسقف وشكر من أجل الخبز والخمر وناول من اعترف بالخطايا وتقدم بنية صالحة وقلب طاهر (٣) . « فاذا قدمت قربانك الى المذبح وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئاً فدع قربانك هناك أمام المذبح وامض أولا فصالح أخاك وحينئذ ائت وقدم قربانك » (٤) .

ورب معترض يقول ولكن الذيذاخة لا تذكر الاستحالة وجوابنا على هذا ذو حدين اولهما ان المسيحيين كانوا قد اجازوا التقية للتحاشي وللمحافظة على قدسية هذا السر والثاني ان السكوت لا يكون حجة الا بشروط معينة لا تتوفر في هذا المقام (٥) .

1) *Abraham, I., How Did the Jews Baptize ? Journ. Theol. Studies, London, 1910, 437 - 445, 609 - 612; Benoit, A., Baptême Chrétien, 12 - 16.*
2) *Benoit, A., op. cit., 24 - 33.*
3) *Didache, 14, 15.*
٤) انجيل متى ٥ : ٢٣—٢٤
5) *Cagin, P., Te Deum ou Illatio, 342 ; Souben, Canon Primitif de la Messe, 12; De Rossi, G. B., Bull. Arch. Crist., 1886, 23.*

وتناول المسيحيون في عشية الأحد عشاء الاغبة *Agapê* أي المحبة مجتمعين حول مائدة واحدة ناظرين في امورهم المشتركة ولا سيا في حاجة المعوزين منهم. وبدأوا حفلتهم بالشكر وأنهوها بالشكر وبقبلة المحبة . وكان الروح يرافقهم ويحل على بعضهم فيتكلمون بلغات او يتنبأون (١) . وأساء بعض الكورنثيين السلوك في هذه الحفلات المسائيـــة فاستحقوا تأنيب بولس الرسول : « فحين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل فالواحد يجوع والآخر يسكر . أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيهـــا وتشربوا ؟ » (٢) .

الدوغمة أو العقيدة : وتوجب الذيذاخة على المؤمن القول بإله واحد في اقانيم ثلاثة الآب والابن والروح القدس. والله في هذه الذيذاخة هو الآب السماوي الخالق ذو القدرة والجلال . به كان كل شيء وبدونه لم يكن شيء . له المجـــد الى الأبد باسم ربنا يسوع المسيح . ويسوعُ المسيح ابن الله وربنا ومخلصنا . وهو حي في كنيسته وسيجيء في يوم الدينونة . والروح القدس هو الله مع الآب والابن وقد نطق بالأنبياء . و كنيسة الله جامعة مقدسة !

*

1) *Tertullianus, Apolog., 39 ; Baumgartner, E., Eucharistie und Agape im Urchristentum ; Battiffol, P., Nouvelles Etudes, Rev. du Clergé Français, LX, 513.*

٢) رسالته الاولى الى اهل كورينثوس ١١ : ٢٠–٢٣

الفَصْلُ الخَامِسُ

اغناطيوس ثيوفوروس

٦٤ ـــ ١٠٧

ونكاد لا نعلم شيئاً عن افوذيوس خليفة بطرس الأول . وهنالك تقليد انه استشهد في عهد نيرون (١) . و كلنا نعلم جيداً ان اغناطيوس « حامل الأله » عاصر افوذيوس وخلفه في رئاسة الكنيسة (٢). ويرى البعض ان ظروف الكنيسة في انطاكية قضت بأن يسام اسقف على المسيحيين المتهودين واسقف آخر على المسيحيين الأمميين وان افوذيوس واغناطيوس ترأسا معـــاً فترة من الزمن . فلما توفي او استشهد افوذيوس تابع اغناطيوس العمل وحده مترئساً على الكنيستين في وقت واحد (٣) .

وجاء لاناستاسيوس الكتبي ان اغناطيوس هو ذاك الطفل الذي أشار اليه متى في الفصل الثامن عشر حيث قال : « فدعا يسوع اليه ولداً وأقامه في وسطهم وقال الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثـــل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (٤) . ولكن يوحنا الذهبي الفم الانطاكي المولد يؤكد ان اغناطيوس لم يرَ المسيح (٥) . وشهادة الذهبي الفم في هذا الموضوع أثمن بكثير من شهادة اناستاسيوس الكتبي . ويرى علماء الكنيسة ان اغناطيوس ولد من أصـــل سوري

1) *Boll., Feb. I, 18 d.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., III, 22.*
3) *Theodoret., Dialog. Immutabilis, Op. IV; Apost. Const., VII, 45.*
4) *Anastase le Bibliothécaire, Vindiciae Ignatianae, II. CXII; P. G., Vol. 5, Col 404.*
5) *In Sanct. Mart. Ignatium, P.G. Vol. 49, XLIX. Col. 594.*

هليني حوالي السنة ٣٥ ثم تقبل النعمة في انطاكية على ايدي الرسل او التلامذة او المعلمين فاتخذ لنفسه لقب ثيوفوروس حامل الأله تيمناً وتبركاً (١) .

ظروف كنيسة انطاكية في عهد اغناطيوس : وتفاقت الخطوب من حول كنيسة انطاكية في النصف الثاني من القرن الاول فتغير موقف السلطات الرومانية من النصرانية والنصارى وتطور من اللامبالاة الى التضييق والاضطهاد . وذلك لأسباب أهمها أن الرسل انطلقوا يكرزون باسم الرب في كل مكان فانتقلوا من اوروشليم الى جميع انحاء فلسطين ولبنان وسورية ثم آسية الصغرى فاليونان وايطالية وروما نفسها . وكان العرف عند الرومان واليونان يقضي بأن يعتبر الدين ميثاقاً قومياً تجب مراعاته والمحافظة عليه كما كان يوجب الثبوت على عهد الولاء للدولة . فكان ترك دين الآباء والالتحاق بدين شعب آخر كالفرار من الجيش والدخول في خدمة عدو مداهم (٢) . ولكن هذا العرف لم يمنع الأجانب المقيمين في الأراضي الرومانية من ممارسة طقوسهم الخاصة والتعبد لآلهتهم . ثم جاء عصر الفتوحات والتوسع وتلاه عصر آخر منحت فيه رومة حقوق المواطنين الى غير المواطنين الرومانيين فأصبحت آلهة الرومانيين آلهة الشعوب الداخلة في حكم رومة وباتت آلهة هؤلاء الشعوب محترمة معترفاً بها في الأوساط الحاكمة . وتمت معادلات بين الآلهة فأصبح جوبيتر الرومان زفس اليونان وتعبد اللبنانيون القدماء الى جوبيتر في بعلبك تعبدهم الى هدَد بعل هذه المدينة السابق . ولكن اله اليهود والنصارى لم يكن إله قوم معين كسائر الآلهة بل إلهاً لا اله إلا هو ولم يكن دينهم دين قوم واحد كسائر الأديان بل الدين الحقيقي الذي ليس بعده دين . وعلى الرغم من هذا التفرد في العقيدة والخروج على المألوف فان السلطات الرومانية اعترفت عند الفتح بكيان الدين اليهودي واعتبرته ديناً شرعياً *Religio Licita* وغضت النظر في غالب الأحيان عن الدخول في هذا الدين خارج رومة وأوساطها العالية . ولم تضيق على من قال بإله واحد

1) *Bareille, G., Ignace d'Antioche, Dict. Théol. Chrét. ; Kleist, J. A., St. Ignatius, op. cit., 54.*
2) *Mommsen, Th., Romisches Strafrecht, 567 ff.*

ما دام هذا القول لم يتبعه اختتان وانتماء ظاهر الى الجاليات اليهودية . ولم تكترث هذه السلطات بادىء ذي بدء للنصرانية فاعتبرتها فرقة من فرق اليهود . وهذا كان موقف بيلاطس في اوروشليم وزميله غاليو *Gallio* في آخية عندما نظر في شكوى يهود كورينثوس على بولس . ولكن اليهود أبوا ان يتمتع النصارى بامتيازاتهم الخاصة فأبانوا الفروق بينهم وبين اتباع المسيح فتفتحت أعين السلطات وبدأ الارتياب والظن (١) .

وقضى تيطس على ثورة اليهود في فلسطين ودمّر الهيكل في اوروشليم في السنة ٧٠ فظن انه أصاب عصفورين بحجر واحد اليهود والنصارى الذين تفرعوا عنهم (٢) . وجاء دوميتيانوس (٨١ ـ ٩٦) فجبى ضريبة الهيكل من اليهود وممن « عاش عيشتهم وان لم يكن أصله منهم » . فأدى ذلك الى التفتيش الدقيق عن المسيحيين والى تدوين أسمائهم واكراههم على دفع الذيذراخمة *Didrachma* ضريبة الهيكل وارسالها الى صندوق *Jupiter Capitolinus* في رومة . وكانت جالية اليهود في انطاكية كبيرة كما سبق وأشرنا وكان قد أصبح عدد المسيحيين في عاصمة الشرق عظيماً فأقلقت هذه الترتيبات بال اغناطيوس وقضّت مضجعه .

ولم تكن ظروف الكنيسة الداخلية في انطاكية أقلّ خطراً من ظروفها الخارجية فان الخلاف بين المسيحيين الاممين والمسيحيين المتهودين كان لا يزال قائماً حينما تسلم اغناطيوس عُكازة الرعاية . وكان عدد كل من الفريقين كبيراً في انطاكية وفي سائر المدن السورية . وكانت الغنوسية لا تزال تفسد على قادة الفكر المسيحي عملهم التبشيري كما سبق وأشرنا في فصل سابق .

موقف اغناطيوس وسياسته الرعائية : وكان اغناطيوس قد دخل في الدين الجديد في عصر بطرس وبولس وبرنابا فأصلحت سيرهم نفسه وآثار حماسهم حميته فاندفع في سبيل يسوع وتعلق به . ولم يكن ذلك اللاهوتي النظري

1) *Duchesne, Mgr. Louis, Early Hist. of Christ. Church, 71 - 79.*
2) *Sulpicius Severus, Chron. II, 30.*

فلم يتعرض للبحث في الثالوث الأقدس أو في اتحاد الطبيعتين ولكنه عني كل العناء بالتعاليم المسيحية التاريخية *Depositum Fidei* فسعى للمحافظة عليها خالية من الأدران . والتفت الى ادارة كنيسته فوحّد صفوفها وحرص على السلطة الرعائية فقواها وقال برسالة واحدة وكنيسة واحدة في العالم أجمع فكان اول من استعمل اللفظ « كاثوليكي » في الاشارة الى كنيسة المسيح « الجامعة » . ولعله هو الذي أدخل ترتيل المزامير في كنيسة انطاكية (١) .

رسائله الى الكنائس : وقضى ظرف استشهاده ، كما سنرى قبل انتهاء هذا الفصل ، بالتجول في آسية الصغرى والبلقان وايطالية فكتب الى كنائس هذه البلدان واعظاً مرشداً . وقويت هذه الرسائل على محن الدهر ونوائبه فوصلت الينا في مجموعات ثلاث : القصيرة والطويلة والمختصرة . والقصيرة هي الأصلية فيما يظهر وقد حفظت في مخطوطة يونانية قديمة تعود الى القرن الثاني (٢) ولا تشمل هذه المخطوطة نص الرسالة الى الرومانيين . وأقدم النسخ التي تحفظ لنا نص هذه الرسالة تعود الى القرن العاشر (٣) . وقام في القرن الرابع من عُني بهذه الرسائل فحرّفها وأضاف اليها فجعل مجموعها ثلاث عشرة رسالة بدلا من سبع . فجاءت تشمل علاوة عن الرسائل الى كنائس افسس ومغنيسية وترّلة ورومية وفيلدلفية وأزمير وبوليكاربوس رسائل الى كنائس انطاكية وطرسوس وفيليبي وهيرون ومريم الكَسّبولة *Cassobola* ورسالة هذه الى اغناطيوس . ونشر *Cureton* في السنة ١٨٤٥ نصاً سريانياً لا يشمل سوى رسائل ثلاث الى أهل أفسس وأهل رومة وبوليكاربوس . ولكن *Lightfoot* وغيره من العلماء أثبتوا ان هذا النص السرياني هو في الواقع ترجمة قديمة لما جاء في المجموعة القصيرة المشار اليها اعلاه .

وظلت هذه الرسائل مدة من الزمن موضوع جدل بين علماء الكنيسة وبين العلماء الانجيليين . فزعم هؤلاء انها مزورة وقال أولئك بصحتها . ثم وُفق *Lightfoot* و *Harnack* و *Zahn* و *Funk* الى اثبات إصالتها بالدليلين الداخلي

1) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 8.*
2) *Codex Mediceus Laurentianus, 57, 7.*
3) *Codex Paris Graec., 1457.*

والخارجي فسكت الانجيليون وأصبحت هذه الرسائل من أفضل ما تبقى من آثار الآباء الأولين (١) . وقد نقلت الى لغات متعددة في طبعات مختلفة (٢) .

واليك بعض ما جاء فيها : فقد قال اغناطيوس الى أهل أفسس : « لقد انتهى اليّ انه مرّ قوم من هناك تشربوا تعليماً مفسداً وانكم لم تدعوهم ينشرونه بينكم فسددتم آذانكم لئلا تقبلوا الزرع الردي الذي يزرعون » . وقال : « لا تحبوا شيئاً آخر غير المسيح فاني بالاتحاد معه أسيّر بسلاسلي التي هي درري الروحية . عسى ان أبعث بها يوم القيامة تجاه أدعيتكم » (٣) . وقال الى أهل مغنيسية : « لا تتخذوا من حداثة اسقفكم حجة للافراط في الدالة عليه بل احترموه لانه يحمل سلطة الله الآب. اني اعلم ان شيوخكم لم يستغلوا حداثته الظاهرة في الجسد ولكنهم بحكمة الله خضعوا له أو بالحري ليس له بل لأبي يسوع المسيح أسقف الجميع. وكونوا مسيحيين لا بالاسم وحسب بل بالفعل فان هنالك قوماً يدعون الواحد أسقفاً ولكنهم لا يعبأون به في تصرفاتهم. ويلوح لي ان ضمير هؤلاء ليس مستقيماً لأنهم لا يؤمون الصلاة في الأوقات التي يعينها أسقفهم » (٤) .

اغناطيوس والكنيسة الجامعة : وجاء في الفقرة الثامنة من رسالته الى أهل ازمير : « واتبعوا جميعكم الأسقف كما تبع يسوع المسيح الله الآب . وسيروا في أثر الشيوخ سيركم في أثر الرسل . واحترموا الشمامسة كما تحترمون وصايا الله . ولا تأتوا بعمل يمت الى الكنيسة بصلة منفردين عن الأسقف . والذبيحة الالهية لا تصبح شرعية محللة الا برئاسة الأسقف أو من يفوضه بها . وكونوا حيث يكون الأسقف فحيث يكون يسوع المسيح هناك ايضاً تكون « الكنيسة الجامعة » *Catholici Ecclesia* .

كنيسة انطاكية وكنيسة رومة : ويختلف علماء الكنيسة في تفسير

1) *Lightfoot, J. B., Apostolic Fathers; Zahn, Th., Ignatius von Antiochen; Lebreton, J., Pères Apostoliques, (Fliche et Martin, Hist. de l'Eglise), I, 329-331.*
2) *Kleist, J. A., Ancient Christ. Writers, Ignatius of Antioch, 59; Quasten, J., Initiation aux Pères de l'Église, I, 87-89.*
3) *Kleist, J. A., op. cit ; Ephesians, 7, 11.*
4) *To the Magnesians, 3, 4.*

عبارتين وردتا في التحية التي استهل بها اغناطيوس رسالته الى أهل رومة. فقد جاء في هذه التحيـــة العبارة التالية: «الى الكنيسة التي ترأس المكان السائد في أرض الرومان». وجاء ايضاً في هذه التحيـــة نفسها العبارة: «الى الكنيسة التي ترأس بالمحبـــة». ويرى بعض العلماء ان هاتين العبارتين تشيران الى رئاسة كنيسة رومة وتفوقها وتقدمها على جميع الكنائس وان اغناطيوس اعترف بهـــذه الرئاسة وذاك التفوق (١). ويذهب غيرهم الى ان اغناطيوس كرّم رومة تكريماً وانه لا يلزم القول بأكثر من هذا (٢).

والواقع ان هنالك غموضاً في هذين النصين أدى بطبيعة الحال الى هـــذا الاختلاف في الرأي. فما هي «ارض الرومـــان» بالضبط وما هو مقدار اتساعها؟ واذا كانت الكنيسة تترأس فيأرض الرومان فما هو نوع هذه الرئاسة؟ هل هي رئاسة سياسية أم ثقافية أم أدبية أم روحية؟ وما هو معنى «المحبـــة» بالضبط ولماذا خصّ اغناطيوس هذه الكلمة باداة التعريف في النص اليوناني؟ وحيث يشعر المؤرخ بشيء من هذا الشك في فهم النص يكمل قراءة النص لعـــله يقف على ايضاح ما التبس. فان أعياه ذلك فعليه بسائر كتب المؤلف. وأنّى لنا هذا ورسائل اغناطيوس ومعاصريه قليلة نادرة وقد تعرضت مع مرور الزمن الى جهل الناسخين وعبثهم بها؟ ولذا ترانا مضطرين ان نقول لا ندري. ومن ترك قول لا ادري أصيبت مقاتله!

الأمبراطور تريانوس والنصرانية: وكان نيرون قد اشترع قانوناً خصوصياً جعل به التدين بالدين الجديد خروجاً على القانون «*Non licet esse christianos*» (٣) وجـــاراه في ذلـــك كل من فيزبازيانوس وتيطس ودوميتيانوس.

1) *Funk, F. X., Der Primat der Romischen Kirche nach Ignatius und Irenaeus, (Kirchengeschichtliche Abhandlungen), I,2-12; Chapman, Saint Ignace d'Antioche et l'Église Romaine, (Rev. Bénédictine), XIII, 385-400; Scott, H., The Eastern Churches and The Papacy, 25 - 34.*
2) *Harnack, A., Das zeugnis des Ignatius uber des Ansehen der Romischen Gemeinde, (Sitzungsber. der Akademie), 111 - 131; Caspar, E., Gesch. des Papstums, I, 16-17.*
3) *Tertullianus, Apolog.,5; Callewaert, C., Les Premiers Chrétiens Furent-Ils Persécutés par Edits Généraux ou par Mesures de Police?, Rev. Hist. Eccl., 1901, 771 - 797, 1902, 5 - 15, 324 - 348, 607 - 615.*

وليس لدينا ما يثبت اثباتاً قاطعاً تطبيق هذا القانون في الولايات خارج رومـــة وايطالية (١). ولكننا نعلم ان تريانوس الامبراطور وافق منذ السنة ٩٩ على قانون نيرون وأمر بتنفيذه، وان بلينيوس الأصغر حاكم بيثينية استوضح تريانوس في السنة ١١٢ أمر القانون الذي منع التدين بالنصرانية فسأله ان يفسر له نقاطاً معينة تتعلق بتفاصيل التنفيذ (٢). فأجابه هـــذا الأمبراطور ان ليس على السلطات ان تفتش عن المسيحيين «*Christiani conquirendi non sunt*» وان من يُعلن من هؤلاء انه ليس مسيحياً يعتبر بريئاً ومن يُصرّ على مسيحيته يُدان ويعدم (٣).

افذوكية وشربل وبيبة: وطبق هـــذا القانون في السنة ١٠٠ في رومة فاستشهد اقليمس اسقف رومة الثالث بعد بطرس. ونفـــذ في بعلبك فامتحنت افذوكية البتول المؤمنة بأنواع كثيرة من العذاب. ثم حُكم عليها بقطع الرأس فتقبلت هذا الحكم بفرح عظيم (٤). وكان برصوم اسقف الرهـــا قد نجح في الدعوة فعمّد كثيرين في منطقـــة الفرات الوسطى. وكان بين هؤلاء كاهن الأصنام شربل واخته بيبة. فلما شدد تريانوس نكل لوكيانوس الحاكم بهـــذا الكاهن فنشره بالمنشار وقتل اخته (٥).

سمعان اسقف اوروشليم: وفي السنة ١٠٧ أثار اليهـــود الشغب على المسيحيين في مدن فلسطين. فوشى بعضهم بسمعان أسقف اوروشليم الثاني بعد يعقوب وقالوا انه مسيحي ومن سلالة داود فأمر *Clandius Atticus Herodes* حاكم فلسطين آنئذ بتعذيب سمعان الشيخ الطاعن في السن وبصلبه (٦).

اغناطيوس أمام السلطة: ولعل ظروفاً مماثلة دعت الى استجواب اغناطيوس أمام حاكم سورية المحلي فأدت الى استشهاده في رومه في أوائل السنة

1) *Zeiller, J., Premières Persécutions, Fliche et Martin, Hist. de l'Église, I, 292 — 295.*
2) *Corr. Plin. - Traj., XCVI.*
3) *Corr. Plin. - Traj., XCVII; Zeiller, J., op. cit., 295 - 296.*
٤) اخبار القديسين : اول اذار .
5) *Le Quien, O. C. III, 955.*
6) *Eusèbe, Hist. Ecc., III, 32.*

١٠٧ (١) . وجاء لصاحب الـ *Martyrium Colbertinum* ان اغناطيوس مثل أمام الامبراطور تريانوس نفسه وذلك لمناسبة الحرب الفرتية واقامة تريانوس في انطاكية قاعدته في الشرق (٢) . والواقع ان هذه الحرب جاءت في السنتين ١١٥ ــ ١١٧ لا في السنة ١٠٧ كما تنص هذه الرواية المجهولة الراوي وان افسابيوس والذهبي الفم لا يشيران الى مثول اغناطيوس امام الامبراطور نفسه . وهنالك سبب آخر يجعلنا نشك في صحة هذه الرواية وهو ان اغناطيوس نفسه يرجو المسيحيين في رومه ألا يسعوا لدى السلطات فيهـا لاستبدال الحكم بالموت بأي حكم آخر . فلو كان تريانوس نفسه قد حكم عليه بالموت لكان حكمه مبرماً لا يمكن تعديله في رومه .

ومما جاء في التقليد ايضاً ان هذا الحاكم الروماني وجه الى اغناطيوس القول : أأنت تجسر كشيطان رجيـم ان تخالفني في أوامري وتغر الآخرين على هلاك نفوسهم ؟ فأجاب اغناطيوس : ما من أحد غيرك سمى ثيوفوروس حامل الاله شيطاناً رجيماً . وعبيد الله ليسوا بأبالسة . والشياطين ترتعد منهم وتنهزم . فقال الحاكم مستدرجاً: أتظن اننا لا نحوي في قلوبنا آلهة تقاتل عنا ؟ فأجاب اغناطيوس غير هياب : انك في غرور فآلهتك ليسوا الا أبالسة. فلا اله إلا الله الواحد القهار خالق السموات والأرض . ولا يوجد الا يسوع المسيح وحده ابن الله الوحيد الذي اتوق الى مملكته . فقال الحاكم : لعلك تعني يسوع الذي علقه بيلاطس على الصليب ؟ فأجابه اغناطيوس : يجب أن يقال ان يسوع هذا علق الخطية وصانعها على الصليب فأعطى الذين يحملونه في قلوبهم سلطاناً لسحق الجحيم وقوته . فقال الحاكم : أنت اذاً حامل يسوع في أحشائك ؟ فقال اغناطيوس : لا ريب في ذلك لأنه قيل أحل بينهم وأسير معهم . فحكم الحاكم في السادس من كانون الثاني سنة ١٠٧ بتكبيل اغناطيوس وارساله الى رومه ليطرح للوحوش أمام الشعب . فهتف اغناطيوس : أشكرك يارب لأنك منحتني حباً كاملا لك وشرفتني بالقيود التي شرفت بولس بهـا . ثم تقدم من تلقاء نفسه الى القيود وصلى لأجل الكنيسة واستودعها الله بدموع غزيرة . ثم أسلم نفسه للشرطة .

1) Zeiller, J., op. cit., 306 - 307.
2) Funk, F. X., Patres Apostolici, II, 276.

استشهاد حامل الاله: وانطلق اغناطيوس مصفداً بالأغلال يخفره عشرة جنود قساة ويرافقه كل من الشهيدين روفوس *Rufus* وزوسيموس *Zosimus* اللذين شملهما الحكم بالاعدام . وقام الجميع من انطاكية الى سلوقية التي على مصب العاصي ثم أقلعوا الى مرفأ من مرافىء قيليقية او بمفيلية ومنها الى ازمير . وقضت ظروف السفر ببقائهم في هذه المدينة مدة من الزمن فتعرف اغناطيوس الى بوليكاربوس أسقف ازمير وحرر منها عدداً من الرسائل الى كنائس آسية الصغرى واليونان ومقدونية. وهرعت أساقفة مغنيزية وافسس وفيلادلفية في وفود كنائسها لاستقباله والتبرك به والتقاط درر تعاليمه فاغترفوا من بحر ايمانه وارشاده . وقد تجلت في رسائله روحه الرسولية فلا يتمالك قارئها من الشعور في كل فقرة منها ان روح الله يتكلم بلسان هذا القديس العظيم (١) .

وقام حامل الاله ورفيقاه من فيليبي الى شاطىء الادرياتيك ومنه أبحروا الى بوتيولي *Puteoli* . ورغب اغناطيوس ان يقتفي أثر بولس فينزل في هذه البلدة ثم يقوم منها الى رومه ولكن الرياح منعته فأقلع الى مرفأ رومه . ولدى وصوله الى هذا المرفأ وجد عدداً كبيراً من المسيحيين في انتظاره فحياهم وكرر رجاءه ألا يعيقوا انتقاله للقاء سيده .

وانتهى هذا القديس الى عاصمة الامبراطورية . وحل موعد اعياد الختام *Sigillaria* فتقـاطر الرومانيون الى مدرج فلافيانوس الذي عرف باسم الـ *Collosseum* ليحتفلوا بانتصارات تريانوس في داقيـة فيشاهدوا المجالدات الدموية بين الوف المجرمين والاسرى والمصارعة بين بعض المجرمين والوحوش الضارية . فاستشهد روفوس وزوسيموس في باحة هذا المدرج في الثامن عشر من كانون الاول . وفي العشرين عُري الشيخ الوقور الحامل الاله من ثيابه وطرح الى الوحوش فمزقت جسده الطاهر والتهمتـه . ولم تُبق من جسمه الا العظام الخشنة . فجمعها المؤمنون بكل احترام وأرسلوها إلى انطاكية فدفنت خارج السور بالقرب من باب دفنه. وبقيت هنالك حتى أيام ايرونيموس(٢). ثم تحوّل

١) الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للبطريرك اغناطيوس برصوم ص ١٦٧ – ١٦٩
2) S. Jerome, Viris Illust. P. L., XXIII, 633.

هيكل فورتونة في قلب انطاكية الى كنيسة مسيحية فنقل ثيودوسيوس الصغير رفات القديس الى هذه الكنيسة وأطلق عليها اسم الشهيد البار تخليداً لذكره (١) .

ومما نُقل عن المؤمنين في رومـة الذين شاهدوا هذه الميتة المجيدة انهم سكبوا لأجلها العبرات وأقاموا الليل كله بالسهر والصلاة متوسلين الى الرب المخلص أن يشدد ضعفهم فظهر لهم الشهيد بهيئة مجاهد خرج من القتال ظافراً فامتلأت قلوبهم فرحاً وعينوا للاخوة في انطاكية اليوم الذي نال فيه الحامل الاله اكليل الجهاد أملا بالاشتراك في ذكر هذا المجاهد الذي داس ابليس لتمجيد الرب يسوع . ولا تزال الكنيسة الارثوذكسية تحتفل بذكرى اغناطيوس الحامل الإله في العشرين من كانون الاول . أما الكنيسة الكاثوليكية فانها خصصت الأول من شهر شباط لهذه الغاية النبيلة . ولعل السبب في هذا هو الجمع بين يوم استشهاده ويوم نقل رفاته الى انطاكية .

وجاء في حوليات يوحنا ملالاس الانطاكي ان تيريانوس حاكم فلسطين كتب الى تريانوس الأمبراطور ينبئه بمتابعة التنكيل بالنصارى ثم يفيد ان هذا التنكيل لم يأت بالنتيجة التي توخاها فان النصارى مافتئوا يهرعون الى قاعة المحاكمة مقدمين أنفسهم للموت (٢) .

القديسة ذروسيذة : وجاء في هذه الحوليات أيضاً ان تريانوس أعد أتوناً في انطاكية ودعا المسيحيين الذين أبوا انكار دينهم الى القاء أنفسهم فيه . وانه ألقى القبض على خمس عذارى بينهن ذروسيذة فاستنطقهن وحكم باحراقهن ومما جاء في هذه الحوليات ان كنيسة انطاكية شيدت هيكلا باسم ذروسيذة العظيمة في الشهيدات والشهداء واحتفلت بعيد استشهادها في كل سنة .

* * *

1) *Evagrius, Hist. Ecc., I, 16.*
2) *Malalas, Chronog., P.G., Vol. 47, Col. 414.*

الفصل السادس

الدفاع الأول عن العقيدة

وأحب اغناطيوس كنيسته ووليه بها ففارقها مضطرب البال لما كان قد حل بها من خلافات داخلية . وصلى لأجلها وحضّ المؤمنين في كل مكان مرّ به أن يصلوا لأجلها . وكتب الى الرومانيين المؤمنين من أزمير يقول : « اذكروا في صلواتكم كنيسة سورية التي أصبح الله راعيها » . وصادف في ترواذة الشيخين غابوس وأغاثوبوس والشماس فيلون فنقلوا اليه أخباراً سارة ولكنه ظل قلقاً فكتب من رومة الى بوليكاربوس أسقف ازمير يحضّه على ارسال أحد المؤمنين الغيورين الى انطاكية لاصلاح حالها ويؤكد ان مثل هذا العمل هو عمل الله . ولبّى المؤمنون في آسية الصغرى نداء الحامل الإله فأوفدوا الى انطاكية من قضى على أسباب الخلاف فيها .

هيرون وكورنيليوس وايروتوس : وخلف اغناطيوس في رئاسة كنيسة انطاكية هيرون *Hirona* ثم كورنيليوس *Kornelios* فايروتوس *Erotos* (١) . وحرف «النو» في الاسم الاول واضح جلي وحرف «التو» في الاسم الثالث ظاهر بيّن وبالتالي فليس هنالك ايروس اول وايروس ثان كما جاء في بعض اللوائح العربية .

ولا نعلم بالضبط السنة التي تولى فيها كل من هؤلاء رئاسته فان افسابيوس المؤرخ لا يعين هذه السنوات . وما جاء في ترجمة ايرونيموس من ان كورنيليوس تولى في السنة ١٢٨ وان ايروتوس ترأس في السنة ١٤٢ لا يزال قيد البحث والتدقيق (٢) . وقد يفيد القارئ أن يعلم ان أقدم اللوائح المؤرخة

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 20.*
2) *Bardy, Gustave, Eusèbe de Césarée, I - IV, 198, n. 1.*

لسلسلة البطاركة في انطاكية جاءت في حوليات ثيوفانس وان البطريرك المسكوني نيقيفوروس الأول (٨٠٦ـ٨١٥) اعتمد هذه اللائحة نفسها في تاريخه (١) وان هنالك لائحة ثالثة في حوليات ميخائيل السوري (٢) .

ولم يبق من أخبار هيرون شيء يمكننا الرجوع اليه . ورسالته الى اغناطيوس مزورة لا يجوز قبولها والاعتماد عليها (٣) . والدليل على تزويرها داخلي . فانها لا تتفق في شيء والعصر الذي تتحدث عنه . وقد فُقدت أخبار كورنيليوس وايروتوس أيضاً .

ادريانوس والمسيحيون : (١١٧ ــ ١٣٨) وقضت سياسة الامبراطورية الرومانية بعودة تريانوس الى رومه . وكانت الحرب بين رومه وفارس لا تزال سجالا فرأى تريانوس أن يعود الى العاصمة فيسوس الدولة ويستعد للحرب . فترك قيادة جيشه في الشرق الى نسيبه ادريانوس وعينه حاكماً على ولاية سورية . ونهض الى رومه في صيف السنة ١١٧ . وما ان وصل الى سيلينوس *Selinus* في قيليقية حتى أدركته المنية فتوفي فيها . ورأت زوجته بلوتينة ان ادريانوس ابن عمة زوجها أحق من غيره في الحكم فادعت ان تريانوس أوصى به خلفاً له وكتبت الى السناتوس بذلك فوافق هذا المجلس وتبوأ ادريانوس اريكة الحكم وساس الأمبراطورية حتى وفاته في السنة ١٣٨ (٤) .

ولم يعدل ادريانوس الموقف القانوني من المسيحيين ولم يتحسس لهؤلاء . وعلى الرغم من ميله الى كل جديد وخروجه على تقاليد رومة الدينية ودخوله في عداد الأخويات الدينية الشرقية فانه ظل بعيداً عن المسيحيين متمسكاً بقانون نيرون مستعداً لتطبيقه عند الحاجة . وجل ما يذكر له من التساهل انه حرم صخب الجماهير وضجيجهم عند المطالبة بالحكم على المسيحيين وإذلالهم . وتفصيل ذلك ان ليكينيوس غرانيانوس *Licinius Granianus* وقنصل آسية كتب في السنة

1) *Nicephori Arch. C. P., Opuscula Historica, Leipzig, 1880, 129 - 132.*
2) *Chabot, J. B., Chronique de Michel le Syrien, Patriarche Jacobite d'Antioche, éd. et trad., 4 vol., Paris, 1899 - 1924.*
3) *Baronius, Annales Ecclesiastici, 110, VII.*
4) *Dion Cass., Hist. Rom., LXVIII, 33.*

١٢٤ الى ادريانوس يتذمر من ضغط الجماهير الذي أدى الى الحكم بالاعدام على أشخاص لم يكن لهم ذنب سوى انتمائهم الى طائفة معينة . فحرم الامبراطور صخب الجماهير وضجيجهم وضغطهم على الحكام . واكتفى بهذا القدر ولم يبين ما اذا كان الانتماء الى النصرانية يشكل جرماً يوجب العقاب (١) .

وقلّ ضغط الجماهير على الحكام ولكن شكاويهم تكررت وتعددت فاتسع التدقيق والتحقيق والتعذيب وكثر التفنن في أساليب الاعدام (٢). وسكوت المراجع عن حوادث الاستشهاد في سورية في القرن الثاني لا يعني في حد ذاته ان السلطات ترفعت عن الاضطهاد واقتنعت عن التقتيل . فقد يكون السبب في ذلك ضياع الأخبار والتواريخ .

ثورة ابن كوكب وسخطه على النصارى : (١٣٢) وزار ادريانوس الشرق مراراً وخصّ انطاكية بعنايته فجملها وتفقّد سائر المدن فعطف على تدمر وأطلق اسمه عليها وأنشأ الأبنية العمومية في جرش وعمان . ورفع دمشق وصور الى رتبة متروبوليس (٣) . ورأى ان اوروشليم كانت لا تزال خراباً منذ ان دمّرها طيطس فأمر بتخطيطها تخطيطاً يونانياً رومانياً وأطلق عليها الاسم *Aelia Capitolina* . وقضت سياسته الداخلية بتوحيد الامبراطورية وتمكين الروابط بين شعوبها المتباينة فأوجب انشاء هيكل لزفس على انقاض هيكل يهوه . فلم يَرق اليهودَ هذا العملُ وأعلنوها ثورة لا هوادة فيها . وأدار دفة هذه الثورة ودبرها الكاهن العالم المجتهد عقيبة . وجعل من أحد الأشداء في القتال المسيح المنتظر وقاد جواده بيده واستبدل اسمه «ابن كذب» بابن كوكب *Bar Cocheba* . وانقض اليهود على معسكر روماني في اوروشليم فقضوا على أفراده .

وكان بعض النصارى قد عاد من بلّة الى اوروشليم . وكانت كنيسة

1) *Saint Justin, First Apology, 68; Waddington, Fastes des Provinces Asiatiques, 197 ff ; Allard, P., Hist. des Persécutions, I, 242.*
2) *Allard, P., op. cit., I, 202 - 234, 266 - 280.*
3) *Abel, F. M., Hist. de la Palestine, II, 66 - 82.*

الرسل لا تزال قائمة على احدى روابي هذه المدينة فاستغل النصارى خراب الهيكل وقيام معبد لزفس محله وقالوا لليهود ألا ترون في بقاء كنيستنا هذه سالمة وفي خراب هيكلكم أكبر دليل على عناية الباري بنا وغضبه عليكم ؟ فرد اليهود ان أدريانوس أراد اعادة بناء الهيكل ولكنكم أغروتموه فأفسدتم بيننا (١) . وكسب اليهود الدورة الأولى فاضطهدوا النصارى في كل مكان وأذاقوهم ألواناً من العذاب .

ولكن بوزانياس المعاصر يعلق على هذه الثورة فيقول ان أدريانوس كان أبعد الناس عن اللجوء الى العنف وان اليهود أكرهوه اكراهاً على ما أنزل بهم من عقاب (٢) . ويرى الذهبي الفم ان حب العودة الى الاستقلال تسلط على عقول اليهود في هذه الحقبة فدفعهم الى الثورة (٣) .

واهتم ادريانوس للأمر واستدعى يوليوس سيفيروس *Severus* أفضل القادة من الجزر البريطانية وأنفذه على رأس قوة الى فلسطين فأخمد الثورة بقساوة وشدة . ومن لم يسقط في ميدان القتال بيع في أسواق تربينة وغزة ومصر بثمن حصان واحد (٤) .

أكويلة والتوراة : وقضت ظروف البناء في اوروشليم ان يتولى تشييد المدينة الجديدة رجل عالم قدير مدبر . فانتقى ادريانوس أحد أنسبائه أكويلة البنطي *Aquila* وأنفذه الى فلسطين لهذه الغاية . وفي أثناء اقامة اكويلة في فلسطين كثر احتكاكه بالمسيحيين فأعجب بفضائلهم وبالعجائب الظاهرة على أيديهم . ثم طلب الانضواء تحت لواء السيد المخلص فعمد باسم الآب والابن والروح القدس(٥) . وكان لا يزال معجباً بنفسه متمسكاً بالعلم والمعرفة مكثراً في درس التنجيم والعمل به . ولم يرض الآباء عن ذلك ورأوا فيه ضلالا وتضليلا . فنصحوا له وردعوه

1) *Graetz, Hist. des Juifs, III, 80 f.*
2) *Pausanias, Periegesis, I, 5, 5.*
3) *Chrysostomos, J., Adv. Judaeos, V, II; Juster, Les Juifs dans l'Empire Romain, II, 191.*
4) *Saint Jerome, In Zachariam, II ; Origen, Against Celsus, VII.*
5) *Epiphanius, De Mensuris et Ponderibus, XIV.*

فلم يرعو فوبخوه فغضب فقطعوه من الشركة فخرج على الدين ودخل في اليهودية. واتصل بالكاهن اليهودي عقيبة فتعاونا في نقل التوراة الى اليونانية واقتطعا منها كل ما استشهد به المسيحيون لتدعيم عقيدتهم . ودفعا بتوراتهم الى الأوساط المسيحية اليونانية ليضللا من جهل العبرية والنصوص الأصلية (١) .

الخطر المرقيوني : وكانت الغنوسية قد أصبحت أكثر الحركات الفلسفية الدينية انتشاراً وأوسعها ميداناً . وكانت تعاليم مدرستها السامرية قد تسرّبت الى مصر وعشّشت فيها . فان كلسوس يذكر ان هذا النوع من الغنوسية شاع في مصر ويشير الى بعض ما كتب فيه (٢) . واوريجانيوس نفسه درس هذه الفلسفة في الاسكندرية على أحد رجالها السوريين بولس الانطاكي (٣). وأثر هذه الغنوسية لا يزال ملموساً حتى يومنا هذا في بعض صفحات الأدب القبطي وفي بعض أوراق البردي التي كشفها العلماء المنقبون . على ان أعظم ما جاءت به قرائح رجال هذه المدرسة مربوط باسماء اسكندريين ثلاثة صنفوا فيما يظهر في القرن الثاني في عصر ادريانوس الامبراطور (١١٧ـ١٣٨) وبعده بقليل . وهؤلاء الثلاثة هم فالنتينوس *Valentinus* وفاسيليدس *Basilides* وكربوكراتس *Carpocrates* . وقد فصّل ايريناوس القديس مذهب فالنتينوس من باب الرد عليه كما تكلم عن فاسيليدس وآرائه (٤) وعن كربوكراتس وملائكته (٥) . ومما نقله ايريناوس عن كربوكراتس وعن رأيه في المسيح المخلص انه قال ان يسوع كان ابن يوسف من صلبه وانه تمكن بواسطة التقمص وبما اختبره في «دوره» الأول وبما أوتي من مقدرة من فوق أن يسيطر على حكام هذا العالم وأن يعود الى الله الآب . وأضاف انه بمقدور جميع الناس أن يفعلوا ما فعله المسيح ان هم سلكوا سلوكه وتذرعوا بأساليبه (٦) .

1) *Origenius, Hexapla ; Jerome, In Isaiam, XLIX ; Batiffol, P., Aquila, Dict. de la Bible.*
2) *Origen, Contra Celsum, V, 61, 62, VI, 24 - 28.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 2.*
4) *Irenaeus, Adv. Haer., I, 24 ; Clement, Stromata, IV, 12, 81.*
5) *Irenaeus, Adv. Haer., I, 25.*
6) *Duchesne, Mgr. L., Early Hist. of Christ. Church, 126 ; Lebreton, J., Crise Gnostique, Fliche et Martin, Hist. de l'Eglise, II, 1 - 4I.*

ولم يقتصر نشاط هذه القوة الدينية الفلسفيـة على سورية ومصر ولكنه انساب نحو الشمال حتى شاطىء البحر الأسود فقام في سينوب في هذا القرن الذي نحن بصدده ابن اسقف مسيحي يعظ ويبشر بمسيحية غنوسية ويعمل لهـا بكل ما أوتي من مقدرة ونشاط . والاشارة هنـا الى مرقيون *Marcion* ابن أسقف سينوب الذي نزع الى الدين والفلسفة بعـد ان أثرى في التجارة البحرية . وقال مرقيون بغنوسية مسيحية فغضب عليه والده وقطعـه من شركة الكنيسة (١) . فخرج من سينوب وطاف آسية الصغرى مبشراً باستحالة التوفيق بـين التوراة والانجيل موجبـاً التخير بين محبة المسيح التي لا نهاية لها وصلاحـه السامي وبين عدالة اله اسرائيل القاسية مبيناً ان إله اليهود إله الخليقة والناموس لا يمكن ان يكون هو نفسه إله الرحمة بل دونه مرتبة . « والمخلص » في نظره كان مظهراً من مظاهر الإله الحقيقي الصالح وقد خلص البشر باظهاره حقيقة الإله الصالح الذي جاء من عنده وبالصلب . ولما لم يكن له أي صلة بإله الخليقة فانه لم يكن بشراً ولم يولد ولم ينمُ ولكن شُبّه لهم في كنيس كفرناحوم أولاً في السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر ثم في سائر الجليل واليهودية والسامرة (٢) .

وقال مرقيون بخلاص البعض لا الكل وأوجب الزهـد الشديد في المأكل والمشرب ونهى عن الزواج وسمح بعمودية المتزوجين بعـد موافقتهم على الافتراق .

ولم يلجأ مرقيون الى النبوات ليؤيد صحة مذهبه ولم يحاول ان يربط عقيدته بنصوص التوراة ولم يعتمد سوى رسائل بولس وانجيل لوقا . وقال بأن الرسل الأطهار لم يفهموا الانجيل فهماً تاماً لأنهم اعتبروا المسيح رسول الاله الخالق فاصطفى يسوع بولس ليصحح التعاليم . وقال عما جاء في رسائل بولس من اشارات الى الإله الخالق انها دست دساً . ومن هنا قول ترتليانوس ان مرقيون قرض

١) ولا يجوز القول انه كان فاسداً فاسقاً لان المراجع الاولية خالية من هذه التهمة . والاشارة هنا الى ايريناوس وترتليانوس اللذين لم يحبذا فلسفته ولم يرضيا عنه .

2) *Tertullien, Adv. Marc., I, 2, 19, IV, 11, 14, 18, 21; Harnack, A., Marcion, 165; Lebreton, J., La Crise Gnostique, Fliche et Martin, op. cit., II, 31-33.*

الأناجيل فاستحق اللقب « جرذ البونط » . وأضاف اتباعه فيما بعد الى انجيل لوقـا ورسائل بولس العشر رسالة مرقيون في التناقض بين التوراة والانجيل *Antitheses* فكان لهم كتاب مقدس خاص شاع استعماله في جميع كنائسهم (١) .

واحتدم الجدل بين مرقيون والقديس بوليكاربوس فاعتبره هذا « اول خلق الشيطان » (٢) . وأمَّ مرقيون رومة حوالي السنة ١٤٠ وكتم غنوسيته ونفح كنيسة رومه بهبة جليلة وعكف على « قرض » انجيل لوقا ورسائل بولس وعلى تصنيف كتابه في التوراة والانجيل (٣) . ولما تم له ذلك كشف عن وجهه الحقيقي ودعا الى آرائه فالتف حوله عدد من المسيحيين فطردته الكنيسة واطرحت هبته . واغتنم القديس بوليكاربوس فرصة وجوده في رومه في السنة ١٥٤ فأنقذ من الضلال عدداً من أتباع مرقيون (٤) . وحكي ان مرقيون ندم وارتضى بما اشترطته الكنيسة عليه ولكنه توفي قبل ان يفعل . ولا نعلم سنة وفاته بالضبط . ويرى العلامة هرنك الالماني انها لم تقع بعد السنة ١٦٠ (٥) .

وذاع أمر هذا القول وفشا فانتشر في جميع ارجاء الامبراطورية الرومانية . وعلى الرغم من دفاع الآباء فانه ظل شائعاً حتى أواخر القرن الرابع . فقد جاء في كتاب الهرطقات لابيفانيوس المؤرخ ان مرقيون كان لا يزال متبعاً في انطاكية ومصر وفلسطين والعربية وسورية وفارس وغيرها من البلدان (٦) . وجاء القرن الثالث فسطت المانوية على هـذه البدعة وبدأت تحل محلها في الغرب اولاً ثم في الشرق (٧) .

برديصان : (١٥٤ ـ ٢٢٢) واشتهر في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث غنوسي آخر هو برديصان الرهاوي . وبرديصان *Bardesenes* مشتقة من

1) *Lebreton, T., Crise Gnostique, op. cit., II, 30-31; Harnack, A., Marcion, 41 - 48.*
2) *Irenaeus, Adv. Haer., III, 3; Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 14.*
3) *Harnack, A., op. cit. 144.*
4) *Irenaeus, Adv. Haer., III, 4.*
5) *Harnack, A., op. cit., 25.*
6) *Epiphanius, Haereses, XLII, 1 ; Harnack, A., 153 - 160.*
7) *Lebreton, J., Crise Gnostique, op. cit., 33 - 34.*

بار السريانية ومعناها ابن ومن ديصان وهو نهر فوق مدينة الرها . ولد برديصان على هـذا النهر فسمي به . ثم نشأ في الرها في قصر ابجر التاسع واهتدى الى النصرانية فانبرى ينتصر لها . ثم زاغ عندما تقبل الغنوسية على مذهب فالنتينوس(١)، وانتمي الى فرع هذه البدعة الشرقي فزامل اكسيونيكوس *Axionikos* واشتغل بالتنجيم وأجاد السريانية ونظم الاناشيد وأحسن التلحين ففتتن بأناشيده شبان الرها وفتياتها ونقلوا اضاليله بها . وجاء في تاريخ افسابيوس ان برديصان كتب مقالات كثيرة في الفلك والقدر وغير ذلك وان بعضها نقل الى اليونانية . وليس لدينا اليوم من مصنفاته هذه سوى كتابه في شرائع البلدان (٢) الذي أملاه على تلميذه فيليبوس. ويرجح العلامة الاستاذ بيفان ان برديصان هو صاحب «انشودة النفس» ولكن أحداً من زملائه العلماء لا يشاركه في هذا الرأي (٣) .

وحكى مار افرام الملفان انه قال بسبعة كائنات . ونقل مار ميخائيل الكبير وابن العبري انه قال بثلاث طبائع كبار واربعة كائنات صارت ٣٦٦ عالماً وكائناً وان الله لم يكلم موسى والأنبياء وانما هو رئيس الملائكة وان مريم لم تلد جسداً قابلاً الموت لكن نفساً نيرة اتخذت شكلا جسدياً . وكذّب بالقيامة وخلط في امر تكوين العالم (٤) .

التهجم على الايمان وتحقيره : وظهر خبر النصرانية في أوائل القرن الثاني وشاع وانتشر فسار على أفواه الوثنيين ومـلأ اسماعهم . ولكنه التبس عليهم وأشكل فتخيلوا في النصرانية أشياء وأشياء . فقالت العامة ان النصارى يعبدون إلهاً رأسه رأس حمار . ومن هنا صورة تلة البلاتيوم في رومة التي تعود الى القرن الثاني وتمثل شخصاً مصلوباً له رأس حمار وفي أسفلها العبارة : أعبـد ربك يا أليكسامينوس ! *Alexamenos* (٥) . وقال آخرون من هذه الطبقة ان النصارى

١) الدرر النفيسة للبطريرك اغناطيوس افرام ص ٢٤٨
2) *Nau, F., Le Livre des Lois du Pays, (Paris), 1899.*
3) *Bevan, A. A., The Hymn of the Soul, Cambridge, 1897 ; Haase, F., Zur Bardesanischen Gnosis; Baumstark, A., Gesch. der Syrischen Litt. (Bonn) 1922, 12 - 14.*
٤) الدرر النفيسة للبطريرك اغناطيوس افرام ص ٢٤٩
5) *Leclercq, H., « Alexamenos », Dict. Arch. Chrét.*

يجتمعون مرة في الأسبوع حول مائدة واحدة للسكر والأكل والخلاعـة وان طقوسهم الدينية تستوجب السحر وسفك الدماء . وقالت الطبقـة المتنورة انهم فقراء مساكين لا يفقهون ما يقولون (١) . وشارك الفلاسفة والفصحاء أمثـال هيرودوس اتيكوس و كلوديوس سفيروس العامة في قلة الاحترام والتحقـير . وهذا كلسيوس *Celsius* الذي نقل أخباره اوريجانس فانه رأى في الدين الجديد ديناً بربرياً أعده اناس غير مثقفين يستخفون بالشرائع ويزدرون العادات والتقاليد ويهينون ثقافة الأوساط التي يعيشون فيها (٢) .

دفاع النصارى : واقتدى الشهداء الأولون بالسيد المخلص فدافعوا عن الايمان دفاعـه أمام بيلاطس ودفاع اسطفانوس أمام المجلس وبولس أمام فيستوس . ولكن ظروف الاستشهاد لم تسمح بأكثر من دقائق معـدودة فهبّ المسيحيون المتنورون يصنفون الرسائل للدفاع عن الايمـان . وهؤلاء هم الآباء الابولوغيون . والابولوغية *Apologia* كلمة يونانيـة معناها الدفاع عن قول او فعل .

وأقدم المدافعين المسيحيين الذين وصلت أخبارهم الينـا القديس كوادراتوس *Quadratus* الذي وجه دفاعاً عن الدين القويم الى الامبراطور ادريانوس فقال : « ان أعمال مخلصنا باقيـة فالأموات الذين أقامهم والمرضى الذين شفاهم استمروا في الحيـاة الى ما بعد انتقاله وبعضهم ظل حياً حتى عصرنا » (٣) . ووجـه القديس اريستيذس *Aristides* الفيلسوف الاثيني دفاعاً آخر الى الامبراطور انطونينوس بيوس (١٣٨ـ١٦١) بين السنة ١٣٨ والسنة ١٤٧ (٤) .

اريستون البّلاوي : وبلة *Pella* هي فحل وادي الجمـة . واريستون هو أحد المسيحيين المتهودين الذين نشأوا في بلة هـذه بعد خراب اوروشليم على

1) *Marc - Aurèle, Pensées, XI, 3.*
2) *Labriolle, P., La Réaction Paienne, 117 - 118.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 3.*
4) *Lebreton, J., Apologétique Chrét., Fliche et Martin, Hist. de l'Église, I, 424, n. 2.*

يد طيطس في السنة ٧٠ . وهو أول من دافع عن الايمان في الشرق فصنف حوالي السنة ١٣٧ حواراً بين ياسون المسيحي وبابيسكوس اليهودي فيما اذا كان السيد المخلص هو المسيح المنتظر واستعان بالتوراة فأبان كيف تمت النبوات في شخص يسوع (١) .

يوستينوس الشهيد : (١٠٥–١٦٥) وُلد في نابلس في مستهل القرن الثاني من أبوين وثنيين يونانيين يوستينوس الفيلسوف القديس الشهيد . فنشأ نشأة وثنية وطلب الحقيقة عند الرواقيين فالاكاديميين فالفيثاغوريين فلم يرتو . ثم استوقفته الافلاطونية مدة من الزمن فلم يجد فيها مطلبه . وظلّ يتوق لمعرفة الخير الأعظم والحق الأسمى فصادف عند شاطىء البحر رجلا شيخاً كلّمه في ما كان يبحث عنه وأرشده الى الأسفار المقدسة وأكدّ له انه لا يمكنه الوصول الى ما تمنى « الا اذا وهبه الله ومسيحه النور السماوي » . ثم غاب عنه واختفى . فثابر يوستينوس على قراءة النبوات والانجيل ووجد ضالته فيها وتقبل النعمة بالمعمودية في الثلاثين من عمره . وشاهد المؤمنين يحتقرون الزمنيات ويتقبلون الموت بلا خوف او جزع فزاده ذلك ايماناً وجعل يبتعد عن العالم فقبل الكهنوت وانطلق يرشد ويعلم (٢) . ونفخ في الفلسفة اليونانية روحاً مسيحية فكان أول الفلاسفة المسيحيين (٣) . وقال بوجوب مشاركة الغير في ما وجد لنفسه واعتبر امتناعه عن ذلك خطيئة توجب العقاب فجال في الأرض يبشر بالانجيل لخلاص النفوس (٤) . وما فتىء يجوّل ويطوّف حتى وصل الى رومة . فاستقر فيها معلماً .

وأدى اخلاصه وورعه الى الدفاع عن الدين القويم فصنف كثيراً . ولم يبق من مصنفاته سوى الأبولوغيتين الاولى والثانية والذيالوغوس . والأبولوغية

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 6 ; Origène, Contra Celsum, IV, 52 ; Harnack, A., Gesch. der Altchrist. Litteratur, I, 92 ; Pratten, B. P., Aristo of Pella, Ante - Nicene Fathers, VIII, 749 - 750.*

٢) اطلب أبولوغيته الثانية الفصل الثاني عشر .

٣) الذيالوغوس الفصل الثامن .

٤) الذيالوغوس الفصل الثاني والثمانون .

الاولى موجهة الى الامبراطور انطونينوس بيوس ما بين السنة ١٤٨ والسنة ١٦١ (١) . اما الثانية فانها وجهت الى مجلس الشيوخ الروماني . وأهم ما جاء في الاولى رجاء القديس الفيلسوف ان يشمل الأمبراطور المسيحيين بعطفه فينظر هو في قضاياهم الماثلة أمام المحاكم . وأردف القديس هذا الرجاء بانتقاد موقف السلطات الرسمي من المسيحيين فأبان ان اللفظ « مسيحي » كاللفظ « فيلسوف » لا يشكل في حد ذاته جرماً او براءة . ثم يخلص الى القول بأن امتناع المسيحيين عن احترام الآلهة والتعبد لها انما هو ناشىء عن خوفهم من غضب الله في يوم الدينونة . وانهم بابتعادهم عن الشر يصبحون أفضل العناصر لتدعيم الحكم وتأييده . وينتقل بعد هذا الى وصف عقيدة المسيحيين والطقوس التي يمارسونها والأسباب التاريخية التي تدفعهم الى ذلك . فالنبوآت في نظره تثبت ان يسوع ابن الله . والمسيح المخلص أسس الدين المسيحي ليغيّر البشرية ويردها الى ما كانت عليه في الأصل . والشياطين قلّدت النبوآت فأنشأت أسرار الديانات الوثنية وطقوسها . وأفلاطون نفسه أخذ عن التوراة ومن هنا هذه الأفكار المسيحية في فلسفته .

ويستهل القديس الشهيد دفاعه الثاني بالاشارة الى الحكم بالاعدام الذي أصدره اوربيكوس *Urbicus* برايفكتوس رومة على ثلاثة من المسيحيين لمجرد اعترافهم بأنهم مسيحيون . ثم يحكّم الرأي الروماني العام في مثل هذه القضية ويحتج على قساوة الأحكام الصادرة ويدحض عدداً من التهمات التي كانت تلصق بالنصارى . ويرد على بعض المستهزئين فيقول للذين استغربوا إحجام النصارى عن الانتحار على الرغم من ان هذا الانتحار يعجل لقاءهم بربهم ان النصارى لا يعاكسون ارادة الله ولكنهم لا يحجمون عن الاعتراف بنصرانيتهم أمام القضاة لأنهم أصحاب ضمير يعتبرون الكذب نفاقاً وزندقة (٢) . ويخلص الى القول بأن الاضطهاد يهيء للمسيحيين ظرفاً يظهرون فيه تفوق دينهم على الأديان الوثنية .

١) اطلب الفصل السادس والأربعين فقد ورد فيه ان المسيح ولد منذ مئة وخمسين سنة .

٢) الأبولوغية الثانية الفصل الرابع .

والذيالوغوس الذي أعده يوستينوس يتضمن جدلاً دار في أفسس زهاء يومين كاملين مع تريفون اليهودي (١) . ويبدأ القديس هذا الذيالوغوس بسرد ما جرى له في سعيه وراء الحقيقة وفي كيفية دخوله في النصرانيـة . ثم يبين في الفصول ٩_٤٧ موقف النصارى من التوراة فيؤكد ان ناموس موسى كان وقتياً وان الناموس المسيحي هو ناموس البشرية بأسرها على مدى الأجيـال . وينتقل بعدئذ الى المسيح الإله فيكرس الفصول ٤٨ _ ١٠٨ الى تدعيم الوهيـة السيد المخلص . ثم يعتـبر المؤمنين به الحافظين وصاياه شعب الله الخاص (١٠٩_١٤٢) . والذيالوغوس في الشكل الذي نعرفه عبارة عن تدوين ملخص ما جرى في أفسس لا تدوين اسئلة واجوبة بالتسلسل الذي جاءت فيـه اثناء المناقشة (٢) .

ويرى الآباء المجتهدون ان يوستينوس الشهيـد الفيلسوف كان اول من كشف الأسرار المقدسة للوثنيين واليهود . فقد جاء في الفصل الحادي والستين من ابولوغيته الاولى انه يجب على من رام الدخول في النصرانية أن يصوم ويصلي ويلتمس الغفران عن مآثمه السابقة . وبعد ذلك يقاد الى المكان المهيأ فيه الماء فيعمّد باسم الآب والابن والروح القدس ثم يؤخذ الى حيث يكون الأخوة مجتمعين فيُصلّى من أجله ومن أجل جميع المؤمنين . وبعد قبلة المحبة يقدم الخبز والخمر والماء الى المترأس فيشكر هذا الآب مبدع الكون باسم الابن والروح القـدس ويشترك المؤمنون بهذا الشكر بلفظة آمين الكلمة العبرية التي تعني «فليكن» . وبعد أن يكمل المترأس الصلوات والتسابيح يأخذ الشمامسة الخـبز والخمر ويوزعونها على الحاضرين ثم يأخذونها للغائبين أيضاً (٣) . ويؤكد القديس ان هذا القوت يُدعى عند المسيحيين أفخارستية فلا يتناوله الا من قال قولهم واغتسل من آثامه وطبق تعاليم السيد المخلص وان الخبز ليس خبزاً عمومياً وان الخمر ليس مشروباً اعتيادياً

---

2) *Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 18.*

٢) وللقديس الشهيد مصنفات اخرى وردت اشارات اليها في كتب الآباء ولكن نصوصها ضائعة . *Bardy, G., Saint Justin, Dict. Théol. Chrét.*

٣) الابولوغية الاولى الفصلان الخامس والستون والسادس والستون .

بل هما جسد الكلمة المتجسد ودمه (١) .

وتطاول كريشنتة *Crescens* الفيلسوف الكيني على المسيحيين فقال انهم كفرة مجدفون يخدعون الجماهير ليربحوا تأييدهم . فانبرى يوستينوس للدفـاع . وحج هذا الفيلسوف الوثني وقرّعه . فضمر كريشنتة السوء ووشى بيوستينوس وبستة آخرين . فاستجوبهم روستيكوس *Rusticus* برايفيكتوس رومة في السنـة ١٦٥ وأمر بضربهم بالعصي ثم بقطـع رؤوسهم . وحفظ المسيحيون المعاصرون نص هذه المحاكمة وأورثوها الخلف الصالح (٢) . واليك بعضها :

روستيكوس : أي علم تدرس ؟

يوستينوس : لقد درست جميع العلوم الواحد بعد الآخر وقد انتقيت لنفسي تعاليم المسيح .

روستيكوس : وما هي هذه التعاليم ؟

يوستينوس : أن يؤمن باله واحد خالق كل شيء وان يُعترف بيسوع المسيح ابن الله ديّان البشر . ولا يمكنني أنا الضعيف أن أتكلم عن الوهيته كما يجب فان هذا الكلام هو عمل الأنبياء الذين تنبأوا عنه منذ قرون بوحي من فوق .

روستيكوس : أين يجتمع المسيحيون ؟

يوستينوس : حيثما يمكنهم ذلك لأن إله المسيحيين يُعبد في كل مكان.

روستيكوس : هل أنت مسيحي ؟

يوستينوس : أنا مسيحي .

روستيكوس : يقول الناس انك فيلسوف فصيح . فاذا ضربتك بالعصي ثم قطعت رأسك أتعتقد انك تصعد الى السماء ؟

يوستينوس : اني واثق الى حد لا يعتريني شك بعده .

---

1) *Perler, O., Logos und Eucharistie nach Justinus, Divus Thomas, 1940, 296 - 316 ; Dugmore, C.W., Sacrement and Sacrifice in the Early Fathers, Journ. Ecc. Hist., 1951, 24 - 37.*

2) *Martyrum S. Justini et Sociorum.*

روستيكوس : تعبّد للآلهة .

يوستينوس : العاقل لا يشتري الضلالة بالهدى !

واعدم القديس الفيلسوف في عهد الأمبراطور مرقس اوريليوس وسرق المسيحيون جسده وأجساد رفاقه ووضعوها جميعها في مكان لائق بها . ولا نزال نحيي ذكر هؤلاء في القداس الالهي في اول حزيران من كل عام (١) .

تاتيانوس السوري : (١١٠-١٨٠) وُلد تاتيانوس *Tatianus* في الجزيرة السفلى في حديابين من أبوين وثنيين فتربى في الوثنية . ثم طلب الحكمة فرحل وتجول وأقام في بلاد اليونان مدة من الزمن وانتهى في رومة . وعاشر اليونانيين والرومانيين ومارس طقوسهم فلم يجد في أديانهم الا ضلالا وفساداً . فهو يقول : لقد رأيت هذه الأشياء واشتركتُ في ممارسة الأسرار وتفحصت جميع الطقوس التي أنشأها المخنثون والخناثى فوجدت جوبيتر الروماني يستلذ الدم البشري والذبائح البشرية وكذلك أرتميس فانها أجازت مثل هذا . ووجدت شياطين آخرين يقذفون انفجارات من الشر . وعندئذ عدت الى نفسي أبحث عن السبل التي تقودني الى الحقيقة فوقعت يدي على مصنفات برابرة أقدم من آراء اليونانيين وأقرب من ضلالاتهم الى الحق الإلهي . فراقت لي سذاجتها وتجلى لي صدقها وحسن عندي تعليمها بوحدانية الله . وثبت لدي ان الطقوس الوثنية تقود الى الدينونة والعقاب وان هذه الأسفار تخرج من العبودية وتخلّص من ربقة الطغاة وجمهور المعلمين (٢) .

ويرى العلماء الباحثون ان تاتيانوس تنصّر في رومة ولزم يوستينوس الفيلسوف وأخذ عنه وانتصر للنصرانية ودافع عنها . ولكنه خالف استاذه في موقفه من الفلسفة اليونانية . فيوستينوس وجد شيئاً من الحقيقة في ما صنفه رجال الفكر اليوناني واحترم فلسفتهم . أما تاتيانوس فانه انثنى على اليونانيين بالملام

1) *Lebreton, J., Apolog. Chrét. IIe Siècle, Fliche et Martin, Hist. de l'Église, I, 427 - 451 ; Bardy, G., La Conversion dans les Premiers Siècles, Année Théol., 1941, 89 - 106, 206 - 232; Martindale, C. C., St. Justin the Martyr; Lagrange, M. J., Saint Justin.*
2) *Orat., 29.*

الشديد فانهال على فلسفتهم وعلومهم وفنونهم ولغتهم وعذلها عذلا (١) .

وأنشأ تاتيانوس بعد استشهاد معلمه مدرسة في رومة علم فيها الدين وشرح الأسفار . والتف حوله عدد من الطلبة بينهم رودون *Rhodon* (٢) .

وصنف تاتيانوس لمناسبة الأستذة خطاباً *Discursus* في أربعة أجزاء خص الأول منها بالكوسمولوغية *Cosmologia* فأبان موقف المسيحيين من الاله الخالق وعلاقة الكلمة بالآب وكيفية خلق العالم والانسان والملائكة . وبحث في الجزء الثاني من هذا الخطاب في الشياطين والشيطنة وشدد في الثالث النكير على الحضارة اليونانية فأظهر مُحاليّة الفلسفة اليونانية وسمو التجسد النصراني ورذائل المسرح اليوناني والتناقض بين الفلسفة اليونانية والشرع اليوناني وتفوق الدين المسيحي . وأبان في الجزء الرابع من هذا الخطاب قدم عهد الآداب المسيحية .

وساقه الغرور الى الانحراف عن الصراط المستقيم وأخذ عن الغنوسيين وغيرهم من هراطقة القرن الثاني (٣) فانكفأ الى وطنه حوالي السنة ١٧٢ وأقام مدة في انطاكية فقيليقية فالرها . وجمع في الرها الأناجيل الأربعة في كتاب واحد اسماه «من خلال الأربعة» *Diatessaron* وكتبه باليونانية أولا ثم بالسريانية فتلي في كنائس الرها واقليم الفرات زماناً مديداً حتى ابطله رابولا أسقف الرها في القرن الخامس واستبدله بالأناجيل الأربعة المفصلة (٤) . وقد عثر المنقبون في دوره في السنة ١٩٣٤ على جزء من الدياتيسرون باليونانية يعود فيما يظهر الى ما قبل السنة ٢٥٤ (٥) . ونُقل الدياتيسرون الى الأرمنية في القرن السادس والى العربية في القرن الحادي عشر وذلك على يد الراهب ابي الفرج ابن الطيب . ودُعي «الرباعي» .

1) *Quasten, J., Initiation, I, 249 - 250.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 13.*
3) *Irenaeus, Adv. Haer., I, 28 ; Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 29.*
٤) الدرر النفيسة للبطريرك اغناطيوس افرام ص ٢٤٦
Lebreton, J., Apolog. Chrét., Fliche et Martin, op. cit., I, 454.
5) *Burkitt, F. C., Dura Frag. of Tatian, Journ. Theol. Studies, 1935,255-259; Plooij, D., Text of the Diatessaron, Introd. by J. R. Harris, 1923 ; Harris J. R., Muhammed and the Diatessaron, Expos. Times, 1923, 377 ff.*

ويرجح العلماء المدققون ان تاتيانوس هو مؤسس مذهب الانكراتيت *Encratites* . وهؤلاء قوم « من غلاة الأعفة نسجوا على بعض منوال المرقيونية واستهواهم الإفراط في الزهـد فحرموا أكل اللحم وكل ذي نفس والخمر والزواج» واستعاضوا عن الخمر بالماء في سر الافخارستية فسموا «الاكواريون» أيضاً *Aquariens* . ولا نعلم شيئاً عن وفاته (١) .

ثيوفيلوس الانطاكي : (١٦٩ـ١٨٥) وهبّ للدفاع عن الايمان المقدس بعد ارستون ويوستينوس وتاتيانوس ثيوفيلوس اسقف انطاكية . ولا يخفى ما لدفاع هذا الأسقف من الأهمية لأنه صدر عن رئيس مسؤول ولأنه قوبل بارتياح تام في الأوساط المسيحية القديمة فظل مرجعاً هاماً لمن عني بالعقيدة طوال قرون ثلاثة متتالية .

وعلى الرغم من تقدير لكتانيتوس (٢٥٠ـ٣٢٥) (٢) لهذا الأسقف المجاهد واهتمام افسابيوس المؤرخ (٢٦٥ـ٣٣٩) لمؤلفاته ومصنفاته (٣) وتذرع ايرونيموس (٣٣١ـ٤٢٠) بأقواله (٤) فان أحداً منهم لم يحفظ لنا شيئاً من أخباره . وجل ما دونه افسابيوس ان ثيوفيلوس كان الأسقف السادس بعد بطرس وانه جاهد ضد الهراطقة وكتب في مواضيع معينة .

ولذا ترانا مضطرين ان نعود الى ما تبقى من مصنفات ثيوفيلوس لالتقاط ما أشار اليه هذا الأسقف عن نفسه في عرض كلامه . ويستدل من رسالته الثانية الى اوتوليكوس انه نشأ في بيئة هلينية يونانية بالقرب من الفرات وانه اهتم للغـة العبرية (٥) . ويجوز القول انه كان واسع الاطلاع يعرف شعر هوميروس وإسيوذ وبعض مناقشات أفلاطون وانه أحب التاريخ واستعان به كثيراً . ولا نراه كثير الاهتمام بالعلوم الزمنية والفلسفة . فهو يسخر ممن بحث في شكل الأرض ويقول

1) *Lebreton, J., Tatien, Fliche et Martin, Hist. de l'Église, I, 451-454; Puech, A., Recherches sur le Discours aux Grecs de Tatien.*
2) *Lactance, Div. Inst., I, 23.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 24.*
4) *Jerome, Viris Inlustribus, XXV.*
5) *Theophile, Ad. Autol., II, 24, III, 18.*

ان العقـل البشري لا يمكنه ان يعلم ما اذا كانت الأرض كروية الشكل او مكعبة (١) . ولا يجوز القول انه كان لاهوتياً قـديراً فان ما قاله عن خلق السموات والأرض ينم عن شيء من السذاجـة والسخف (٢) . ولكن لا يختلف اثنان فيما نعلم في مقـدرة ثيوفيلوس في الكتابة والتصنيف . فانه كان أديباً واسع الخيال رشيق اللفظ فخم الكلام (٣) .

وقد غالى بعض العلماء في النقد فقالوا بثيوفيلوسين أحدهمـا اسقف انطاكية والآخر صاحب الرسائل التي أشرنا اليها . واستدلوا على ذلك بالاشارة الواردة الى وفاة مرقس اوريليوس في الرسالة الثالثة . فقالوا ان تاريخ هـذه الوفاة أمر تاريخي ثابت يجب الابتداء به والبنيان عليه . فمرقس هـذا توفي في السابع عشر من اذار سنـة ١٨٠ وثيوفيلوس الأسقف توفي بموجب رواية افسابيوس في السنة ١٧٨ . فلا يجوز والحالة هذه ان يقـال انه هو صاحب هذه الرسائل . وآثروا القول بثيوفيلوس آخر عاش بعـد الأسقف الانطاكي (٤) . وقد فات هؤلاء ان افسابيوس الذي يستمسكون بروايته يقول بصراحـة ان واضع هذه الرسائل هو ثيوفيلوس اسقف انطاكية . ويرى العلامة الأب باردي ان افسابيوس أخطأ في تاريخ وفاة ثيوفيلوس الأسقف وانه أقرب الى الحقيقة ان يكون هذا الأسقف قد توفي في السنة ١٨٥ لا ١٧٨ (٥) .

وليس لدينا من مصنفات هذا الاسقف الباسل سوى رسائله الثلاث الى اوتوليكوس . ولا نعلم من هو اوتوليكوس فقد يكون شخصاً حقيقياً ألف ليسخر من الدين المسيحي وقد يكون شخصاً وهمياً جعـل منه الأسقف هدفـاً للنصح والارشاد (٦) .

1) *Theophile, Ad. Autol., II, 32.*
2) *Theophile, Ad. Autol., II, 13.*
3) *Tixeront, J., Précis de Patrologie, 58 - 59.*
4) *Erbes, C., Die Lebenszeit des Hippolytus nebst der des Theophilus von Antiochien, Jahrbuch Prot. Theol., 1888, 611 - 656 ; Dodwell, Dissertationes in Irenaeum, 44, 171.*
5) *Bardy, G., Théophile d'Antioche, 14 - 15.*
6) *Bardy, G., op. cit., 19.*

وقد جاء في رسالة ثيوفيلوس الاولى الى اوتوليكوس ان اوتوليكوس هذا كان أحد اصدقائه الوثنيين الذين مجدوا آلهتهم وأنبوا ثيوفيلوس لاعتناقه العقيدة النصرانية وهزأوا من إلهه غير المنظور ومن قيامة الموتى قائلين انهم لم يروا ميتاً عاد الى الحياة . فيجيبهم ثيوفيلوس ان الله روح لا يراه الا المؤمن ولا يجده الا نقي القلب ولا يوصف لأنه يفوق البصيرة . واذا كنا لا نُبصره فاننا نلمس وجوده بمظاهر عنايته وتدبيره (١) . ثم ينتقل هذا الأسقف الباسل الى قيامة الموتى فيتذرع بالايمان فيقول أليس من الضروري أن نثق بالطبيب الذي يعالجنا والمعلم الذي يعلمنا والربان الذي يقود سفينتنا ؟ فأحرى بنا أن نؤمن بما يقوله الله لنا الاله الحق لا آلهة الوثنيين المزورة (٢) .

ويستهل ثيوفيلوس رسالته الثانية بخلاصة ما جاء في الاولى ثم يحاول أن يرد اوتوليكوس عن الآلهة فيتساءل عن ماهيتها وقيمتها وسبب توقفها عن التناسل بعد خصبها الاول . ويهزأ من الفلاسفة فيرى باعترافهم بوجود هذه الآلهة ضرباً من الجهل والبلاوة وفي اختلافهم في الرأي حولها دليلا على قلة وزن ما يقولون (٣). وينتقل بعد هذا الى النبوات المقدسة التي أوحى الله بها الى انبيائه فيبين صدقها با كتمالها في ما بعد . ثم يعرض عندئذ قصة الخليقة كما جاءت في سفر التكوين (٤) . ويجيء بعد هذا كلام عن السيبولات المتنبئات اليونانيات يظهر ثيوفيلوس فيه بعض الاتفاق بين ما قلنه وبين ما جاء على ألسنة الأنبياء (٥) .

ويثير اوتوليكوس حداثة عهد النصرانية والنبوات التي تستند اليها فيكرس ثيوفيلوس قسماً هاماً من رسالته الثالثة الى هذا الموضوع . وبعد ان يبين ضآلة الأساطير اليونانية التي تبحث في كيفية نشوء العالم يؤكد ان الأنبياء وحدهم يستحقون الثقة في ما يقولون عن هذه المواضيع البعيدة الأجل لأنهم تكلموا فيها بوحي من الله . ويخلص بعد هذا كله الى القول بأن موسى والأنبياء

1) *Théophile, Ad. Autol., I, 2 - 6.*
2) *Théophile, Ad. Autol., I, 8 - 9.*
3) *Théophile, Ad. Autol., II, 2 - 8.*
4) *Théophile, Ad. Autol., II, 11 - 23.*
5) *Théophile, Ad. Autol., II, 37 - 38.*

أقدم بكثير من مشترعي اليونان وشعرائهم (١) .

وقد ضاعت مؤلفات ثيوفيلوس الاخرى . وأهمها كتابه في تكوين العالم الذي أشار اليه في الرسالة الثانية الى اوتوليكوس (٢) ورده على كل من هيرموجانوس ومرقيانوس اللذين ذكرهما افسابيوس في تاريخ الكنيسة (٣) . وقد يكون رد ترتيليانوس على هيرموجانوس مستوحى من كتاب ثيوفيلوس(٤). ويرى بعض العلماء ان كلا من أدمنتيوس وايرينايوس اعتمدا ردّ ثيوفيلوس على مرقيانوس في مصنفيهما الشهيرين (٥) . ويفيد افسابيوس ان ثيوفيلوس صنف في التعليم المسيحي . ويذكر ايرونيموس ان ثيوفيلوس كتب في تفسير الانجيل وفي شرح أمثال سليمان (٦) .

ويرى رجال اللاهوت ان ثيوفيلوس الانطاكي تشرد في الايمان فلم يرَ موجباً لاقامة الدليل على العقائد . ولكنه لم يحرم الجوء الى العقل والفلسفة . فهو يقول ان مجرد الالتفات الى الكون والوقوف على نظامه يكفيان للاعتراف بخالق حكيم قدير (٧) . بيد انه لا يشعر بحاجة الى هذا النوع من الدليل لأن البرهان الحقيقي في مثل هذه الامور هو قول الأنبياء .

ويقول ثيوفيلوس بإله واحد خالق السموات والأرض لا بداية له ولا نهاية حي قيوم لا يتغير . وهو آب لأنه سبق كل شيء وخالق كل شيء . وكان الكلمة عند الله وكان كائناً فيه *Logos Endiathetos* ففاه الله الكلمة قبل كل شيء *Logos Proforichos* وصنع به كل شيء (٨) . وأنطق الأنبياء بالروح القدس فكانوا قديسين عادلين . وبحكمته تكلموا عن خلق العالم وعن كل شيء (٩) . ويعزو المؤرخون المجتهدون هذا التفريق بين الكلمة الكامنة ، اذا

1) *Théophile, Ad. Autol., III, 16 - 18, 20 - 23.*
2) *Bardy, G., op. cit., 15-16 ; Puech, A., Hist. Lit. Grec. Chrét., II, 212.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., IV, 24.*
4) *Bardy, G., op. cit., 16.*
5) *Zahn, Gesch. Neutestamentlichen Kanons, II, 2, 420 ; Loofs, Theophilus von Antiochien, (Texte und Untersuchengen, XLVI, 2).*
6) *Jerome, Viris Inlust., XXV.*
7) *Théophile, Ad. Autol., I, 6.*
8) *Théophile, Ad. Autol., II, 10.*
9) *Théophile, Ad. Autol., II, 9.*

جاز هذا التعبير بالعربية ، والكلمة الناطقة الى أثر الفلسفة الرواقية (١) .

ولا يجوز القول ان ثيوفيلوس هو «أول من جاهر بالثالوث الأقدس» (٢) لأن المكاشفة بالثالوث جاءت في الأناجيل الطاهرة والرسائل المقدسة . وجل ما يجوز قوله هو ان اللفظ اليوناني *Trias* يرد لأول مرة في الأدب المسيحي القديم (كما نعرفه اليوم) في رسائل ثيوفيلوس الى اوتوليكوس . ويجوز القول أيضاً ان هذا اللفظ اليوناني ليس من نحت ثيوفيلوس لأن ثيوفيلوس لا يشعر عند استعماله هذا اللفظ انه أتى بشيء جديد فهو لا يقف عنده ولا يلفت النظر اليه بل يستعمله كلفظ معروف شائع مفهوم . ولا يستغرب والحالة هذه ان يكون غيره قد استعمل هذا اللفظ من قبله وان تكون الألسن قد تداولته حتى أصبح معروفاً لا حاجة الى تفسيره والتعليق عليه (٣) .

ويرى العلامة الأب باردي ان سكوت ثيوفيلوس عن التجسد الإلهي في رسائله الثلاث هذه انما نشأ عن اهتمامه في الرد على قضايا معينة أثارها الوثنيون المعاصرون . فهو لم يهدف الى وضع مصنف كامل شامل في العقيدة المسيحية وانما قصد ان يرد تهماً معينة ويهدي من الضلال (٤) .

هيغيسيبوس الباحث : (١١٠ـ١٨٠) واشتهر في النصف الثاني من القرن الثاني هيغيسيبوس الباحث *Hegesippos* . ولد يهودياً متهلناً في فلسطين وتنصر حوالي السنة ١٥٠ . وهاله انتشار الغنوسية فرحل في طلب الايمان الصحيح وزار كورنثوس في عهد اسقفها بريموس ثم انتقل الى رومة فوصلها في عهد اسقفها أنيكستوس *Enixitos* الحمصي (١٥٥ـ١٥٦) وبقي فيها حتى اسقفية إلفثيريس *Eleutheros* (١٧٤ـ١٨٩) . ولما كان رائده التثبت من صحة العقيدة والتعليم فانه نظر في تسلسل البركة الرسولية في كل كنيسة زارها ودون هذا التسلسل منذ أيام الرسل المؤرخين حتى عهده . واطمأنت نفسه الى ارثوذكسية العقيدة والتعليم

1) Puech, A., *Apologistes Grecs*, 223 - 225.

٢) الكنيسة السريانية الانطاكية للمطران سويريوس يعقوب ج ١ ص١١٣ (بيروت ١٩٥٣) .

3) Bardy, G., *Théophile d'Antioche*, 40.

4) Bardy, G., *op. cit.*, 45 - 46.

فعاد الى الشرق وصنف كتاباً باليونانية دعاه « الذكريات » وكرّس معظمه لدحض أقاويل الغنوسيين .

وقد ضاعت « ذكريات » هيغيسيبوس ولم يبقَ منها سوى ما أخذه افسابيوس المؤرخ عنها . ومعظم هذا يبحث في أخبار أساقفة اوروشليم وأقرباء السيد المخلص في الجسد كإستشهاد يعقوب أخي الرب وسمعان خلفه وما الى ذلك . وكان هيغيسيبوس يجيد اليونانية والسريانية والعبرية (١) .

سرابيون : (١٩١ـ٢١٢) وجلس بعد ثيوفيلوس في سُدّة انطاكية مكسيمينوس *Maximinos* (١٨٥ـ١٩١) . وقد ضاعت أخباره ولم يبقَ منها سوى ذكر اسمه (٢) . وخلفه بعد وفاته سرابيون *Serapion* وهو التاسع بعد بطرس . وقد اشترك في الدفاع عن الايمان وصنف في ذلك رسائل عدة منها رسالة الى الاكليريكيين كيريكسوس *Carixos* وبنطيوس *Pontios* . ومنها رسالة وجهها الى ذمنوس *Domnos* الذي كان مسيحياً فارتد عن الايمان ليردّ عن نفسه آلام الاضطهاد في عهد سبتيميوس سويروس « فسقط في خرافة اليهود » (٣) .

ومما نُقل عنه انه صنف كتاباً في انجيل بطرس بين فيه ما حواه هذا الانجيل المزور من التعاليم المرقيونية الفاسدة . وكان الداعي لذلك ان دعاة

1) Eusèbe, *Hist. Ecc*, IV, 22; Zahn, T., *Forschungen zur Gesch. des Neutest. Kanons etc.* 6. Erlangen, 1900, 228-273 ; Lawlor, H. J., *Eusibiana*, 1-107 ; Dannreuther, H., *Témoignage d'Hegesippe*; Ehrhardt, A., *Apostolic Succession In The First Two Cent.*, Lond. 1953.

٢) *Eusèbe, Hist. Ecc.*, IV, 24 ولا صحة فيما يظهر لما قاله بعض مؤرخي الكنيسة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأن أحاد أبوي وقم يشوع خرجا من طيسفون بعد وفاة اسقفها يعقوب فتوجها الى انطاكية لينتقي اسقفها مكسيمينوس أحدهما فيرسمه خلفاً ليعقوب وان الوالي الروماني اعتبرهما جاسوسين فارسيين فأمر بصلب قم يشوع وان أحاد أبوي أفلت فأمّ اوروشليم حاملا بركة مكسيمينوس فرفعه اسقفها الى رتبة الاسقفية وان هذا الحادث المؤلم أثر في نفس مكسيمينوس فتخلى عن حقه في سيامة أساقفة طيسفون فاستقلوا منذ ذلك الحين ــ Neale, J. M., *Holy East. Church*, 29-30 ــ راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمطران سويريوس يعقوب ج ١ ص ١٥٢ـ١٥٣ .

3) Eusèbe, *Hist. Ecc.*, V, 18 - 19, VI, I2.

المرقيونية تسللوا الى صفوف كنيسة أرسوز *Rhossos* بين رأس الخنزير والاسكندرونة فبذروا فيها بذور الشقاق . فأقبل بعض أبناء هذه الكنيسة على مطالعة هذا الانجيل المزور وامتنع غيرهم عن ذلك . فأذن سرابيون بقراءته أولا تهدئة للخصام . ثم استحصل على نسخة من هذا الانجيل وعكف على مطالعتها فلمس الدس والتضليل فيها فوضع رسالة في ذلك كله وبعث بها الى المؤمنين في أرسوز وأنبأهم بقرب زيارته لهم (١) . وجاء في التقليد ان سرابيون سام بالوط اسقفاً على الرها (٢) فأثبت بذلك وبتدخله في شؤون كنيسة أرسوز سلطته على الكنائس التي أسسها المبشرون الذين انطلقوا من انطاكية .

★

١) وقد جاء في تعليق اوريجانس على الآية السابعة عشرة من الفصل العاشر من انجيل متى ان الناصريين اعتبروا يسوع ابن يوسف ومريم وانهم « بنوا على التقليد الذي يدعى انجيل بطرس فقالوا بأن اخوة الرب هم أولاد يوسف من زوجة اولى قبل مريم » . وقال ثيودوريطس ان الناصريين يهود اعتبروا المسيح رجلا صالحاً وعولوا على الانجيل الذي يدعى انجيل بطرس – *Heret. Fables, II, 2* – ويؤكد افسابيوس ان هذا الانجيل لا يمت بصلة الى الأسفار الكاثوليكية – *H. E., III, 3* . وقد وجد المنقبون في مصر في السنة ١٨٨٤ في قبر في أخميم جزءاً من هذا الانجيل . ولدينا شيء منه أيضاً بالحبشية .
James, M. R., Apocryphal New Testament, 90 - 94, 507 - 510, 511-521.

2) *Tixeront, Les Origines de l'Eglise d'Edesse, 140.*

الفصل السابع

مشكلة عيد الفصح

١٥٤ — ١٩٨

وذكر المسيحيون الأولون صلب السيد وموته وقيامته في صبح كل أحد فأموا الكنيسة باكراً ليجتمعوا ويصلوا ويذكروا الرب في مثل الساعة نفسها التي قهر فيها الموت . وأفردوا بالاضافة الى هذا ثلاثة أيام متتالية مرة في كل سنة لذكر القيامة والآلام فجعلوها تبدأ في الرابع عشر من نيسان القمري العبراني وتنتهي في السادس عشر منه وذلك لورود الآية : « وبلغ يوم الفطير الذي كان ينبغي ان يُذبح فيه الفصح » .

واختلف المؤمنون الأولون في اليوم الذي يذكرون فيه الآلام وفي اليوم الذي يبتهجون فيه بالقيامة . فكنائس آسية الصغرى وقيليقية وسوريا الشمالية وبين النهرين كانت تقيم هذه الذكرى في أي يوم من الاسبوع وافق وقوعه الرابع عشر من نيسان او السادس عشر منه . أما كنائس بلاد اليونان وايطالية وافريقية ومصر وفلسطين والبونط فانها خصّت يوم الجمعة وحده بالآلام ويوم الأحد بالقيامة . وكانت في السنين التي لا يوافق فيها الرابع عشر من نيسان يوم جمعة تذكر الآلام في أول يوم جمعة بعده ومثله يوم الأحد للقيامة .

واقترن هذا الخلاف بخلاف آخر فاعتبرت كنائس آسية الصغرى ومن شد أزرها يوم الآلام يوم تحرير من العبودية وخلاص فكانت تفرح في يوم موت الرب وتحل الحزن والصوم معاً مستشهدة بيوحنا الحبيب وبفيليبوس ايضاً . أما الكنائس الاخرى فانها كانت تعتبر يوم الصلب يوم حزن فلا تسمح بحل الصوم

قبل تذكار القيامة . وكانت تستشهد بتعاليم بطرس وبولس في ذلك (١) .

واستمر هذا الخلاف وقتاً طويلا ولكنه لم يقطع ربط السلام والمحبة بين الكنائس . ثم كثر عدد المسيحيين وتغربوا فاضطروا ان يقيموا في بلدان جرت كنائسها على غير عادة كنائسهم فساءهم كما ساء غيرهم ان يختلفوا في موعد العيد الكبير . ولكنهم واظبوا على ممارسة التقاليد الموروثة بسلام ومحبـة . وكثر عدد المسيحيين الآسيويين في رومة وجروا على عادتهم الخاصة في ممارسة عيد الفصح ولم يعترضهم اسقف واحد من أساقفة رومة قبل فيكتور ولم يقطعوا أحـداً من الشركة بل انهم ذكروا هؤلاء الآسيويين في صلواتهم وأرسلوا لهم الأفخارستية في حينه .

بوليكاربوس وأنيقيطس: (١٥٤) وجاءت سنة ١٥٤ وكان القديس الشهيد بوليكاربوس اسقف أزمير قد ناهز الخامسة والثمانين فقام الى رومة لقضاء مصالح متعددة منها النظر في مسألة الفصح . والتقى بزميله انيقيطس اسقف رومة وبحث معه أمر الخلاف . فاستمسك كل منهما بتسليم الرسل كما مارسه ولم يستطع أحد منهما ان يقنع الآخر . ولم يؤثر هذا الاختلاف في ربط المحبة الأخوية فان الاثنين اشتركا في خدمة القداس الإلهي ، وعنـد تقديس القرابين تنحّى انيقيطس لبوليكاربوس لأنه كان شيخاً طاعناً في السن ورجـلا رسولياً تلميذاً ليوحنا الحبيب وأقرب منه الى الرسل . ولا نرى في النصوص الأوليـة ما يبرر استنتاج المؤرخ شميدت الألماني في ان بوليكاربوس وُجد في رومة في فصل الربيع وانه بعد اختلافه في الرأي مع زميله الاسقف الروماني أقام خدمة قداس الفصح لجماعته الآسيويين بينما أقام اسقف رومة قداساً آخر للرومانيين (٢) .

مليتون وبلاستوس: واستشهـد بوليكاربوس في السنة ١٥٥ وحذا

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 23 - 25;*
اطلب ايضاً رأي الاستاذ بومشتارك *Baumstark* في نقده لكتاب شميدت عن عيد الفصح في آسية الصغرى في مجلة اللاهوت الألمانية *Theologische Revue* في اعداد السنـة ١٩٢١ ص ٢٦٤ وما يليها .

2) *Schmidt, C., Die Passahfeier inder Kleinasiatichen Kirche, 577-725.*

حذوه انيقيطس في السنـة ١٦٦ وظل الخلاف قائماً بين المؤمنين . وتكاثرت صفوف الهراطقة وتراصت . وحوالي السنة ١٧٠ انبعثت حركة التهود في كنيسة لاذقية فريجية فهب مليتون يصنف في عيد الفصح ونهض ابوليناريوس هيرابوليس يقاوم التهود بكل ما أوتي من حكمـة ومقدرة (١) . وخشي كل من اقليمس الاسكندري وهيبوليتوس العلاقة بين رأي الآسيويين المسيحيـين وبين فكرة الفصح عند اليهود فصنفا في عيد الفصح دفاعاً عن الدين القويم . ولكن شيئاً من هذين المصنفين لم يبقَ حتى عهدنا هذا (٢) .

فيكتور وبوليكراتس: ودب الشقاق الى كنيسة رومـة نفسها من جراء ما قاله بلاستوس *Blastus* فهرع فيكتور اسقفها (١٨٥–١٩٧) الى درس الموقف مجدداً ورأى من مصلحة الكنيسة جمعاء ان تقول كلمتها في عيـد الفصح فكتب بذلك الى بوليكراتس اسقف أفسس ولعله كتب الى غـيره من الأساقفة ايضاً . ولم يأمر فيكتور اسقف رومة بوليكراتس أمراً بذلك بل رجاه رجاء فيما يظهر . فالكلمة التي أشار بها بوليكراتس الى رغبـة فيكتور في الاجتماع هي *Exiosate* ومعناها رمتم او طلبتم (٣) . اما رسالة فيكتور فانها ضائعة !

والثابت الراهن هو ان أساقفة الشرق عقدوا قبيل نهاية القرن الثاني مجامع مكانية في قيصرية فلسطين وفي البونط وغلاطية وبين النهرين وكورينثوس بحثوا فيها أمر الفصح وأقروا رأياً واحداً وهو ان تراعى عادة ذكر القيامة يوم الأحد وان لا يُحل الصوم الا فيه (٤) .

مجمع قيصرية فلسطين: (١٩٨) وجاء في كتاب الاعتدال الفلكي (٥) لبيد المحترم *Venerable Bede* (٦٧٣–٧٣٥) ان مجمع قيصرية انعقـد برئاسة ثيوفيلوس اسقف قيصرية ونركيسس اسقف اوروشليم وبحضور كاسيوس اسقف

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 26 ; Chronique Pascale Prooemium, Patr. Gr., Vol. 42, Col. 80.*
2) *Lebreton, J., Querelle Pascale, Fliche et Martin, Hist. de l'Eglise, II, 90.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 24.*
4) *Hefele-Leclerq, Hist. des Conciles, I, 150 ff.; Batiffol, L'Eglise Naissante, 271 ff.*
5) *Commentarius de Aequinoctio Vernali.*

صور وكلاروس اسقف عكة وغيرهما. فتداول الأساقفة كيفية خلق العالم فأقروا ان يوم الرب هو أول أيام الخلق والسبت آخرهـا . ثم بينوا ان الربيع هو أول فصول السنة وان العالم وجد في الخامس والعشرين من آذار حينما كانت الشمس في وسط المشرق والقمر بدراً . ثم شرعوا بتعيين عيد الفصح فأجمعوا على ان يقع في يوم الرب لأن الظلام انقشع في هذا اليوم وأشرق النور ولأن الشعب تحرر فيه من أرض مصر كما من ظلام الخطيئة ولأن الشعب مُنح فيه طعاماً سماوياً ولأن موسى أوجب تكريمه ولأن المرتل قال عنه انه اليوم الذي نبتهج ونفرح فيه ولأنه هو اليوم الذي قام فيه الرب (١) .

وبعد ان تمّ كل هذا كتب الأساقفة المجتمعون في قيصرية فلسطين الى اخوانهم في الكنائس الاخرى ليجتهدوا فيرسلوا صورة رسالتهم الى الكنائس لئلا « يصيروا سبباً للذين يخدعون أنفسهم بسهولة » وأضافوا « ونعلمكم انه في اليوم الذي نحتفل فيه نحن يحتفلون في الاسكندرية ايضاً . وقد تبودلت بيننا وبينهم رسائل حول هذه المسألة لكي نحتفل معاً بهذا اليوم المقدس » (٢) .

بوليكراتس اسقف أفسس : وتشاور أساقفة آسية الصغرى فأصروا على ابقاء القديم على قدمه وكتب بوليكراتس اسقف أفسس بذلك الى اسقف رومة . فانتفض فيكتور وكتب يهدد بالقطع . فجمع بوليكراتس مجمعاً مكانياً اشترك فيه خمسون اسقفاً . وبعد التداول كتب بوليكراتس بلسان مجمعه يؤكد انهم لا يزيدون على التسلم الرسولي ولا ينقصون منه وأنه رقد في بلادهم يوحنا الذي اتكأ على صدر الرب وفيليبوس أحد الاثني عشر وبوليكاربوس الشهيد وان هؤلاء جميعهم حافظوا على اليوم الرابع عشر للفصح وفقاً للانجيل . ومما قاله بوليكراتس موجهاً كلامه الى كنيسة رومة : « أنا أصغركم جميعاً . وما دام لي خمس وستون سنة في الرب وقد اجتمعت بالاخوة الذين من المسكونة وقرأت كل

١) وقد سبقنا الى هذه الخلاصة بالعربية المطران سويروس يعقوب في كتابه الكنيسة السريانية الانطاكية ج ١ ص ١٢١–١٢٢ .

2) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 26.,*

كتاب مقدس لا أجزع ولا أخاف لأن الذين هم أعظم مني قالوا انه يجب الخضوع لله أكثر من البشر . وكنت أستطيع ان أذكر الأساقفة الحاضرين معي الذين « رمتم » أنتم ان أجمعهم وقد جمعتهم ووافقوا على الرسالة لعلمهم اني لم أحمل هذه الشيبة عبثاً بل سلكت بالرب دائماً » (١) .

تدخل ايريناوس : ومما جاء في تاريخ أفسابيوس ان فيكتور اسقف رومة غضب وأراد ان يعتبر كنائس آسية خارجة عن الدين القويم . فاعترضه في ذلك عدد من الأساقفة . وكان بين هؤلاء ايريناوس القديس اسقف ليون . فانه كتب يقول « ان الخلاف ليس في اليوم فقط بل في نوع الصوم ايضاً . وان هذا الاختلاف لم يحدث في أيامنا فقط بل قبلنا بكثير في عهد أسلافنا ومع ذلك كانوا ولا يزالون متسالمين ومنهم الشيوخ الذين تولوا الكنيسة التي تتولاها أنت الى الآن وكانوا يشتركون وهم غير محافظين مع الآتين اليهم من الكنائس المحافظة » . ويعلق افسابيوس فيقول ان فيكتور اتبع نصيحة اسقف ليون . وان ايريناوس استحق شكر الكنيسة لعمله السلمي (٢) .

ولا نعلم بالضبط متى عدل الآسيويون عن تقليدهم الخاص (٣) . ولا يجوز القول ان ذلك تمّ في مجمع نيقية لأن مشكلة الفصح التي اثيرت أمام المجمع المسكوني الأول لم تكن تلك التي بحثت في أواخر القرن الثاني (٤) .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 24.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 24.*
3) *Schmidt, C., op. cit. 725.*
4) *Lebreton, J. op. cit., II, 93.*

الفصل الثامن

الكنيسة والدولة

١٩٣ — ٢٤٩

حجر حمص الأسود : وكانت حمص لا تزال تعبـد الشمس وتقدس حجراً أسود مخروطي الشكل يُحمل لمناسبات دينية خاصة ويُطاف به في شوارع المدينـة تبركاً واجلالا . وكان السادن يوليوس باسيانوس *Bassianus* وجيهاً محترماً له سطوة ونفوذ في جميع الأوساط الوثنية في حمص وما جاورها .

وفي السنة ١٨٠ جاء حمص قائد روماني من أصـل فينيقي افريقي يدعى سبتيميوس سويروس *Septimius Severus* فافتتنته يولية مرتى ابنـة باسيانوس الكاهن. ونُقل اليه ان عرّافة تعلم الغيب تقول ان من يتزوج من يولية مرتى يصبح ملكاً . فتزوج سبتيميوس القائد من مرتى ونقل اسمها الى اللاتينية فجعله *Domna* فأصبحت زوجته يولية دومنة (١) .

وكان ما كان من أمر سبتيميوس القائد وأصبح في السنة ١٩٣ امبراطور رومه الوحيد . وكانت يولية ذكية قديرة فغص القصر بالحمصيين والحمصيات وبينهم رجل محنك قانوني كبير هو اميليوس بابنيانوس *Aemilius Papinianus* أحد أنسباء يولية الامبراطورة . فقدر للوثنية في حمص ان تلعب دوراً هاماً في سياسة الدولة الدينية .

سياسة سبتيميوس الدينية : وكان سبتيميوس نفسه متمسكاً بالوثنية يقول بغثها وسمينها ويواظب على القيـام بفرائضها . فلما قُدّر له ان يصبح امبراطور رومه وحبرهـا الأعظم *Pontifex Maximus* اهتم اهتماماً كبيراً بالدين

1) *Williams, Miss M. G. W., Julia Domna, Amer. Journ. of Arch., 1902, 259 - 305; Wild, P. S., Class. Journal, 1917 - 1918, 14 - 20.*

ورجاله وحافظ على التقاليد الموروثة والفرائض المفروضة. وعني بالمعابد والهياكل فرمم القديم وعمّر الجديد وبذل بسخاء في بعلبك . وكان من الطبيعي أن تظهر الحاشية اهتمامها ايضـاً في الدين وفرائضه . فتبارى أفرادها في تكريم الآلهة والاعتناء بكل ما يمت الى الدين الوثني بصلة (١) .

ولم يتعرض سبتيميوس للنصارى بسوء في السنوات الاولى من حكمه ويذهب ترتليانوس الى أبعد من هذا فيفيد ان النصارى وقفوا الى جانب سبتيميوس في نزاعه ضد نيجر وألبينوس وانهم فرحوا لنجاحه عندما سقطت بزنطة في يده وانه تدخل هو فحمى وجهاءهم من سخط الجماهير في السنة ١٩٧ (٢) . ولعلّ السبب في هذا التفاهم والتعاون كان عطف الغريب على الغريب للصمود في وجه الرومانيين الأصليين . ومما جاء في ترتليانوس ايضاً ان سبتيميوس كان قد ألحق عدداً من المسيحيين في خدمته قبل وصوله الى العرش وانه كان قد وكل تربية ابنه البكر الى عائلة مسيحية وتقبل المسح بالزيت المقدس على يـد طبيب مسيحي جعل هذا الزيت دواء شافياً (٣) .

وعلى الرغم من هذا كله فان المؤرخين يجمعون على ان الاضطهاد الخامس وقع في عهد سبتيميوس. فأفسابيوس يؤكد ان هذا الاضطهاد بدأ في السنة العاشرة من حكم سبتيميوس أي في السنة ٢٠٢ (٤). ويضيف صاحب التاريخ الاوغوسطي انه بعد أن توشح سبتيميوس بالقنصلية في انطاكية في اول كانون الثاني من السنة ٢٠٢ حرّم التبشير بالدين اليهودي واتخذ قراراً مماثلا فيما يتعلق برعاياه المسيحيين (٥). والواقع ان انطونينوس بيوس كان قد حرم على اليهـود ختن غير اليهود من الوثنيين وان سبتيميوس كان قد كرر هذا التحريم فأوجب معاقبة من يختن رومانياً بمصادرة أملاكه وإبعاده الى جزيرة من الجزر وعاقب من ختن رقيقاً بالموت (٦).

1) *Reville, J., La Religion à Rome sous les Sévères, 190 - 209.*
2) *Tertullianus, Ad Scap., III, IV; Apolog. XXXV.*
3) *Tertullianus, Ad Scap., IV.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 2 ; Augustin., De Civ. Dei, XVIII, 52.*
5) *Historia Augusta, Severus, XVII.*
6) *Paul., Sentent., V, 22, 3-4.*

واتخذ سبتيميوس الاجراءات نفسها لكبح النصرانية وردها عن التوسع . فكان ينظر في كل حادث على حدة فيأمر بنوع من العقوبة المشار اليها أعـــلاه . ولم يتخـــذ فيما يظهر قراراً عاماً أبطل به الدين المسيحي كما فعل خلفاؤه داقيوس وفاليريانوس وديوقليتيانوس (١) .

ولا نعلم شيئاً عن تطبيق هذه الأحكام وتنفيذها في فلسطين وسورية . ولعل ما حفظه لنا افسابيوس (٢) عن ارتداد دومنوس *Domnos* في انطاكية وعودته الى دين اليهود هو أثر من آثار هذا التهديد والتهويل . اما في مصر فان نجاح ذيذاسقاليون *Didasxaleion* الاسكندرية واقبال الوجهاء والأعيان عليـــه وجلوس الفلاسفة والنسوة الشهيرات وافراد العائلات الأرستوقراطية العاليـــة وابناء البيوتات المثرية على مقاعده أفزع سبتيميوس فهرع الى تطبيق عقوباته بشدة (٣) . ففر اقليمس الاسكندري رئيس هذا الذيذاسقاليون الى قيصرية قبدوقية واستشهد ليونيذاس والد اوريجانس الشهير وجمهور من المؤمنـــين والموعوظين من جميع انحاء مصر . وأشهر هؤلاء القديسة الشهيدة بوتميانة (٤) .

ولم تؤثر هذه الشدة في نفوس المؤمنين ولم يقتف اثر دومنوس أحد فيما نعلم . وتابع سرابيون اسقف انطاكية العمل في حقل الدفاع عن العقيدة فكتب ما كتب الى أبنائه الروحيين في ارسوز كما سبق وأشرنا . وقام من أبنـــاء كنائس قيصرية فلسطين وعكة وصور وبيروت مَن حمل الانجيل الى تلال لبنان وحارب الوثنيـــة فيه . وتقبل أبجر التاسع ملك الرها (١٧٩ـــ٢١٦) النصرانية فانتشرت بسرعة بين رعاياه في وادي الفرات وما جاورها . ووجه برديصان رسالة بالسريانية الى سبتيميوس دافع فيهـــا عن دين المسيح (٥) . ولم يكن أثر شرائع سبتيميوس في نفوس المؤمنين في الغرب أشد منه في الشرق (٦) .

1) *Lebreton, J., l'Eglise et l'Etat Romain, op. cit., II, 113-115.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 12.*
3) *Allard, P., Hist. des Perséc. au IIIe. Siècle, 70.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 3-14.*
5) *Abel, F.M., Hist. de la Palestine, II, 150-151.*
6) *Lebreton, J., op. cit., II, 115-116.*

كركلا: (٢١١ـ٢١٧) وادعى كركلا انه اتقى الرجال (١). واستمسك بدين رومه استمساك سلفه سبتيميوس ورحب بالآلهة الشرقية وضحى لها في اثناء وجوده في الشرق . وجمـــع اولبيانوس مستشاره القضائي كل ما كان قد صدر من الأحكام ضد المسيحيين فأوردها في الكتاب السابع من مؤلفـــه *De Officio Proconsulis* (٢). ولكن كركلا لم يتخذ أي اجراء قانوني ضد النصارى. ويدعي ترتليانوس ان مسيحيين أشرفوا على تربيته (٣). ومهما يكن من أمر تربيته فالواقع الذي لا جدال فيه هو ان عدداً من المسيحيين التحقوا بحاشيته وقاموا بمهام كبيرة وأشهرهم اوريليوس بروسينس *Aurelius Prosenes* (٤). ولا بد من اعادة النظر في ما نسب الى عهده من قساوة واضطهاد واستشهاد . فأما أن يكون الآباء المدونون قد ضلوا بسبب اسمه الرسمي « *M. Aurelius Antoninus* » او أن تكون بعض هذه الحوادث قد تمت في الولايات تحت ضغط الغوغاء (٥) .

وأحب كركلا الشرق فعاد اليه في السنة ٢١٥ . واستقبلته انطاكية استقبالا حافلا وأقام فيها مُعيداً اليها عزها ومجدها . وكان والده قد غضب على انطاكية فجعل اللاذقية عاصمة الشرق وقسم ولاية سورية الى ولايتين سورية الفينيقية وسورية المجوفة *Coele* فجعل مدينة صور عاصمة الاولى وضم اليها دمشق وحمص وتوابعهما (٦). وترامى الى كركلا سخر الاسكندريين منه ومن والدته فترك والدته في انطاكية ونهض الى الاسكندرية فاقتص من أهلها وعاد الى انطاكية . ثم استدعى كلا من ملك الرها وملك أرمينية الى انطاكيـــة ليكرمهما اكرام الخلفاء الأصدقاء فزجهما في السجن وجعـــل من مملكتيهما ولايتين رومانيتين . وحارب أرطبون ملك البرت فخرّ صريعاً (٨ نيسان ٢١٧) من جراء مكيدة دبرها مكرينوس قائد الحرس . وتلقت يولية دمنـــة والدته نبأ مقتله في انطاكية فخضعت

1) *Dio Cass. LXXIX, 12.*
2) *Lactantius, Div. Inst., V, 11, 18 - 19.*
3) *Tertullianus, Ad Scap. IV : « Lacte Christiano Educatus ».*
4) *Corp. Inscr. Lat., VI, 84 - 94.*
5) *Neumann, K. J., Der Rom. Staat und die Allgem. Kirche, I, 301 - 308.*
6) *Digest., XLII.*

لأمر الأمبراطور الجديد ولكنها امتنعت عن الطعام فماتت جوعاً (١) .

اله الجبل : (٢١٨–٢٢٢) ولم يرضَ اشراف رومـة وعظاؤها عن وصول مكرينوس الى الحكم لأنه لم يمت بصلة الى الاسرة الحاكمة ولأنه لم يكن سوى فارس عادي . وعلى الرغم من الاحترام الذي أظهره لأعضاء السناتوس ومن بعض الاصلاحات الداخلية والوعود التي قطعها على نفسه لجمهور الشعب في رومة فانه لم يوفق الى الحصول على الرضى . وكان قد اضطر لانهـاء حرب الفرات اضطراراً فجاء سلمها محطاً بكرامة رومة واعتزاز جنودها .

وكانت يولية مايسة *Julia Maesa* شقيقة يولية دمنة قد عادت الى مسقط رأسها مع ابنتي شقيقتهـا يولية سومياس *Soemias* ويولية ماميه *Mammaea* . وكان قد وُلد ليولية سومياس من زوجها القنصل السوري فاريوس مركلوس *Sex. Varius Marcellus* ولد ذكر اسمه فاريوس باسيانوس *Varius Avitus Bassianus* . وعلى الرغم من حداثة سنه ، وكان لم يتجاوز الرابعة عشرة ، فانه كان قد ورث وظيفة جده لأمه فأصبح كاهن حمص الأعظم . فلما أخفق مكرينوس في استرضاء الرومانيين روّجت يولية مايسة خبراً في الأوساط العسكرية الرومانية في سورية مؤداه ان فاريوس باسيانوس هو ابن لكركلا غـير شرعي من نسيبته سومياس وانه هو أحق بالحكم من هـذا المغامر الأفاق . ووعدت الجنود بالعطاء فقبلوا . فخرج غنيس *Gannys* مربي باسيانوس الى معسكر حمص في السادس عشر من ايار سنة ٢١٨ وخرج معه كومازون افتيخيانوس محافظ البلدة فقدما باسيانوس الى الجند فنادوا به امبراطوراً (٢) . ولم يقوَ مكرينوس على الصمود في وجـه الأمبراطور الجديد ففر من سورية والقي القبض عليه وقتل .

وأدخل باسيانوس عبادة الشمس الحمصية الى رومة ونقل اليها حجرها الأسود واتخذ لنفسه اسم إلهه فعرف بـ *Elagabalus* او *Heliogabalus* . وتلخص سياسته الدينية في انه توخى الجمع بين جميـع الأديان الوثنية الرائجـة في

1) *Dio Cassius, LXXVIII, 23-24; Herodian., V, 3.*
2) *Dio Cassius, LXXVIII, 31, LXXIX, 4, 6; Herodian., V, 3, 10-11; Stein, Gannys, Real - Encyc.*

امبراطوريته . ولا صحـة فيما يظهر لما جاء في التاريخ الأوغوسطي من ان هذا الأمبراطور أراد ان يمثل في معبـد إلهه النصرانية والسامرية واليهودية (١) . واختتن « إله الجبل » وامتنع عن أكل لحم الخنزير (٢) ولكن هذا لم يعنِ انه تهود لأن معظم الساميين شاركوا اليهود في هـذه التقاليد . وليس لدينا ما يثبت ان السيدة سفيرينة *Severina* التي وجه اليها هيبوليتوس *Hippolytus* عالم الكنيسة احدى رسائله هي زوجـة إله الجبل او احدى نسائه (٣) . وجل ما يجوز قوله هو ان أحداً من المسيحيين لم يمس بأذى في عهد هذا الأمبراطور وان أحداً من كتابهم لم يذكر هذا الأمبراطور بسوء (٤) .

سويروس الكسندروس : (٢٢٢–٢٣٥) وكان ما كان من أمر تهتك « إله الجبل » وانصرافه عن شؤون الدولة ومصرعه . فتولى الحكم بعده ابن خالته اليكسيانوس باسيانوس *Alexianus Bassianus* ابن يولية ماميـة وغاسيوس مرقيانوس العكاري *Gessins Marcianus* . وكانت مايسة قـد أشاعت عن اليكسيانوس ايضاً انه ابن كركلا غـير الشرعي فلما تسلم أزمة الحكم انتسب الى سويروس وعُرف بالاسم سويروس الكسندروس (٥) .

وكانت يولية مامية قد عنيت عناية فائقة بتربية ولدها وتثقيفـه فنشأ اليكسيانوس شاباً أديباً مهذباً لطيفاً وديعاً يجيد اللغتين اليونانية واللاتينية ويتذوق آدابهما ويحترم رومـة وتقاليدها . فلما تسلم أزمة الحكم أعاد الحجر الأسود الى حمص وأظهر تعلقه بآلهة رومـة ودينها وأكرم في قصره من الأباطرة من كان قد أصبـح في مصاف الآلهة كما أظهر احتراماً شديداً للاسكندر الكبـير ولابولونيوس تيانة وفيرجيليوس وشيشرون وغيرهمـا من كبار الرجال (٦) . ولا يعقل ان يكون قد أكرم بهذه الطريقة نفسها ابراهيم اليهود ومسيح النصارى

1) *Historia Augusta, Heliog., 3, 5.*
2) *Dio Cassius, LXXIX, 11.*
3) *Besnier, M., Empire Romain, 84.*
4) *Bihlmeyer, K., Die Syrischen Kaiser zu Rom und das Christentum, 56-60.*
5) *Jardé, A., Études Crit. sur la Vie de Sévère Alexandre, Paris, 1925.*
6) *Hist. Aug. Alex., 29, 2; 31, 4*

لأن شرائع رومة كما سبق وأشرنا كانت قد بيّنت وجه التناقض بين دين الدولة وهذين الدينين . وقل الأمر نفسه عما جاء في التاريخ الاوغوسطي من ان هذا الأمبراطور أراد ان ينشىء هيكلا للمسيح وان يعتبر سيد النصارى الهاً من آلهة رومة (١) وانه لدى وقوع المشادة بين نصارى رومة وأصحاب الحانات فيها حول ملكية قطعة من الارض حكم بالملكية للنصارى فان مثل هذه المواقف تتعارض والقوانين السارية المفعول (٢) .

وجل ما يجوز قوله هو ان هذا الأمبراطور العاقل المسالم سكت عن النصارى ولم يلاحقهم بشيء فأذن لهم بذلك بالبقاء ولكنه لم يتمكن في الوقت نفسه من الصمود في وجه تيار قد يثار ضد مسيحي معين او جماعة من المسيحيين كما يدلنا على ذلك حادث استشهاد اسقف رومة القديس كليستوس في الرابع عشر من تشرين الاول سنة ٢٢٢ (٣) .

أخبار انطاكية : ووافقت رئاسة سرابيون عهد سبتيميوس سويروس فبدأت في السنة ١٩١ وانتهت في السنة ٢١٢ . وخلف سرابيون في الكرسي الرسولي أسقليبياذس *Asclepiades* . وكان قد ذاق العذاب لأجل يسوع في قبدوقية فاستحق لقب « المعترف » . وما ان علم الكسندروس المعترف اسقف قيصرية قبدوقية بوصول اسقليبياذس الى السدة الانطاكية حتى كتب الى الانطاكيين يقول :

« من الكسندروس خادم يسوع المسيح وسجينه الى كنيسة انطاكية المغبوطة سلام بالرب : لقد جعل السيد اصفادي محتملة خفيفة حينما بلغني وانا لا أزال في السجن ان اسقليبياذس الذي يستحق التقدير لاجل ايمانه قد تقبل بعناية الله اسقفية كنيستكم الانطاكية المقدسة . واني أبعث لكم يا سادتي واخوتي برسالتي هذه على يد اقليمس القس السعيد الفاضل المحترم الذي تعرفون . لقد كان حضوره بيننا بعناية السيد ورقابته مثبتاً للكنيسة ومقوياً لها » (٤) .

1) *Hist. Aug. Alex., 43, 6-7.*
2) *Besnier, M., Emp. Rom., 102, 104.*
3) *Acta Sanctorum, Oct. VI, 430.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, II.*

وتوفي اسقليبياذس في السنة ٢١٨ فخلفه في الرئاسة فيليطوس *Philetos* (٢١٨–٢٣١) . وقُدّر لهذا الاسقف ان يجني شيئاً من فوائد المهادنة التي كانت قد حلت بين الكنيسة والدولة في عهد الأباطرة الحمصيين فُسرّ من عطف الأمبراطور سويروس الكسندروس على يوليوس الأفريقي أحد أبناء كنيسة اوروشليم واغتبط لما شاهده في انطاكية نفسها من مظاهر الاكرام والاحترام التي احيط بها اوريجانس الاسكندري عالم الكنيسة آنئذ .

يوليوس الأفريقي : هو سكستوس يوليوس افريكانوس *Sextus Julius Africanus* ولد في اوروشليم في المستعمرة الرومانية العسكرية *Aelia Capitolina* في النصف الثاني من القرن الثاني . والتحق بالجيش الروماني ورافق الأمبراطور سبتيميوس سويروس الى الرها وجهاتها واشترك في الأعمال الحربية فيها وأصبح ضابطاً محترماً . ثم أقام في عمواس *Nicopolis* متقاعداً . وألح زملاؤه من أبناء هذه المستعمرة ان يقوم الى رومة ليعرض بعض المطالب ويفاوض السلطات فيها . فأم العاصمة الرومانية في السنة ٢٢٤ لهذه الغاية فقُدّر له ان يتصل بشخص الأمبراطور سويروس الكسندروس فأصغى اليه وعطف عليه وطلب اليه ان يجمع له مكتبة بالقرب من البانثيون ففعل (١) . وكان يوليوس قد بدأ بوضع كشكول أدبي علمي فأسماه الوشاء *Kestoi* وضمنه مسائل طبية وزراعية وعسكرية وسحرية وتنجيمية فجاء في أربع وعشرين باباً . ورأى يوليوس ان يهدي هذا المؤلف الى الأمبراطور فاغتنم فرصة وجود الأمبراطور في انطاكية سنة ٢٣١–٢٣٢ ونهض اليها فقدم هذا المؤلف الى الأمبراطور نفسه . وصنّف يوليوس حوليات في تاريخ العالم *Chronographia* منذ أقدم العصور حتى السنة ٢٢١ أبان فيها قدم التاريخ المقدس وأفضليته على تاريخ اليونان والرومان. وشاع استعمال هذا المؤلف فيما بعد فأخذ عنه افسابيوس وعدد من مؤرخي الروم (٢) . وحرر يوليوس رسائل بحث فيها قصة سوسان

1) *Papyr. Oxyrrh., III, 412; Syncell., I, 676.*
2) *Gelzer, H., Sextus Julius Africanus und die Byzantinische Chronographie, 2 Vols., Leipzig, 1880.*

ونسبة مار يوسف خطيب السيدة العذراء في انجيل متى ولوقا وتوفي حوالي السنة ٢٤٠ (١) .

اوريجانس في انطاكية : وخرّ أرطبان صريعاً في صيسفون في السنة ٢٢٧ فدالت دولة الأراشقة وأسس أردشير دولة ساسانية فتية . واضطر أردشير ان يقضي على من تبقى من الأراشقة في أرمينية فامتد لهيب الحرب الى أرمينية وحدود رومة . وأنذر سويروس الكسندروس زميله الساساني الجديد وذكره بما فعلته رومة بسلفائه الأراشقة فلم تنفع الذكرى . فاضطر الأمبراطور الروماني ان يجيش للقاء هذا الخصم الجديد . فنهض الى انطاكية في السنة ٢٣١ وجعلها قاعدة أعماله . ورافقته والدته يولية مامية فاستقرت في انطاكية مدة من الزمن .

واهتمت والدة الأمبراطور لانتشار النصرانية وعلمت ان علم أعلامها آنئذ كان اوريجانس الاسكندري فأوفدت اليه حراساً امبراطوريين واستقدمته الى انطاكية لتسمع منه شروح بعض المسائل الدينية . ففعل وأقام في انطاكية مدة من الزمن . ويختلف رجال الاختصاص في تعيين الزمن الذي تمت فيه هذه الزيارة . فالاستاذ كاديو يجعلها من حوادث السنة ٢٢٤_٢٢٥ (٢) . اما العلامة بينييه والسيد بيلماير فانهما يتفقان في جعلها من حوادث السنة ٢٣٢ (٣) . ويجب ألا يغيب عن البال ان افسابيوس الذي ينفرد في رواية هذا الخبر (٤) لا يقول ان يولية هذه كانت مسيحية ولا انها تنصرت بعد هذه المقابلة . ولا يخفى ايضاً انحاكم العربية ولعله *Furnius Julianus* كان قد استدعى اوريجانس الى بصرى ليتحدث اليه في « بعض امور » منذ السنة ٢١٤_٢١٥ وان اوريجانس كان قد لبى الطلب (٥) .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 31; Viellefond, J. R., Jules Africain, Fragments des Cestes, Paris, 1932; Mann, E., Jules Africain, Dict. Théol. Chrét.; Reichardt, N., Die Briefe Julius Africanns, Leipzig, 1909.*
2) *Cadiou, R., La Jeunesse d'Origène 334-338.*
3) *Besnier, M., Empire Romain, 104, n. 334; Bihlmeyer, K., op. cit., 138-149.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 21.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 19.*

مكتبة اوروشليم : وكانت ام الكنائس قد خصت رئاستها بأقرباء السيد في الجسد وبغيرهم ممن كان من أصل يهودي . فلما أوقد اليهود نار الثورة سنة ١٣٢ وتشردوا كما سبق وأشرنا أخذت ام الكنائس تختار لرئاستها أساقفة من الأمم . وكان مرقس الاسقف الاول من هؤلاء والسادس عشر بعد يعقوب أخي الرب . وفي السنة ١٨٥ رقي السدة الرسولية الاوروشليمية نرقيسوس القديس *Narxissos* الذي تشرف بفعل المعجزات . وعمر نرقيسوس طويلا (١٠٠_٢١٦) . ولما لم يعد يستطيع القيام بأعباء وظيفته لتقدمه في السن دعت عناية الله الكسندروس اسقف قيصرية قبدوقية لزيارة الأماكن المقدسة في السنة ٢١٢ . وكان الكسندروس هذا قد درس على بنطينس واقليمس الاسكندريين وجاهد في سبيل الدين . فما ان علم المسيحيون بقدومه حتى ألحوا عليه بالبقاء بينهم وتولي شؤون كنيستهم . واشترك مسيحيو الكنائس المجاورة في هذا الالحاح فقبل الكسندروس وساس كنيسة اوروشليم تسعاً وثلاثين سنة (٢١٢_٢٥١) . وأفضل ما يذكر له بعد تمسكه باهداب الدين القويم وقيامه بالواجب الرعائي اهتمامه بانشاء مكتبة في اوروشليم تجمع أهم ما صنف في الدين المسيحي وأثمن ما تبودل من رسائل في مشاكل الكنيسة واحتياجاتها في ذلك العصر . وقد تسنى لأفسابيوس المؤرخ ان يستعين بهذه المجموعة القيمة عندما صمم على تدوين تاريخ الكنيسة (١) . ويجمع العلماء الباحثون على ان هذه المكتبة هي أقدم مكاتب النصرانية (٢) . ومما يذكر لهذا الاسقف التقي الفاضل اهتمامه في تشجيع الحج الى الأماكن المقدسة وما كان للحج من أثر في تقريب القلوب وتوحيد الصفوف (٣) .

مدرسة قيصرية فلسطين : وكان ما كان من أمر الاضطهاد الذي أمر به كركلا في السنة ٢١٥ _ ٢١٦ . ففرّ اوريجانس العالم من الاسكندرية والتجأ الى قيصرية فلسطين . فرحب به اسقفها ثيوكتيستوس *Theoctistos* واسقف

1) *Eusèbe, Hist Ecc., VI, 11, 20.*
2) *Ghellinck, J. de, Patristique et Moyen Age, II, 259 - 261; Wendel, C., Bibliothek, Reallexicon fur Antike und christentum, II, 247-248.*
3) *Abel, F. M., Hist. de la Palestine, II, 185.*

اوروشليم صديقه ورفيقه في التلمذة الكسندروس وطلبا اليه مع غيرهما من أساقفة فلسطين ان يفسر الأسفار المقدســة لجمهور المؤمنين . ففعل وعلم وأرشد . فغضب ديمتريوس اسقف الاسكندرية وكتب يؤنب زملاءه في فلسطــين لخروجهم عن العرف المألوف وسماحهم لرجــل علماني ان يعلم في الكنيسة . وأمر ديمتريوس اوريجانس بالعودة الى الاسكندرية فعــاد اليها وواظب على التعليم والتأليف من السنة ٢١٧ حتى السنة ٢٣٠ (١). ثم قام الى أخائيــة في بلاد اليونان للفصل في اختلاف نظري بين بعض المسيحيين . ومرّ بقيصرية فلسطين فاحتفل اسقفها واسقف اوروشليم بسيامته قساً . فغاظ ذلك ديمتريوس فأسقطه من وظيفة التعليم. وفي السنة ٢٣١ استقدمته مامية والدة الأمبراطور الى انطاكية. فلما انتهى من عمله فيها عاد الى قيصرية فلسطــين واستقر فيها . فنشأت حوله مدرسة لاهوتية اشتهرت بأساتذتها وطلابها فزادت النصرانية في فلسطــين وما جاورهـــا ايماناً وازدهاراً . وأشهر من قرأ على اوريجانس في قيصرية غريغوريوس العجائبي وأخوه أثينودوروس وفرميليانوس القبدوقي (٢). وتابع اوريجانس ابحاثه في تحري النصوص المقدســة والتعليق عليها وفي الدفاع عن الايمان القويم . ومن افيد ما دبّج يراعه في قيصرية عظاته وارشاداته . فانها تلقي ضوءاً واضحاً على حالة الكنيسة في النصف الاول من القرن الثاني (٣) .

يوليوس مكسيمينوس : (٢٣٥ـ٢٦٨) وفي آخر السنة ٢٣٤ نهض سويروس الكسندروس الى غاليـــة وعبر الرين على جسر من القوارب ليحارب البرابرة . ولكنه بدأ يفاوض هؤلاء مفاوضة بدلا من محاربتهم فغضب الجنـــد لكرامتهم ولم يرضوا عن التفاوض ونسبوا هـــذا الضعف والتقاعس في السياسة الى والدة الأمبراطور التي كانت ترافقه في جبهة القتال . وكانوا قـــد أحبوا مدربهم *Julius Verus Maximinus* لشجاعته وكرمه فعرضوا الأمبراطورية عليه فرفض أولا ثم قبــل فنادوا به أمبراطوراً وانقضوا على سويروس الكسندروس ووالدته وقتلوهما .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 19.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 27; Patrologia Graeca, Vol. 10 Col. 1049 - 1105.*
3) *Bardy, G., Origine, Dict. Theol. Chret., Daniélou, J., Origène, Paris, 1949, Cadiou, R., Jeunesse d'Origène.*

وشكا مكسيمينوس من مركب نقص في نفسه فشعر ان سلفـــه كان أعلم منه وأشرف فخشي سوء العاقبة واضطهد حاشية سويروس فنكل بهم تنكيلا . وبما ان سويروس عطف على المسيحيـــين وألحق عدداً منهم بخدمتـــه فان مكسيمينوس اضطهد النصارى وخصّ رؤساءهم بعذاب أليم (١) . وكأنه قصد بتهجمه على الرؤساء ان ينفـــذ الأحكام التي كان قد أصدرها سبتيميوس سويروس منذراً ان التبشير بالنصرانية أمر غير شرعي (٢) . فأبعد عن رومة الى سردينية اسقف رومة بونتيانوس وعالم كنيستها هيبوليتوس . وأمر الأمبراطور الجديد بالقاء القبض في قيصرية فلسطين على الشماس امبروسيوس يد اوريجانس اليمنى وعلى الأب بروتيكتيتوس . اما اوريجانس نفسه فانه ظل حراً طليقاً فيما يظهر لأن تلميـــذه الشهير غريغوريوس المشار اليه آنفاً يفيد في خطابه الذي دبجه في السنة ٢٣٨ انه تابع دروسه على استاذه اوريجانس خمس سنوات متتالية بدون انقطاع (٣) . ولا نعلم شيئاً عما جرى لأسقف انطاكية زيبنوس *Zebennos* (٢٣١ـ٢٣٨) ولكن مراجعنا الأولية لا تشير الى اضطهاده او استشهاده . وقل الأمر نفسه عن سائر أساقفة سورية وفلسطين . ويرى العلامـــة المؤرخ موريس بينيه ان قصر عهد الأمبراطور مكسيمينوس وعـــدم مطاوعة عماله له أديا الى تخفيف وطأة الاضطهاد وتقصيره (٤) .

غورديانوس الثالث وفيليبوس العربي : (٢٣٨ — ٢٤٩) وأثقـــل مكسيمينوس كاهل الأهلين بالضرائب وأصغى عماله بسهولة فائقة الحـــد الى الوشاة وصادروا املاك الأغنياء وكنوز الهياكل فأثاروا بذلك استيـــاء الجماهير وغضبهم (٥) . فأعلن جنود أفريقيـــة في السنة ٢٣٧ غورديانوس الأول امبراطوراً . وكان هـــذا من اشراف رومة وقد ناهز الثمانين فأشرك ابنـــه

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 28; Allard, P., Hist. des Perséc., 210-227; Neumann, K. J., Die Rom. Staat, I, 210-230, 317-318.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 28.*
3) *Zeiller, J., L'Eglise et l'Etat Romain, Fliche et Martin, II, 120, n. 3.*
4) *Besnier, M., Emp. Rom., 145.*
5) *Herodian., VII, 3, 5 ; Ps. Aristid. Or. XXV, 16, 21, 30.*

غوردیانوس الثاني في الحكم معه . وقاومهما والي موريتانيـــة (الجزائر) فسقط غورديانوس الثاني في ميدان القتال وانتحر والده العجوز . وثار جنود مكسيمينوس في وجهه فقتلوه في أثناء حصار اكويلية في ولاية البندقية . وتدخـــل مجلس الشيوخ فانتخب بوبيانوس *Pupienus* وبلبينوس *Balbinus* فغورديانوس الثالث (٢٣٨ ــ ٢٤٤) حفيد الأول نزولا عند رغبة الشعب (١) . وكان غورديانوس الثالث لايزال في الثالثـــة عشرة من عمره فاضطر أن يرضي جنود الشرق فأشرك فيليبوس العربي معه في الحكم في السنة ٢٤٣ . ثم خر صريعاً في السنة ٢٤٤ بيـــد قائد الحرس فاستأثر فيليبوس بالسلطة (٢٤٤ـــ٢٤٩) (٢) .

فيليبوس والنصارى : ولد فيليبوس *Julins Philippus* في حوران في اوائل القرن الثالث من ابوين حورانيين من رتبة فارس (٣). ولا صحة للقول بأنه تحدر من أصل وضيع او ان والده كان زعيم عصابة من اللصوص (٤) . ولا نعلم شيئاً عن حداثته او عن سيرته قبل الحرب الفارسية في عهد غورديانوس الثالث ويتضح من النصوص الباقية انه كان قد توصل عند نشوب هذه الحرب الى رتبة قائد وانه كان قد تمكن على الرغم من بُعده عن رومـــة من الاتصال بمجلس شيوخها ومن استرضائهم . ومـا ان توصل الى دست الحكم حتى خفف الضرائب عن كاهل الأهلين وأبعد عن شخصه الوشاة والجواسيس ونهج نهج الامبراطور المثالي مستمسكاً بالفضائل الرواقية مثبتاً انه سيد جنوده لا رقيقهم (٥) .

ولا يختلف اثنان فيما نعلم في ان فيليبوس العربي عطف على النصارى ولم ينفذ في حقهم القوانـــين السارية المفعول . ومما لا شك فيـــه ايضاً ان فيليبوس وظّف المسيحيين وجعل من بعض اساقفة افريقية ولاة امبراطوريين (٦) .

1) *Herodian., VII, 4-10 ; Hist. Aug., Maximinus, 19, Gordianus 1-14 ; Sommer, A., Ereignisse des Jahres 238; Homo, L., Rev. Hist., 1919, II, 209-264, III, 1 - 38.*
2) *Muller, J., Antonio Gordiano III ; Stein, « Julius », Real Encyc., X, 755 - 770.*
3) *Corpus Insc. Lat., III, 14149, VI, 1638; Insc. Graec. ad res Rom. Pert., III, 1033 ; Prentice, W. K., Amer. Arch. Exp. to Syria, 1899 - 1900, 131.*
4) *Aurelius Victor, Epit., 28, 4.*
5) *Ps. Aristid. Or. XXXV, 16, 21, 30.*
6) *Cyprian., De Laps., 3.*

فيليبوس والقديس بابولا : وهل يجوز أن نذهب الى أبعد من هـــذا فنقول مع القديس ايرونيموس واوروسيوس ان فيليبوس كان أول الأباطرة النصارى (١) ، ونقول مع الذهبي الفم ان فيليبوس الأمبراطور خضع للتكفير الذي فرضه عليه القديس بابولا اسقف انطاكية (٢٣٨ـــ٢٥٠) فوقف في كنيسة انطاكية مع الموعوظين هو وزوجته الأمبراطورة لأنه كان قد اتهم بمقتـــل غورديانوس الثالث (٢) ؟

وفي الاجابة عن هذا نقول ان النصرانية كانت قـــد انتشرت انتشاراً واسعاً في حوران قبيل ايام فيليبوس وان افسابيوس الذي حفظ لنا هـــذا الخبر ولد في السنة ٢٦٥ وسيم أسقفاً على قيصرية فلسطين في السنة ٣١٣ وعرف الرسائل التي وجهها اوريجانس الى فيليبوس وزوجته اوتا كيلية *Otacilia* وان يوحنـــا الذهبي الفم كان ابن انطاكية وان ما سمعه فيها عن القديس بابولا نقل اليـــه في النصف الثاني من القرن الرابع وانه يجوز والحالة هذه ان يكون فيليبوس قد تقبل النصرانية في حداثته ولم يتظاهر بها عملا بالتقية الشائعـــة في أوساط النصارى في ذلك العهد . ولا نرى مبرراً للأخذ برواية ثيودوريطس مع العلامة غوستاف بردي والقول ان الذي فُرض عليه التكفير ووقف مع الموعوظين هو ثيودوسيوس لا فيليبوس (٣) . وأشهر من اعترض على صحة هـــذه الرواية المؤرخ الالماني نومان (٤) .

★

1) *Hieron., Vir. Illustrib., 54 ; Orosius, Hist . adv. Paganos, VII, 20 ; Acta Sanct., Mai, III, 277.*
2) *Chrysostomos, Oratio in S. Babylas, 6.*
3) *Eusèbe de Césarée, Traduction par Gustave Bardy, Paris, 1955, II, 136, n. 2 ; Zeiller, J., l'Eglise et l'Etat, op. cit., II, 121 - 122.*
4) *Neumann, K. J., Romische Staat, I, 245 - 250.*

الفصل التاسع

الأضطهادات الكبرى

٢٤٩ — ٢٨٥

الامبراطور داقيوس والنصارى : (٢٤٩ـ٢٥١) وقدر الرومان فيليبوس العربي حق قدره ورأوا في شخصه حاكماً عاقلاً رزيناً أحب رومة وأخلص لها وحافظ على تقاليدها . ولكن حدة المناظرة والمشادة بين جيوش الشرق وجيوش الغرب دفعت هؤلاء الى المنـــاداة بقائدهم *Messius Traianus Decius* امبراطوراً لدى نجاحه في ابعاد البرابرة القوط عن الدانوب . وكان ما كان من أمر القتال بين فيليبوس وبين داقيوس بالقرب من فيرونة في ايطاليـــة فدارت الدائرة على الأول وسقط في الميدان مقاتلاً (١) .

وبوصول داقيوس الى منصة الحكم دخلت الكنيسة في دور جديـــد من حيث علاقاتها بالدولة الرومانية . فداقيوس اقتدى بتريانوس وحمل اسمه فأحب ان يعود برومـــة الى ما كانت عليه في أيام عزهـــا . واستمسك بدين الآباء والأجداد فأعلنها حرباً لا هوادة فيها على من آمن بيسوع اكليروساً وشعباً . وقد مرّ بنا ان الأباطرة السابقين اعتـــبروا الدين المسيحي ديناً غير شرعي واكتفوا أولا بالنظر في الحوادث لدى ظهورها ثم منعوا التبشير واتخذوا بعض الاجراءات ضد من اشتهر في اجتذاب الناس الى الكنيسة . اما داقيوس فانه جعـــل السلطة المركزية في الدولة تأخذ قمع النصرانية على عاتقها فتتخذ اجراءات معينة للتفتيش عن النصارى ومجازاتهم في جميع أطراف الدولة .

مرسوم التحريم : (٢٥٠) وقد ضـــاع نص المرسوم الذي حرّم به

1) Besnier, M., *Emp. Rom.*, 154 - 155.

داقيوس القول بالنصرانية . وادعاء بيدون *Bedon* في السنة ١٦٦٤ بأنه عثر على هذا النص هو ادعاء باطل (١) . فرجال الاختصاص يجمعون اليوم على ان نص بيدون نص مزور وان بيدون نفسه زوره بيده (٢) . وعلى الرغم من ضياع هذا النص فان العلماء الباحثين قد تمكنوا باجتهادهم من معرفـــة مضمون النص أو مؤداه . فديونيسيوس الاسكندري يقول ان المرسوم كان مخيفاً وانه أوقع بكبار الرجال (٣) . واوريجانس يرى فيه محاولة لمحو اسم يسوع (٤) . وممـــا نقله غريغوريوس النيسي ان هذا المرسوم الامبراطوري قضى بتعذيب المؤمنـــين لارجاعهم الى عبادة الشياطين (٥) . ويفيـــد القديس كبريانوس الافريقي ان الحكومة الرومانية ألفت لجاناً محلية لتنفيذ الارادة السنيـــة وارغام المسيحيين على عبادة الآلهة وتقديم البخور والخمر لها وتناول اللحم المقدس (٦) . وقـــد أثبتت آثار مصر ما جاء في هذه النصوص . فان اعمال التنقيب في وادي النيل في القرن الماضي اتحفتنا بما لا يقل عن اربعين وثيقة بردية تعود الى شهري حزيران وتموز من السنة ٢٥٠ وتنص على ان حامليها ما برحوا يخدمون الآلهة ويقدمون البخور والخمر لها ويشتركون في تناول اللحم المقدس وانهم يستحقون نيل الشهادة بذلك من « اعضاء اللجنة » (٧) .

تنفيذ التحريم : وألفت اللجان وبدأت اعمالهـــا في منتصف السنة ٢٥٠ فطلبت الى جميع المواطنين ان يتقدموا من الآلهة بالسجود والإكرام . فامتنع معظم المسيحيين فحلّ بهم العقاب . وارتد بعضهم ثم عادوا فاهتدوا . ودام العذاب سنة كاملة .

استشهاد بابولا اسقف انطاكية : وجُـــلد بابولا *Babylas* أسقف

1) Bedon, B., *Decii Imp. Edictum adversus Christianos*, Toulouse, 1664.
2) Besnier, S., *op. cit.*, 160, n. 101.
3) Eusèbe, *Hist. Ecc.*, VI, 41.
4) Origène, *Homel. IX, in Josuam.*
5) Greg. Nyss., *vit. Greg. Thaumat.*, *Pat. Gr.*, Vol. 45, Col. 943.
6) Cyprian., *Epist.*, 43, 49, 67, *De Laps.* 8.
7) Leclercq, N., *Dèce*, *Dict. Arch. Chrét.* ; Schoenaich, G., *Die Libelli und ihre Bedeutung.*

انطاكية وسجن وأوثق بالأصفاد في عنقه وبالقيود في رجليــه . وحُبس معه ثلاثة أخوة صغار كان بابولا يلقنهم الدين القويم . وأوصى بابولا قبل انطلاق نفسه بدفن هذه الأصفاد والقيود معه . وهنالك اختلاف في كيفية وفاة بابولا فأما أن يكون قد حُزّ رأسه حزاً مع الفتيان الثلاثة (١) او ان يكون قد توفي في السجن من جراء العذاب (٢) . وبُني على اسمه كنيسة حوت ضريحه .

عذاب الكسندروس اسقف اوروشليم : ومثــل الكسندروس أسقف اوروشليم امام حاكم قيصرية فلسطين فأعلن تعلقــه بالسيد المخلص فسجن وذاق الواناً من العذاب ثم توفي سجيناً . وكان قــد سبق له ان نادى باسم يسوع في عهد سبتيموس سويروس (٣) .

دور اوريجانس العظيم : وكان من الطبيعي جداً ان يشمل أحصاء داقيوس كوكب النصرانية اوريجانس العظيم . فقد جــاء في تاريخ الكنيسة لأفسابيوس ان ابليس هاجم عدداً كبيراً من الأتقياء الأبرار ولكنه جرّد كل ما لديه من قوى لمحاربة اوريجانس . فحكمت السلطات عليــه بالحبس فقُيد بالاغلال وزُجّ في أظلم السجون وكوُي بالحديــد الحامي وفُحج حتى الدرجة الرابعة (٤) . فأذاقه اعترافه بالإيمان عذاباً أليماً طويلاً أنهك قواه . واضطر داقيوس ان يعــود الى جبهة الدانوب فخفت وطــأة الأضطهاد وأفرج عن اوريجانس فأمّ مدينة صور وتوفي فيها في التاسعة والستين من عمره وفي السنة ٢٥٣ ودفن فيها فاستحق ضريحاً جليلاً بقي مــدة طويلة من الزمن يلفت انظار السياح وأبناء السبيل (٥) .

القديس خريستوفوروس : وجــاءَ في التقليد في سير القديسين ان خريستوفوروس الذي كان قد تقبّل النعمة على يد بابولا أسقف انطاكية ونال شهرة واسعة في التدين والورع والتقوى لقي حتفه في عهد داقيوس في اقليم ليقية

1) *Chrysostomos, De Sancta Babyla.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 39.*
3) *Ibid., VI, 39, 46.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 39 ; Le Blant, Rev. Arch., (1889), XIII, 148 ff.*
5) *Photius, Biblioth., 118.*

في جنوبي آسية الصغرى . فجلد بقضبان من حديد حتى تناثر لحمه واستحم بدمه ثم طرح في لهيب النيران . ولما نجا منها عُرّض لسهام الجنود فــلم يمث فجزّ رأسه جزاً .

غالاكتيون وزوجته : وفي حمص القي القبض على غالاكتيون وزوجته ابستيمي فجــلدا ثم قطعت أيديهــا وأرجلها ولكنها لم ينكرا يسوع فقُطّعت هامتاهما ففازا باكليل الشهادة .

الامبراطور غالوس والطاعون : (٢٥١ـ٢٥٣) وعاد القوط الى البلقان وعبروا الدانوب واتجهوا نحو فيليبوبوليس (٢٥٠) فاضطر داقيوس أن يصمد في وجههم ويردهم فسقط في ميدان القتال (٢٥١) عند مصب الدانوب . فنــادى الجنود بغالوس *Vibius Tribonianus Gallus* امبراطوراً وقبــلوا بهوستليانوس *Hostilianus* ابن داقيوس شريكاً له في الحكم . فصالح غالوس القوط وعــاد مسرعاً الى رومة ليدبر امورها .

وانتشر وباء في حوض المتوسط في أواخر السنــة ٢٥١ ولعله الطاعون فاجتاح الامبراطورية من اقصاها الى اقصاها وجرف عدداً كبيراً من الضحايا . ورأى الوثنيون في هذا كله مظهراً من مظاهر غضب الآلهة لانتشار النصرانيــة فطالبوا بالعودة الى الأضطهاد . فتلت مأساة اخرى أدت الى استشهاد عــدد من المسيحيين في رومة وفي ولاية افريقية وفي الاسكندرية (١) .

الأمبراطور فاليريانوس : (٢٥٣ـ٢٦٠) وفي السنة ٢٥٣ عــبر القوط الدانوب مرة اخرى فردهم حاكم ميسية اميليوس اميليانوس *Aemilius Aemilianus* وأوقع بهم خسارة فادحة فاستكبر الجنود عمله ونادوا به امبراطوراً . وحذا حذوهم جنود الشرق كله . فاستنجد غالوس بقائــد قوات نهر الرين ليكينيوس فاليريانوس *Licinus Valerianus* . وما ان علم جنود هذا بواقع الحال حتى نادوا به أيضاً امبراطوراً . فالتقت في ايطالية جيوش متعادية ثلاثة . فانتصر اميليانوس على غالوس في أواخر ايار وقضى عليه . وبعد ذلك بثلاثة أشهر خرّ اميليانوس

1) *Allard, P., Les Dernières Persécutions du IIIe Siècle, Ch. I.*

نفسه صريعاً بخناجر جنوده . وكثرت مشاكل الدولة وتشعبت فوكل فاليريانوس الاشراف على حدود الرين وما جاورها الى ابنه غاليانوس *Gallianus* ونهض هو على رأس جيوشه الى الشرق لينظر في شؤونه ويدرأ خطر الفرس (١) .

وكانت هيبة رومة قد ضاعت في الشرق وكثرت تعديات القبائل العربية في بادية سورية . فلجأ داقيوس في أوائل عهده الى حيلة غريبة يدرأ بها خطر هذه القبائل . فاستقدم عدداً من الأسود واللبوات من افريقية وأطلقها في بادية الشام تهدد القبائل بفناء جمالهم وسائر ماشيتهم (٢) .

وكان غالوس لا يزال في قيد الحياة (٢٥٣) عندما زحف شابور الساساني على ارمينية والجزيرة وسورية الشمالية ودخل انطاكية مخرّباً محرقاً سابياً . ولولا حزم امير حمص وكاهنها الأعظم اورانيوس انطونينوس *Uranius Antoninus* وصموده في وجه الفرس لانتشر هؤلاء في طول البلاد وعرضها .

وعلى الرغم من تقدم فاليريانوس في السن وكان قد ناهز السبعين فانه ما كاد يستولي على عرش الأباطرة حتى أدرك حراجة الموقف في الشرق فاستعاد انطاكية في السنة ٢٥٤ ونهض بجنوده في السنة التالية فجعل سميساط قاعدة لأعماله الحربية . ولكن خوفه من مطامع كبار القادة أدى الى الاستعاضة عنهم بضباط عاديين فتمكن هورمزد ابن شابور من اختراق الحدود عند الصالحية *Doura Europos* والتوغل في سورية الشمالية . وتألبت العناصر المعارضة على فاليريانوس واتصلت بالأكاسرة فقاد مارياذس *Mariades* أحد أبناء انطاكية الفرس الى مسقط رأسه فدخلوا انطاكية مرة ثالثة في السنة ٢٥٨ واعملوا السيوف في رقاب أهلها ووقع فاليريانوس (٢٦٠) اسيراً في يد شابور (٣) . ولكن مكريانوس *Macrianus* أمين المال تمكن بمعونة حامية الرها من الامتناع في

1) *Besnier, M., Emp. Rom., 170 - 171.*
2) *Chronicon Paschale, Pat. Gr., Vol. 92; Cumont, Fouilles de Doura Europos, LXIII, n. 5 ; Abel, F. M., Croisière autour de la Mer Morte, Rev. Bib., 1932, 252 f.*
3) *Abel, F. M., Hist. de la Palestine, II, 213 - 214.*

سميساط وتدبير هجوم معاكس . وصمد القائد بليستة *Ballista* في وجه شابور في قيليقية وأنزل به خسارة فادحة فاضطر شابور ان يهرول شطر الفرات . وما ان وصل الى هذا النهر حتى أوقع به سبتيميوس اذينة أمير تدمر فاضطر ان يسرع في التراجع تاركاً شيئاً كثيراً من غنائمه (١) .

فاليريانوس والنصارى : (٢٥٧ – ٢٦٠) وسكت فاليريانوس في بدء عهده عن النصارى ولم يلحق بهم أذىً . وكثر عددهم في البلاط وشغل بعضهم وظائف هامة . وتظاهرت سالونينة *Salonina* كنة الأمبراطور بعطفها على النصارى ولعلها تنصرت . وغالى بعض النصارى في مديح الأمبراطور فشبه بلاطه بكنيسة الله (٢) .

ثم أحدق الخطر بالامبراطورية في جميع أطرافها فهجم الأفرنج والألمان على حدودها الغربية وتجرأ القوط في وادي الدانوب وحوض البحر الأسود وثار البربر في افريقية وعبر شابور الفرات وخرق حرمة الدولة . فاضطربت الأوساط الرسمية والشعبية وعزا بعضهم ذلك الى امتناع المسيحيين عن ارضاء الآلهة ورأوا فيهم خطراً داخلياً كبيراً على سلامة الدولة (٣) . وكان مكريانوس يمين الأمبراطور شديد التعلق بالديانات الوثنية الشرقية فأشار فيما يظهر بوجوب التضييق مرة اخرى (٤) واستصدر ارادتين امبراطوريتين الاولى في آب السنة ٢٥٧ والثانية في السنة التالية . فحرّمت الاولى اجراء الطقوس المسيحية وزيارة المدافن وأوجبت على الأساقفة والكهنة والشمامسة ان يقدموا الذبائح لآلهة الأمبراطورية (٥) . ثم تبين للسلطات ان عدد المسيحيين كان أكثر بكثير مما قدروه وان عدداً غير قليل منهم كان من الطبقات العالية . فجاءت الارادة الثانية في السنة ٢٥٨ تفرق

١) ولا بد من الاشارة هنا الى اعادة النظر في ترتيب الوقائع بين السنة ٢٥٣ والسنة ٢٦١ وتعيين تواريخها على ضوء ابحاث العلامة الاستاذ ألفودي في مجلة بيروت . — *Alfodi, Berytus, 1937, 41 ff.*
2) *S. Dionys. d'Alexandrie, Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 10.*
3) *Zeiler, J., Les Grandes Persécutions, Fliche et Martin, op. cit., II, 153.*
4) *Allard, P., Les Dernières Perséc., 36 - 155; Healy, P. J., Valerian Persecutions.*
5) *Acta Procons. Cyprian., I, 1, 8 ; Dionys. op. Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 11.*

بين طبقات اربع من المسيحيين : الأساقفة وسائر الاكليروس واعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والسيدات ورجال البلاط والأملاك السنية . وفرضت هذه الارادة الثانية عقوبة الموت على الاكليروس وعزل الشيوخ والفرسان من مراكزهم ومصادرة املاكهم والحكم عليهم بالاعدام اذا أصروا على القول بالنصرانية . اما السيدات فتصادر املاكهن وينفون وتصادر املاك رجال البلاط ويكرهون على العمل في اراضي الأباطرة مقيدين بالسلاسل (١) . وتتميز هاتان الإرادتان عن غيرهما من الأوامر التي أوجبت الاضطهاد في انها توجبان مصادرة الأملاك ويجوز القول والحالة هذه ان فاليريانوس أراد ان يدافع عن دين الدولة وان يملي خزائنها في آن واحد (٢) .

واستشهد في الغرب من جراء التشريع عدد من الرؤساء اشهرهم سكستوس الثاني اسقف رومة وكبريانوس القرطاجي . ومما يؤسف له ان جميع مصادرنا القديمة خالية من اخبار اضطهاد الرؤساء الأساقفة في سورية وفلسطين . ومع ان افسابيوس يفيدنا ان ديمتريانوس خلف فابيوس في رئاسة كنيسة انطاكية في ما يعادل السنة ٢٥٣ (٣) وان هيليودوروس ترأس كنيسة اللاذقية وان مارينوس كان اسقف صور وثيوقتيستوس *Theoctistos* اسقف قيصرية ومزابانس *Mazabenes* اسقف ايلية أي اوروشليم (٤) فانه لا يذكر شيئاً عن علاقتهم بالسلطات الرومانية . ولا يجوز الاجتهاد في هذا السكوت لأن مراجعنا قليلة ولأنها ليست تواريخ منظمة كاملة . وقد يكون سبب هذا السكوت ان فاليريانوس ووزيره كانا بأشد الحاجة الى السكينة في الداخل ليتمكنا من التفوق على الساسانيين واجلائهم عن الاراضي الرومانية ولا يزال خبر أسر ديمتريانوس اسقف انطاكية ونقله الى فارس غير ثابت . وهنالك اشارة في مصدرين آخرين الى استشهاد اسقفين مرقيونيين لا قيمة سياسية لها نظراً لقلة

1) *Cyprian., Epist., 80.*
2) *Besnier, M., Emp. Rom. 173 ; Zeiller, J., Grandes Persécutions, Fliche et Martin, op. cit., II, 153 - 154.*
3) *Peeters, P., Anal. Boll., 1924, 310 - 314.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 5.*

اهمية المرقيونيين آنئذ (١) . ويعتز افسابيوس بحرارة الايمان التي دفعت ثلاثة من ابناء كنيسته الى الاستشهاد في سبيل السيد المخلص . فهو يقول ان بريسكوس وملكوس والكسندروس خرجوا من مساكنهم في الأرياف وأموا قيصرية فلسطين ومثلوا أمام السلطة فيها متطوعين غير مكرهين فقضوا نحبهم تحت براثن الوحوش (٢) .

وجاء في التقليد ان الحاكم الروماني في انطاكية قبض في السنة ٢٥٨ على الكاهن الانطاكي سبيريكيوس وأمره ان يقدم الذبائح للآلهة فرفض بجرأة ودافع دفاعاً مجيداً عن النصرانية . فصدر أمر الحاكم بضرب عنقه . وفيما هو ذاهب ليلقي حتفه اعترض سبيله صديق قديم اسمه نيقيفوروس وطلب اليه ان يصفح عن الماضي ويغفر له . غير ان الكاهن لم يكترث فرافقه نيقيفوروس الى موضع النطع وكرر رجاءه قائلا : « يا شهيد المسيح سامحني لأني اخطأت اليك » . ولكن سبيريكيوس لم يصفح . فركع نيقيفوروس على قدمي الكاهن والدمع يبلل وجهه واعاد الكرة ولكن سبيريكيوس لم يفه بكلمة واحدة . ثم أمر سبيريكيوس أن يركع لينفذ فيه الحكم فاستولى عليه الخوف وجحد النعمة وقال انه مستعد لتقديم الذبائح للآلهة . وعندئذ صاح نيقيفوروس بالجلادين قائلا : « أنا مسيحي واني اؤمن بالسيد المسيح الذي أنكره هذا فاقتلوني بدلا منه » ، فمات شهيداً !

غاليانوس : (٢٦٠ – ٢٦٨) وكان ليكينيوس اغناطيوس غاليانوس *Licinius Egnatius Gallienus* قد شارك أباه في الحكم منذ السنة ٢٥٣ . فلما وقع والده في يد الفرس أسيراً أحاطت به النكبات والمصائب فاشتدت وطأة الطاعون حتى جرف الناس بالألوف (٣) . وجاءت الزلازل تصدع الأبنية والمساكن في ايطالية وافريقية وآسية (٢٦٢) (٤) . وتمرّد الأرقاء في صقلية (٥) واشتد ضغط البرابرة عند الحدود وكثر عدد الطامعين بالملك . ونادى مكريانوس بابنيه

1) *Epiphanes, Haeres., LXIII, 2 ; De Martyr. Palaest., X, 1.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 12.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 22 ; Zosimus, I, 37.*
4) *Hist. Aug., Gallienus, V, 2 - 4.*
5) *Hist. Aug., IV, 9.*

مكريانوس وكوايتوس قيصرين في الشرق واعترفت بسلطتهما آسيـة وسورية ومصر (٢٦٠) (١) . ثم ازداد طمعه فنهض وابنه البكر الى الغرب ليقضي على غاليانوس ففني بالفشل في التيرية وخر صريعاً (٢٦١) . ورأى غاليانوس أن يستعين بأذينة العربي أمير تدمر فمنحه لقب *Dux* وأمره على جميع جنود رومة في الشرق (٢) . فهب أذينة للكفاح في سبيل غاليانوس فقتل كوايتوس في معركة حمص (٢٦٢) وقضى على حركته ودانت له باسم غاليانوس مصر وسورية وآسية الصغرى . ثم عبر الفرات يحارب الفرس فاكتسح العراق حتى طيسفون وأعاد الحدود الرومانية الى ما كانت عليه في عهد سبتيميوس سويروس (٣) . وفي السنة ٢٦٦ نهض الى آسية الصغرى يطهرها من القوط البرابرة الذين نزلوا اليها من الشمال فاضطرهم الى العودة الى قواربهم بعد خسائر فادحة (٤) . فكافأه غاليانوس بأن منحه لقب امبراطور ولقب *Corrector Orientis* . ثم كان ما كان من أمر أذينة واغتياله فظن غاليانوس ان الفرصة سنحت لفرض سلطته على الشرق مباشرة . فلم يمنح وهبة اللات ابن زنوبية من اذينة الألقاب نفسها التي حملها اذينة . فصمدت زنوبية في وجه الأمبراطور وأكرهته على التراجع (٥) . وعادت المياه الى مجاريها فحكمت زنوبية وابنها باسم غاليانوس كما تدلنا على ذلك المسكوكات التي ضربت في انطاكية .

غاليانوس والنصارى : وأدى ضغط البرابرة في الخارج وطمع الزعماء في الداخل الى اعتدال في سياسة غاليانوس فأمر في السنة ٢٦٠ بوقف الاضطهاد الذي كان قد أوجبه والده . ولا نعلم نص الارادة الامبراطورية بوقف الاضطهاد (٦) ولكننا نقرأ في تاريخ الكنيسة لأفسابيوس ان الأساقفة استغلوا الظرف الجديد فتقدموا من الأمبراطور مطالبين برد الكنائس والمدافن المصادرة اليهم فأجاب الأمبراطور سؤلهم وسمح لهم بمزاولة أعمالهم كما سبق لهم وفعلوا

1) *Hist, Aug., XXX, Tyr., 12 ; Papyr. Oxyrrh., 476.*
2) *Syncell., I, 716 ; Zonaras, XII, 23.*
3) *Hist. Aug., Gallien., XII, 1.*
4) *Syncell., op. cit., I, 716.*
5) *Hist. Aug., XIII, 4-5.*
6) *Zeiller, J., Grandes Persécutions, Fliche et Martin, op. cit., II, 157.*

قبل الاضطهاد (١) .

ثم يتابع افسابيوس فيذكر وصول ديمتريانوس الى اسقفية انطاكية بعد فابيوس (٢٥٣) (٢) ووصول دومنوس الى الأسقفية في قيصرية فلسطين بعد ثيوقتيستوس ووصول هيمينايوس الى اسقفية اوروشليم بعد مزابانس . ويقول انه في عهد هؤلاء أي في السنة ٢٦٢ – ٢٦٣ تمّ استشهاد مارينوس الشريف الغني صاحب الرتبة العالية في الجيش وذلك لمناسبة ترقيته . فانه ما كاد أحد زملائه يعلم بهذه الترقية حتى أعلم السلطات العسكرية بأنه هو أحق من مارينوس بها لأن مارينوس كان نصرانياً . فأحيل مارينوس الى القضاء فمثل أمام آخيوس القاضي في قيصرية فلسطين . فسأله القاضي عن مذهبه فأجاب أنه نصراني . فرفق به القاضي ومهّل حكمه ثلاث ساعات ليعيد مارينوس فيها النظر في أمر معتقده . فلما خرج من قاعة المحاكمة اخذه الأسقف بيده الى الكنيسة ووقف به امام المذبح ثم رفع رداء مارينوس العسكري وامسك بالخنجر باليد الواحدة وتناول الانجيل المقدس باليد الأخرى وقال لمارينوس انتقِ أنت هذا او ذاك . فاستمسك مارينوس بالانجيل فقال الأسقف اذهب بسلام . فعاد مارينوس الى قاعة المحاكمة فحكم عليه بالاعدام (٣) . ومن هنا تحفظ رجال الإختصاص وقولهم ان الاضطهاد لم يقف وقوفاً تاماً كاملاً شاملا ولم يصبح الدين المسيحي ديناً شرعياً *Religio Licita* وانما هدأ الإضطهاد هدوءاً فانتقلت المبادرة في طلب تنفيذ القوانين بحق النصارى من السلطات الى الأفراد كما جرى في حادث مارينوس الضابط الروماني او الى الجماعات (٤) .

ولا يجوز القول ان الفضل في تسامح غاليانوس يعود الى زوجته سالونينة المسيحية لأن نصرانيتها لا تزال في موضع الشك . فالعبارة *Augusta in Pace* التي ترد على نقودها انما تشير الى تعلقها بالالاهة *Pax* (٥) .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 13.*
2) *Chron., 219.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 15; Tillemont, Mémoires, IV, 23; Harnack, Mission und Ausbreitung, II, 584.*
4) *Besnier, M., Emp. Rom., 185 - 186.*
5) *Mowat, R., Centen. Soc. Antiq. de France, 329 - 330.*

الأباطرة الاليريون : (٢٦٨ ـ ٢٨٥) وليس هنالك ما يدل على انقلاب في موقف السلطة من النصارى في عهد كلوديوس الثاني (٢٦٨ ـ ٢٧٠) . والدم الذي أحرق في عهد هذا الامبراطور في رومة وايطالية انما أريق بسبب الجماهير أو مجلس الشيوخ أو وغر الصدور في بعض الأوساط الادارية (١) .

وقال اوريليانوس (٢٧٠ ـ ٢٧٥) بالإله الشمس وأحب ان يجعله دين الدولة الأوحد . ولو فعل لما أبقى على سياسة غاليانوس . ولكنه اغتيل في صيف السنة ٢٧٥ فنجت الكنيسة من محنة كامنة (٢) . ودام الهدوء في عهد خلفائه ولم تتخـذ السلطات أي اجراء « عمومي » من شأنه ان يلحق الأذى بالنصارى . ولكن وقوع بعض الأذى ظل محتماً ما دامت السلطات تعتبر الدين المسيحي ديناً غير شرعي .

القديس اليان الحمصي : وجـاء في التقليد ان إليان الحمصي وثلاثة غيره استشهدوا في عهـد الأمبراطور نوميريانوس *Numerianus* ابن كاروس *Carus* في السنة ٢٨٤ . واليان الشهيد نشأ مسيحياً صالحاً في حمص . فهاله أمر الاضطهاد في بلدته وأحب ان يوآسي المقيدين في سجونهـا وان يجتذب غيرهم الى الدين القويم . فتعلم الطب وزار السجون بصفتـه طبيباً وافتقد « المعترفين » وشجعهم وأوضح للضالين فساد الوثنية واجتهد في اكتسابهم. وقُبض في عهد نوميريانوس في حمص على سلوانس ولوقا الشماس الانجيلي وموكيوس الأناغنسط . وبعـد امتحانهم بشتى أنواع العذاب حكم عليهم بالموت بين مخالب الوحوش الضارية . وفيما هم مساقون الى مدرج حمص ليطرحوا الى الوحوش قابلهم اليان في الطريق وحياهم وعانقهم مقبلاً كل واحد منهم القبلة الأخيرة . فقُبض عليه وامتحن بدوره فثبت في الإيمان بيسوع . فسُمر رأسه ويداه ورجـلاه وزُج في مغارة خارج حمص فتشرف بالإستشهاد معلقاً على صليب وتشبّه بالسيد له المجد في انه قاسى نفس النوع من الآلام . ولا تزال الكنيسة تحيي ذكراه في اليوم السادس من شباط في كل عام .

1) *Zeiller, J., Grandes Persécutions, Fliche et Martin, op. cit, II, 158.*
2) *Besnier, M., Emp. Rom., 261 — 264.*

الفصل العاشر

وهنٌ وضعفٌ وارتدادٌ وانشقاق

وثبت كثيرون في الايمان وداوموا عليه وواظبوا واستشهدوا وتحملو العذاب . ولكن كثيرين ايضاً وهنوا وضعفت قلوبهم فارتدوا وتحولوا الى الوثنية . وتاب بعض هؤلاء ورغبـوا في العودة الى حضن الكنيسة فاختلف الرؤساء في قبولهم . فارتأى بعضهم الشدة ومال آخرون الى الرأفة والرحمـة فتعددت الانشقاقات وتنوعت وطال أمد الاضطراب والقلق .

اضطراب في كنيسة افريقية : وقال بريفاتوس *Privatus* أسقف لامبزه *Lambaesa* قولاً غريباً لا نزال نجهله فحكم عليه مجمع قرطاجي بالهرطقة . واشتد الشغب في كنيسة لامبزه وطال أمده فدام اثني عشرة سنة (٢٣٦ ـ ٢٤٨) أو أكثر .

وفي السنة ٢٤٩ رقي كبريانوس كرسي الأسقفية في قرطاجة . فرضي البعض عنه وعارض آخرون وفي طليعة هؤلاء خمسة من الكهنـة أشهرهم نوفاتوس *Novatus* . وحل اضطهاد داقيوس ففرّ كبريانوس واختبأ . فاستغل نوفاتوس هذا الفرار وطعن في ايمان كبريانوس . وغالى في تكريم « المعترفين » الذين تحملوا شتى الوان العذاب باسم يسوع واعتبرهم أصحاب الحل والربط في أمر مَن رغب في العودة الى الايمان . وكتب الى كنيسة رومة في فرار كبريانوس من وجه السلطات في اثناء الاضطهاد ، وكان ذلك بين وفاة فابيانوس وقبيل ارتقاء كورنيليوس ، فاتخذ مجلس شيوخ كنيسة رومة قراراً أظهر فيه عدم الرضى عن فرار كبريانوس (١) . ودافع كبريانوس عن نفسه فحرر ثلاث عشرة رسالة الى كنيسة رومة أبان فيها الأسباب التي دفعتـه الى الفرار . واعتدل في موقفه من

1) *Inter Cyprianicas, L. 55.*

المرتدين والمعترفين . ولكن نوفاتوس واتباعه ظلوا معاندين واستمروا في تقبيح عمل الأسقف . فدعا كبريانوس في أواخر السنة ٢٥٠ مجمعاً محلياً قطع بواسطته نوفاتوس ومن قال قوله .

انشقاق في كنيسة رومة : وبرح نوفاتوس افريقية وأمَّ رومة فوجد المؤمنين فيها منقسمين على أنفسهم متجادلين في أمر الخلافة بعد فابيانوس فنهم من أيد كورنيليوس ومنهم من فضّل نوفاتيانوس *Novatianus* الكاهن العالم صاحب الرسالة في الثالوث *De Trinitate* (١) . فشد نوفاتوس ازر نوفاتيانوس . فلما نجح كورنيليوس عقد مجمعاً محلياً (٢٥١) أيد به موقف كبريانوس في افريقية! فطعن نوفاتوس ونوفاتيانوس في انتخاب كورنيليوس مدعيين ان كورنيليوس حصل على شهادة في اثناء الاضطهاد تثبت ارتداده أمام السلطات وانه واظب على الاتصال بالمرتدين . ثم استعانا ببعض الأساقفة فساموا نوفاتيانوس أسقفاً على رومة وأصبح لهذه الكنيسة أسقفان في آن واحد (٢). وعرف أتباع نوفاتوس ونوفاتيانوس بال *Cathari* الطهريين لتمسكهم بالطهارة وتطرفهم في أمر المرتدين وعدم قبولهم في عداد المؤمنين (٣) .

انطاكية ورومة : وكتب كل من نوفاتيانوس وكورنيليوس الى كبار الأساقفة في الشرق . فوافق ديونيسيوس أسقف الاسكندرية كورنيليوس في موقفه من الجاحدين العائدين الى التوبة . أما فابيوس أسقف انطاكية (٢٥٠ ـ ٢٥٢) فانه آثر الشدة وقال قول نوفاتيانوس (٤) . وكتب اليه كورنيليوس أكثر من مرة وطعن في ايمان نوفاتيانوس ولكن دون جدوى (٥) . وتدخل ديونيسيوس فكتب الى فابيوس موجباً التروي والاعتدال مستشهداً على صحة ما ذهب اليه بقصة الرجل الشيخ سيرابيون الاسكندري (٦). وظهرت بوادر

1) *Tixeront, Hist. of Dogmas, I, 327; Fausset, W. Y., Novatian's Treatise on the Trinity.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 43.*
3) *Pacianus, L. 3; Cyprianus, LL. 41, 59.*
4) *Duchesne, L., Early Hist. of Christ. Church, 299 - 300.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 43; Nicephorus, VI, 3.*
6) *Eusèbe, Hist. Ecc., 44.*

الشقاق في كنيسة انطاكية حول هذا الموضوع (١) فاضطر فابيوس أن يشاور في الأمر فدعا أساقفة الكرسي الانطاكي الى مجمع يبحث قضية الجاحدين العائدين الى التوبة ويتخذ موقفاً حاسماً من الشقاق الذي دب الى كنيسة رومة وقرطاجة وغيرهما . ولبى الدعوة عدد من الأساقفة الانطاكيين أشهرهم الينوس *Elenos* أسقف طرسوس وفرميليانوس *Firmilianos* القبدوقي وثيوقتستوس *Theoctistos* الفلسطيني (٢) . ورأى الينوس وكان فيما يظهر أقدم الأساقفة الانطاكيين سيامة وأشدهم نفوذاً نظراً لحجم طرسوس وتسلسل البركة فيها من الرسل أنفسهم ، ان اشتراك ديونيسيوس الاسكندري في أعمال المجمع ضروري فخاطبه بهذا المعنى واشترك معه في خطابه هذا الأساقفة المذكورون اعلاه . ونحن لا نرى في نص افسابيوس المؤرخ مايؤيد استنتاج الأب بردي من ان الينوس وأعوانه دعوا الى المجمع لا فابيوس أسقف انطاكية المتقدم بينهم (٣) . فافسابيوس يفيد ان ديونيسيوس الاسكندري كتب الى كورنيليوس الروماني يقول ان الينوس وفرميليانوس وثيوقتستوس دعوه الى « اللقاء في مجمع انطاكية لأن البعض يؤيدون شقاق نوفاتيانوس » ولكنه لا يفيد ان هؤلاء الأساقفة دعوا أنفسهم الى هذا المجمع . ولا يخفى ان قلة المراجع الاولى تقضي بالتروي والاعتدال في الاستنتاج .

المجمع الانطاكي الأول : (٢٥٢) وتوفي فابيوس قبل انعقاد المجمع . واعتذر ديونيسيوس عن الاشتراك في أعمال هذا المجمع الانطاكي نظراً لتقدمه في السن . فجلس الأساقفة الأعضاء وأيدوا كورنيليوس اسقف رومة في موقفه من قضية الجاحدين ونبذوا تعليم نوفاتيانوس (٤) . ولعلهم اشتركوا في سيامة ديمتريانوس الكاهن الانطاكي اسقفاً على انطاكية (٢٥٢ـ٢٦٠) وخلفاً لفابيوس . وهنالك من يشك في أمر انعقاد هذا المجمع بعد وفاة فابيوس وهو قول ضعيف (٥) .

1) *Bardy, G., Paul de Samosate, 214.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 46.*
3) *Bardy, G., Paul de Samosate, 220-221.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 5; Muller, K., Kleine Beitrage zur Alten Kirchengeschichte, Z. D. N. W., 1924, 234.*
5) *Batiffol, La Paix Constantinienne, 92, n. 2.*

معمودية الهراطقة والجاحدين : وكان قد خفّ نشاط الهراطقة منذ نهاية القرن الثاني وبدأ بعضهم يعود الى حضن الكنيسة . فاختلف الأساقفة في معمودية هؤلاء واعترف بعضهم بها وامتنع غيرهم فأوجبوا معمودية ثانية . ودعا اغريبينوس Agrippinus اسقف قرطاجة مجمعاً لهذه الغاية في السنة ٢١٧ وتابعت جلساته فقرر عدم الاعتراف بمعمودية الهراطقة . وجرى مثل هذا في الشرق فعقد فرميليانوس مجمعاً في ايقونية وآخر في سنادة سنة ٢٣٠ فاتخذ قراراً مماثلاً (١) .

ثم ذرّ الشقاق قرنه في رومة فاتخذ نوفاتيانوس موقفاً شديداً وأعاد تعميد التائبين وتعميد من تساهل معهم . وثابر كرنيليوس على تساهل سلفائه فلم يتطلب اعادة التعميد ولكنه لم يتدخل في شؤون أساقفة الشرق وأساقفة افريقية ولم يثر أي جدل حول هذا الموضوع .

وتوفي كرنيليوس في السنة ٢٥٢ وخلفه في كرسي رومة لوقيوس (٢٥٢ ــ ٢٥٣) ثم اسطفانوس . وكان اسطفانوس خشن الجانب فيما يظهر حاد الطبع شديداً فاشتد الخلاف حول معمودية الهراطقة والجاحدين ودخلت الكنيسة الجامعة في أزمة كادت تشقها شقاً . ففي السنة ٢٥٥ أثار ثمانية عشر اسقفاً من أساقفة نوميدية قضية اعادة المعمودية أمام مجمع قرطاجة . فأوجب المجمع التمسك بالتقليد المحلي ونهى عن قبول معمودية الهراطقة والجاحدين (٢) . وبعد ذلك بقليل كتب كبريانوس بالمعنى نفسه في الاجابة عن سؤال وجهه اليه اسقف موري (٣) . وفي خريف السنة ٢٥٥ او ربيع السنة ٢٥٦ أحب كبريانوس ان يجلي هذه القضية جلاء تاماً ويبتها بتاً فكتب الى اسطفانوس مبيناً موقف مجمع قرطاجة موجباً اعادة معمودية الهراطقة والتائبين .

« اننا نرفع هذه الرسالة اليك أيها الأخ الحبيب لتقف على حقيقة الامور

1) *Lebreton, J., Saint Cyprien, Fliche et Martin, op. cit., II, 199 - 200; Cyprien, Epist., LXXV; Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 7.*
2) *Cyprien, Epist., LXX.*
3) *Cyprien, Epist., LXXI.*

رعاية لرتبتنا العامة وكرامتنا المتبادلة وبرهاناً على المحبة الخالصة والشركة . ولنا الثقة بتقواك الحقيقي وايمانك ان كل ما هو صالح وحقيقي يكون حسناً عندك . ونحن نعلم ان بعضاً لا يتخلون أبداً عما يستصوبون من الآراء وانهم لا يغيرون مواقفهم بسهولة وانهم في الوقت الذي يحافظون فيه على علاقاتهم السلمية مع رفقائهم يصرون على ما ذهبوا اليه ويعاندون . ونحن لا نريد ان نرغم أحداً على شيء ارغاماً كما اننا لا نرغب في سن الشرائع للغير . فكل رئيس من رؤساء الكنيسة حر ان يدير دفة الادارة كما يرى مناسباً . وهو وحده مسؤول عن أعماله أمام الرب » (١) .

فغضب اسطفانوس وكتب الى أساقفة افريقية موجباً المحافظة على تقاليد رومة الموروثة مكتفياً بوضع الأيدي على التائبين مهدداً بقطع العلاقات . وكان قد ارسل انذاراً مماثلا الى كنائس الشرق الى اساقفة قيليقية وقبدوقية وغلاطية . فدعا كبريانوس الاساقفة الى مجمع في أول ايلول . فلبى الدعوة سبعة وثمانون اسقفاً وقساوسة كثيرون وشمامسة . وأيدوا بقرار جديد موقف افريقية من معمودية الهراطقة والجاحدين . وأكد كبريانوس في جلسات هذا المجمع « ان اختلاف الآراء لا يضر ولا ينافي الاتحاد في الايمان ولا يفك الربط بين الكنائس » (٢) .

موقف كنيسة انطاكية : وتجلى موقف كنيسة انطاكية برسالة طويلة دبجها أشهر احبارها آنئذ فرميليانوس نفسه اسقف قيصرية قبدوقية الذي اشترك في أعمال مجمع انطاكية كما سبق وأشرنا . وكان الداعي لوضع هذه الرسالة ان كبريانوس واساقفة افريقية أوفدوا الى قيصرية قبدوقية الشماس روغاتيانوس *Rogatianus* برسالة الى فرميليانوس أوضحوا فيها موقفهم وموقف اسطفانوس اسقف رومة .

وكان فرميليانوس قد اشتهر بالتقوى والصلاح والفضل والعلم

1) *Cyprien, Epist., LXXII.*
2) *Cyprien, Epist., LXXIV, LXXV.*

والمحافظة على سلامة العقيـــدة . ولكنه كان قد ورث عن استاذه اوريجانس الاسكندري شيئاً من الكره لرومة . وكان قد أخـــذ على اسطفانوس نفسه قلة اهتمامه ببعض الأساقفة الشرقيين الذين أوفدوا اليه (١) . فلما اطلع على الاضبارة التي حملها اليه روغاتيانوس ووجد فيها ما يتفق ومقررات مجمعَي ايقونية وسنادة كتب الى كبريانوس رسالة طويلة باليونانية سدّد بها موقفه وانتقد اسطفانوس انتقاداً لاذعاً . وقد ضاع نصها الأصلي ولم يبق عنه سوى ترجمته الى اللاتينية . ولعل هذه الترجمة هي لكبريانوس نفسه (٢) .

وبعد ان أكد هـــذا القديس الانطاكي « ان بيت الرب بيت واحد » وشكر لاسطفانوس « عتوه » لأنه أتاح له ان يخبر ايمان كبريانوس وحكمتـــه انتقد أسقف رومة في قوله ان الرسل منعوا تعميد الراجعين من الهراطقة مؤكداً ان الهرطقة ظهرت بعـــد الرسل . وبيّن بعد هذا ان الهراطقـــة بانشقاقهم عن كنيسة المسيح خسروا السلطـــة والنعمة اللذين في الكنيسة وان الولادة الروحية بالتالي لا يمكن ان تتم من دون الروح . ثم استطرد الحبر الانطاكي فأشار الى الذين عمدهم يوحنا قبـــل ارسال الروح القدس من الرب عمدهم بولس مرة ثانيـــة بالمعمودية الروحية ووضع عليهم يـــده لينالوا الروح القدس . « فما دام بولس عمّد تلاميذ يوحنا وقد كانوا معمدين منه فكيف نقاوم نحن تعميد القادمين من الهرطقات الى الكنيسة » .

ومما جاء في رسالة فرميليانوس قوله : « علينا ان نسأل مساعدي الهراطقة ما قولهم في معموديتهم أجسدية هي أم روحيـــة ؟ فان كانت جسدية فلا فرق بينها وبين معمودية اليهود وان كانت روحية فكيف يمكن ان تكون معمودية روحية عنـــد الذين ليس لهم الروح القدس . واذا كانت معمودية الهراطقـــة كافية لتمنح الولادة الثانيـــة فالمعمدون من الهراطقة ليسوا هراطقـــة . ولكن

1) *Bardy, G., Paul de Samosate, 220-221; Lebreton, J., Saint Cyprien, Fliche et Martin, op. cit., II, 203; Tillemont, Mémoires, IV.*
2) *Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum, Hartel, W., III, 810-827; Bayard, L., St. Cyprien, Corresp., Paris, 1925.*

اذا كانت عروس المسيح واحدة فمن الواضح ان تكون الكنيسة الجامعـــة هي وحدها التي تلد ابناء لله لا جماعة الهراطقة لأن الزانية والفاسقـــة ليست عروساً ولا تستطيع أن تلد ابناءً لله » .

وتخالف الأحبار وتفرقت كلمتهم وهدد اسطفانوس بقطع العلاقات فأجابه فرميليانوس : « انك قد بذرت خصومات لا تُعـــد ولا تُحصى في كل كنائس المسكونة ويا ليتك تعلم تحت أية خطيئة وضعت نفسك اذ انفصلت عن هؤلاء الناس جميعهم . وانك بعملك هذا لا تفصل عن شركة الاتحاد الكنائسي سوى نفسك فتصبح أنت العاصي » .

تدخل ديونيسيوس الاسكندري : (٢٤٨ — ٢٦٥) وتوفي إسطفانوس اسقف رومة (٢٥٧) قبل ان ينفذ شيئاً من التهديد بقطع العلاقات وحل محـــله سكستوس *Sixtus* « الأسقف الصالح المسالم » (١) وتدخل ديونيسيوس اسقف الاسكندرية مصلحاً فقرب القلوب وعادت العلاقات الودية الى سابق عهدهـــا واتصل اسقف رومة الجديد بكبريانوس وفرميليانوس وغيرهمـــا (٢) . ولكن الخلاف في أمر المعمودية ظل قائماً حتى حكم فيه مجمع نيقية .

فساد الاكليروس : والقرن الثالث من تاريخ الأمبراطورية قرن تفكك وانهيار . ففيه نقصت موارد ايطالية والولايات الغربية وكادت تنضب . وفيـــه دب الفساد الى صفوف الجيش واشتدت مطامع ضباطه وتنوعت . وفيـــه ايضاً تمخضت أواسط آسية فتحركت قبائل روسية وأواسط اوروبة وارتطمت فضغطت ضغطاً متزايداً على حدود رومة عند الرين والدانوب . وفيه كذلك قدر لفارس ان تتطور فاستلمت أزمة الحكم فيها اسرة نشيطة قوية حاولت ان تستغل ضعف رومة عبر الفرات .

وكان قد تزايد عدد المسيحيين تزايداً ملموساً فأصبحوا في انطاكية وحدها

1) *Pontius, Vita Cypriani, XIV.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 5; Lebreton, J., S. Cyprien, Fliche et Martin, op. cit., II, 204, 209, 323 - 324; Duchesne, L., Early Hist., op. cit., 310 - 311.*

في القرن الثالث الذي نحن بصدده مئة الف (١) . وأضحوا في عرف الذهبي الفم في القرن الرابع مئتي الف (٢) . فاضطر بعض الحكام في بعض الأحيـــان الى استرضاء زعمـــاء النصارى ورؤسائهم فأصغوا الى آرائهم وأسندوا اليهم بعض الوظائف فأكسبوهم هيبة ونفوذاً (٣) . فأدى هذا كله الى تهافت الرجال على صفوف الكهنوت ووصول من لا مطلب له سوى المال والنفوذ الى بعض المناصب الاكليريكية العالية . ومن هنا قول افسابيوس المؤرخ : « ان هؤلاء الذين يتظاهرون انهم رعاتنـــا قد استخفوا بقواعد الدين وتلهبوا حسداً ولم يتقدموا في شيء سوى المجادلة والمنازعـــة والمناظرة والمشاغبـــة والمباغضة » (٤) . ومن هنا ايضاً قول اوريجانس العظيم ان بعض الأساقفة يردون من يقودون عن مملكة الله ويحرمون بدافع الحسد والغضب مؤمنين أفضـــل منهم (٥) . ومن هنـــا كذلك افتخار ديونيسيوس الاسكندري بأنه ترفع فاحتقر مدح الحكام له واغراء أعضاء مجلس الشيوخ(٦) .

ولم ينحصر هذا الفساد في الاوساط الاكليريكية الشرقية . فان كبريانوس يسمعنا النغمة نفسها عندما يقول ان عـــدداً كبيراً من اساقفته احتقروا السماويات فأهملوها ليتفرغوا للأمور البشرية وانهم تركوا الوعظ والارشاد وابتعـــدوا عن رعاياهم ليجوبوا الولايات النائية طالبين المـــال غير مبالين بالربى وبالطرق المعوجة التي سلكوها للحصول عليه (٧) .

ديمتريانوس أسقف انطاكية : (٢٥٣ ـــ ٢٦٠) ونكاد لا نعلم شيئاً عن أسقفية ديمتريانوس خلف فابيوس . وليس بامكاننا ان نبت في زمن بدايتهـــا ونهايتها . ويرى العلامة هارنك الألماني ان ديمتريانوس رقي الكرسي الرسولي قبل

1) *Harnack, A., Mission und Ausbereitung, II, 669; Leclercq, H., Antioche, Dict. d'Arch. Chrét.*
2) *Chrysostomos, J., Hom. in S. Ignat., 4, P. G., Vol. 591.*
3) *Bardy, G., Paul de Samosate, 260 - 261.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VIII, 1.*
5) *Origenes, In Math. Comment., Series 14, Pat. Gr., Vol. 13. Col. 1620.*
6) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 11, 18.*
7) *Cyprianus, De Lapsis, 6.*

حزيران السنة ٢٥٣ (١) . وجـــاء في خرونوغرافية نيقيفوروس ان أسقفية ديمتريانوس دامت اربع سنوات فقط (٢) . وجـــاء في خرونيقون افسابيوس انها كانت سبع سنوات . وجاء ايضاً في التقليد لبعض المتأخرين ان ديمتريانوس نُفي الى فارس وتوفيّ فيهـــا (٣) . وهو قول ضعيف لا يمكن الاعتماد عليـــه نظراً لتأخر الزمن الذي دُون فيه فانه لا يرد قبل القرن الثاني عشر (٤) . واستعداد هارنك لقبول هـــذا القول على أساس تآلفه مع الحوادث الراهنة (٥) لا تقره قواعد المصطلح . فالحقائق التاريخية لا تثبت بمرد تآلفها مع غيرها من الحوادث . وقل الأمر نفسه عن موقف العلامة الأب بردي من هـــذه الرواية (٦) . وجل ما يجيزه المصطلح هو القول لا ندري . وان لا أدري لمن العلم !

ومما جاء في التقليد ايضاً ان ديمتريانوس استشهد (٧) ولكن هذا القول يشكو من وروده متأخراً ويتنافى وسكوت القرار الذي اتخذه مجمع انطاكية الثاني عند ذكر سلف بولس السميساطي . فديمتريانوس في عرف أعضاء هذا المجمع رجل « مطوب الذكر يستحق الثناء لنجاحه في ادارة الكنيسة » .

زينب التدمرية وكنيسة انطاكية : وغُلب الامبراطور ووقع في الاسر ونقل الى فارس (٢٦٠) كما سبق ان أشرنا . وارتطمت الدولة الرومانية . وقدر لاذينة صاحب تدمر ان يثبت مقدرته في الحرب والسياسة فجعله غاليانوس امبراطوراً على جميع الولايات الشرقية (٨) ثم اغتاله أحد أنسبائه فتولى الحكم بعده وهبة اللات ابنه لزوجته زينب الشهيرة . ولما كان وهبة اللات لا يزال ولداً قاصراً تولت الحكم باسمه والدته زينب . واتسع سلطانها في هذه الحقبة التي نحن في صددها حتى شمل جميع سورية ولبنان وفلسطين ومصر وقسماً من آسية الصغرى . وتطورت

1) *Harnack, A., Die Chronologie, I, 215.*
2) *Nicephorus, Chronographia, I, 782, (Ed. Dindorf).*
3) *Scher, Chronique de Séert, IV, 222; Baumstark, A., Gesch. der Syrischen Lit., 6.*
4) *Bardy, G., Paul de Samosate, 124, 241 - 242.*
5) *Harnack, A., Mission und Ausbreitung, II, 666, n. 3.*
6) *Bardy, G., Paul de Samosate, 242.*
7) *Blasius Terzi, Syria Sacra, I, 33.*
8) *Trebellius Pollion, Trig. Tyrann., 15, 5.*

علاقات تدمر مع رومة فأعلنت زينب استقلالها في منتصف السنة ٢٧١ واتخذت لابنهـا لقب اوغوسطوس بالاضافة الى لقب امبراطور . وهرع اوريليانوس الأمبراطور الروماني الى قتال زينب فتمكن من اذلالها والدخول الى عاصمتهـا واقتيادها الى رومة اسيرة في اواخر هـذه السنة نفسها (١) . وهكذا فتكون الفترة التي ساد فيها نفوذ تدمر هي الفترة نفسها التي تولى فيها بولس السميساطي اسقفية انطاكية .

بولس السميساطي اسقف انطاكية : (٢٦٠ – ٢٦٨) ولا نعلم شيئـاً عن أصل هذا الاسقف سوى اسم المدينة سميساط التي انتمى اليهـا (٢) . ويجوز « الافتراض » ان بولس هذا عرف أشياء عن اليهود ودينهم وعن التوراة قبـل وصوله الى الكرسي الرسولي في انطاكية وان زينب التي اشتهرت بعطفهـا على اليهود عاونت بولس بنفوذها على الوصول الى رئاسة كنيسة انطاكية لتضمن بذلك تعاوناً وثيقاً بينها وبين المسيحيين في عاصمة الشرق (٣) . وما كاد بولس يصل الى السدة الانطاكية حتى جعلت زينب منه موظفاً مدنياً عالياً فأسندت اليه مهام مالية والاشراف على الجباية ومنحته لقب ذوقيناريوس *Ducenarius* (٤) . وله تمتع بصلاحيات أوسع بكثير فتل ملوك تدمر في انطاكية . فإن الأساقفة الذين نظروا في أمره فيا بعد قالوا انه لم يكن بمقدور أحد ان يجرؤ فيشكو جور هذا الأسقف (٥) .

وتاه بولس بنفسه وتكبر . وسار في الشوارع بأبهة الحكام وفخفختهم . وصنع لنفسه عرشاً عالياً في الكنيسة واذن لمريديه بتقريظه فيهـا . ومنع تسبيح السيد المخلص في الكنيسة مدعياً ان تلك التسابيح انمـا أحدثها رجال متأخرون واستعاض عنها بمزامير داود وبتسابيح خصوصية أعدت لتمجيده وأنشدتها النساء

1) *Homo, L., Essai sur le Règne de l'Emp. Aurélien ; Starcky, J., Palmyre, 1952; Mattingly, H., The Imperial Recovery, Cam. Anc. Hist., XII,297-311.*
2) *Bardy, G., Paul de Samosate, 250.*
3) *Bardy, G., op. cit., 250 - 258 ; Aubé, B., L'Eglise et l'Etat, 453, n. 1.*
4) *Seeck, Ducenarius, Real - Encyc.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII., 30.*

له في الكنيسة نفسها . وأطلق بولس لسانه في انتقاد الآباء الأولين (١) . ولعله خص اوريجانس بشيء كثير من هذا الانتقاد فأثار حقد من حوله من الأساقفة المعاصرين تلاميذ هذا العالم العلامة الكبير (٢) .

ولم يرضَ أساقفة كنيسة انطاكية عن حياة بولس الشخصية فانه نشأ فقيراً فاغتنى بطرق غير شرعية واستغنى . وخامرهم الشك في سلوكه الشخصي لأنه ساكن النساء واستصحب بعضهن على الرغم من حداثتهن ومظهرهن المغري(٣) .

ولكن بولس كان رجلاً لبقـاً ماهراً وخطيباً بليغـاً فتمكن من انشاء حزب حوله من أبنـاء أبرشيته . وكان بين هؤلاء عدد من اساقفـة الريف والكهنة والشمامسة . فانشقت كنيسة انطاكية الى معسكرين أبناء الريف وامهات القرى وأبناء المدن الكبيرة او بعبارة اخرى الى وطنيين شرقيـين سريانيـين وعرب والى يونانيين ورومانيين ومتهلنين . وكان طبيعياً ان يرى البولسيون في زينب العربية زعيمة وطنية تحاول التحرر من حـكم رومة وكل ما يمت الى الغرب بصلة (٤) . وعطف على هؤلاء وأيدهم عدد من اليهود والوثنيين الذين ناصروا زينب في حركتها التحررية .

واستقدمت زينب لونجينوس *Longinus* الحمصي من اثينة الى تدمر ليتولى الدفاع عن موقفها بما أوتي من حجـة وفصاحة وأصغت الى ارشاداته في السياسة (٥) . ولا يستبعد ان يكون بولس قد عرف لونجينوس فتأثر بالفلسفـة الأفلاطونية الجديدة . واذا ما ذكرنا ان هؤلاء الفلاسفة عطفوا على توحيـد اليهود وعلى القول بتقوى المسيح وخلوده وأنكروا الوهيتـه سهل علينا تفهم ضلالة بولس وقوله بأن المسيح « مخلوق » صالح حمل في احشائه روح الله (٦) .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 30.*
2) *Bardy, G., op. cit., 269 - 270.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 30; Bardy, G., op. cit., 271 - 273; Loofs, F., Paulus von Samosata, 199 - 201.*
4) *Harnack, A., Lehrbuch der Dogmengeschichte, I, 722 ; Harnack, Monarchianismus, PRE, XIII, 320.*
5) *Zeller, E., Die Philosophie der Griechen, III, 463.*
6) *Augustinus, De Civit. Dei, XIX, 23.*

ووافق بورفيريوس الفيلسوف بولس الأسقف فيما يظهر بالتمسك بظاهر نص التوراة والابتعاد عن التأويل الاسكندري (١) .

وقاوم بولس كلٌ من أيد رومة والحضارة اليونانية الرومانية وكان هؤلاء كثراً في المدن ولا سيما انطاكية . وعبثاً حاولت زينب ان تستميل هؤلاء بفصاحة لونجينوس وبيانه فانهم ظلوا يعتبرونها بربرية تتطفل على الحضارة تطفلا (٢) . ولم يجمع اليهود على تعضيد الدولة العربية الجديدة فان كثيراً منهم آثروا سلطة رومة البعيدة على حكم تدمر القريب (٣) . واذا كان من الخطأ ان نغالي فنقول مع بتيفول ان معظم المسيحيين في انطاكية قاوموا اسقفهم وان الشقاق الذي حلّ في عهد بولس كان شقاقاً بين الاسقف من الجهة الواحدة وجمهور المؤمنين من الجهة الاخرى (٤) فانه من المغالاة ايضاً ان نفترض مع ريفيل ان بولس نجح في استمالة معظم ابنائه الروحيين في عاصمة الشرق (٥) .

ويجب ألا يغيب عن البال انه كان لا يزال في كنيسة المسيح اساقفة أبرار حافظوا على تعاليم الرسل ودافعوا عنها دفاع الابطال . وهل ننسى ديونيسيوس الاسكندري وفرميليانوس القبدوقي وغريغوريوس العجائبي وجميعهم من أعيان هذا القرن الثالث نفسه ؟ والمقاومة التي لقيها بولس كانت في الصميم مقاومة عقائدية هدفها تطهير الكنيسة من بدعة فاسدة (٦) .

وتزعم هذه المقاومة الروحية في انطاكية نفسها اثنان من ابناء هذه المدينة دومنوس ابن ديمتريانوس الاسقف السابق وملكيون أحد معلمي الفلسفة والمنطق والفصاحة والبيان في مدارس انطاكية الهيلينية (٧) وأحد ابناء كنيسة انطاكية الأبرار الذين اشتهروا بالتقوى والصلاح . وجاء في ما حفظه لنا بطرس الشماس ان الاساقفة المجتمعين في انطاكية للنظر في بدعة بولس أجمعوا على تولية ملكيون

1) *Harnach, A., Porphyrius gegen die Christen, 15.*
2) *Bardy, G., op. cit., 277.*
3) *Graetz, H., Gesch. der Juden, IV, 297-299.*
4) *Batiffol, P., La Paix Constantinienne, 101-102.*
5) *Reville, A., Christianisme Unitaire, Rev. Deux Mondes, 1868, 101.*
6) *Bardy, G., op. cit., 278-279.*
7) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 29.*

أمر المناقشة الرسمية (١) . ولا يزال اسمه حتى يومنا مقروناً باسم القديس فرميليانوس في اخبار القديسين تحت الثامن والعشرين من تشرين الاول (٢) .

وقد يجوز الافتراض ان دومنوس وملكيون نجحا في تنظيم المقاومة فازداد الشق اتساعاً وحدثت اضطرابات في انطاكية أدت الى تدخل اساقفة الكنائس المجاورة .

تدخل الأساقفة : (٢٦٤) ويرى العلامة الأب بردي ان ليس في المراجع الاولية ما يبرر القول مع بارونيوس ان ديونيسيوس الاسكندري كتب باديء ذي بدء عن ضلال بولس الانطاكي الى ديونيسيوس الروماني وان الحبرين الروماني والاسكندري اتخذا منذ البدء موقفاً حازماً فهددا بالقطع . وجل ما توصل اليه هذا العالم البحاثة مع زميله الالماني لوفس هو ان قضية بولس بدأت شرقية وحلت حلا شرقياً مستقلا (٣) .

ولما اشتدت المشادة في انطاكية دعا الينوس اسقف طرسوس اخوته اساقفة كنيسة انطاكية الى اجتماع في انطاكية للنظر في قضية اسقفها . فلبى هذه الدعوة كثيرون أشهرهم على حد قول افسابيوس المؤرخ (٤) فرميليانوس اسقف قيصرية قبدوقية وغريغوريوس العجائبي اسقف قيصرية الجديدة في بلاد البونط وأخوه اثينودوروس ونيقوماس اسقف ايقونية وهيميناوس اسقف اوروشليم وثيوتيقنوس اسقف قيصرية فلسطين ومكسيموس اسقف بصرى حوران . ولا يخفى ان بلاد البونط ظلت تابعة لانطاكية حتى مجمع نيقية (٥) . ورغب هؤلاء في الاستفادة من علم ديونيسيوس الاسكندري وحكمته ودرايته وشهرته فدعوه الى الاجتماع معهم في انطاكية وأحب ديونيسيوس أن يلبي هذه الدعوة ويعيد الوحدة الى صفوف كنيسة المسيح ولكنه اعتذر عن الحضور نظراً

1) *Pierre Diacre, De Incarn. et Gratia, 3.*
2) *Synaxar. Constantin.*
3) *Bardy, G., op. cit., 283-284.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 28.*
5) *Lubeck, K., Reichseinteilung und Kirchliche Hierarchie, 101.*

لتقدمه في السن (١) وحضّ الأساقفة على التقوى وخوف الله (٢) وأوفد افسابيوس الشماس الاسكندري الى انطاكية لينقل رسالة خصوصية في موضوع بولس (٣). وكان هذا قد اشتهر بتمسكه بالدين القويم وبتضحيته في هذا السبيل فلما أحب أن يعود الى الاسكندرية مرّ في اللاذقية التي عند البحر (لاذقية سورية) فاستمسك به ابناؤها المسيحيون وجعلوه اسقفاً عليهم (٤) . وأهمّ ديونيسيوسَ أمرُ بولس وأقلقه . فطلب الى اناطوليوس الاسكندري العالم الفيلسوف (٥) ان يرافق افسابيوس الشماس الى انطاكية وان يسخر علمه وفلسفته في سبيل الدفاع عن العقيدة . ولا بد وان يكون ديونيسيوس قد رأى في أقوال بولس خروجاً على تعاليم الرسل الأطهار وتحدياً لرأيه ورأي استاذه اوريجانس في الثالوث الأقدس (٦) .

والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به هو ان مواعظ بولس وآراءه في العقيدة قد ضاعت ولم يبقَ منها شيء سوى ما جاء في ردود أخصامه عليه . فاصالة الرسالة الى هيمنايوس *Hymnaeus* التي تُنسب الى الأساقفة الستة الذين نظروا في قضية بولس بادىء ذي بدء لا تزال موضوع جدل بين رجال الاختصاص . وقل الأمر نفسه عن الشذرات الباقية من خطب بولس الى سبينوس *Sabinus* (٧) .

ويذكر علماء الكنيسة اهتمام الآباء في القرن الثالث بالثالوث الأقدس وسعيهم للتوفيق بين وحدانية الله في التوراة والوهية المسيح في الانجيل واختلافهم في هذا التوفيق ثم يذكرون فكرة التبني *Adoptianism* التي قال بها ثيودوتوس وارطمون وفكرة المونارخية التي نادى بها براكسياس *Praxeas* في القرن الثاني

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 27.*
2) *Théodoret, Haeret. Fabul. Compend., II, 8.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 32.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 32.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 32.*
6) *Bardy, G., op. cit., 288 - 289.*
7) *Diekamp, F., Doctrina Patrum de Incarnatione Verbi; Lawlor, H. J., The Sayings of Paul of Samosata, Journ. Theol. Stud., 1917, 20 - 45, 115 - 120.*

ثم سبيليوس *Sabellius* في القرن الثالث ويقرأون في تاريخ افسابيوس (١) اعتراض الأساقفة المجتمعين في انطاكية واتهامهم بولس بالأرطمة ويطالعون أقوال القديسَين هيلاريوس (٢) وباسيليوس (٣) في موضوع بولس فيجدون اعتراضاً على لجوئه الى اللفظ اليوناني *Homoousios* للتعبير عن علاقة المسيح بالآب، نقول يذكر علماء الكنيسة جميع هذا فيخلصون الى القول بأن بولس شارك المونارخيين فزعم معهم ان الله اقنوم واحد وأخذ عن الأراطمة (*Artemon*) فقال ان الله تبنى المسيح تبنياً (٤) .

المجمع الانطاكي الثاني : (٢٦٤) وعقد المجمع الانطاكي الثاني جلساته في انطاكية نفسها في السنة ٢٦٤ . وحضر هذه الجلسات كهنة وشمامسة (٥) . والقيت الخطب وكثر النقاش . وداری البولسيون الأحبار ولاينوهم واستتروا فأخفوا هرطقتهم . وحاول الأحبار كشف اللثام فلم يفلحوا (٦) . وتوفي ديونيسيوس الاسكندري فخسر الأحبار سنداً كبيراً ولم يبقَ بينهم واحد بجزمه وعزمه . وكانت زينب لا تزال في أوج عزها ومجدها وأيد بولس وشد أزره جميع أعداء رومة . واعترف بولس بأنه قال قولا جديداً وقطع العهود على نفسه بالعودة الى السراط المستقيم (٧) . فمال القديس فرميليانوس الى اللين واكتفى بما تقدم ذكره . وعاد الأحبار كل الى أبرشيته .

ولا يجوز القول مع البحاثة رفيل ان فرميليانوس اكتفى بابتعاد بولس عن الغنوسية وعن مونارخية سبيليوس لأن موقف الآباء من اللوغوس *Logos*

1) *Hist. Ecc., VII., 30.*
2) *De Synodis, 81, 86.*
3) *Epist. 52.*
4) *Quaesten, J., Patrology, II, 141; Camelot, Th., Pères et Doct. de l'Eglise, Initiation Théolog., I, 161 ; Bardy, G., op. cit., 324 - 351 ; Harnack, A., Die Reden Pauls von Samosata an Sabinus und seine Christologie, SAB, (1924), 130 - 151 ; Riedmatten, H., Actes du Procès de Paul de Samosate, (1952), Paradosis 6.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc.. VII, 28.*
6) *Ibid.*
7) *Ibid., VII, 30.*

كان لا يزال ماثعاً (١) وذلك لسببين اولها ان مؤلفات فرميليانوس ضائعـة والثاني ان القديس باسيليوس استشهد بآراء فرميليانوس لتدعيم موقفه من الروح القدس (٢) .

المجمع الانطاكي الثالث : (٢٦٨) وعاد بولس الى سيرته الاولى ولم يعبأ بمـا قطع من عهود . فكتب اليه الأحبـار رادعين واعظين ولكن بدون جـدوى (٣) . فخامرهم الشك وداخلهم الريب وقالوا بوجوب العودة الى انطاكية لاتخاذ الاجراءات اللازمة. ودعا الينوس اسقف طرسوس مرة ثالثة الى اجتماع في انطاكية وذلك في السنة ٢٦٨ (٤) . فأم عاصمة الشرق عدد كبير من الأساقفة (٥) . ولعل مجموعهم بلغ السبعين او الثمانين (٦) .

وخلا مكان غريغوريوس العجائبي . وتوفي فرميليانوس بعـده وهو في طريقه الى انطاكية . فتبوأ إلينوس اسقف طرسوس المكان الأول بين المجتمعين وجاء بعده فيما يظهر هيمنايوس اسقف اوروشليم ثم ثيوتيقنوس اسقف قيصرية فلسطين ومكسيموس اسقف بصرى ونيقوماس اسقف ايقونيـة وثيوفيلوس اسقف صور (٧) وبروكلوس ونيقوماس واليـانوس وبولس وبولانوس وبروتوجينس وهيراكس وافتيخيوس وثيودوروس وملكيون ولوقيوس (٨) . ولا تذكر المراجع اسماء الأساقفة الباقين .

وخشي الأساقفـة أعضاء المجمع مكر بولس ودهاءه . فوكلوا أمر المقارعة بالمنطق الى ملكيون الكاهن مدرس المنطق في احدى مدارس انطاكية الهلينية كما فعل غيرهم من قبل في ظروف مماثلة (٩) . واستقدموا عـدداً من

1) *Reville, A., La Christologie de Paul de Samosate, Etudes de Crit. et d'Hist., Série II, 202.*
2) *Basile, De Spirito Sancto, XXIX, 74.*
3) *Théodoret, Haeret. Fabul. Compend., II, 8.*
4) *Bardy, G., op. cit., 296 - 297.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII,29.*
6) *Athanase, de Synod., 43 ; Hilaire, De Synod., 86.*
7) *Harnack, A., Mission, II, 666, n. 2.*
8) *Riedmatten, H., op. cit., 128 ; Bardy, G., Eusèbe, II, 214, n. 2.*
9) *Pamphile, Apolog. pro Orig., Photius, Biblioth., 118.*

الكتاب الماهرين لتدوين المناقشة (١) . وكان ملكيون حاضر الدليـل صحيح الاستدلال فناقش بولس في العقيدة وأثبت رأيه بالحجج الملزمـة فاستظهر عليه (٢) .

فأدان المجمع بولس ووصمه بالهرطقة لأنه « امتنع عن القول بأن ابن الله نزل من السماء ولأنه قال بأن يسوع المسيح بشر وانسان » (٣) . وأكد المجمـع شذوذ بولس في حب المال والجاه والفخفخة . وشجب ايضاً اقدامه على مساكنة النساء والسماح لبعضهن ان يرتلن في الكنيسة وما الى ذلك مما سبقت الاشـارة اليه . وصرّح المجمع ايضاً ان اصلاح من يشعر بوحدة الكنيسة ويعد نفسه منها ممكن ولكن ذاك الذي يستهزىء بسر التقوى ويفخر بهرطقـة ارطمون المنتنة لا فائدة من محاسبته (٤) . وسرُّ التقوى هنا هو في الأرجح ذاك الذي جاء في الآية السادسة عشرة من الفصل الثالث من رسالة بولس الرسول الاولى الى تيموثاوس: «وانه لعظيمٌ ولا مراء سرُّ التقوى الذي تجلّى في الجسد وشهد له الروح وشاهدته الملائكة وبُشر به في الأمم وآمن به العالم وارتفع في مجد » .

وخلع المجمع الانطاكي الثالث بولس وانتخب دومنوس ابن ديمتريانوس سلف بولس اسقفاً على انطاكية وكتب بذلك رسالة مجبـة الى « ديونيسيوس اسقف رومة ومكسيموس اسقف الاسكندرية وجميع الاخوة الأساقفة في المسكونة والكهنة والشمامسة والى كل الكنيسة الجامعـة » ليكتب هؤلاء بدورهم الى دومنوس معترفين برئاسته (٥) .

امتناع بولس عن الطاعة : وامتنع بولس عن طاعة المجمع المقـدس وظلّ يعتبر نفسه رئيساً على كنيسة انطاكية (٦) . وطاوعه في ذلك أتباعه (٧) .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 29 , Delahaye, H., Les Passions des Martyrs et les Genres Littéraires, 173 - 182.*
2) *Bardy, G., op. cit., 279 - 281.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 30.*
4) *Eusèbe, Ibid. - I tim. III, 16 ; Fliche et Martin, op. cit., II, 348, n. 5.*
5) *Hist. Ecc., VII, 30, V, 23 ; Bardy, G., op. cit., 313 - 315.*
6) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 30.*
7) *Mosheim, J. L., De Rebus Christianorum, 716.*

وأيدته زينب صاحبة السلطة فظلت أوامره نافذة (١) . وجلّ ما ربحه المؤمنون انه أصبح لهم اسقف صافي العقيدة تقياً يلتفون حوله بايمان وخشوع ويمارسون الطقوس كسائر أبناء الكنيسة الجامعة . ولكنهم ظلوا غير معترف بهم من السلطات التدمرية يعقدون معظم اجتماعاتهم في السرّ او في بعض الكنائس الحقيرة (٢) .

وجاء في بعض المراجع المتأخرة ان مكسيموس الاسكندري وفيليكس الروماني الذي خلف ديونيسيوس على السدة الرومانية اتصلا بدومنوس واعترفا برئاسته على كنيسة انطاكية في السنة ٢٦٩ (٣) . ولكن بولس لم يعبأ بهذا كله وما فتىء يتمتع بالسلطتين الروحية والزمنية في انطاكية حتى خروج زينب منها .

ولم تدم رئاسة دومنوس أكثر من ثلاث سنوات (٤) . وجاء في حوليات ايرونيموس ان تيمايوس *Timaios* خلف دومنوس في الرئاسة في السنة الاولى من حكم الأمبراطور اوريليانوس ٢٧٠ – ٢٧١ (٥) .

زوال زينب وبولس : وسقط غاليانوس محارباً ضد اوريولوس في السنة ٢٦٨ ولكن الجنود نادوا بكلوديوس الثاني أمبراطوراً (٢٦٨–٢٧٠) فقتل هذا اوريولوس وقهر الألماني والقوط وتوفي بالطاعون فخلفه اوريليانوس (٢٧٠–٢٧٥) اذ نادى به جنوده أمبراطوراً . وصالح اوريليانوس القوط وتنازل عن حقوق رومة في ما وراء الدانوب .

وفي أواخر السنة ٢٧٠ او أوائل السنة ٢٧١ أنفذت زينب زبدة قائد قواتها الى مصر ليستولي عليها . ففعل وأبقى حامية تدمرية فيها وعاد الى سورية . وكان حاكم مصر الروماني بروبوس *Probus* قد خرج منها لتأديب بعض العصاة في ليبية وقرطاجة ولتطهير بحر الأرخبيل من القوط . فعاد الى مصر بعد

1) *Loofs, F., Paulus, 34.*
2) *Bardy, G., op. cit., 353 - 354.*
3) *Pierre Ibn Rahib, Chronicon Oriental, 117 ; Agapius de Menbidj, Hist. Univ., 530 ; Haase, F, Altchristliche Kirchengeschichte, 193.*
4) *Harnack, A., Die Chronologie, I, 216.*
5) *Jérôme, Chron., 222.*

خروج زبدة منها وحارب الحامية التدمرية ومن ناصرها من المصريين فمات محارباً . فأضحت زينب في حرب ضد رومة . فاتخذت لنفسها ولابنها لقب اوغوسطوس (١) ودفعت برجالها عبر طوروس الى آسية الصغرى فاحتلت انقره ثم بيثينية . ووصلت طلائع جيشها الى خلقيدونية مفتاح البوسفور . وكان نبأ تولي اوريليانوس قد وصل الى خلقيدونية فصمد الخلقيدونيون في وجه التدمريين .

وقام اوريليانوس من ايطالية الى البلقان في صيف السنة ٢٧١ ثم انتقل بجيشه الى آسية الصغرى . فرأت زينب ان تقاتله قريبة من البادية . فتراجعت برجالها الى سورية الشمالية وصمدت في انطاكية . ووصل اوريليانوس الى انطاكية فوجد الخيالة التدمريين بانتظاره عند ضفة العاصي . فدنا منهم وتناولهم بالقتال وتظاهر بالضعف وتراجع . فلحقوا به وما فتئوا مجدين في أثره وكانوا من النوع الثقيل حتى أعياهم السعي . ففاجأهم اوريليانوس بهجوم صاعق وذبح منهم عدداً كبيراً . فرأى زبدة ان لا مفر من الجلاء عن انطاكية فأشاع خبراً مؤداه الانتصار على الرومان وعرض في المساء في شوارع انطاكية رجلا بزيّ امبراطور روماني وادعى انه اوريليانوس نفسه . ثم قام تحت جناح الليل الى حمص وترك في دفنة ساقة تؤخر تقدم اوريليانوس . وقام معه عدد كبير من الانطاكيين الموالين له ولسيدته زينب . ودخل اوريليانوس انطاكية فضبط امورها وتساهل مع الانطاكيين مدعياً ان من لحق منهم بزبدة انما فعل ذلك مكرهاً ! ثم نهض اوريليانوس الى أبامية فحماة فالرستن فحمص . واصطدم هنالك بزبدة ورجاله وكتب النصر له فانثنت زينب عن حمص وانصرفت الى تدمر . ولحق بها اوريليانوس فحارب البدو يميناً وشمالا ووصل الى تدمر بعد اسبوع واحد . فشدد على تدمر الحصار . فاتصلت زينب بشابور الساساني وطلبت معونته فأنجدها ولكن اوريليانوس تمكن من القضاء على هذه النجدة قبل وصولها الى تدمر فخفت زينب بنفسها الى طلب نجدة ثانية وخرجت من تدمر تحت

1) *« Imperator Caesar Vhabalathus Augustus, Septimia Zenobia Augusta» .*

جناح الظلام طالبة الفرات . ولكن الرومان أدركوها عند هـذا النهر وعادوا بها الى معسكر سيدهم . فدخل اوريليانوس تدمر ظافراً ونقل كنوزها الى حمص وجر وراءه ملكتها وملكها ومستشارها لونجينوس الفيلسوف وبعض أعيانهـا . وحاكم اوريليانوس لونجينوس في حمص وأمر بقتـله فقتل فيها . وتقبل لونجينوس الموت بشجاعـة فلفظ أنفاسه وهو يعزي ذويه ويقوي أصدقاءه وأحباءه (١) .

وبزوال الحـكم التدمري زال نفوذ بولس السميساطي وقويت شوكة تيايوس وجمهور المؤمنين . فانتهز تيايوس (٢٧١ ـ ٢٧٩) هـذه الفرصة السانحة وتقـدم من الأمبراطور المحرر راجياً اخراج بولس من قلاية الاسقفية وكف يده . ورأى اوريليانوس وجـه الحق في هذا الطلب ولعله رأى ايضاً في شخص تيايوس وفي أعوانه حزباً يونانياً رومانياً قاسي الأمرين في عهـد زينب « البربري » « فأمر بأن تعطى القلاية الى أولئك الذين كانوا على صـلة بالمكاتبة بأساقفة العقيدة المسيحية في ايطالية ومدينة رومة » (٢) . ولا نعلم عن مصير بولس بعد هذا .

أناطوليوس اسقف اللاذقية : ولدى انفضاض المجمع الانطاكي الثالث عاد أناطوليوس ممثل حبر الاسكندرية برفقة صديقه القديم افسابيوس الاسكندري اسقف اللاذقية الى هذه المدينة وأقام عنده مدة وجيزة . وفي اثناء اقامتـه في اللاذقية اختار الله افسابيوس فشغر كرسيه . فتقدم المؤمنون من أناطوليوس راجين بقاءه في مدينتهم اسقفاً عليهم وخلفاً لصديقـه الراحل . فقبل دعوتهم وساس كنيستهم حتى السنة ٢٨٢ . وكان عالماً كبيراً كما سبق وأشرنا ورياضياً ماهراً فصنف في اللاذقية كتابه الشهير في عيد الفصح (٣) .

ماني وثنويته : (٢١٦ ـ ٢٧٦) وجاء في تاريخ الراهب الرهاوي ان

1) *Fevrier, J. G., Hist. Pol. et Econ. de Palmyre; Starcky, J., Palmyre, Paris, 1952.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 30; Homo, L., Règne d'Aurélien, 95.*
3) *Eusèbe, Hist Ecc., VII, 32 ; S. Hieronym., Ecc. Cap., 73 ; Tillemont, Mem. Ecc., IV, 304.*

مجمع انطاكية الثالث حرّم تعاليم ماني في الوقت نفسه الذي حرّم فيـه تعاليم بولس السميساطي . وهو قول ضعيف لا يجوز الأخذ به لأن المؤرخ الرهـاوي دوّن أخباره في القرن الثالث عشر . وجـاء ايضاً في بعض التواريخ السريانية وفي تاريخ ميخائيل الكبير « ان ماني ولد في مدينـة السوس سنة ٢٤٠ وتنصر وسامه اسقفها كاهناً سنة ٢٦٨ ثم مرق من النصرانية لخبث طينته » (١) . وهذا القول ضعيف أيضاً لأنه جاء متأخراً . فميخائيل الكبير ولد في السنـة ١١٢٦ في ملطية وتوفي في السنة ١١٩٩ !

ويجمع رجال البحث والتنقيب على ان ماني ابن بابك ولد في ماردين في السنة ٢١٥ او ٢١٦ وانه ادعى الوحي أول مرة في الثالثـة عشرة من عمره ثم في الخامسة والعشرين أي السنـة ٢٤٠ أو ٢٤١ . وعلّم ماني وبشر في طيسفون وخصّ شابور باحدى رسائله . وقال بسببين أصليين النور والظـلام وبظروف ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل . والنور والظلام عنـد ماني كائنان مستقلان منفصلان منـذ الأزل . ولكن الظلام غزا النور في الماضي وأصبح بعض النور ممتزجاً بالظلام . وهـذه هي حالة عالمنا في الحاضر . ثم يخلص ماني الى القول ان لا بد من تنقية النور من هـذا الظلام كي يعود النور والظلام الى الانفصال التام كما بدآ . والله هو سيـد عالم النور والشيطان سيد عالم الظلام . هذا بعض ما قاله ماني عن الماضي . فأما في الحاضر فان قوى النور أرسلت بوذا وزورواستر ثم يسوع وهو أهم الجميع . والعالم عند ماني ينتهي في المستقبل بثوران هائل وسقوط عظيم فيصعـد الصالحون في الفضاء الى أعلى والأشرار يهبطون الى ظلام دائم .

ماني والنصرانية : وخصّ ماني السيد المخلص بمكانة ممتازة وادعى انه هو رسوله وانه هو البارقليط المنتظر الذي وعد به السيد وان مقدرته على معرفة ما كان وما سيكون مستمدة من البارقليط الذي حلّ فيه . ويرى رجـال

١) الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للبطريرك اغنـاطيوس افرام ، ص ٣٢٥ . اطلب أيضاً كتابه اللؤلؤ المنثور ص ٣٩٤ ـ ٣٩٧

الاختصاص الذين وفقوا الى درس ما بقي من رسائل ماني في تركستان وفي أوراق البردي في مصر ان المانوية تفرعت عن المسيحية لا الوثنية (١) .

وانتظم المانويون في كنيسة واحدة مؤلفة من طبقتين المنتقين المصطفين والمستمعين . وكان على رأسها بادىء ذي بدء رسل اثنا عشر ثم تلاميذ ستون ثم أساقفة وكهنة وشمامسة ورهبان. وكانوا يجتمعون في كل أحد للصلاة والترتيل وقراءة الأسفار ومنها الأناجيل ورسائل بولس الرسول .

وانتشرت تعاليم ماني في بابل وما بين النهرين اولا ثم في سورية وفلسطين ومصر وافريقية الشمالية وفارس وأواسط آسية . وسكت عنها شابور الأول لرحابة صدره واتساع افقه . ولكن كهنة مزدة قاوموا هذه التعاليم فاضطر ماني ان يغادر فارس الى الكشمير وتركستان والصين . وتوفي شابور الأول في السنة ٢٧٢ وتوفي ابنه وخلفه هورمزد الأول في السنة ٢٧٣ . وتولى العرش بهرام الأول فظن المانويون ان سيتاح لمعلمهم ان يعود الى وطنه ويعيش بأمان وحرية . ولكنه اعتقل وصلب وسلخ جلده وحُشي قشاً في السنة ٢٧٥ او ٢٧٦ .

الأسفار الأبوكريفية : واللفظ اليوناني *Apokryphos* معناه المخفي والمستور والمكنون . وأسفار السيبولات عندهم وعند الرومان كانت ابوكريفية لأنها كانت مقدسة لا يجوز ان تبقى في متناول جميع الناس . والأسفار الأبوكريفية عند المسيحيين الأولين كانت الأسفار الخالية من الوحي الإلهي . ويُطلق رجال الاختصاص هذا اللفظ اليوم على كل كتاب غير صحيح او غير موثوق به او غير أصلي .

ولجأ أهل البدع في القرنين الثاني والثالث الى التزويق والتلفيق والتزوير لخداع المؤمنين . ولمس المؤمنون نقصاً في أخبار طفولة السيد وحداثته وفي أخبار العذراء وأعمال الرسل فأقدموا على مطالعة ما أعده أهل البدع فهبّ الآباء

1) *Burkitt, F. C., Religion of the Manichees, Cambridge, 1925 ; Schmidt, C., Neue Originalquellen des Manichaismus aus Aegypten, Stuttgart, 1933 .*

بدورهم يدققون وينذرون ويحرمون (١) .

والأسفار الأبوكريفية المسيحية متنوعة منها الاناجيل ومنها الرسائل ومنها أيضاً الأعمال . وعدد الاناجيل الابوكريفية يربو على العشرين : انجيل العبرانيين وهو قريب جداً من انجيل متى وقد كتب بالآرامية بأحرف عبرية وانجيل المصريين وانجيل الأبيونيين ويدعى ايضاً انجيل الرسل وانجيل بطرس وقد سبقت الإشارة اليه عند الكلام عن سيرابيون اسقف انطاكية وانجيل نيقوذيموس وانجيل يعقوب وانجيل توما وانجيل الطفولية العربي وسيرة يوسف النجار العربية وانجيل فيليبوس وانجيل متيا وانجيل برنابا وانجيل برثلماوس وانجيل اندراوس وانجيل يهوذا الاسخريوطي وانجيل تدايوس وانجيل بسيليدس وانجيل كيرينثوس وانجيل فالنتينوس وانجيل ابيلّيس . وأثر الغنوسية في الأناجيل الثانية الأخيرة واضح جلي .

وأهم الأعمال الأبوكريفية أعمال بولس *Acta Pauli* وأعمال بطرس وأعمال بطرس وبولس وأعمال يوحنا وأعمال اندراوس وأعمال توما وأعمال تدايوس وفيها رسالة أبجر ملك الرها الى السيد المخلص .

وأشهر الرسائل الأبوكريفية رؤيا بطرس ورؤيا بولس ورؤيا اسطفانوس ورؤيا توما ورؤيا يوحنا ورؤيا العذراء ورسالة الرسل *Epistola Apostolorum* وهذه من بقايا النصف الثاني من القرن الثاني وقد حفظت باللغتين القبطية والحبشية (٢) .

وأفيد هذه النصوص الأبوكريفية لتاريخ كنيسة انطاكية والنصرانية في القرن الثالث انجيل بطرس وانجيل يعقوب وأعمال يوحنا وأعمال بولس وأعمال بطرس وأعمال توما وأعمال اندراوس ورسالة الرسل .

وانجيل بطرس كما نعرفه اليوم يعود الى النصف الأول من القرن الثاني (١٢٠–١٣٠) ويحمل آثاراً تدل على انه دون في سورية (٣) . ولعل جامع

1) *Klostermann, E. und Harnack, A., Apocrypha, Vol. I-IV, Bonn, 1910-1921; James, M. R., The Apocryphal New Test., Oxf., 1950; Bousquet, J., et Amann, E., Les Apocryphes du Nouv. Test., Paris, 1922.*
2) *Zwaan, J., Date and Origin of the Epistle of the Eleven Apostles, 1933.*
3) *Vagany, L., L'Evangile de Pierre, (Etudes Bibliques), Paris, 1930; James, M. R., Apoc. New Test., 13-41, 90-94.*

أخباره قال بالتشبيه *Docetism* وما صلبوه ولكن شبـه لهم ـ فانه يستعيض عن النص « الهي الهي لماذا تركتني » بالعبارة « قدرتي قدرتي لقد تركتيني » ! وتقع مسؤولية صلب المسيح في هذا النص المزيف على اليهود بأكملها فان هيرودوس ملك اليهود حـكم على المسيح بالاعدام لا بيلاطس . ويظهر مما جاء في شرح اوريجانس على انجيل متى ان القول بتحدر اخوة المسيح من زوجـة ليوسف سابقة لمريم جاء في هذا الانجيل الأبوكريفي عينه (١) . ويؤكد أفسابيوس ان سيرابيون اسقف انطاكية حرّم مطالعة هذا الانجيل لأنه كان يمت الى المشبهين بصلة قوية (٢) .

وانجيل يعقوب يعود في أقدم أجزائه الى النصف الثاني من القرن الثـاني (١٥٠ ـ ١٨٠) وفي مجموعه كما نقرأه اليوم بنصه اليوناني الى القرن الرابع(٣) . وعلى الرغم من ورود اشارة واضحة في ذيله الى ان يعقوب أخا الرب واسقف اوروشليم هو الذي دون هذا الانجيل فان العلماء الباحثين يرون ان شخصـاً أقل اطلاعاً على جغرافية فلسطين من يعقوب وضع هذا السفر وانه كان من المقيمين في مصر (٤) . ولعل الغاية الأساسية من جمع أخباره اثباتُ عذرة العذراء قبل ولادة السيد وبعدها . وهو أغنى المصادر الاولى في أخبار مريم ويوسف وطفولة السيد المخلص واكثرها تفصيلا .

اما كاتب اعمال يوحنا فانه آسيوي عني بجمع اخبار يوحنا الحبيب في آسية الصغرى فذكر رحلاته فيها ودون عظاته ووصف العجائب التي تمت على يديه . ويستدل من بعض ما جاء في هذا السفر الابوكريفي ان كاتبه دوّن اخباره في النصف الثاني من القرن الثاني وأنه قال بالتشبيه ايضاً . فقد جاء في الفصل الثالث والتسعين من هذا الكتاب ما محصله : «وكنت اذا أردتُ ان ألمس السيد أضع يدي على جسم مادي صلب . وفي بعض الأحيـان كنت اذا لمسته أجد

1) *X, 17.*
2) *Hist. Ecc., VI, 12.*
3) *Amann, E., Le Protévangile de Jacques, Paris, 1910; James, M. R., op. cit., 38-49.*
4) *Quasten, J., Pères, I, 140.*

جوهره بدون جسم كأنه لم يوجد أبداً» (١) .

وكتاب اعمال بولس يشمل قصة بولس وتقلا وردّ الكورنثيين على رسالتي بولس الثانية والثالثة اليهم واخبار استشهاد بولس . وصاحب هذا الكتاب هو في الأرجح كاهن من كهنة آسية الصغرى من أعيان النصف الثاني من القرن الثاني (٢) .

واعمال بطرس دُوّنت فيما يظهر في سورية او فلسطين عند نهاية القرن الثاني . وهي تشمل رحلة بولس الى اسبانية بعد رومة ووصول سمعان الساحر الى عاصمة الدولة الرومانية ولحاق بطرس بهذا الساحر وانتصاره عليه ثم اخبار استشهاد هامة الرسل . ومما يؤخذ على واضع هذا السفر الابوكريفي انه كان يقول بالتشبيه ايضاً فانه يذكر ان بولس كان يمارس سر الافخارستية بالخبز والماء (٣) .

واعمال توما من مصنفات القرن الثالث . وقد وضعت بالسريانية اولا ثم نقلت الى اليونانية والارمنية والحبشية واللاتينية . وواضعهـا رهاوي من أتباع برديصان وقد سبقت الاشارة اليه . وهو يجعل من توما مبشر الهند بعدما بين النهرين . وتشكو هذه الاعمال من شيء من الغنوسية والمانوية . وقد تبنى غبطة البطريرك اغناطيوس افرام شيئاً كثيراً مما جاء في هذا السفر الابوكريفي وذلك في كتابه الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة (٤) .

1) *Pick, B., Apoc. Acts of Paul, Peter, John, Andrew and Thomas, Chicago, 1909; Amiot, F., La Bible Apocryphe, Paris, 1952, 157 - 184; Zahn, Th., Die Wanderungen des Apostels Johannes, Neue Kirchliche Zeit., 1899, 191 - 218.*
2) *Greek Text : Tischendorf, C., Acta Apostolorum Apocrypha, 40 ff; Pick, B., op. cit.; James, M.R., op. cit., 270 - 299; Amiot, F., op. cit., 226 - 251; Schmidt, C., Acta Pauli.*
3) *Pick, B.,op. cit.; James, M. R., op. cit., 300-336; Amiot, F., op. cit.,185-225; Hennecke, E., Neutestementliche Apokryphen, 226-249; Stuhlfaut, G., Die Apokryphen Petrusgeschichten in der Altchristlichen Kunst, Berlin, 1925.*
4) *Wright, W., Apocryphal Acts of the Apostles, I, Syr. Text, 171-333, II, Eng. Trans., 146-298; Amiot, F., op. cit., 262-274; Medlycott, A. E., India and the Apostle Thomas; Bornkamm, G., Mythos und Legende in den Apokryphen Thomasakten, Gottingen, 1933.*

ويرى رجال البحث ان لفكيوس خارينوس *Leukios Charinos* هو الذي صنف اعمال اندراوس في منتصف القرن الثالث . ويقول افسابيوس ان العقيدة التي تتجلى في هذا المصنف الابوكريفي لا تتفق والعقيدة الارثوذكسية الحقيقية وان أحداً من المؤمنين لم يردد ما جاء في هـذا المصنف وان صاحبه او اصحابه هراطقة (١) . وتشمل اعمال اندراوس قصة اندراوس ومتياس بين اكلة البشر في البحر الاسود وقصة بطرس واندراوس واستشهاد اندراوس في آخية وعظته في سجن بتراس (٢) .

اما رسالة الرسل *Epistola Apostolorum* فانها أبصرت النور اما في آسية الصغرى او في مصر بين السنة ١٦٠ والسنة ١٧٠ بعد الميلاد . وقد ضاع اصلها اليوناني ولم يبق عنه سوى جزء من ترجمته الى القبطية وترجمته الى الحبشية (٣) . والقسم الأكبر من هذه الرسالة الابوكريفيـة يبحث في ظهور السيد المخلص لتلاميذه بعد القيامة . وهنالك مقاطع تبحث في الوهية السيد فتظهره ذا طبيعتين الهية وبشرية وتوجب القول بأقانيم ثلاثة وكنيسة مقدسة ومغفرة الخطايا وتجعل من المعمودية شرطاً لازماً للخلاص . وعلى الرغم من ظهور بعض الغنوسية في هذه الرسالة فانها تعتبر سمعان الساحر وكيرينثيس رسولين كاذبين وتؤكد قيامة الجسد في يوم الدينونة (٤) .

اهمية الابوكريفة : والاسفار الابوكريفية تظل على ما فيها من عيب مراجع مفيدة لتاريخ كنيسة انطاكية والنصرانية جمعـاء . فهي تحفظ لنا ما ظنه بعض رجال البدع جذاباً لجمهور المؤمنين . واذا ما فتشنا هذه الاسفار لهذه الغاية نجد موضوع البكارة مطروقاً أكثر بكثير من غيره . فقصة بولس وتقلا سحرت عقول المؤمنين اجيالا طوالا . وقد نلمس شيئاً من المغالاة في حض الرجال والنساء

1) Eusèbe, *Hist. Ecc.*, III, 25.
2) Pick, B., *op. cit.*; James, M. R., *op. cit.*, 337-363; Flamion, J., *Actes Apoc. de l'Apôtre André*, Louvain, 1911.
3) Schmidt, C., *Gesprachi Jesu mit seinen Jungern nach der Auferstehung*, Leipzig, 1919.
4) James, M. R., *op. cit.*, 485 - 503; Hennecke, E., *op. cit.*, 146 - 150; Amiot, F., *op. cit.*, 275 - 285.

على العفة في سفر اعمال بولس ولكننا نضطر في الوقت نفسه ان نُنكبر في الرسول مثله العليا ومقدرته على الأخذ بقلوب المؤمنين . فقصة تقلا تمثل لنا سطوة العقيدة الجديدة وتمكنها من اقتلاع الأنفس من اوساخها الوثنية وتقديمها للمسيح . فقد جاء على فم بولس في الفصل الخامس من الاعمال التي تنسب اليه ما يلي :

« طوبى لأنقياء القلب لانهم يعاينون الله
طوبى لاعفّاء الجسد لانهم يصبحون هيكل الله
طوبى لأغضّاء الطرف وانقياء العرض لانهم يخاطبون الله
طوبى لمن يتخلون عن هذا العالم لانهم يُستحسنون عند الله
طوبى للمتزوجين الذين كأنهم لم يتزوجوا لانهم يرثون الله
طوبى لمن يخافون الله لانهم يصبحون ملائكة الله » .

ويذهب واضع سفر اعمال يوحنا الى أبعد من هذا فيحرم الزواج ويحض المؤمنين على زيجة سماوية طاهرة حقيقية لا تنفصم ابداً هي الاتحاد بالمسيح (١) . ولا يختلف موقف من وضع اعمال توما واعمال اندراوس من الزواج عن هذا الموقف نفسه (٢) .

ومما تظهره هذه الاسفار الابوكريفية تطور في صلوات جمهور المؤمنين فالسيد المخلص لا الآب اصبح قبلة انظار المصلين « خارج الكنيسة » وتقلا في اعمال بولس تهتف : « يا ربي والهي إله هذا البيت الذي ابصرت فيـه النور . يا يسوع المسيح ابن الله ملجأي في السجن وامام الحكام وفي النار وبين الوحوش أنت الله ولك المجد الى الابد آمين » (٣) . وما نلاحظه في اعمال بولس من هذا القبيل نجده ايضاً في اعمال بطرس واعمال يوحنا وتوما واندراوس .

ومن أهم ما جاء في المصنفات الابوكريفية موقف بعضها من الناموس . فالرسائل المنسوبة الى اقليمس الشريف الروماني تجعل موسى ينقل الناموس الى

1) James S. M. R., *op. cit.*, 266.
2) Lebreton, J., *Les Apocryphes*, Fliche et Martin, *op. cit.*, II, 298 - 299.
3) *Actes de Paul et de Thècle*, XLII.

السبعين شفاها وتصر على ان الناموس لم يدون الا بعد وفاة موسى وان بعض من حمله في صدره بدّل قولاً غير الذي قيل له (١) وان الله سكت عن هذا التبديل كي لا يصبح الناموس كافياً في حد ذاته . ثم تخلص هذه الرسائل الى القول بأن افتراض فهم الناموس من مجرد قراءته خطأ خطر (٢) . وفي هذا كله تشابه شديد مع ما جاء في رسالة بطليموس الغنوسي الى فلورة . ففي هذه الرسالة ايضاً تفريق في الأهمية بين مصادر الناموس الثلاثة الله وموسى والشيوخ وبالتالي تحرر من الخضوع لهذا التشريع (٣) .

وجاء في ذيذاسكالية الرسل ان الله منح شعبه ناموساً طاهراً فلما سقطوا في التجربة وعبدوا الأصنام أنزل لهم ناموساً آخر أشد من الاول وأقسى فجاء المسيح فأقر الناموس الاول وألغى الثاني . وعلى جمهور المؤمنين ان يتحرروا من ربقة الناموس الثاني وان يعملوا بموجب نصوص الاول (٤) . ويرى العلماء المدققون صلة قوية بين هذين السفرين الابوكريفيين وبين بعض الأوساط المسيحية في النصف الاول من القرن الثالث في شرقي الاردن (٥) .

★

1) *Clément, Homél. III, 47.*
2) *Ibid. III, 51, XVIII, 20.*
3) *Harnack, A., Der Brief des Ptolemaus an die Flora, 16 - 18.*
4) *Ch. XXVI.*
5) *Hilgenfeld, A., Die Clementinischen Recognitionen und Homilien, Jena und Leipzig, 1948; Schmidt, C., Studien zu den Pseudo - Clementinen, Leipzig, 1929.*

الفصل الحادي عشر

قانون الأيمان الأنطاكي

قبل نيقية

وعني العلامة الالماني كتنبوش بتأريخ قانون الايمان ففتش وجمع ونقّب ونقّر فأتحف الكنيسة بمجلدين مفيدين ظهر الاول منهما في السنة ١٨٩٤ والثاني في السنة ١٩٠٠ (١) . ونظر في تاريخ قانون الايمان في كنيسة انطاكية فتسرع في الاستنتاج فقال انه لم يكن لكنيسة انطاكية قانون ايمان معين محدد قبل بدعة بولس السميساطي وان دومنوس اسقف انطاكية بعد بولس تقبل قانون ايمان كنيسة رومة وتبناه فجعله قانون ايمان كنيسته (٢) . ووجه الخطأ في استنتاج هذا العالم العلامة هو انه اتخذ من سكوت المراجع حجة ولم يدر فيما يظهر ان سكوت المراجع لا يصبح حجة الا بشروط معينة قلما تتوفر لدى المؤرخ المدقق . واليك حجة كتنبوش والرد عليها :

حجة كتنبوش : يبدأ كتنبوش بالرسالة السلامية التي وجهها الاساقفة المجتمعون في انطاكية الى اسقف رومة واسقف الاسكندرية وسائر اساقفة المسكونة فيرى ان اساقفة انطاكية يكتفون بالقول «ان بولس لا يريد ان يعترف معنا بأن ابن الله نزل من السماوات وانه لم يحافظ على الايمان الذي تسلمه » (٣) . ثم ينتقل كتنبوش من نص هذه الرسالة السلامية الى نص رسالة الأساقفة الستة (٤) فيقرأ العبارة « الايمان الذي تسلمناه منذ البدء فحفظناه وحفظته الكنيسة الجامعة المقدسة ذاك الذي انتقل الينا بالتقليد من الرسل الطوباويين » ويلاحظ

1) *Kattenbusch, F., Das Apostolische Symbol, Leipzig, 1894, 1900.*
2) *Kattenbusch., F., op. cit., II, 199 - 202.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 30.*
4) *Epist. Sex Episcop., Bardy, G., Paul de Samosate, 14.*

انها خالية من اية اشارة الى قانون معين فيخلص الى القول بأنه لم يكن هنالك قانون معين محدد !

ثم يشير كتنبوش الىما جاء بعد ذلك في ذيامارتورية افسابيوس الدورلّي من قانون ايمان كنيسة انطاكية فيجده قريباً جداً من قانون ايمان كنيسة رومه (١) فيخلص الىالقول بأن كنيسة انطاكية أخذت نص قانونها عن قانون كنيسة رومة. ويلاحظ ان الفرق بين القانونين موجه ضد بدعة معينة فيرى ان هذه البدعة هي بدعة بولس السميساطي فيحدد زمن الاخذ عن رومة ويجعله في عهد دومنوس خلف بولس على السدة الانطاكية .

الرد على كتنبوش : ونحن نرى ان سكوت المراجع لا يكون حجة قبل التثبت من امور ثلاثة أولها ان نكون على يقين جازم من أمر اطلاعنا على جميع المراجع والثاني ان لا يعترينا شك في ان ما لدينا من هذه المراجع هو « جميع » ما دوّنه السلف وانه لم يضع منهـا شيء والثالث ان نتثبت من استحالة السكوت في هذه المراجع عن الموضوع الذي ندرس . ونحن لا ننكر على كتنبوش احاطته بأخبار الرواة عن قانون الايمان وجده واجتهاده ولكننا نرتاب في أمر احاطته بها جميعاً . فقد جـاء في رسالة أسقف انطاكية العظيم اغناطيوس حامل الله الى كنيسة ترولة ما يمكن اعتباره جزءاً من قانون ايمان معمول به . وجاء في رسالة القديس كبريانوس الخامسة والسبعـين ان القديس فرميليانوس أشار الى قانون ايمان معمول به في كنائس البونط كان يردد في ظروف المعمودية . فاذا كان هذا أمر الكنائس الصغيرة التي كانت تتأثر انطاكيـة فما قول كتنبوش في كنيسة انطاكية نفسها ؟ (٢) وهل بامكان كتنبوش أو غيره من العلماء ان يجزم في ان ما لدينا من المراجع الاولى لتاريخ كنيسة انطاكية قبل مجمع نيقية هو جميع ما دونه السلف وانه لم يضع مما دون شيء ؟ ثم هل من المنطق بشيء ان نقول باستحالة

1) *Loofs, F., Paulus, op. cit., 71; Cassien, De Incarn. Domini, VI, 3; Bardy, G., Paul de Samosate, 364-365.*
2) *Sandy, Recent Research on the Origin of the Creed, Journ. Theol. Stud., 1899, I, 18.*

سكوت الآباء المجتمعين في انطاكيـة عن ذكر قانون الايمان بكامله في رسالة سلامية وجهوها الى اخوانهم في المسيح في جميع المسكونة ؟ ألا يجوز ان يكون هؤلاء الأساقفة اعتبروا نص قانون الايمان أمراً معروفاً لدى اخوانهم في الرب يسوع فاكتفوا بالاشارة الى المهم منـه أي الى القول بأن بولس « لا يريد ان يعترف معهم بأن ابن الله نزل من السموات»؟ ثم هل نسي ان مرقس افجينيكوس *Eugenicos* متروبوليت افسس فاجأ اخوانه الغربيين مفاجأة في مجمع فرارة (١٤٣٨) عندما صرّح أمامهم بأن كنائس الشرق تجهل كل الجهل نص ايمان الرسل *Symbolum Apostolicum* الشائع في الغرب ؟

ما يجوز قوله : والراهن الثابت هو ان الرسل أوجبوا منذ بداية التبشير والتعميد اعترافات معينة تنبيء باهتداء الموعوظ . ففيليبس فرض على الخصي الحبشي القول : « اني اؤمن بأن يسوع المسيح هو ابن الله » وبولس استهـل رسالته الى الرومانيين بقوله : « المولود بحسب الجسد من ذرية داود المقام بحسب روح القداسة في قدرة ابن الله بقيامته من بين الأموات يسوع المسيح ربنا الذي به نلنا النعمة » . وقال هـذا الرسول نفسه في رسالته الاولى الى الكورنثيين (١٥ : ٣ ــ ٥) : « ان المسيح قد مات من أجل خطايانا وانه قُبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب » . وقال بطرس في رسالته الاولى (٣ : ١٨ ــ ٢٢) « ان المسيح مات مرة من أجل الخطايا وهـذا الماء وما رمز به اليه ــ أي المعمودية ــ التي ليست إزالة أقذار الجسد بل معاهدة الضمير الصالح لله يخلصكم الآن بقيامة يسوع المسيح الذي هو عن يمين الله منذ انطلق الى السماء وأخضعت له الملائكة والسلاطين والقوات » .

وهكذا فان الجوهر في نص قانون الايمان يعود الى عصر الرسل أنفسهم. أما صيغته فانها تطورت تدريجياً بتطور ظروف الوعظ والمعمودية . ونظراً لبعد المسافات وتنوع الظروف فانه نشأ قبل نيقية فصيلتان من النصوص أحداهما شرقية والثانية غربية . وضاعت الاولى بعد نيقية وبقيت الثانية في الغرب . وهذه هي قانون الرسل المشار اليه آنفاً . وأهم الظروف التي دعت لاختلاف النصوص

قبل نيقية ظهور البدع في الشرق ووجوب محاربتها. وأهم هذه النصوص الشرقية نص كنيسة اوروشليم كما ورد في ارشادات كيرلس ونص كنيسة قيصرية فلسطين كما حفظه لنا المؤرخ افسابيوس (١) .

1) *Hahn, A., Bibliothek der Symbole, Breslau, 1897; Lietzmann, H., Symbole der Alten, Kirche, Berlin, 1931; Ghellinck, J., Hist. du Symbole des Apôtres à Propos d'un Texte d'Eusèbe, Rech. Sc. Relig., 1928, 118 - 125; Carpenter, H. J., Creeds and Baptismal Rites in the First Four Centuries, Journ. Theol. Stud., 1943, 1 - 11; Cullmann, O., Premières Confessions de Foi Chrétienne, Paris, 1948; Quasten, J., Pères de l'Eglise, I, 29 - 36.*

الفصل الثاني عشر

لوقيانوس المعلّم الأنطاكي

تيمايوس وكيرلس : وتوفي دومنوس الأول بعد خلع بولس السميساطي في السنة ٢٧١ فتولى خلافة بطرس في انطاكية تيمايوس *Timaïos* ورعى المؤمنين حتى السنة ٢٧٩ (١) . ولعله هو الذي تسلّم الأوقاف والقلاية بأمر اوريليانوس كما سبق وأشرنا . وجاء كيرلّس بعده فساس الرعيـــة حتى السنة ٣٠٣ (٢) . وجميع هذه التواريخ تقديرية لا يجوز اعتبارها ثابتة (٣) . ومما يروى عن كيرلس انه ابعد عن انطاكية عند بدء الاضطهاد في السنة ٣٠٣ وحكم عليــه بالأشغال الشاقة في مقالع بانونية فتوفي فيها بعد ثلاث سنوات (٤) .

فلول البولسيين : وتدخل الأمبراطور اوريليانوس في النزاع بين المجمع الانطاكي وبين بولس السميساطي فنفّذ رغبـــات المجمع وأكره بولس على تسليم الأوقاف للاسقف الشرعي . وغاب بولس عن انطاكية وانقطعت أخبـــاره . ولا نعلم شيئاً عن أتباعه في انطاكية وتوابعها قبل مجمع نيقيـــة . ولعلهم انزووا ولم يأتوا بحركة (٥) . ويرى لوفس *Loofs* العلامـــة الألماني ان البولسيين ظلوا منتظمين كنيسة مستقلة في انطاكية حتى مجمع نيقية برعاية اسقف كان يُدعى لوقيانوس وان اسقفهم هذا هو غير لوقيانوس المعلم الشهير (٦). ولكن النصوص التاريخية الباقية لا تخول المؤرخ المدقق هذا القدر من الاستنتاج .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 32; Zonaras., 12, 30; Nicephorus, VI, 34.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 32.*
3) *Schwartz, E., Eusebius Kirchengeschichte, III, 242 - 243; Harnack, A., Chronologie, I, 217.*
4) *AA. SS., Nov., III, Bruxelles, 1910, 769; Bardy, G., Paul de Samosate, 374, n. 3.*
5) *Bardy, G., op. cit., 385 f.*
6) *Loofs, F., Paulus, 182 f.*

دوروثيوس الكاهن : ويقول افسابيوس المؤرخ انه عرف في انطاكية دوروثيوس الكاهن *Dorotheos* فوجده ملماً باللاهوت مطلعاً على علوم اليونان يجيد العبرية ويقرأ الأسفار بلغتها الأصلية . ويقول افسابيوس ايضاً ان دوروثيوس وُلد خصياً وان الأمبراطور ألحقه بالبلاط ووكل اليه ادارة مصبغة صور . ثم يخلص المؤرخ الى القول : « لقد سمعناه يفسر الأسفار بحكمة في الكنيسة » (١) .

وقام بعد افسابيوس من خلط أخبار دوروثيوس الكاهن هذا بأخبار دوروثيوس آخر جعله التقليد اسقفاً على صور في ايام يوليانوس الجاحد (٢) . ولا نعلم شيئاً عن دوروثيوس الكاهن أكثر مما أوردناه اعلاه (٣) .

لوقيانوس المعلم : وجاء في التقليد (٤) ان لوقيانوس أبصر النور في سميساط في بيت كريم وانه درس الأسفار المقدسة في الرها على مفسر شهير كان يُدعى مكاريوس . واذا صح هذا التقليد جاز القول ان بولس السميساطي استقدم لوقيانوس ابن بلدته الى انطاكية بعد ان أصبح رئيس الكنيسة فيها فعني بتثقيفه ورسمه كاهناً ووكل اليه الاشراف على تلقين الدين المسيحي في عاصمة الشرق (٥) .

والثابت الراهن لدى المدققين الثقات هو ان لوقيانوس كان كاهناً عالماً في انطاكية في الثلث الأخير من القرن الثالث وانه ماشى بولس السميساطي في آرائه اللاهوتية فقطعه دومنوس عن الشركة بعد قرار المجمع الثالث فبقي مقطوعاً حتى تولى تيرانوس (٣٠٤–٣١٦) بعد كيرلّس (٦) . والدليل على قطعه هو شهادة

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 32.*
2) *Zeiller, J., Origines Chrét. dans les Provinces Danubiennes de l'Emp. Rom., 128.*
3) *Delahaye, H., Origines du Culte des Martyrs, 179-180.*
4) *Bidez, J., Philostorgius Kirchengeschichte, 91 f., 147 f; Batiffol, P., Passion de Saint Lucien d'Antioche, Cong. Scient. Internat. Cath., II, 181 ff.*
5) *Bardy, G., op. cit., 376.*
6) *Alexandre d'Alexandrie, Epist. ad Alex. Byz., Théodoret, Hist. Ecc., I, 4*

الكسندروس الاسكندري بذلك بعد وفاة لوقيانوس بعشر سنوات فقط (١) . ومن الأدلة على قطعه انتماء آريوس اليه في المذهب (٢) وقول عدد من كبار الآريوسيين انهم من اتباع لوقيانوس يقولون قوله ويدينون بمذهبه . وأشهر هؤلاء افسابيوس النيقوميذي وماري الخلقيدوني وminوفنتيوس ونومينيوس وافذوكسيوس والكسندروس واستيريوس القبدوقيون وانطونيوس الطرسوسي (٣) . ويضاف الى هذا كله دستور ايمان نُسب الى لوقيانوس وبحث في مجمع انطاكي في السنة ٣٤١ . والقول في هذا الدستور بالهوموئيسية الآريوسية جلي واضح (٤) .

والثابت الراهن ايضاً ان لوقيانوس استشهد في السنة ٣١٢ في نيقوميذية (٥) فغسلت معموديته بالدم سابق ذنوبه . ونقل جثمانه الى دريبانوم *Drepanum* ودفن فيها (٦) . فأصبح ضريحه مزاراً للمؤمنين وأقامت القديسة هيلانة فيما بعد كنيسة فوق هذا المزار (٧) تلقى فيها ابنها قسطنطين الوعظ والارشاد قبيل اعتماده (٨) . ومن هنا ايضاً اندفاع الذهبي الفم في تقريظ لوقيانوس في السابع من كانون الثاني سنة ٣٨٧ (٩) وفي تعليقه على الآية السادسة من الفصل التاسع من نبوة اشعيا (١٠) .

لوقيانوس والتوراة : وعني لوقيانوس بالتوراة وشرح نصوصها وصحح ترجمتها الى اليونانية (١١) . ولكننا نجهل شرحه وليس لدينا من آرائه سوى ما يجوز استنتاجه من تصحيحاته للترجمة اليونانية . وأفضل ما تبقى من

1) *Zeiller, J., Lucien d'Antioche, F. et M., Hist. Eglise, II, 351, n. 2.*
2) *Theodoret, Hist. Ecc., I, 4.*
3) *Philostorge, Hist. Ecc., II, 14; Zeiller, J., Origines Chrét., op. cit., 223, n.1.*
4) *Bardy, G., Symbole de Lucien d'Antioche, Rev. Sc. Relig., 1912, 139, ff, 230 ff; Loofs, F., Das Glaubensbekenntnis des Martyrers Lucian, Sitzungsberichte, Berlin, 1915, 576-603.*
5) *Vita Luciani, 11 ff.*
6) *Delahaye, Légendes Hagiog., 219.*
7) *Vita Luciani, 20; Philostorge, Hist. Ecc., II, 21.*
8) *Eusèbe, Vita Constantini, IV, 61; Batiffol, Paix Const., 395.*
9) *Tillemont, Mémoires, V, 771.*
10) *Dieu, L., Le Commentaire Arménien de Saint Chrysostome sur Isaïe, Rev. Hist. Ecc., 1921, 7-30.*
11) *Swete, H. B., Introduction to the Old Testament in Greek, Cam., 1902, 80 ff.*

هـــذه التصحيحات ما حفظه لنا كل من يوحنا الذهبي الفم وثيودوريتس في مصنفاتهما المختلفة .

ويستدل مما تبقى من ترجمة لوقيانوس انه توخى الضبط والايضاح فاستبدل بعض الكلمات الغامضة في مدلولها بما اعتبره أدق وأوضح منها واستعاض عن الضمير في بعض الأحيان بالأسماء التي يشير اليها هذا الضمير وتلافى بعض النقص في نص القصص بما يتممه (١) . وكان رائده في هذا كله ان يضمن نصاً سهل القراءة واضح المعنى دقيق التعبير لا يفسح المجال للتأويل والتفسير كما كان يجري في الاسكندرية وغيرها من الاوساط الشرقية التي تأثرت بطريقة اوريجانس في البحث . وعلى الرغم من خروج لوقيانوس على العقيدة الارثوذكسية الرسولية في بعض أبحاثه اللاهوتية وتوجيهه الآريوسي (اذا صح هذا التعبير) فان طريقته في تفسير الأسفار المقدسة ظلت طريقة انطاكية زمناً طويلا (٢) .

ولا نعلم شيئاً عن تفاصيل عمله في حقلي الترجمة والتفسير . ولا نعرف من عاونه في هذا العمل العظيم . والقول مع سويت العلامة الانكليزي ان دوروثيوس اشترك في هذا العمل هو مجرد افتراض ينقصه الدليل (٣) .

تعاليم لوقيانوس : وجـــاء في رسالة الكسندروس الاسكندري الى الكسندروس البيزنطي التي حُررت بعد استشهاد لوقيانوس بعشر سنوات فقط ان لوقيانوس خلف بولس السميساطي وانه قُطع من الشركة وان آريوس قال قوله وقول غيره من الخارجين قبـــل بولس (٤) . وقال القديس ابيفانيوس (٣١٠ ــ ٤٠٣) الفلسطيني أسقف قسطنطينة في جزيرة قبرص « ان لوقيانوس واتباعه أنكروا ان يكون ابن الله قد اتخذ لنفسه روحاً وقالوا انه اكتفى بالجسد فقط ليتمكنوا من القول ان ابن الله تألم وجـــاع وعطش وتعب وحزن

1) *Rahlfs, Septuaginta Studien, III, 628 ff; Hautsch, Der Luciantext des Oktateuchs; Tisserant, E., Notes sur la Recension Lucianique d'Ezechiél, Rev. Bib., 1911, 384-390; Pirot, L., Esdras - Néhémie, Biblica, 1921, 356-360.*
2) *Bardy, G., Paul de Samosate, 382.*
3) *Swete, H. B., op. cit., 81.*
4) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 4.*

واضطرب» (١) . وورد هذا القول في عرض الكلام عن آريوس والآريوسيين . وجاء عن استيريوس تلميذ لوقيانوس انه عدّل تعليم معلمه فقال ان طبيعة الابن هي صورة مشابهة تماماً لطبيعة الآب (٢) .

وفي هذا كله ربط بين تعاليم لوقيانوس وتعاليم آريوس بعده . وبالتالي فانه يجوز القول ان لوقيانوس مهد الطريق فيما يظهر اما عن قصد أو عن غير قصد للقول بخلق الابن وان معمودية الدم التي اعتمد بها في نيقوميذية في السنة ٣١٢ غسلت ذنبه هذا ورفعته الى مصاف القديسين (٣) .

بمفيلوس البيروتي : (٢٥٠ ــ ٣٠٩) ولد بمفيلوس *Pamphilos* في بيروت وتلقى علومه الأولية فيهـــا . ثم رحل الى الاسكندرية ودرس اللاهوت على بيريوس *Pierius* خلف اوريجانس الذي كان يُدعى اوريجانس الأصغر . فأصبح بمفيلوس من أتباع المعلم العظيم يقول قوله ويدافع عن رأيه . وعاد الى وطنه فاستقر في قيصرية فلسطين حيث علم اوريجانس في أواخر أيامه . وتقبل سر الكهنوت على يد اغابيوس أسقف قيصرية وأنشأ مدرسة درّس فيها اللاهوت ليواصل عمل اوريجانس . ثم أنفق بسخاء فجمع مكتبة خدم بها الفكر المسيحي أجيالا متواصلة . ومما يروى عنه انه كان يستنسخ الكتب التي لا يمكن شراؤها فينقلها بخطه في بعض الاحيان . ودرّب افسابيوس المؤرخ على قراءة النصوص وترجمتها ونقدها وجمعها . ولولا عنايته بآثار أوريجانس لضاع معظمها (٤) . وألقي القبض عليه في السنة ٣٠٧ وزُج في السجن . ثم استشهد في السادس عشر من شباط سنة ٣٠٩ أو ٣١٠ .

دفاعه عن اوريجانس : وراج القـــول بظاهر النصوص المقدسة في فلسطين . وشايع أساقفتها وكبار رجالها قادة الفكر الانطاكيين . فهب بمفيلوس للدفاع عن رأي اوريجانس . واغتنم فرصة سجنه فصنف ابولوغيتـــه الشهيرة

1) *Epiphane, Anocratus, 33, 4.*
2) *Philostorge, Hist. Ecc., II, 15.*
3) *Quasten, J., Patrology, II, 142-144.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 32, VII, 32.*

في خمسة أجزاء . وبعد استشهاده أكمل افسابيوس تلميذه عمله هـذا فأضاف جزءاً سادساً . وقد ضاع هذا المصنف ولم يبق منـه سوى الجزء الاول وذلك بترجمة لاتينية غير موثوق بها تنسب الى روفينوس *Rufinus* . ويفيدنا فوطيوس العظيم في مجموعته ان بمفيلوس وجه مؤلفه هـذا الى المؤمنين الفلسطينيين الذين حُكم عليهم بالأشغال الشاقة في المناجم . وأشهر هـؤلاء باترميثيوس *Patermythios* (١) .

بمفيلوس والتوراة : وأفيـد ما قام به بمفيلوس تسهيل الاطلاع على نصوص التوراة . فانه نسخ التوراة مراراً وتكراراً ووزعها فانتشرت في فلسطين وعبرت حدودها الى غيرهـا من البلدان المجاورة . ولا تزال بعض النسخ القديمة للعهدين القديم والجديد تنتسب الى أمهات أعدهـا بمفيلوس وتلميذه افسابيوس (٢) .

ذيالوغوس ادمنتيوس : ومحاورة ادمنتيوس *Adamantios* للدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية هي في عرف علماء اليوم نتاج أحد أبناء كنيسة انطاكية قبل السنة ٣٠٠ . وعلى الرغم من عزوها الى اوريجانس مدة طويلة من الزمن وورود اسم اوريجانس في بعض نسخها اليونانية فان محتوياتها تدل على اطلاع واضعها على بعض مصنفات مثوديوس كرسالته في القيامة وقوله في حرية الارادة وبالتالي فانه لا يمكن ان تكون قد كتبت قبل مثوديوس (+٣١١) . وأدمنتيوس هو اسم المدافع فيها عن العقيدة الأرثوذكسية . أما اسم واضعها فانه لا يزال مجهولا . وهي موجهة ضد المرقيونيين وغيرهم من هراطقة هذا القرن الذي نحن بصدده(٣) . وقد نقلت الى اللاتينية في أيام روفينوس فسميت *De Recta in Deum Fide* .

---

1) *Lommatzsch, Origenis Opera, 24, 293-412.*
2) *Harnack, A., Gesch. der Altchrist. Lit., I, 543-550; Bardy, G., Dict. Théol. Chrét., II, 1839 - 1841; Mercati, G., Nuove Note, ST95, Vatican City, 1941, 91.*
3) *Bakhuyzen, W. H. van de Sande, Griechischen Christlichen Schriftsteller, Leipzig, 4; Hort, F. J. A., Adamantius, Dict. Christ. Biog.; Zahn, Th., Dialoge des Adamentius, Zeit. Kirchengeschichte, 1888, 193-239; Harnack, A., Gesch. der Altchrist. Lit., I, 478-480.*

ذيذاسكالية الرسل : ومن آثار الفكر المسيحي الانطاكي في هـذا القرن الثالث تعاليم الرسل والتلاميذ *Didascalia Apostolorum* وهي لمؤلف مجهول تحدر من أصل يهودي وسيم أسقفاً فصنف رسالة في تعاليم الرسل على مثـال الذيذاخة وقصد بها ارشاد رعية مستجدة في النصرانية تقطن شمالي سورية . وهو يستعين كثيراً بالأسفار المقدسة والذيذاخة وايريناوس والنجيل بطرس الابوكريفي وأعمال بولس .

وهو يبحث في فصوله الاولى في الحياة الزوجية ثم كيفية انتقاء الأساقفة والكهنة والشمامسة . ويبحث بعد ذلك في حقوق الأساقفة وواجباتهم فيوصي باللين في معالجة التائبين وبالعطف على الفقراء والمساكين . ويحذر المؤمنين من الاخوة الكذبة ويحضهم على عدم الالتفات لشهادة الوثنيين على المؤمنين . وبعد ان يصف كيفية الاحتفال بالصلاة المشتركة ووجوب الاتجاه نحو الشرق في أثناء القيام بها يشدد على الاشتراك في هذه الصلاة وعدم التلهي عنها بمزاولة الأعمال اليوميـة أو بزيارة الملاهي . وهو يحض الأساقفة على الاهتمام بالمضطهـدين والمسجونين لأجل المسيح ويؤكد على جميع المؤمنين وجوب الترفيـه عن « المعترفين » بتقـديم الأموال اللازمة . ويشير الى الرجاء الأكيد بقيامـة الموتى فيوجب عدم التهرب من الاستشهاد . ويحث المؤمنين بعد هذا على صوم الاربعاء والجمعة وصوم اسبوع الآلام ابتـداء من صباح الاثنين حتى « الليل بعد السبت » .

ولا يبحث صاحب الذيذاسكالية في العقيدة ولكنه يكره اليهود ويخشى الغنوسيين . ويحذر المؤمنين من شر الاثنين . فيقول مثلا ان الله ترك كنيس اليهود وجاء كنيسة النصارى ولكن الشيطان ايضاً فعل الأمر نفسه .

وقد ضاع أصل الذيذاسكالية اليوناني ولم يبق منه سوى شذرات يسيرة . ولكن بقاء نص قانون الرسل كاملا يمكننا من ترميم ما تبقى من الذيذاسكالية . ولا يخفى ان الكتب الستة الاولى من قانون الرسل مأخوذة عن الذيذاسكالية .

ونقلت الذيذاسكالية من اليونانية الى السريانية في عصر قريب من عصر

مؤلفها وبقيت عن ترجمتها السريانية نسخ نشرت في اوروبة في النصف الثاني من القرن الماضي . وهنالك ترجمة لاتينية قديمـــة تشمل ثلاثة أثمان الذيذاسكالية وتعود الى القرن الرابع بعد الميـــلاد . وقد تولى نشر هذه الترجمـــة هولر في السنة ١٩٠٠ . ونص الذيذاسكالية العربيـــة والحبشية مأخوذ عن النص السرياني (١) .

★

1) *Lagarde, P. A., Didascalia Apostolorum Syriace, Leipzig, 1854; Hauler, E., Didascaliae Apostolorum Fragmenta Veronensia Latina, Leipzig, 1900; Gibson, M., Didascalia Apostolorum in Syriac, London, 1903; Connolly, R. H., Didascalia Apostolorum Accompanied by the Verona Latin Fragments, Oxf., 1929; Funk, F. X., La Date de la Didascalie des Apôtres, Rev. Hist. Ecc., 1901, 798-809; Harnack, A., Gesch. Altchrist. Lit, I, 515-518, II, 488-501; Bartlet, J. V., Fragments of the Didascalia in Greek, Journ. Theol. Stud., 1917, 301 ff.; Bartlet, J. V., Church Life and Church Order during the First Four Cent. with Sp. Ref. To Early East. Church Orders, London, 1943.*

الفصل الثالث عشر

المقاومة الوثنية

في القرن الثالث

واغتبط الوثنيون بما حل بالنصارى في القرن الثالث من قهر وايذاء وتعذيب وتشتيت . وأيدوا الحكومة الرومانية بما اوتوا من مقدرة ونشاط . وهب رجال الفكر بينهم الى التفنيد والتكذيب . وأعلن لوقيانوس وكلسوس وغيرهما الحرب على الكنيسة .

ثم هدأت الاحوال بعض الشيء في عهـــد الاباطرة السوريين كما سبق وأشرنا وجرت محاولة لتوحيد الآراء الدينية بالاعتراف بجميع الآلهة اعترافاً رسمياً . ولكن المسيحيين لم يقبلوا بشيء من هذا لأن إلههم إله اوحد لا إله إلا هو (١) .

أبولونيوس التياني : وكانت الفوضى والحروب والأوبئة قد أدت الى نزعات جديدة في الفكر الوثني . فدفعت بعض الرجال الى الابتعاد عن هذا العالم الفاني والتأمل في عالم أزلي ملؤه الخير والجمال . فعكف عدد من رجال الفلسفة على فيثاغوروس زاهدين ورعين مستوحين قائلين بالسحر والعرافة جاعلين من بعض حلقاتهم انتداءات سحرية . فظهرت فيثاغورية جديدة .

وكان ابولونيوس قد اشتهر في القرن الاول بفيثاغوريته وسحره . فزادت شهرته في القرن الثالث وأصبح صانع عجائب ونصف إله . وسمح كل من كركلا وسويروس الكسندروس واوريليانوس بإحياء ذكره بطقوس خصوصية . وأحبت يولية دومنة الامبراطورة الحمصية ان تتقرب من مريدي هذا الفيلسوف الساحر ومن أتباعه فطلبت الى فيلوستراتوس ان يكتب حياة

1) *Reville, J., La Religion à Rome sous les Sévères; Toutain, Les Cultes Paiens dans l'Emp. Romain, II, 227-257.*

أبولونيوس ففعل (١) . وجاء ابولونيوس في كتاب فيلوستراتوس فيثاغورياً مثالياً مرتدياً الكتان لا يشرب الا الماء ولا يأكل الا من ثمار الارض ولا يرضى عن الذبائح ولا يتعبد الا للآله الشمس مكتفياً بحرق البخور . وهو يخبر بما يكون في المستقبل ويطرد الشياطين ويجوب الارض في طلب الحكمة فيضرب فيها حتى بابل والهند والحبشة (٢) .

ويقول افسابيوس المؤرخ ان هيروكليس *Hiéroclès* حاول ان يجعل من ابولونيوس مناظراً للسيد المخلص (٣) . ولكنه خاطر في رهانه فنفر بعمله هــذا جمهور الوثنيين وأبعدهم عن بطله .

نومانيوس : وعلم نومانيوس *Numenius* في أبامية بين حماة والمعرّة في النصف الثاني من القرن الثاني فنقل عن فيثاغوروس وافلاطون وشرح ما جاء عن النفس في الجمهورية . واطلع على حكمة اليهود وتعاليم المسيح فأولها . ورأى في افلاطون موسى فدعاه موسى اليوناني واعتبره نبياً (٤) . وقال نومانيوس بانقسام الوجود الى مملكتين مملكة العناية ومملكة المادة . وقال ان المادة هي أصل الشرور والمفاسد وانه ليس يليق ان نعزو صنع العالم الى الاله الأعلى وان الابن هو الصانع الذي نظم الكتلة المادية . وهو يتأمل النموذج تارة ويتحول عنه طوراً ليحرك الفلك فيصير حينئذ النفس الكلية (٥) .

وأوّل نومانيوس النبوات اليهودية وبحث بالطريقة نفسها في بعض نواح من حياة السيد المخلص ولكنه لم يذكر اسمه . ولم يفت هذا نظر اوريجانس العظيم فأبانه في أحد مؤلفاته (٦) . ويرى رجال الاختصاص ان افلوطين اعتمد على نومانيوس في افلاطونيته الجديدة .

الافلاطونية الجديدة : ووجد آخرون في الطيماوس *Timaeus* لأفلاطون

1) *Westermann, Oeuvres de Philostrate et Callistrate, Paris, 1849, Trad. Chassang, Paris, 1862, 1-194.*
2) *Vie, I, 31, 32, IV, 10 20, 25, VI, 27.*
3) *Contra Hieroclem, I; Macarius Magnes, Apocriticus, 52, 66.*
4) *Eusèbe, Prep. Evang. XI; Clément, Strom., I, 22.*
5) *Leemans, E. A., Numenius, Brussels, 1937.*
6) *Origène, Contra Celsum, I, 15, IV, 51.*

قوتاً قامت به أنفسهم فانتعشت . فأكدوا قوله بالواحد الأوحد . وقالوا بالثنائية الافلاطونية ففرقوا بين النفس والجسد . وجعلوا من اسطورة افلاطون في الحياة بعد الموت عقيدة . وتقبلوا نظريتــه في الوسطاء بين الله والبشر *Daimones* . وأكدوا ان رائد الانسان انما هو ان يصير مشابهاً لله . فظهرت في مصر وسورية افلاطونية جديدة كان لها شأن كبير في عالم الفكر حتى أواخر القرن الخامس (١) .

أفلوطين : (٢٠٤ ــ ٢٧٠) وأشهر المؤسسين في هــذا الحقل افلوطين *Plotinus* . وُلد في مصر في ليقوبولس في السنة ٢٠٤ بعد الميلاد . وبدأ دروسه الفلسفية في سن متقدمة في الثامنة والعشرين في مدينة الاسكندرية . ولكن ما لقيه في هذه الدروس خيب أمله . واعترف بذلك الى أحد أصدقائه فقدّمه هــذا فوراً الى امونيوس سكاس *Ammonius Saccas* . فعادت رغبتــه اليه . وبعد ان قضى احدى عشرة سنة في معية هذا المعلم علم ان الأمبراطور غورديانوس فتح أبواب هيكل يانوس في رومــة ليعلن الحرب على ساسان . فصمّم الفيلسوف الطالب على الالتحاق بهذه الحملة العسكرية ليسمع عن حكمــة الفرس والهنود . والتحق بجيش غورديانوس ووصل معه الى الفرات . ثم تمرد الجند واغتالوا الأمبراطور عند الصالحية فعاد افلوطين الى انطاكية (٢٤٤) وزار ابامية ليطلع عن كثب على فلسفة نومانيوس . ثم توجه من انطاكية الى رومة . وبدأ يعلم فيها . وتميز بسمو أخلاقه ونفاذ بصيرته فصادف نجاحاً وأقبل على الأخذ عنه عدد من أفراد الاسر العالية (٢) .

افلوطين والنصرانية : وكثر عدد طلاب افلوطين وتنوعوا . وعارضه بعضهم فاتهمه بانتحال نومانيوس فرد أميليوس *Amelius* برسالة بيّن فيها الفرق بين عقيدة افلوطين وعقيدة نومانيوس (٣) . وجرؤ آخرون من طلابه الغنوسيين المسيحيــين على افلاطون نفسه فقالوا انه لم يستبطن كنه الماهيــة المعقولة

1) *Nock, A.D., Paganism in the Rom. Emp., Cam. Anc. Hist., XII, 438 ff.*
2) *Bibez, J., Lit. and Phil. in Eastern Half of Empire, Cam. Anc. Hist., XII, 621 ff.*
3) *Vita, XVII.*

Essence Intelligible فثارت ثائرة استاذهم ورد عليهم في السنة ٢٦٤ برسالة هامة سجل فيها موقفه من هؤلاء النصارى فانتقدهم في رأيهم في العالم وفي الانسان والخلاص(١). واتهمهم باستنباط أشياء لا تمت بصلة الى الثقافة اليونانية القديمة . فقد جاء في الفصل الثامن من هذه الرسالة : « بأن التساؤل عن سبب وجود العالم يعني التساؤل عن سبب وجود النفس وعن سبب انتاج الاله الخالق الذميورغوس *Demiourgos* . وهذا التساؤل يعني بدوره الاعتراف ببداية الذي كان دائماً موجوداً. وهذا الاعتراف يعني بالتالي ان هذا الذي كان دائماً موجوداً قد أصبح سبب وجود نتاجه بعد ان تغير هو نفسه وتطور أي انه قد لحقه التغير والتحول ، وهو ممتنع » .

ومما قاله افلوطين في رسالته هذه ان هؤلاء النصارى يعتبرون أنفسهم موضوع عناية خاصة وينسون ان هذه العناية كلية جامعة تشمل جميع الكائنات وتسهر على الكل لا البعض فقط والدليل على ذلك هو الوجود نفسه المرفق بالحكمة.

وأخذ افلوطين على هؤلاء النصارى ايضاً انه لم يكن لديهم رأي واضح في الفضيلة وانهم تجاهلوا آراء القدماء في هذا الموضوع فأهملوا النظر في كيفية اكتساب الفضيلة وكيفية ابراء النفوس وتطهيرها (٢) .

بورفيريوس : (٢٣٣ـ٣٠٥) وأظهر تلاميذ افلوطين بورفيريوس *Porphyrius* الحوراني . ولد في البثنية من أعمال حوران وتعلم في صور . ثم درس البيان والفلسفة على لونجينوس في اثينة . فأعجب لونجينوس بشغفه بالعلم ومواهبه النادرة . وكان يدعى مالكاً فأطلق عليه لونجينوس اسم « الأرجواني » بورفيريوس. ولا نعلم ما اذا كان وُلد مسيحياً كما يصرح سقراط المؤرخ (٣) . ولكننا نرجح انه عرف اوريجانس العظيم وعلم أشياء وأشياء عن النصرانية التي كانت قد شاعت آنئذ في طول الساحل اللبناني وعرضه (٤) . ويرى بعض

1) *Brehier, E., Les Enneades, II, 108 - 110.*
2) *Lebreton, J., Opposition Paienne, Fliche et Martin, op. cit., II, 216-220.*
3) *Socrate, Hist. Ecc., III, 23.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 19; Bidez, J., Vie de Porphyre, 7.*

العلماء الباحثين انه بالاضافة الى لغته الأم تكلم العبرية وعرف جيداً طقوس الكلدانيين والفرس والمصريين ولعله أجاد فهم الأدب اليهودي غير المقدس والفينيقي (١) . ويستبعد ان يكون بورفيريوس قد تذوق رسالة السيد المخلص في هذا الدور من حياته او ان يكون قد قدر عظمة التوراة حق قدرها (٢) . فانه في السنة ٢٤٩ عندما بدأ داقيوس اضطهاده الشهير اتخذ موقف المدافع عن الامبراطورية وآلهتها وصنف رسالته في العرافة والعرافين وطرد قوساته *Causatha* من الحمام لأنه اعتبره شيطاناً رجيماً (٣) .

ولما بلغ بورفيريوس الثلاثين من عمره (٢٦٣) رحل الى رومة وأصغى الى افلوطين فقال بفلسفته وأحب كثيراً ان يُغني ذاته في الوحدة الإلهية ويتحد بالواحد كما تسنى لمعلمه ولأفلاطون من قبله . واشتدت رغبته هذه حتى أنزفت قواه العصبية ففكر بالانتحار . ولكن افلوطين ردعه عن ذلك مبيناً سخف هذا العمل وأشار عليه بالتجول (٤) . فرحل بورفيريوس في السنة ٢٦٨ الى صقلية وأقام في ليليبة . ولم يرَ استاذه بعد ذلك .

وكان ما كان من أمر زينب التدمرية وحاجتها لفصاحة لونجينوس . وانقض القوط على ساحل ايجه وجزره . ففر لونجينوس ملبياً دعوة زينب وأقام معها . وعلم لونجينوس بما حل ببورفيريوس فكتب اليه ان يبرح صقلية ويعود الى بلده الأم (٢٧٠) ويحمل اليه بعض المصنفات . ولكن بورفيريوس آثر البقاء في صقلية فاستدرك بذلك خطر الموت الذي حلّ بلونجينوس في حمص في السنة ٢٧٢ على يد اوريليانوس .

وكان أفلوطين المعلم يمقت البيان ويستثقل العناية بالجمل والالفاظ . وأدرك الحاجة الى اعادة النظر فيما كتب فوكل ذلك الى تلميذه بورفيريوس . فقبل التلميذ ولكنه لم ينفذ شيئاً منها الا بعد وفاة معلمه . فدون في صقلية حياة

1) *Bidez, J., op. cit., 9-10.*
2) *Bidez, J., op. cit., 13.*
3) *Bidez, J, op. cit., 15, 17-28.*
4) *Vie de Plotin, XXIII.*

استاذه وجمع محاضراته في مجلدات ستة عرفت بالأقسام *Ennead* (التاسوعات) وشرحها (١) . وكتب اليه تلميذه خريساريوس *Chrisarios* عضو مجلس الشيوخ الروماني ان يعينه على فهم كاتيغوريات *Kategoria* (مقولات) ارسطو فصنف له بورفيريوس كتاب الايساغوجي *Eisagoge* (المدخل) وكسب بهذا السفر شهرة واسعة خالدة (٢) .

بورفيريوس والنصرانية : وعاد اوريليانوس من الشرق الى رومة منتصراً وأحب ان يعمم عبادة الشمس فيجعلها دين الامبراطورية الأوحد فأنشأ في السنة ٢٧٤ هيكل الاله الشمس على الكورينال وبدأ يدعو لدين الشمس في أوساط العاصمة وفي الولايات . وعلم بورفيريوس بذلك فهب يهاجم النصارى والنصرانية وصنف رسائله الخمس عشرة الشهيرة . وأمر الاباطرة المسيحيون في القرنين الرابع والخامس بمصادرة هذه الرسائل وابطالها فضاع نصها الكامل ولم يبق منها سوى شذرات مبعثرة في متون الردود التي صنفت ضدها . ثم ضاعت هذه الردود بدورها فلم يسلم منها سوى رد مكاريوس (٣) .

ويرى رجال الاختصاص ان هذه الرسائل خالية من اي تفكير فلسفي عميق . وهي في نظرهم أقرب الى الجدل الفيلولوجي التاريخي منها الى البحث الفلسفي . فاننا نرى بورفيريوس يسخر من قصة آلام السيد ويتطلب مثل الفريسيين من قبله عجائب عظمى . وهو يهزأ ايضاً من «تناقض» الاناجيل الأربعة ويلجأ في غالب الاحيان الى المحاجة والماحكة مبتعداً عن اتخاذ موقف حاسم واضح (٤) .

يمليخوس العيطوري: وقام في النصف الثاني من القرن الثالث في خلقيس (مجدل عنجر) يمليخوس العيطوري يدعو الى الافلاطونية الجديدة ويدافع عنها

1) *Henri, P., Enseignement de Plotin, Bull. Acad. Belge, 1937, 310 ff.*
2) *Bidez, J., op. cit., 60 ff.*
3) *Macarii Magnetis quae Supersunt ex Inedito Codice, Edit. Blondel Parisiis, 1876; Harnack, A., Porphyrius Gegen die Christen, Berlin, 1916.*
4) *Lebreton, J., Opposition Païenne, Fliche et Martin, op. cit., II, 222; Labriolle, P., Réaction Païenne, Paris, 1934, 252-270.*

ويعطي الناحية الدينية في الافلاطونية الجديدة المقام الاول (١) . وهو تلميذ بورفيريوس أخذ عنه في روما ودرس الرياضيات على اناتوليوس وعاد الى وطنه الأصلي يعلم في ابامية و في مجدل عنجر . فقال بصدور الموجودات بعضها عن بعض . ورأى ان افلوطين حين سمّى الواحد الأوحد خيراً بالذات قيّده بصفة فوضع فوقه واحداً غير معين ووضع بعده العالم المعقول فأصبح لديه « حدود » ثلاثة . وجعل العالم المعقول ثلاثة حدود ايضاً العقل والصانع وبينها القدرة الالهية . وجعل للعالم الاستدلالي ثلاثة حدود أخرى الآب والقوة والفهم .

* * *

1) *Bidez, J., Jamblique et son Ecole, Rev. Etudes Grec., 1919, 31 ff.*

الفَصْلُ الرّابع عَشَر

روابط الكنيسة ونظمها في القرن الثالث

الاخوّة والمحبة : وواظب المسيحيون في هذا القرن على محبة المسيح . وأحب بعضهم بعضاً لأنهم أحبوا المسيح ولأن المسيح أحبهم . وبقيت الكنيسة اخوية يتساهم أعضاؤها الوفاء ويتقاسمون الصفاء لأن قلوبهم اجتمعت على محبة السيد المخلص واتفقت على ولائه. ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا كل طمّاع رغيب خلا قلبه من نعمة الله ومحبة ابنه الحبيب .

كنيسة واحدة جامعة : وقضت العناية ان يكون المسيحيون واحداً فذكروا الآية : «لست أنا بعد في العالم وأما هم فانهم في العالم وأنا أمضي اليك . أيها الآب القدوس احفظهم باسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً مثلنا نحن (واحد) » . نقول ذكروا هذه الآية فحفظوها وعملوا بها كأنهم جسم واحد . فكانوا حيثما يحلون ينتظمون كنيسة واحدة لا « كنيسات » متعددة مستقلة كما فعل اليهود من قبل ولا « كليات » منفردة قائمة بذاتها كما جرت عادة الوثنيين (١) .

وعلى الرغم من المسافات الطويلة التي كانت تفصل الكنائس بعضها عن بعض واللغات المتباينة التي كانت تعرقل سبل التفاهم فان المؤمنين ظلوا متماسكين معتبرين أنفسهم أعضاء جسم واحد مستهدفين خيراً واحداً هو ملكوت الله . وظلت الرسائل *Litterae Formatae* واسطتهم العادية للمفاوضة وتبادل الرأي كما كانت في القرنين الأولين (٢) .

وجاءت بدع القرن الثالث واشتد الاضطهاد فلجأ الاساقفة الى التفاوض

1) *Batiffol, P., Eglise Naissante, 41 - 42.*
2) *Zeiller, J., Org. Ecc., Fliche et Martin, op. cit. I, 374 - 375.*

مجتمعين لتوحيد الرأي ودرء الاخطار الداهمة . والاشارة هنا الى سنودوسات ايطالية التي التأمت برئاسة اسقف رومة ومجامع افريقية برئاسة اسقف قرطاجة ومجامع انطاكية برئاسة اسقف انطاكية أو أقدم الأساقفة سيامة كأسقف طرسوس (١) .

الهيرارخية : والهيرارخية *Herarchia* لفظ يوناني معناه في الأصل سلطة الكاهن أو حكمه . ويرى رجال الاختصاص ان بعض الكنائس في بعض البلدان كانت منذ القرن الاول قد بدأت تخضع للكنيسة الأم التي أسستها . ولما كانت هذه الكنائس المؤسسة في غالب الأحيان كنائس مراكز الحكم في الولايات تزعّم أساقفتها السلطة في القرن الثالث على جميع أساقفة الولاية التي انتموا اليها . ومما يجدر ذكره لهذه المناسبة ان مراكز الحكم في الولايات كانت تتمتع في غالب الأحيان برتبة متروبوليس *Metropolis* « المدينة الأم » وان الولاية التابعة كانت تدعى *Eparchia* « ابرشية » فأصبح اسقف المتروبوليس متروبوليت الأبرشية . ومما يذهب اليه رجال البحث في هذا الموضوع ان أبرشيات الشرق سبقت غيرها من الأبرشيات الى هذا النظام وان متروبوليت الأبرشية تمتع منذ القرن الثالث بصلاحية سيامة الأساقفة في أبرشيته أو بحق تثبيتهم بعد الانتخاب . ومما يُقره رجال الاختصاص أيضاً ان ظروف التبشير والادارة والمواصلات قضت بتكتل أوسع وأكبر ففرض اسقف قرطاجة سلطته في القرن الثالث على جميع افريقية الشمالية وعلى اسبانية في بعض الأحيان وخضعت مصر وليبية لسلطة اسقف الاسكندرية كما اعترفت ايطالية بأسرها بسلطة اسقف رومة والشرق بسلطة اسقف انطاكية (٢) .

هيرارخية انطاكية : وكانت انطاكية ثالثة مدن الأمبراطورية وقاعدة الأباطرة في الشرق . وكانت قد أصبحت عاصمة النصرانية بعد خراب اوروشليم وتضعضع أم الكنائس . فكان من الطبيعي أن يصبح أسقفها خليفة بطرس وبولس ذا هيبة ووقار وسطوة واقتدار . وقد مرّ بنا ان اغناطيوس

1) *Zeiller, J., Org. Ecc., op. cit. II, 398 - 400.*
2) *Zeiller, J., Org. Ecc., op. cit., II, 400 - 401.*

« حامل الإله » اعتبر نفسه منذ نهاية القرن الأول أسقف سورية (١) كما اعتبر كنيسة انطاكية كنيسة سورية بأسرها (٢) وان سيرابيون (١٩١ ــ ٢١٢) الأسقف التاسع بعد بطرس وبولس كتب الى الاكليريكيين بونطيوس *Pontios* وكريكوس *Caricus* البونطيين بشأن هرطقة مونطانوس *Montanos* (٣) وانه تدخل أيضاً تدخلا فعلياً في شؤون كنيسة ارسوز ليمنع مطالعة انجيل بطرس (٤) .

وفي التقليد السرياني روايات عديدة تدل على اتساع نفوذ الكرسي الانطاكي وسلطته في ما بين النهرين وما وراءهما في هذه القرون الأولى ولا سيما في أمر سيامة الأساقفة . ولكن هذه الروايات جاءت متأخرة مشحونة بالأغلاط التاريخية فضاعت فائدتها وتعذر على المؤرخ المدقق أن يأخذ بها . ومن هنا ضلال العلامة اللبناني السمعاني وغيره (٥) .

ويأخذ فابيوس اسقف انطاكية في منتصف القرن الثالث برأي فالنتنيانوس كما سبق وأشرنا فيهرع أساقفة الكرسي الانطاكي الى انقاذه من الضلال ويلتئم مجمع انطاكي في انطاكية نفسها فيهتم افسابيوس المؤرخ لهذا الحدث ويدون أسماء أعضاء هذا المجمع (٦) فيبين لنا بعمله هذا مدى سلطة السدة الانطاكية ويتضح من نص افسابيوس ان هيرارخية انطاكية شملت في منتصف القرن الثالث سورية ولبنان وفلسطين والعربية وقيليقية والقسم الشرقي من آسية الصغرى حتى البحر الأسود بما في ذلك قبدوقية وغلاطية وما جاورهما (٧) .

---

1) *Ad Rom., II, 2.*
2) *Ad Ephes., XXI, 2 ; Ad Mag., XIV; Ad Trall., XIII, 2.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 12.*
4) *Ibid. ; Harnack, A , Mission und Ausbereitung, II, 672, 674.*
5) *Doctrina Addai, Edit. Philips, 50 ; Duval, R., Ancienne Lit. Chrét., 123 ; Zorel, F., Chron. Ecc. Arbelensis, 166 ; Mari Ibn Soleiman, Liber Turris; Bar - Hebraeus, Chron. Ecc., II, 26 ; Assemani, Bib. Or., II, 390 ff., III, 51 ff. ; Harnack, A., Mission und Ausbreitung, II, 680, 689 - 690 ; Haase, F., Altchristliche Kirchengeschichte, 82 - 83, 104 - 107; Westphal, G., Unterschungen uber die Quellen und die Glaubwurdigkeit der Patriarchalchroniken des Mari Ibn Sulaiman, Amr Ibn Matai, und Saliba Ibn Johannan ; Labourt, J., Le Christianisme dans l'Emp. Perse, 13 ff.*
6) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 43 - 46.*
7) *Bardy, G., Paul de Samosate, 220 - 223 ; Vailhé, S., Formation du Patriarcat d'Antioche, Echos d'Orient., 1912, 196.*

تقدم رومة في الكرامة : ويتفق المؤرخون الباحثون في هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة على تقدم اسقف رومة في الكرامة والاحترام . فهو اسقف عاصمة الدولة الرومانية ويمثل الكنيسة الجامعة امام السلطة المدنية العليا يدافع عن حقوق هذه الكنيسة الجامعة ويتحمل مسؤولية اقوال المسيحيين وأفعالهم في جميع ارجاء الأمبراطورية الرومانية وهو يتمتع في الوقت نفسه بتسلسل بركة رسولية لا غش فيها ولا جدال حولها (١) ويحمل في شخصه ومن حوله أمانة العقيدة الطاهرة المقدسة . يؤم مقامه كبار علماء الكنيسة امثال ايريناوس وترتوليانوس واوريجانس ويراسله غيرهم أمثال ديونيسيوس الاسكندري للمشاورة والاستيضاح (٢) .

وأحسّ بعض أساقفة رومة في هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة بواجب رعائي تجاه الكنيسة الجامعة . فحاول فيكتوريوس (١٨٩ ــ ١٩٩) ان يفرض رأي رومة في كيفية ممارسة عيد الفصح على أساقفة آسية الصغرى . وهبّ بعده اسطفانوس (٢٥٤ ــ ٢٥٧) يوجب الاعتراف بمعمودية التائبين العائدين الى حضن الكنيسة والاكتفاء بفرض الندامة والتوبة مهدداً أساقفة افريقية وآسية الصغرى وانطاكية بالقطع ان هم خالفوا العرف والتقليد الرومانيين . فاحتج بوليكراتس اسقف ازمير على تدخل فيكتوريوس واستند في احتجاجه هذا الى العرف الرسولي المتوارث في آسية الصغرى عن يوحنا الحبيب وأيده في احتجاجه مجمع محلي ضم خمسين اسقفاً (٣) . ثم احتج أيضاً كل من القديس كبريانوس اسقف قرطاجة والقديس فرميليانوس اسقف قيصرية التابعة لكنيسة انطاكية على تدخل اسطفانوس في امورهما . وقالا بتساوي الرسل (٤) وتساوي الأساقفة مؤكدين ان وحدة الكنيسة انما تتم بتفاهم الأساقفة وتآلفهم وتعاونهم (٥) . ورأى كبريانوس في العبارة « أنت صخر » رمزاً بالرقم واحد لوحدة

---

1) *Irenaeus, Adversus Haereses, I, 27, III, 3.*
2) *Feltoe, Letter and Other Remains of Dionysius of Alexandria, 182 - 198.*
3) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 24.*
4) *« Pari consortio praediti et honoris et potestatis » De Ecclesiae Unitate, IV, Unam Sanctam, 9, 8.*
5) *Ibid. IV, V, VII.*

الكنيسة (١). اما العبارة *Primatus Petro datur* «الأولية تعطي لبطرس» والعبارة *Qui cathedram Petri Super quam fundata Ecclesia est, deserit, in Ecclesia se esse confidit?* « الذي يهجر كرسي بطرس الذي عليـه اسست الكنيسة هل يثق انه في الكنيسة ؟ » ، الواردة في رسالة كبريانوس عن وحـدة الكنيسة فانها موجودة في بعض النسخ الخطية وساقطة من غيرهـا (٢) . وهنا يختلف العلماء الباحثون . فان بعضهم يرى ان هذه العبارات مدسوسة دساً لتأييد سلطـة رومـة (٣) والبعض الآخر يرى ان نصوص هذه العبارات تتفق وطريقـة كبريانوس في التعبـير وان كبريانوس نفسه ربما أدخلها على النص الأصلي في ظرف متأخر (٤). ولا ينحصر القول بالدس في الأوساط العلمية غير الكاثوليكية فان كلا من ارهارد وتكسيرون يشكان في صحـة هذه العبارات موضوع البحث (٥) .

اما الآية « أنت صخر » فانها في نظر علماء الكنيسة الكاثوليكية مصدر سلطة رومة . فالسيد المخلص وهب بطرس بموجب هذه الآية زعامة رسولية بنى عليها الكنيسة . ثم مكنه من تأسيس كنيسة رومة وأذن باستشهاده فأصبح خلفه في اسقفية رومة وريثه (٦) .

واباؤنا وعلماؤنا رأوا ، ولا يزالون ، في الصخرة التي تبنى عليها الكنيسة صخرة الايمان، صخرة القول مع بطرس «انت المسيح ابن الاله الحي» (متى ١٦: ١٦). ورأوا في القول «أنت صخر» تثبيتاً لبطرس في ايمانه. وقال آباؤنا بتساوي الرسل الاطهار في النعمة وفي الحل والربط ووجدوا في اختلاف بطرس وبولس في انطاكية واحتكامهما امام مجمع الرسل في اوروشليم برئاسة يعقوب «اخي الرب»

1) *Epist. XXVII.*
2) *Unam Sanctam, 9, p. 11.*
3) *Koch, H., Cyprian und der Romische Primat; Benson, Cyprian, His Life, His Time, His Work, 180 ff.; Loofs, Dogmengeschichte, 209.*
4) *Dom Chapman, Les Interpolations dans le Traité de St. Cyprien sur l'Unité de l'Eglise, Rev. Bénédictine, 1902, 246 f., 357 f., 1903, 26 f.; Ritschel, O., Cyprian von Carthago, 1885, 92 f.*
5) *Ehrhard, Altchristliche Literatur, 476; Tixeront, Hist. des Dogmes, 1930, 381 f.*
6) *Batiffol, Mgr., Cathedra Petri.*

دليلا واضحاً على هذا التساوي . فبطرس لم يعترض على الاحتكـام بل امتثل لقرار المجمع . فأين الزعامة ! وينهج آباؤنـا في وحدة الكنيسة نهج القديس كبريانوس في رسالته «وحدة الكنيسة» ولاسيما في الفصلين الرابع والخامس فيرون ان هذه الوحدة تتجلى بتفاهم الاساقفة وتعاونهم وان الكلمة التي وجهها السيد الى بطرس انما ترمز الى وحدة الاساس الذي ترتكز اليه الكنيسة .

انطاكية وروبة : ويرى العلامة الأب غوستاف بردي ان موافقـة رومة على قرار المجمـع الانطاكي الثالث القاضي بخلع بولس السميساطي كانت ضرورية ليصبح هذا القرار نافذ المفعول (١) . ويستند في رأيه هذا الى الرسائل التي تبودلت في السنة ٣٣٩ بين يوليوس اسقف رومة وبين الأساقفة اليوسيبيين المجتمعين في انطاكية آنئذ (٢) والى قول يوليوس فيها ان القانون الكنسي يقضي باعلام الجميع بما يتم .

ويُلاحظ ان النصوص الأولية التي تحفظ أخبـار المجمعين الانطاكيين خالية من أية اشارة الى ضرورة موافقة رومة على قرارات هذين المجمعين وان الرسائل التي تبودلت بين يوليوس اسقف رومة وبين الأساقفـة اليوسيبيين تعود الى السنة ٣٣٩ أي الى ما بعد المجمع الانطاكي الثالث باحدى وسبعين سنـة وان جل ما يقوله يوليوس هو إعلام « الجميع » (٣) بالقرار المتخذ سنة ٣٣٩ . ومما تجب ملاحظتـه ان الأب بردي يعترف بضياع القانون الكنسي الذي أشار اليه يوليوس اسقف رومة وانه لا يجوز اتخاذ مرجع ضائع حجـة ودليلا . ونحن نلفت نظر الأب بردي الى ان الكنائس الشرقية لا تزال حتى يومنا هذا توجـه رسائل « سلامية » تنبيء بها جميع رؤساء الكنائس الشقيقة بالقرارات الهامة التي تتخذ لمناسبة خلع رئيس او ارتقاء غيره .

الاساقفة : وتميّز الاسقف في هذا القرن على نظرآئه في القرنين الاول والثاني

1) *Bardy, G., Paul de Samosate, 312.*
2) *Sozomène, Hist. Ecc., III, 8.*
3) *Jules, Epist. ad Orient., Athanase, Apol. contra Arian., 35: « Il fallait nous écrire à nous tous et qu'ainsi justice fût rendue par tous » !*

فأصبح على حد تعبير القديس كبريانوس هو الكنيسة *Ecclesia in Episcopo* (١). وظلّ الشعب ينتخبه انتخاباً ويرفعه الى اسقف عاملٍ في حقل الرب لينال منـه الرّسامة . ثم تبدلت شروط هذه الرّسامة فأصبح عـدد الأساقفة الراسمين ثلاثة وغدا تثبيت متروبوليت الأبرشية لازماً ضرورياً . وتمتع الاسقف بعد هـذه التولية المزدوجة البشرية والإلهية بصلاحيات واسعـة فأصبح هو الراعي المطاع يدبر امور الرعية كما يشاء ويقدم لقاء هذه الطاعة محبة وغيرة واخلاصاً (٢) .

الكهنة : وقضت ظروف الاضطهاد في القرن الثالث بتوسيع صلاحيات الكهنة . فاختباء بعض الأساقفة واستشهاد البعض الآخر وتشتت الرعية وعـدم تمكنها من انتخاب أساقفة جدد أدى بطبيعة الحال الى توسيع صلاحيات الكهنة والسماح لهم بممارسة سر الأفخارستية . ولا يخفى ان أعمالهم كانت تنحصر قبل ذلك بتعليم المؤمنين واعداد الموعوظين لتقبل سر المعمودية وارشاد التائبين الى سبل التكفير عن خطاياهم . وكانوا لا يمارسون سر الأفخارستية الا بحضور الاسقف الراعي (٣) . وأدى ازدياد عدد النصارى في امهات المدن في هذا القرن الى تقسيم الابرشية الى خورنيات *Parochia* واقامة كاهن على كلٍ منها يدبر شؤونها ويقوم بواجبات الرعاية (٤) .

الخوراسقف : *Chorepiscopos* وقضت هذه الظروف عينها بزيادة عدد الاساقفة فازداد عددهم في هذا القرن ازدياداً عظيماً ولاسيما في ايطالية وشمالي افريقية وسورية وآسية الصغرى. واختلفت الكنائس في صلاحيات هؤلاء الاساقفة الجدد فلم تفرق روما بينهم وبين الاساقفة القدماء. اما كنيسة انطاكية وكنائس آسية الصغرى فأنها الحقت هؤلاء الاساقفة بأساقفة المراكز القديمة وجعلتهم دونهم أهمية ونفوذاً ومنحتهم لقب خوراسقف. وخوره *Chora* لفظ يونـاني معناه منطقة تجمع القرى . والكورة العربية هي في الارجح تحريف خوره اليونانية (٥) . وأقدم

1) *Epist. XXXIII, I.*
2) *Zeiller, J., Org. Ecc., op. cit., II, 390-391.*
3) *Smedt, C., Org. des Eglises Chrét. au IIIe Siècle, Rev. Quest. Hist., 1891, 397 f.*
4) *Ibid., 410 f.*
5) *Gillmann, F., Das Institut der Chorbischofe im Orient, Munchen, 1903; Bergère, H., Etude Hist. sur les Chorévêques, Paris, 1905; Jugie, P. M., Les Chorévêques en Orient, Echos d'Orient, 1904, 263 ff.*

خوراسقف ورد ذكره في تاريخ الكنيسة هو زوتيكوس خوراسقف كومانة في فريجية (١) . ولم يلقَ هذا الترتيب ترحيباً في الغرب فأمسى استعمال هذا اللقب في كنائس الغرب أمراً نادراً شاذاً (٢) .

الشمامسة : وواظب الشمامسة في هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة على القيام بالخدمات نفسها التي مارسوها في القرنين الأولين . فعاونوا الاسقف في الصلوات والخدمات الروحية وأشرفوا على توزيع الصدقات بين المؤمنين الفقراء كما قاموا ببعض أعمال ادارية داخل الكنيسة وخارجها. وآثر الأباء في هذه الحقبة تأثر الرسل في عدد الشمامسة فجعلوا هذا العدد سبعة وأبقوه كما كان في ايام الرسل في أم الكنائس. وكان المقدم بين الشمامسة السبعة يدعى أرشدياكون. وكان الأرشدياكون في معظم الكنائس الكبيرة الشخصية الثانية بعد الأسقف يخلفه في غالب الأحيان بعد وفاته.

الأناغنوستس : ويُستدل مما تبقى من مصنفات القديس يوستينوس (٣) ان الكنائس الكبيرة كانت منذ عهـده (١٠٠ـ١٦٤) قد بدأت توكل قراءة الأسفار المقدسة في الخدمات الروحية الى أشخاص معينيـن أطلقت عليهم لقب أناغنوستس *Anagnostes* . وظل الأناغنوستس طوال القرن الثالث رجـلا مرموقاً في الخدمات الروحية (٤) . ولا تزال هذه الرتبة محفوظة حتى يومنا هذا في جميع الكنائس اليونانية .

الابوذياكون : واتسع عمـل الشمامسة في هذا القرن نفسه وحافظ الآباء على التقليد الرسولي وأبقوا عدد الشمامسة سبعة فاضطروا ان يرسموا معاوني شمامسة أطلقوا عليهم لقب ابوذياكون (٥) .

الاكزوركيس : وجاء بعد الابوذياكون الاكزوركيس *Exorkistes* وكانت واجباته في هذا القرن تقضي بطرد الشياطين والأرواح النجسة (٦) .

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., V, 16.*
2) *Zeiller, J., Note sur le Chorépiscopat en Occident, Rev. Hist. Ecc., 1906, 27 ff.*
3) *Apolog. I, 47.*
4) *Tertullienus, Praescriptione, 41.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 43.*
6) *Ibid.*

الكاتيخيستس : وعُني بارشاد الموعوظين في الكنائس الكبرى في هذا القرن موظف خصوصي أطلق عليه لقب كاتيخيستس *Catechistes* وهو الـ *Doctor Audientium* في كنيسة رومة (١) .

الاكليروس والشعب : وأجاز بولس الرسول في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس (٩ : ١٣ و١٤) ان يأكل الذين يتولون الاعمال الكهنوتية من الهيكل وان يقاسم المذبح الذين يلازمونه فحض الآباء المؤمنين على التقدمة مما يملكون (٢) . وقُدِر للكنيسة في القرنين الثاني والثالث ان يكون لها أوقاف تدر عليها دخلا ثابتاً فكان للاكليروس شيء من المال يتعيشون به. ولكن لا هذا ولا ذاك كان كافياً . فامتثل بعض رجال الاكليروس أمر بولس واحتذوه فتعاطوا الاعمال المدنية لاكتساب الرزق . ولم يقنع بعضهم باليسير ولم يتكرموا عن المكاسب الشائنة فأثاروا غضب زملائهم القديسين الاطهار امثال كبريانوس (٣) واعضاء المجمعين الانطاكيين الثاني والثالث كما سبق وأشرنا .

وقضت رسائل الرسل بأن يتميز الاكليركي عن سائر افراد الشعب بالصلاح والتقوى وأوجب بولس في رسائله الى تيموثاوس وتيطس ان يكون الاسقف غير متزوج «أكثر من مرة واحدة» فلم تفرض العزوبة على الاكليروس في القرون الثلاثة الاولى ولكن التبتل فضّل على الزواج منذ عهد الرسل فآثر الاباء في هذه في القرون الاولى انتقـاء رجال الاكليروس من صفوف العزاب اذا تساوت سائر الصفات بينهم وبين المتزوجين . وامتنع الآباء في هذه الفترة من تاريخ الكنيسة عن قبول الحديثين في نعمة الايمان *Neophyte* والذين تعمدوا معمودية المرضى والتائبين بعد الاجحاد والذين شوهوا انفسهم من غير اكراه في صفوف الاكليروس (٤) .

1) *Ibid.*
2) *Didache, XIII; Didascalia, VII, XVIII.*
3) *De Lapsis, IV.*
4) *Zeiller, J., Org. Ecc., op. cit. II, 388-389; Eusèbe, Hist. Ecc., VI, 43.*

الفصل الخامس عشر

الاضطهاد العظيم

٣٠٣ — ٣١٢

مقدمات الاضطهاد : وقتل الأمبراطور اوريليانوس في حملة قام بها على الساسان في السنة ٢٧٥ . فانتخب مجلس الشيوخ تسيتوس أمبراطوراً بايعاز من الجند . وتوفي هذا بعد ثلاثة أشهر في اثناء حملة شنها على قبيلة الالاني في آسية الصغرى . ولم يُفلح أخوه في تسنم الحكم بعـده لانكساره أمام بروبوس (٢٧٦ـ٢٨٢) . ورد بروبوس الأمبراطور هجمات الافرنج والبورغنديين والألمان والفندال وشغـل الجنود بتجفيف المستنقعات وانشاء الترع وبناء الطرق فثاروا عليه وقتلوه . فتولى الحكم بعـده قائد الحرس كاروس (٢٨٢ـ٢٨٣) ولكن صاعقة أصابته فيما يظهر بعد ان احتل طيسفون عاصمـة ساسان . فخلفه ابنه نومريانوس (٢٨٤) ولكنه قتل بمؤامرة دبرها كارينوس والد زوجته . ولم يُفلح كارينوس في استلام ازمة الحكم لأن الجند نادوا بديوقليتيانوس (٢٨٤ـ٣٠٥).

وأراد ديوقليتيانوس ان يجعل جلوس الأمبراطور أمراً مدنياً لا علاقة له بالجيش . فجعل للدولة الرومانية امبراطورين . وجعل لكل منهما قيصراً يعاونه في الحكم ويحل محله عند الوفـاة او اعتزال الوظيفة . وطبق هذا النظام الجديد . فجعل مكسيميانوس *Maximianus* امبراطوراً يشاطره الحكم . وحكم هو الشرق متخذاً نيقوميذية قاعدة له . وحكم مكسيميانوس الغرب وجعل قاعدته ميلان. وفي آذار السنة ٢٩٣ نصّب الامبراطوران قسطنديوس كلوروس *Constantius Chlorus* ابا قسطنطين قيصراً يعاون مكسيميانوس في الغرب وجعلا من غلاريوس *Galerius* قيصراً آخر يعاون ديوقليتيانوس في الشرق . فساس غلاريوس البلقان وجزيرة كريت وتولى ديوقليتيانوس بنفسه إدارة شؤون الشرق من ليبية حتى الفرات. وآسية الصغرى (١) .

1) *Besnier, M., Emp. Rom., 279-317.*

وزار ديوقليتيانوس فلسطين في السنة ٢٨٦ وأقام عدة اشهر في طبرية . وفي السنة ٢٨٨ قام الى الفرات يهدد بهرام الثاني شاه ساسان ويكرهه على التخلي عن ما بين النهرين وأرمينية . وعاد ديوقليتيانوس الى انطاكية وحمص في ربيع السنة ٢٩٠ ليقتص من القبائل العربية الضاربة في هذه المناطق . ولعل الاشارة الواردة في المراجع لهذه المناسبة هي للغساسنة بزعامة ثعلبة (١) . واضطرب الأمن في مصر في السنة ٢٩٦ – ٢٩٧ فهجم نرسه الساساني على أرمينية وسورية . فأنفذ ديوقليتيانوس معاونه غلاريوس لقتال نرسه فوقع في كمين مخيف وتراجع مقهوراً. فأكرهه ديوقليتيانوس ان يواكبه ماشياً مسافة ميل مرتدياً ثوبه الارجواني ! ثم شرع الامبراطور يعد العدة للأخذ بالثأر فأنشأ معامل لصنع الأسلحة في انطاكية ودمشق والرها وحضّ غلاريوس على انتقاء افضل الرجال وأكثرهم خبرة في القتال . فاستقدم غلاريوس الرجال من البلقان وانقض على نرسه عن طريق ارمينية فقدر له النجاح اذ جرح نرسه نفسه واعتقل حرمه وأولاده واستولى على خزينته . فاضطر نرسه ان يفاوض صاغراً فتخلى عن ما بين النهرين واعترف بحماية رومة على ارمينية ووافق على جعل نصيبين مركزاً دائماً لتسوية العلاقات التجارية بين البلدين . ودام هذا الصلح اربعين عاماً . وعاد غلاريوس مرفوع الجبين واعتز سيده ديوقليتيانوس بهذا النصر فنقل عن خصمه الفارسي مظاهر الابهة والعظمة في التشريفات الملكية فكثرت الحجب الحريرية في البلاط وتنوعت الزينة فشاع استعمال الذهب واللؤلؤ والحجارة الكريمة . واحتجب الامبراطور وتطلب ضروباً من التكريم والتبجيل أهمها الركوع .

وجدّ ديوقليتيانوس في حماية حدود الدولة فجدد الحصون التي كان تريانوس ومرقس اوريليوس قد انشآها ضد فارس وأمر ببناء غيرها كقصر الملكة في تدمر وقصور جنيجل وخان التراب وخان الشامات ودير الكهف وقصر الأزرق (٢) . وعبدّ الطرقات العسكرية وحماها بالأبراج . وأهم هذه طريق

1) *Caussin de Perceval, Essai, II, 206.*
2) *Abel, F.M., Palestine, II, 245-246.*

دمشق تدمر الفرات التي دعيت طريق ديوقليتيانوس *Strata Diocletiana* (١) وطريق دمشق بصرى فالعربية وعمان مادبا حتى وادي الحسا (٢) . وأعاد النظر في نظام الجيش فخفض عدد الرجال في وحداته ليسهل الحركة والانتقال (٣) .

وكان فاليريانوس قد بدأ في بناء بلاط امبراطوري في انطاكية فأكمل ديوقليتيانوس هذا العمل وأنشأ بلاطاً آخر في دفنة . وشيّد هيكلين في دفنة أحدهما لزفس كبير الآلهة والآخر لأبولون .

أسباب الاضطهاد : وهكذا فان ديوقليتيانوس كان منذ بداية عهده مجدداً مصلحاً محافظاً على سلامة الدولة . وكان منذ بداية عهده ايضاً معادياً للنصرانية لأنه لم يجد في أوساطها استعداداً للتعاون معه في توحيد القلوب ودرء الاخطار المداهمة (٤) . فالنصارى لم يقدسوا ما قدسته الدولة ولم يفتروا عن مصارحة الأوساط الوثنية الرسمية وغير الرسمية بأن لا اله الا الله وبأن يسوع ابنه الوحيد تأنس وصُلب ومات من أجل البشر وقام في اليوم الثالث وجلس عن يمين الآب وان لا خلاص الا به .

ويتميز القرن الثالث عن القرنين الأولين بشدة انتشار الدين المسيحي وانكشاف أمره واقدام المسيحيين على الجهر به وبتشييد الكنائس الفخمة والاستعانة بفني النحت والتصوير للتعبير عن العقيدة المقدسة. ولا تزال بعض آثار هذا القرن تنطق بصحة ما نقول. فقد كشف العلماء الباحثون آثار كنيسة كبيرة هامة في عمواس فلسطين تعود الى القرن الثالث (٥) وأظهروا كنيسة جميلة في الصالحية عند الفرات يعود انشاؤها الى قبيل السنة ٢٥٦ كما أبانوا معالم محل العبادة ودار الكاهن والمخازن (٦) . وقامت في هذا القرن ايضاً كنيسة النصارى في نيقوميذية

1) *Dunand, Strata Diocletiana, Rev. Bib., 1931, 234 ff; Mouterde, R., Mélanges, Univ. St. Joseph, XV, 221-232.*
2) *Abel, F.M., op. cit., II, 246-247.*
3) *Ibid., 247-249.*
4) *Hunziker, O., Regierung und Christenverfolgung des Kaisers Diocletianus und seiner Nachfolgen, 135 - 141; Stade, K., Der Politiker Diokletian, 1926, 279; Besnier, M., Emp. Rom., 317 - 319.*
5) *Vincent, H. et Abel, M., Emmaus, Sa Basilique et Son Histoire.*
6) *Rostovtzeff, M. J., Excavations at Doura - Europos; Baur, V. C., Christ-Chapel at Dura, Amer. Journ. Arch., 1933, 377 ff.*

على تلة تحاكي قصر ديوقليتيانوس نفسه على تلة مقابلة لها (١) . وأم المؤمنون هذه الكنائس زرافات زرافات (٢) وخلت الهياكل من الوثنيين(٣) فضجت الأوساط الرومانية المحافظة الرسمية وغير الرسمية وعلا صوت الفلاسفة الوثنيين ورجال البيان والخطابة مطالبين بدرء هذا الخطر المداهم (٤) .

رجال الاضطهاد : ولم يكن ديوقليتيانوس ظنوناً قاسياً مثل نيرون او داعياً ملحاً لدين معين كأوريليانوس ولكنه كان شديد التمسك بالوثنية يقول بجميع خرافاتها . وكان في الوقت نفسه رجل ادارة وسياسة يكره العنف ويبتعد عنه فسكت عن النصرانية تسعة عشر عاماً لأن الظروف السياسية الخارجية قضت بتحاشي الاضطراب في الداخل (٥) .

أما القيصر غاليريوس يمين الامبراطور فانه ورث عن امه تعلقاً شديداً بالآلهة ورغب بأن يظهر بمظهر المدافع عن عقائد اكثرية الشعب وأن يطهر جيشه من كل عنصر مشاغب (٦) . واعتمد غاليريوس في تنفيذ رغباته هذه على القائد فيتوريوس *Veturius* كبير رجال الحرب لديه *Magister Militum* (٧) .

ولا ننسى ان ننسّ بورفيريوس ورسائله الخمس عشرة وتلميذه هيروكليس *Hierocles* حاكم بيثينية آنئذ الذي خص النصارى برسالة اسماها « صديق الحقيقة » فأثر في نفس ديوقليتيانوس ودفعه الى الاضطهاد (٨) .

الظروف : ويُطلّ علينا خريف السنة ٣٠٢ فنجد ديوقليتيانوس في انطاكية يضحي لآلهته ويطلب الى طاغس *Tagis* رئيس العرافين ان يتفحص احشاء الضحية وينبئه بالمُقدّر . ففعل طاغس ولم يفلح وادعى ان المسيحيين

1) *Lactant., De Mort. Persec., XII, 5.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., VIII, 1.*
3) *Lactant., De Mort. Persec., XI, 1 - 2.*
4) *Besnier, M., Emp. Rom., 322.*
5) *Besnier, M., op. cit., 318; Abel, F. M., Hist. Palest., II, 249.*
6) *Grégoire, H., Conversion de Constantin, Rev. Univ. Bruxelles, 1930 - 1931, 238.*
7) *Eusèbe, Chron., Hist. Ecc., VIII, 4.*
8) *Lactant., Divinae Institutiones, V, 11, 12; Eusèbe, Contra Hieroclen.*

الموجودين حوله أفسدوا عليه عمله في انهم رسموا علامة الصليب . فاضطرب الأمبراطور وخشي سؤ العاقبة ثم اغتاظ فأمر جميع رجال البلاط ونساءه ان يضحوا للآلهة مهدداً بالجلد . وتبنى سياسة غاليريوس فأمر قادة جيوش الشرق مصارحة جميع الضباط والافراد في أمر احترام الآلهة وتكريمها وتسريح من يمتنع عن ذلك (١) .

أوامر السنتين ٣٠٣ و ٣٠٤: وعاد ديوقليتيانوس الى مقره في نيقوميذية. ووصل غاليريوس اليها . فتشاوروا في امر النصرانية والنصارى وألح القيصر على اللجوء الى العنف للتخلص من الدين الجديد واتباعه . ولكن ديوقليتيانوس كان لا يزال يكره سفك الدم ويأنفه فدعى كبار الموظفين والقادة وبحث معهم نقطة الاختلاف في الرأي بينه وبين غاليريوس . وكان بين المدعوين هيروكليس الفيلسوف فحض على القمع بالقوة فوافقه المجتمعون (٢) . وأبطأ ديوقليتيانوس وتريث مرة ثانية فأمر بوجوب استلهام أبولون في ميليطة ففعلوا فثبّت العرّاف رأي هيروكليس وزملائه (٣) .

وأصر ديوقليتيانوس على عدم سفك الدماء فأمر في الثالث والعشرين من شباط السنة ٣٠٣ بتهديم الكنائس وسائر محلات العبادة واتلاف الكتب المقدسة وكتب الصلوات والطقوس ومنع صلاة الجماعة . وحرم المسيحيين الاشراف من التمتع بامتيازات الطبقات التي انتموا اليها واعتبر جميع المسيحيين خارجين على القانون فحرمهم حق الدفاع عن حقوقهم امام المحاكم . ويختلف رجال البحث في تفسير عبارة وردت في تاريخ افسابيوس فيرى بعضهم ان ديوقليتيانوس اعتبر جميع المسيحيين ارقاء ويرى البعض الآخر انه خص الاشراف المسيحيين بهذا الذل دون سواهم (٤) .

وفي عشية الثالث والعشرين من شباط وقبل اعلان الارادة الامبراطورية

1) *Lactant., Mortibus Persecutorum, X.*
2) *Ibid., XI.*
3) *Ibid.; Eusèbe, Vita Constantini, II, 50,51.*
4) *Eusèbe, De Martyr. Palest., Praef. I ; Allard, P., Perséc. de Diocl., I, 160; Baynes, N.H., The Great Persecution, Cam. Anc. Hist., XII, 665-666; Zeiller, J., La Dernière Persécution, Fliche et Martin, op. cit., II, 463, n. 3.*

هجم الشرطة على كنيسة نيقوميذية المشرفة على القصر الامبراطوري فخربوها واحرقوا ما وجدوا فيها من الكتب . وفي صباح الرابع والعشرين الصقت نصوص الارادة على جدران الشوارع في نيقوميذية . فنزع مسيحي واحدة منها ومزقها فالقي القبض عليه وأحرق (١) . وشبت النار بعد ذلك في احد اجنحة البلاط فأتهم غاليريوس المسيحيين بذلك (٢) . ثم شبت النار ثانية فخرج غاليريوس من نيقوميذية معلناً انه لا يرغب في ان يُحرق حياً ! فاستوقدت هذه النار غضب الامبراطور فتسخّط وتنّمر واعتبر جميع المسيحيين في بلاطه وعاصمته أعداءه. وحل غضبه على زوجته بريسكة *Prisca* وابنتها فالبرية *Valeria* وخيرهما بين الموت والرجوع عن النصرانية .فرجعتا ولكن حوادث البطولة في سبيل يسوع تكررت فاستشهد دوروثاوس كبير الامناء وبطرس رئيس الحجاب وأنثيموس أسقف نيقوميذية وكهنته وعدد كبير من رعيته بينهم نساء وأطفال (٣) .

ونُفذ أمر الامبراطور بقساوة في جميع أنحاء الامبراطورية ما عدا غالية وبريطانية مقاطعة قسطنديوس زوج هيلانة . وشبت ثورة في ملاطية وسورية ونادى بعض الجنود بأفجينيوس *Eugenios* أمبراطوراً في مرفأ سلفكية (٤) فنسب هذا التمرد الى المسيحيين فأصدر الامبراطور أمرين قضى الاول منهما بحبس رجال الاكليروس والثاني باطلاق سراح من يكرم الآلهة وبتشديد العذاب على من يرفض ذلك (٥) . وجاء في الفصل الثاني من رسالة افسابيوس في « شهداء فلسطين » ان السابع عشر من ايلول سنة ٣٠٣ وافــق مرور عشرين عاماً على بداية حكم ديوقليتيانوس ففتحت أبواب السجون وأطلق سراح من فيها . ولا نعلم ما اذا كان هذا العفو شمل النصارى ولكننا نعلم ان ديوقليتيانوس اصيب بمرض عضال في مطلع السنة ٣٠٤ وان غاليريوس حل محله وأعد أمراً رابعاً باضطهاد النصارى فنفذ في ربيع السنة ٣٠٤ وقضى هذا الأمر باكراه جميع النصارى على الخضوع

1) *Lactant., Mort. Persec ., XIII.*
2) *Ibid.; Eusèbe, Hist. Ecc., VIII, 2.*
3) *Lactant., Mort. Persec., XIV; Eusèbe, Hist. Ecc., VIII 6.*
4) *Eusèbe, Ibid.; Libanius, Or., I, 324, 644, 666.*
5) *Eusèbe, H. E. VIII, 6.*

لآلهة رومة (١) .

انطاكية وأبرشياتها : وخاض حكام الولايات وضباط الجيش في باطلهم فاستشهد في قيليقية عدد كبير من النساء والرجال أشهرهم طراخوس رجل الشعب وبروبوس واندونيكوس (٢). وتناقل الآباء فيما بعد اخبار العذارى السبع اللواتي قضين في غلاطية لأجل يسوع وخبر ثيودوتوس انقيرة (٣) . وأبت يوليتة الارملة في قيصرية قبدوقية ان تضحي للأصنام فحرقت وهي تقول : «ان الله يريد منا جميعاً ايماناً متيناً وصبراً مكيناً» (٤). وتفنن الظالمون في ابرشية البونط عند البحر الاسود بأساليب التعذيب فأدخلوا القصب الحاد تحت اظافر المؤمنين ثم صبوا عليها رصاصاً مذوباً. فالتجأ بعض المؤمنين الى جبال هذه الأبرشية وفرّ آخرون الى أرمينية وفارس (٥) .

ووصل التيار الجارف الى انطاكية وفلسطين في نهــاية شهره الاول في أواخر آذار السنة ٣٠٣ او حوالي عيـد الفصح في السابع عشر من نيسان فألقي القبض على كيرلّس اسقف انطاكية ونقل الى بانونية للعمل في مناجمها . فخلفه في رئاسة الكنيسة تيرانوس *Tyrannos* (٣٠٤ ــ ٣١٤) (٦) . وكان رومانوس شماس قيصرية فلسطين مقيماً في انطاكية آنئذ فهاله تدمير الكنائس وارتداد بعض المؤمنين والمؤمنات وهب لساعته يقوي النفوس ويحذر من السجود للأصنام فقطع لسانه وزج في السجن . ثم هيئت نار لإحراقه فأخمدها الله بسحاب جاد به فشنق بعد ذلك في السجن في الثامن عشر من تشرين الثاني سنة ٣٠٣ (٧) . وقبض على تيرانيوس اسقف صور وعلى زينوبيوس الطبيب كاهن صيدا وعُرضا على الوحوش الضارية في مدرج انطاكية فأعرضت عنها فحُزّ رأسها حزاً (٨) .

1) *Eusèbe, Martyr. Palest., III; Zeiller, J., La Dernière Persèc., Fliche et Martin, op. cit., II, 465 - 466; Besnier, M., Emp. Rom., 326 - 328.*
2) *Ruinart, Acta Sincera, 453.*
3) *Ibid., 357.*
4) *Saint Basile, Homélie, V, 1-2.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VIII, 12.*
6) *Eusèbe, Hist. Ecc., VII, 32.*
7) *Eusèbe, H.E., VIII, 7.*
8) *Eusèbe, Hist. Ecc., III, 7.*

ولا نعلم متى تم استشهاد الضابطين سرجيوس وباخوس بالضبط . ولعل غاليريوس بدأ اضطهاد جنوده المسيحيين قبل اعلان الاضطهاد رسمياً فأوقع بعدد كبير منهم لدى عودته ظافراً من حرب فارس. وبين هؤلاء الضابطان سرجيوس وباخوس اللذان نالا اكليل الشهادة في مقاطعة الفرات حيث شيد لتكريمها هيكل أصبح فيما بعد مركزاً روحياً هاماً فدعيت المدينة القريبة منه سرجيوبوليس (الرصافة) (١) .

وتجمع روايات التقليد على استشهاد القديس جاورجيوس والقديسة بربارة في السنة ٣٠٣ ولكنها تختلف في موضع الاستشهاد. وليس هنالك ما يثبت استشهاد جاورجيوس في اللد واستشهاد بربارة في بعلبك ولعلها من شهداء آسية الصغرى .

وامتثل فلافيانوس حاكم فلسطين أمر الامبراطور ونشط عماله لتنفيذه في قيصرية فأكرهوا المؤمنين على الحضور الى الهياكل وأجبروهم على الركوع والخشوع وأعلنوا رجوعهم عن النصرانية وانقيادهم للاوامر العليا (٢) . وأول شهداء فلسطين في السنة ٣٠٣ بروكوبيوس *Procopios* القارىء . وكان هذا الرجل الصالح يجيد اليونانية والآرامية فيقرأ الأسفار والصلوات في كنيسة بيسان *Scythopolis* في اليونانية وينقلها الى الآرامية . فلما وصلت أوامر الأمبراطور الى بيسان طُلب اليه ان يحرق البخور للامبراطورين والقيصرين فامتنع مردداً بيتاً من أبيات الالياذة قائلا : « ليس من الحسن تعدد الاسياد اذ ليس سوى سيد واحد وملك واحد » . فحزّ رأسه ! وبعد ذلك ببضعة أشهر فاز بإكليل الشهادة في قيصرية أيضاً كل من زكى شماس كنيسة جدر وألفيوس قارىء كنيسة قيصرية (٣) .

وفي السنة ٣٠٤ أوجب الامبراطور ، كما سبق وأشرنا، على جميع النصارى ان يقدموا الذبائح الى الأوثان . وحل في هذه السنة نفسها اوربانوس محل

1) *Dussaud, R., Top. Hist., 482.*
2) *Abel, F. M., Hist. Palest., II, 251.*
3) *Eusèbe, Martyr. Palest., I, II.*

فلافيانوس في فلسطين فانهال أهل غزة بالهوان والضرب على تيموثاوس فنال اكليل المجد . واستشهد معه اغابيوس وتقلا بين أنياب الوحوش الضارية . وفي قيصرية فلسطين بهرت شجاعة الشبان الثمانية أعين الجماهير . وأشهر هؤلاء الثمانية ديونيسيون الطرابلسي الفينيقي وروميولوس ابوذياكون اللد *Diospolis* والكسندروس الغزاوي (١) .

وبين شهداء هذه السنة يوليانوس الطرسوسي الذي وضع في كيس فيه رمل وحشرات سامة وطُرح في البحر ثم نقل جثمانه الى انطاكية وكرياكوس الطفل وامه يوليته اللذان استشهدا في طرسوس وفبرونية الفاضلة التقية التي قُبض عليها في نصيبين ومُزقت ثيابها وعُلقت على خشبة .

غلاريوس ومكسيمينوس : (٣٠٥ ـ ٣١٠) واستقال ديوقليتيانوس وزميله مكسيميانوس من المنصبين الامبراطوريين فأصبح كل من قسطنديوس وغلاريوس امبراطوراً الاول في الغرب والثاني في الشرق . وفي اول ايار سنة ٣٠٥ أعلن كل من فلافيوس سويروس *Flavius Valerus Severus* ومكسيمينوس دايا *Galerius Valerius Maximinus Daia* قيصراً معاوناً الاول في الغرب والثاني في الشرق. واحتفظ الامبراطور غلاريوس بادارة اليريّة وآسية الصغرى وكل تدبير شؤون الولايات الشرقية الباقية الى نسيبه مكسيمينوس دايا (٢) . كان مكسيمينوس هذا سكيراً فاسقاً قاسياً عاتياً. وكان يقول بالوثنية وخرافاتها (٣). فلما استتب له الأمر عاد أعوانه الى الاضطهاد فاستشهد في قيصرية فلسطين في السنة ٣٠٦ أبفيانوس *Apphianos* الذي قرأ الفقه في بيروت واقتبس عن بمفيلس الكمال المسيحي . وفي صور زُجّ اولبيانوس في جلد ثور مع كلب وصلّ وألقي في البحر . وفي انطاكية بسط الشيخ الفلاح برلاها يده الى لهيب النار حتى فنيت ونُكّل به تنكيلاً فظيعاً فاستحق مدح القديسين يوحنا الذهبي الفم وباسيليوس

1) *Eusèbe, Martyr. Palest., III.*
2) *Lactant., Mort. Persec., XVIII.*
3) *Real - Encyc., IV, 1886 - 1890.*

الكبير . وفي انطاكية ايضاً باغت الجند بلاجية الفتاة منفردة في بيتها . فاستأذنتهم لترتدي أجمل ما لديها فصعدت الى السطح ورمت نفسها الى اسفل . وكان لذومنينة الانطاكية ابنتان جميلتان برنيقية وبروسذوكي ربتهما على سنة السيد المخلص فبالغ مكسيمينوس الفاسق في التفتيش عنهن . فهربن من انطاكية الى الرها . ولما علم زوجها انها هي وابنتيها في الرها أخذ معه بضعة جنود للقبض عليهن فتم له ذلك وعاد بهن الى انطاكية وفي الطريق غافلن الجنود وألقين أنفسهن جميعاً في الفرات . فقال الذهبي الفم : « لقد ارادت ذومنينة ان تفوز بالغنائم قبل المعركة وأن تختطف إكليل الغار قبل الجهاد وان تنال الأوسمة قبل التعذيب » . وفي هذه السنة نفسها ايضاً نالت ثيودوسية الصورية اكليل المجد في قيصرية فلسطين بعد ان مشط الجند جسدها بأمشاط حديدية . وفيها ايضاً عذّب لوكيوس الحاكم الطبيبين العربيين قوزما ودوميانوس وضرب عنقيهما بالسيف .

وفي السنة ٣٠٧ بدأ سلوانس كاهن غزة ورفاقه أعمالهم الشاقة في وادي عربة وطُرح ذومنينوس في النار ودخل بمفيلوس السجن بعد عذاب أليم . وفي السنة ٣٠٨ استشهد بولس الغزاوي طالباً الغفران لليهود والسامريين والجلاد الذي أشرف على تعذيبه . وفيها ايضاً استشهد في النار الشبان الثلاثة انطونيوس وزبينا وجرمانوس والفتاة البيسانية اوناثة وغيرهم . وفي السنة ٣٠٩ عُقد لبمفيلوس اكليل الشهادة مع أحد عشر شهيداً بينهم فالنسيوس الشيخ شماس أيلية الذي اشتهر بتضلعه من علوم الكتاب المقدس وبورفيريوس الخطاط (١) .

براءة سَرديكة : (٣١١) وتوفي قسطنديوس الامبراطور الغربي زميل غلاريوس في السنة ٣٠٦ في يورك من أعمال بريطانية. فعبث ابنه قسطنطين بنظام ديوقليتيانوس الجديد وأعلن نفسه قيصراً على بريطانية وغالية واسبانية . ونادى حرس رومة بمكسنتيوس امبراطوراً. وعادت شهوة الحكم الى قلب مكسيميانوس الامبراطور المستقيل فأعلن نفسه امبراطوراً ايضاً . وأصبح للدولة الرومانية أباطرة ثلاثة وقياصرة ثلاثة . وثار جنود سويروس عليه فقتلوه فعين غلاريوس

1) *Eusèbe, Mart. Palest. IV - VII.*

قيصراً جديداً محله يُدعى ليكينيوس . وعم الاضطراب الأوساط السياسية والعسكرية فانقضّ مضجع غلاريوس الامبراطور واضطرب وانزعج. وفي مطلع السنة ٣١٠ ألمّ بغلاريوس مرض غريب مخيف فتقرّح جلده وظهرت به الاخرجة وقاحت جروحه ونزف دمه . وطال مرضه حتى جاوز الثمانية عشر شهراً وأعضل الأطباء وأعياهم (١) فخاف الأمبراطور وخشي إن يكون قد أغضب الله من اضطهد . ولمس الأمبراطور ايضاً فساد رأيه في السياسة واخفاقه في الحرب التي شنها على المسيحيين فأصدر عن سرديكة بالاتفاق مع ليكينيوس وقسطنطين ومكسيمينوس براءته الشهيرة في نيسان السنة ٣١١ (٢) . ويرى بعض العلماء ان الفضل في هذه البراءة يعود الى ليكينيوس لا غلاريوس ولكنه رأي ضعيف لا يزال في طور الافتراض (٣) .

وقد حفظ لنا المؤرخ لكتنتيوس نص هذه البراءة باللاتينية (٤) كما اورد افسابيوس نصها باليونانية(٥). ويبدأ غلاريوس براءته هذه باللوم والتأنيب فيأخذ على المسيحيين خروجهم على دين الآباء والأجداد وامتناعهم عن ممارسة الطقوس والعادات التي قال بها المؤسسون . ثم يذكر قيامه بالواجب واصدار الأوامر الى هؤلاء بالعودة الى التقاليد الموروثة ويشير بعد ذلك الى رجوع بعض المسيحيين الى دين الأجداد ولكنه يبين بوضوح ان هؤلاء لم يعودوا الا مكرهين وان معظم اخوانهم أصروا على الاباء ولم يتابعوه على ما يريد فلم يحترموا الآلهة ولم يتعبدوا لإله النصارى ! ولعل الاشارة هنا الى بعض البدع والهرطقات . ثم يخلص الأمبراطور بعد هذا كله الى القول بالرأفة والرحمة نحو جميع الناس فيضرب عن المسيحيين صفحاً جميلاً ويعترف بوجودهم ويسمح لهم بصلاة الجماعة شرط الا يُخلّوا بالنظام . ويؤكد انه سيكتب الى القضاة والحكام عن القوانين التي يجب

1) *Lactant., Mort. Persec., XXXIII; Zosimus, Hist., II, 11.*
2) *Zeiller, J., Dernière Persèc., Fliche et Martin, op. cit., II, 475.*
3) *Grégoire, H., Conversion de Constantin, Rev. Univ. Bruxelles, 1930 - 1931, 231 ff.*
4) *Lactant., Mort. Persec., XXXIV.*
5) *Eusèbe, Hist. Ecc., VIII, 17.*

اتباعها . ويرى انه بالمقابل يجب على النصارى ان يصلوا لإلهم من أجل الأمبراطور والدولة وأنفسهم .

ودخلت الكنيسة بعد هذا في دور جديد اذ أصبحت النصرانية ديانة شرعية *Licet Esse Christianos* لأول مرة . وأدى الاعتراف بحرية المعتقد الى حرية العبادة والى اعادة الكنائس الى أصحابها (١) . ثم انقضى أجل غلاريوس فأدركته الوفاة في الخامس من ايار سنة ٣١١ فلم يتسن له ان يكتب الى القضاة والحكام كما جاء في نص البراءة .

مكسيمينوس يتابع الاضطهاد : (٣١١ ـ ٣١٢) وظهر خبر براءة سرديكة واشتهر فوقف الاضطهاد في ولايات غلاريوس وليكينيوس وقسطنطين . ولكنه لم ينشر في مقاطعات مكسيمينوس أي في سورية ومصر . واكتفى سبينوس *Sabinus* معاون مكسيمينوس بنقل فحوى البراءة ولم يعلن نصها (٢) . ثم مات غلاريوس بعد ذلك ببرهة وجيزة فعاد مكسيمينوس الى الاضطهاد . فأسس منظمة وثنية على غرار الكنيسة لمحاربة النصرانية (٣) . ولفق سفراً جديداً دعاه « أعمال بيلاطس » وبثه وأشاع محتوياته لتحقير السيد المخلص (٤) . ولجأ قائد في دمشق الى وسائل دنيئة ليبرهن عن ولائه لمكسيمينوس فأخذ بعض نساء من السوق العمومية وعلمهن أن يدعين أنهن مسيحيات وأنهن رأين أعمالا مخجلة ترتكب في الكنائس نفسها . ثم أوعز مكسيمينوس الى بعض الأوساط الوثنية في بعض المدن بالمطالبة بطرد المسيحيين من مدنهم . فاقيم في صور عموداً نقشت عليه كتابة تعظم الوثنية وتدعو الأهلين لطرد المسيحيين من البلد . ففر الوف من المسيحيين من صور وغيرها وتشردوا في البراري والقفار (٥) .

1) *Knipping, J. B., The Edict of Galerius, Rev. Belge de Philologie et d'Histoire, 1922, 693 ff.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., IX, 1.*
3) *Lactant., Mort. Persec., XXXVII; Eusèbe, Hist. Ecc., VIII, 14; Grégoire de Naziauze, Orat. 4, III; Sozomenus, Hist. Ecc., V, 16.*
4) *Eusèbe, Hist. Ecc., IX, 5; Labriolle, P., La Réaction Païenne, 327-328.*
5) *Baynes, N. H., Constantine, Cam. Anc. Hist., XII, 687.*

شهداء حمص : (٣١٢) وعاد بعض الولاة والقضاة الى المطالبة باكرام آلهة الدولة . وخصوا كبار النصارى بهذه المطالبة . فألقى والي حمص القبض على سلوانس اسقف هذه المدينة وعلى شماسها لوقا والقارىء في كنيستها موكيوس وزجّهم في السجن وأذاقهم شتى ألوان العذاب ثم حكم عليهم بالطرح أمام الوحوش الضارية .

وكان بين المؤمنين في هذه المدينة رجل يدعى يوليانوس . فلما اشتدت وطأة الاضطهاد والتعذيب امتهن الطب ليخفف آلام المعترفين ويُرشد الضالين. وكان ما كان من أمر سلوانس ورفيقيه . فلما أخرجوا من السجن وسيقوا الى المدرج قابلهم يوليانوس في الطريق وقبلهم القبلة الأخيرة . فقُبض عليه وامتحن بالعذاب فأصر على الاعتراف بالمسيح فُسمر رأسه ويداه ورجلاه وزُجَّ في مغارة خارج البلدة. ففاضت نفسه وانصرف الى جوار ربه مشرفاً بالآلام نفسها التي تألم بها السيد المخلص .

لوقيانوس المعلم الانطاكي : وفي هذه السنة نفسها أُلقي القبض في انطاكية على الكاهن العالم لوقيانوس وزُجّ في السجن في نيقوميذية وعُذّب تعذيباً فجُلد جلداً وضُرب ضرباً ووُضع على الصاجات وتحت العجلات وقُدّم للاسود الضارية . وانتهز هذا المعلم فرصة السجن فصنف رسالة وجهها الى مكسيمينوس نفسه ودافع بها عن صحة الايمان بالمسيح . وقد يكون نص هذه الرسالة كما نقله روفينوس المؤرخ مشوهاً ولكن هذا لا ينفي قيام الشهيد الانطاكي بعمل التصنيف للدفاع عن الدين القويم (١) . وحُرم لوقيانوس الطعام وجُوّع ثم عرض عليه لحم الضحايا للآلهة فامتنع وتصبّر . وما فتيء مستمسكاً بيسوع مجيباً عن كل سؤال وجه اليه بالعبارة « أنا مسيحي » حتى فاضت روحه وعادت الى ربها . وقد قرظه الذهبي الفم أيما تقريظ في عظته الخامسة والأربعين . ودفن جثمانه في مدينة دريبانة . وأمرت القديسة هيلانة فيما بعد بتشييد هيكل فخم

1) *Rufinus, Hist. Ecc., IX, 6; Bardy, G., Le Discours Apologétique de S. Lucien d'Antioche, Rev. Hist. Ecc., 1926, 487-512.*

فوق ضريحه وخصت ذريبانة باسمهـا فأصبحت تُدعى ايلينوبوليس أي مدينة هيلانة .

مثوذيوس الأوليمي : وليس لنا نحن أبناء كنيسة انطاكية العظمى ان نفاخر بالمعلم اللاهوتي الكبـير القديس مثوذيوس الذي استشهد ايضاً في السنة ٣١٢ . فالقول بأنه كان اسقف ليقية أولا ثم صور بعدها قول ضعيف لا يقبله الثقات المدققون . فقد جاء انه كان اسقف اوليمب في ليقية وجاء ايضاً انه كان اسقف سيرة القريبة كما ورد انه كان اسقف مـيزة واسقف صور . ويذهب العلامة ديكامب *Diekamp* الى القول بالتقليد الصقلبي فيجعل مثوذيوس اسقف فيليبي (١) ويؤيده في ذلك زميـله لوبون *Lebon* (٢) . ولكن البحاثة فايان *Vaillant* الذي عني بآثار القديس مثوذيوس لا يزال مستمسكاً بالرأي التقليدي القديم الذي يجعل مثوذيوس اسقفاً على اوليمب في ليقية آسيـة الصغرى وهو يرى في نص رسالة مثوذيوس في القيامة ما يوجب هذا الاستنتاج (٣) .

براءة ميلان : (٣١٣) ونظر قسطنطين الى سماء غاليـة فرأى شارة الصليب مرسومة عند الشمس قبل المغيب فاندفع في سعيه اندفاع المؤمن الواثق . وكرّ على خصمه فشتت شمـله وما فتيء يقاتل ويطارد حتى وصل الى أبواب رومة (٤) . وقبيل فجر الثامن والعشرين من تشرين الاول سنـة ٣١٢ تلقى هذا البطل الفاتح أمراً من لدن العلي الأعلى يوجب رسم الحرفين اليونانيين «خي» و «رو» على تروس رجاله قبل البـدء بالقتال . ففعل وانتصر على خصمه باسم المسيح . ولا يخفى ان هذين الحرفين هما الحرفان الأولان من كلمة خريستوس اليونانية التي تعني المسيح (٥) . ولا تزال ترسمها متراكبين مذكرين بالصليب

1) *Diekamp, F., Theol. Quartalschrift, 1928, 285-308.*
2) *Rev. Hist. Ecc., 1929, 357-358.*
3) *Vaillant, A., De Autexusio de Méthode d'Olympe, (Patrol. Orientalis, XXII, 5), 636, n. 1.*
4) *Eusèbe, Vita Constantini, I, 28 - 30; Palanque, J. R., La Paix Const., Fliche et Martin, op. cit., III, 24-26.*
5) *Lactant., Mort. Persec., XLIV, 5; Baynes, N.H., Const. and Christ. Church, 60 ff.*

كما رآهما قسطنطين تبركاً واحتراماً وتزين بهما جدران كنائسنا وآنيتنا المقدسة وأثوابنا الحبرية .

ولمس قسطنطين يد المخلص وأحس بعنايته الفائقة فأبطل أوامر خصمه مكسنتيوس وأعلن محتويات براءة سرديكة في ايطالية وأفريقية وأوجب تنفيذها ثم أمر باعادة أملاك الكنائس المصادرة الى المسيحيين وأوجب على موظفي المالية في الولايات الغربية ان يقدموا الى الكنائس الكاثوليكية « الجامعة » لا الدوناتية ما تحتاجه من الأموال . وكتب الى مكسيمينوس زميـله في الشرق يوجب انهاء الاضطهاد . فكتب مكسيمينوس بدوره الى سبينوس في أواخر السنة ٣١٢ يمنع الجنوء الى العنف في سبيل احترام الآلهة واكرامها (١) .

وفي أوائل السنة ٣١٣ التقى قسطنطين وليكينيوس في ميـلان وتبادلا الرأي في السياسة فاتفقا على إعلان حرية المعتقد في جميع أنحاء الأمبراطورية . وعـاد ليكينيوس الى الشرق ليحد من مطامع مكسيمينوس فانتصر عليـه عند تزيرالوم *Tzirallum* بالقرب من أدريانوبل في أول أيار وأكرهـه على التراجع . وتوفي مكسيمينوس في طرسوس في آب السنة ٣١٣ من مرض ألمّ به فأضعفـه وأفقده البصر . أما ليكينيوس فانه ما كاد يستقر في نيقوميذية حتى أعلن حرية المعتقد في نص رسمي (٢) هذه خلاصتـه : « نحن قسطنطين اوغوسطوس وليكينيوس اوغوسطوس بعد تبادل الرأي في ميلان تبين لنا ان مصلحة الدولة تقضي بتنظيم امور التعبد ومنح المسيحيـين وجميع الرومانيين حق اتباع الدين الذي يؤثرون وذلك ليرضى الإله أياً كان عنّا وعن جميع الخاضعين لنا . وبعد التبصر في هذا الأمر قررنا عدم التعرض لحرية المعتقد . وهكذا فاننا لا نمنع أحـداً من الناس عن اتباع دين المسيحيين او أي دين آخر يختاره هو لنفسه آملين ان ننال بذلك رضى الإله الأعلى *Summa Divinitas* وبركته» . وأمر الأمبراطوران بعد هـذا باعادة الكنائس والأملاك المصادرة الى أصحابها وبالتعويض من صندوق الدولة

1) *Baynes, N. H., Constantine, Cam. Anc. Hist., XII, 688.*
2) *Lactant., Mort. Persec., XLVIII; Eusèbe, Hist. Ecc., X, 5; Baynes, N. H., Const. and Christ. Ch., 69 ff.*

عن كل خسارة تلحق بفرد من الأفراد من جراء هذه الاعادة (١) .

وهكذا فانه يتضح مما تقدم انه لا يجوز القول ببراءة معينة محددة صدرت عن الأمبراطورين المجتمعين في ميلان . وجل ما يجوز القول به هو ان هذين الأمبراطورين اتفقا على خطة معينة فنفذاها كل في منطقته (٢) . والقول ببروتوكول وُقع في ميلان لهذه الغاية (٣) قول ضعيف لا يرتكز الى اسس عملية راهنة (٤) .

أهمية التشريع الجديد : وانتهى بهذا التشريع الجديد عصر الاضطهاد وأصبح المسيحيون يدينون بدين شرعي معترف به من السلطات المدنية . ودخلت الكنائس لا الكنيسة الجامعة (٥) في دور جديد فتمتعت كل منها بحرية العبادة وحق التملك واستمتع رجال الإكليروس بالامتيازات نفسها التي انتفع بها كهنة الأوثان . ولا يجوز القول ان النصرانية أصبحت دين الدولة لان الاديان الوثنية ظلت تستفيد من صبغتها الرسمية التي اصطبغت بها في العصور السابقة . وجل ما يجوز قوله هو ان التشريع الجديد ساوى النصرانية بالأديان الوثنية القديمة (٦) .

★

1) *Carolsfeld, L. Schnorr, Gesch. der Juristichen Person, I, 165 ff.*
2) *Seeck, O., Das Sogenannte Edikt von Mailand, Zeit. fur Kirchengeschichte, 1891, 381-386.*
3) *Crivellucci, A., Editto di Milano, Studi Storici, I, 229-230.*
4) *Palanque, J. R., Paix Const., Fliche et Martin, op. cit., III, 23-24.*
5) *Chénon, E., Conséquences Juridiques de l'Edit de Milan, Nouv. Rev. Hist. Droit Français et Etranger, 1914, 255-263.*
6) *Palanque, J. R., Paix Const., Fliche et Martin, III, 18-19.*

الفصل السادس عشر

ليكينيوس وقسطنطين

واستتب الأمر لليكينيوس وحده في الشرق في السنة ٣١٣ . فأخذ بوحي قسطنطين في اصلاح الأمور وتهدئة الخواطر وألغى مراسيم مكسيمينوس الشاذة . وزار انطاكية فسرّح جماعة الأنبياء الكذبة وكهنة زفس اولئك الذين كان مكسيمينوس قد أغدق عليهم هباته وأظهر عليهم عطفه . وقدّر لتيرانوس اسقف انطاكية ورئيس كنيستها ان يتنفس الصعداء بعد ان شهد كثيراً من الوان الطغيان والسفك .

الترميم والتشييد : وتسلّم الاساقفة الكنائس والأوقاف وهرعوا لترميمها او تشييدها ثانية . واشتد الحماس وكثر التعاون فتم البنيان بسرعة وتعددت حفلات التكريس وصلوات الابتهال والشكر . فاستأنف فيتاليوس اسقف انطاكية بناء كنيسة الرسل القديمة *Palaea* (١) . واشترك افسابيوس المؤرخ في تكريس كنيسة صور وألقى لهذه المناسبة خطاباً ملؤه الفخر والحماسة (٢) .

مجمع أنقيرة : وتوفي تيرانوس في السنة ٣١٤ فخلفه في رئاسة الكنيسة الاسقف فيتاليوس (٣١٤-٣١٩) ولمس فيتاليوس اختلاف الآراء في قبول التائبين العائدين الى حضن الكنيسة بعد الاضطهاد فدعا الأساقفة الى مجمع في انقيرة . ولبى هذه الدعوة عدد من الأساقفة من غلاطية وبسيدية وبمفيلية وفريجية وقبدوقية وقيليقية وسورية وفلسطين وأرمينية . وبحث المجمع أمر الساقطين أبان الإضطهاد فمنح « المعترفين » غفراناً تاماً وأوجب الندامة سنتين على من تظاهر بالارتداد في اثناء الاضطهاد ولكنه لم يرتد وثلاث سنوات او اربع على من أُكره على الارتداد اكراهاً وست سنوات على من أكرم الآلهة وضحى لها مكرهاً وعشر

1) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 3.*
2) *Eusèbe, Hist. Ecc., IX-X.*

سنوات على كل من ارتد وليس له عذر في ذلك . ثم نظر المجمع في الزنى والبغاء وقتل الأطفال والاجهاض والقتل والسحر ففرض العقوبات اللازمـــة . وتناول واجبات الاكليروس فأذن بزواج الشمامسة اذا استأذنوا الاسقف في ذلك قبـــل الرسامة . ومنع أساقفة الكورات (خوراسقف) من رسامـــة القساوسة والشمامسة بدون موافقة اسقف الأبرشية . وقضى بعزل القسوس والشمامسة اذا امتنعوا عن أكل اللحم بداعي النجاسة . ومنع الاكليروس عن بيع الأوقاف في اثناء خـــلو الكرسي من اسقف يدبر شؤونها . وسمح للأساقفـــة الذين لا تقبلهم أبرشياتهم بالاحتفاظ بشرف الاسقفية شرط ألا يقلقوا أساقفة الأبرشيات التي يخدمون فيها وألا يحاولوا اغتصاب الكراسي (١) .

مجمع قيصرية الجديدة : وعاد المجمع الانطاكي الى المشاورة وتبادل الرأي فاجتمع قبل السنة ٣١٩ برئاسة فيتاليوس نفسه في قيصرية الجديـــدة فاشترك في أعماله سبعة عشر اسقفاً من أساقفة البونط وقبدوقية وقيليقية وسورية وفلسطين وغلاطية وأرمينية . ونظر هذا المجمع في أمر الخطاة فأوجب ندامة طويلة للزواج الثاني وأخّر تقـــدم الموعوظين عند وقوعهم في الخطيئة ونهى عن خطيئة الفكر ووافق على معمودية الحبالى ومنع رسامـــة الكهنة قبل الثلاثين ورسامة من أجّل معموديته حتى دهمه المرض ومن ُامسكت زوجته في الفجور . ومنع هذا المجمع من ارتكب الزنى قبل الرسامة من خدمـــة القداس وسمح له بممارسة الخدمات الاخرى . وجعل عدد الشمامسة في كل كنيسة سبعة فقط ومنع قساوسة القرى من اقامة القداس في كنائس المدن ولكنه سمح بذلك لأساقفة الكورات (٢) .

ضيق جديد : (٣٢٠–٣٢٣) وكان ليكينيوس أمبراطور الشرق لا يزال وثنياً غـــير مسيحي . وكان قد توسع مع المسيحيين توسعاً ليجاري زميـــله قسطنطين ويخطب وده وليكسب بذلك تأييد المسيحيين أنفسهم لأنهم كانوا قد أصبحوا عنصراً هاماً جداً في الشرق ولا سيما في آسية الصغرى (٣) . ويجب ألا

1) *Héfélé-Leclercq, Hist. des Conciles, I, 298-334; Palanque, J., Orient Chrét., Fliche et Martin, op. cit., III, 54-55.*
2) *Héfélé-Leclercq, op. cit.; Palanque, J., op. cit.*
3) *Grégoire, H., Conversion de Constantin, Rev. Univ. Bruxelles, 1930-1931, 231 - 272.*

يغيب عن البال انه تقيد في توسعه مع المسيحيين بما تم الاتفاق عليه في ميلان وانه لم يعط المسيحيين أكثر من ذلك . اما إقدامه على محاكمة الوزير بفكيتيوس *Peuketios* ووالي مصر كوليانوس *Culienus* ووالي سورية ثيوتكنة *Theotekne* فأنه جرى لأسباب سياسية لا دينية أهمها ولاء هؤلاء لمكسيمينوس . وقل الأمر نفسه عن اعدام كهنة زفس في انطاكية (١) . ولا نراه يهتم لشؤون الكنيسة الداخلية اهتمام زميله في الغرب ولا نعرف له عطية او هبة وهبها الى الأساقفة في الشرق ليعاونهم في أعمالهم التعميرية (٢) .

وكان ما كان من أمر الخلاف بين قسطنطين وليكينيوس . وبدت طلائع هذا التنافر لمناسبة تعيين قيصري الغرب في السنة ٣٢٠ (٣) . فضاق صدر ليكينيوس وبدأ يزعج رجال الكنيسة وكبار الموظفين المسيحيين ليحفظ بذلك «استقلال الدولة» ويحافظ على مكانتهـــا . ولا مجال للقول مع بعض رجال الاختصاص ان ليكينيوس ضيق على المسيحيين في الشرق ليجتذب العناصر الوثنية في الغرب (٤) لانه ليس لدينا من النصوص ما يخولنا القول انه كان لليكينيوس اي مطمع في الجزء الغربي من الامبراطورية وجل مايجوز قوله أن ليكينيوس خشي تعاون رعاياه المسيحيين مع صديقهم الكبير قسطنطين الذي أصبح خصمه بعد السنة ٣٢٠ .

وبدأ ليكينيوس تضييقه على المسيحيين فمنع في السنة ٣٢٠ عقد المجامع الكنسية (٥) . ثم حـَرم اجتماع الجنسين المسيحيين في مكان مقفول وأوجب اجتماعهما للصلاة في الهواء الطلق وخارج المدن كما أمر بوجوب تدريب كهنة من النساء لارشاد الموعوظات (٦) . ثم تعـّذر على الاكليريكيين افتقاد المتهمين والمذنبين في السجون وتعسـّرت الافراح والاتراح (٧) . ولجأ ليكينيوس بعد ذلك الى سياسة التطهير فأمر اولا بابعاد المسيحيين عن البلاط والوظائف الكبرى ثم

1) *Eusèbe, Hist. Ecc., IX, II.*
2) *Palanque, J., op. cit., III, 56.*
3) *Seeck, O., Gesch. des Untergangs, I, 504-506.*
4) *Grégoire, H., Conversion de Const., Rev. Univ. Bruxelles, 1930-1931, 265.*
5) *Eusèbe, Vita Cons. I, 51.*
6) *Ibid., I, 53.*
7) *Eusèbe, Vita Cons. I, 54, Hist. Ecc., X, 8.*

أوجب التضحية للآلهة فاستمسك بعض الموظفين بالعقيدة المقدسة واستقالوا واستهان غيرهم بالايمـــان وآثروا البقاء في مراكزهم . وأشهر المستقيلين اوكسنتيوس كاتب العدل الذي أصبح فيما بعد اسقف موبسوستي في قيليقية (١) . وامتنع الاساقفة عن الطاعة لأوامر الأمبراطور فطوردوا . ورغب الولاة في استرضاء سيدهم ليكينيوس فصادروا الاوقاف ودمروا الكنائس وساقوا المؤمنين للعمل في المناجم وحكموا على البعض بالأعدام. وأشهر هؤلاء الشهداء باسيليوس متروبوليت ذيوسبونطة الخاضع لرئاسة انطاكية (٢) . واشتد الضغط في شرقي آسية الصغرى وكثر عدد الشهداء ولكن اخبار هؤلاء لا تزال غير ثابتة . وبين هذه الاخبار الضعيفة قصة الشهداء الاربعين الذين استشهدوا فيما يظهر في سبسطية من أعمال أرمينية الصغرى (٣) .

ولم يرضَ قسطنطين عن هذا التضييق والتنكيد فنهى في الخـــامس والعشرين من ايار سنة ٣٢٣ جميع الموظفين عن المطالبة بالتضحية للآلهة (٤) . ثم رفع الصليب عالياً وأعلنهـــا حرباً شعواء ضد ليكينيوس ووثنيته . واسترضى ليكينيوس الآلهة بدوره ومشى الى الحرب واثقاً من النصر فاتخذت الحرب الجديدة لوناً دينياً واضحاً (٥) . ورأت كنيسة انطاكية في شخص قسطنطين مخلصاً مرسلا من الله لتحريرها من ربقة ليكينيوس وأعوانه . وانتصر قسطنطين على خصمه مرتين متواليتين في تموز وايلول السنة ٣٢٤ (٦) فظهر الحق على الباطل ودخلت الكنيسة في دور جديد من تاريخها (٧) .

قسطنطين وكنائس الشرق : واستتب الأمر لقسطنطين وحده فأصدر في أواخر السنة ٣٢٤ بيانين صفّى في الاول منهما الحساب بين الوثنية والنصرانية في الشرق فأنهى عشرين سنة من التضييق والتنكيد والاضطهاد وثبّت حرية

1) *Philostorge, Hist. Ecc., V, 2.*
2) *Eusèbe, Vita Cons., I, 52, Hist. Ecc., X, 8.*
3) *Gebhart, Acta Martyrum Selecta, 166-181; Palanque, J., op. cit., III, 58.*
4) *Cod. Theod., XVI.*
5) *Eusèbe, Vit. Con., II, 3-17.*
6) *Stein, E., Gesch., I, 159.*
7) *Palanque, J., op. cit., III, 58.*

المعتقد وأوجب اعادة الأوقاف المصادرة واعتق «المعترفين» العاملين في المناجم وعلى الطرقات وأثنى على شجاعة الشهداء وقوة ايمانهم وأوجب تسليم ما خلفوه من تركات الى ذويهم وورثائهم او الى الكنيسة التي انتموا اليها اذا لم يكن لهم وريث شرعي (١) . ثم وجّه خطاباً «الى الشرقيين» أكّد فيه ان حرية المعتقد تشمل الوثنيين والمسيحيين على السواء فاستدرك بعمله هذا اضطهاداً قد يشنه المسيحيون المنتصرون على الوثنيين . ولام في الوقت نفسه رجال الاضطهـــاد الذين نفذوا رغبات ليكينيوس وأبان نقائص الوثنية وقرّع العرافين في هياكل زفس ونادى باتكاله على سيد الكون وبالواجب المسيحي الملقى على عاتقه (٢) .

وعلى الرغم من مبدأ المساواة الذي أعلنه قسطنطين في خطـــابه « الى الشرقيين » فانه ما كاد يستقر به الحال بعد انتصـــاره على ليكينيوس حتى وعد الاساقفة بتقديم المال والمكان والمواد اللازمة لانشاء الكنائس . وحرر لهم بذلك. وما كتابه في هذا الموضوع الى افسابيوس المؤرخ سوى نموذج واحد من نوعه (٣) . وأعد الأمبراطور في السنة التالية باباً خاصاً في موازنة الدولة لهذه المعونة (٤) . ثم أنشأ على نفقة الدولة كنائس القسطنطينية ونيقوميذية وانطاكية واوروشليم وبيت لحم والخليل . والاشارة هنا الى كاتدرائية إيرينة وباسليقة الرسل في القسطنطينية والى الكاتدرائية الكبرى بالقرب من القصر في انطاكية وكنيسة القبر المقدس في أوروشليم وكنيسة المهد في بيت لحم ومزار البطاركة في الخليل (٥) .

وقُدر لفيلوغونوس *Philogonos* أسقف انطاكية الثاني والعشرين بعد بطرس ان يرى كنيسة البالية القديمة المتهدمة تعود الى سابق رونقها ومجدها . وتوفي هذا الأسقف في السنة ٣٢٤ فنعم خلفه افستاثيوس *Eustathios* بسخاء قسطنطين والشروع في بناء الكاتدرائية الكبرى قرب القصر وذلك في السنة ٣٢٧.

1) *Eusèbe, Vit. Con., II, 24-42; Baynes, N.H., Const. and Christ. Ch., 17, 82.*
2) *Eusèbe, Vit. Con., II, 48-60; Baynes, N.H., op. cit., 19, 27; Piganiol, A., Emp. Const., 147-148; Palanque, J., op. cit., III, 59.*
3) *Vit. Con., II, 46.*
4) *Sozomène, Hist. Ecc., V, 5.*
5) *Eusèbe, Vit. Con., III, 25-53; Vincent, A., Jérusalem, II; Abel, F.M., Hist. Palest., II, 262-265.*

ولم يتم بناؤها قبل السنة ٣٤١ وذلك في عهد فلاكيلوس السابع والعشرين بعد بطرس . وجاء في مصنف افسابيوس عن حياة قسطنطين وأعماله ان الفضل في اكتشاف المكان الذي صلب فيـــه السيد المخلص والمكان الذي دفن فيه جسده الطاهر يعود الى مكاريوس أسقف اوروشليم آنئذ (١) .

قسطنطين والكنيسة : وكان قسطنطين منذ السنة ٣١٨ قد منح الاساقفة شيئاً من السلطة القضائيـــة (٢) . ثم زادهم سلطة واحتراماً في السنتين ٣٢١ و٣٢٣ (٣) . وبعد ان استتب له الأمر وحده منحهم سلطة اعتاق الرقيق بمجرد اعلان ذلك في الكنيسة بحضور الكهنـــة . ثم اعتبرهم قضاة فأجاز للمدعي او المدعى عليه ان يترافع في دعوى ماثلة في محكمة مدنية أمام الاسقف واعتبر حكم هذا الاسقف مبرماً غير قابل الاستئناف (٤) .

والغى قسطنطين منذ السنة ٣٢٠ القوانين التي سنّها اوغوسطوس وجرّم بها العزوبية (٥) واشترع عقوبات قاسية وشدد في تطبيقها على كل من يرتكب جرم الخطف والاغتصاب . وشملت هـــذه العقوبات الامرأة نفسها اذا ثبتت موافقتها على ذلك (٦) . وحرّم اعتداء المربي على عفاف تلميذته (٧) ومضاجعة السيدة رقيقهـــا (٨) والعهر بخادمات الفنادق والخانات (٩) وأباح ملاحقة التسرر (١٠) وصعّب الطلاق (١١) . وعُني قسطنطين في الوقت نفسه بحماية الضعفاء والمساكين والابرياء . ففرض العقوبـــات الشديدة على الوشايات والطعون الكاذبة (١٢) ووضع حداً لقساوة السجانين كما منع الأسياد عن الاساءة الى أرقائهم

---

1) *Vit. Con., III, 29 - 32.*
2) *Cod. Theod., XVI, 2.*
3) *Cod. Theod., IV, 7; Cod. Just., I, 13.*
4) *Const. Sirm., 1; Palanque, J., Cath. Rel. d'Etat, Fliche et Martin, op. cit. III, 519 ff.*
5) *Cod. Theod., VIII, 16.*
6) *Cod. Theod., IX, 24.*
7) *Cod. Theod., IX, 8.*
8) *Cod. Theod., IX, 9.*
9) *Ibid. IX, 7.*
10) *Cod. Just., V, 26.*
11) *Cod. Theod., III, 16.*
12) *Ibid. IX, 34.*

والآباء عن الغلاظة في معاملة أولادهم (١). وشجع الأمبراطور الاعتناء بالأرامل واليتامى (٢) .

وهكذا فان قسطنطين آمن بالسيد المخلص وأخلص لكنيسته ولكنه لم يطلب المعمودية الا في ساعة متأخرة وقبيل وفاته . ولعلّ السبب في ذلك انه كان يشغل وظيفة امبراطور الدولة وان عدداً كبيراً من الرومانيين كان لا يزال وثنياً متمسكاً بدين الآباء والأجداد. فرأى قسطنطين ان مصلحة الدولة والكنيسة تقضي بأن يظل حبر رومة الأعظم *Pontifex Maximus* ليتمكن من خدمة الأثنين معاً . ومن هنا في الأرجح قوله لرجال الكنيسة : «انتم اساقفة على من هم داخل الكنيسة وانا اسقف بمشيئة الله على من هم في الخارج » (٣) . ومن هنا ايضاً هذا التحسس بوجوب اصلاح الوثنية وهذا الاقدام على منع السحر واقفال الهياكل التي وُصمت بالفسق والدعارة كهيكل افقا في لبنان وغيره في سورية (٤) وهذا التهجم على الأفلاطونية الجديدة وعلى بورفيريوس ومصنفاته .

وكان لعطف قسطنطين على الكنيسة وقع عظيم في جميع الأوساط النصرانية فاشتد الحماس له وعظمت الثقة به حتى أصبح ملجأ النصارى ونصيرهم . فشكوا امورهم اليه ورجوا تدخله . وكان هو حبر الدولة الأعظم ورأسها فشعر انه من واجبـــه أن يحافظ على الأمن وحرية العبادة فتدخل في شؤون الكنيسة وسجل بتدخله سابقة خطرة أدت فيما بعد الى مشاكل ومشاكل بين الدولة والكنيسة . وما الانشقاق العظيم الذي شطر الكنيسة الجامعة في القرن الحادي عشر شطرين الا نتيجة محتمة لتدخل الدولة في شؤون الكنيسة وربط السياسة الدينيـــة بالسياسة السياسية .

---

1) *Cod. Theod. IX. 3. 12, 27.*
2) *Ibid. I, 22.*
3) *Eusèbe, Vit. Con., IV, 24.*
4) *Ibid., III, 55 - 58; Socrates. Hist. Ecc., I, 18; Sozomène, Hist. Ecc., II, 5.*

الباب الثاني

انتشار النصرانية وانقسامها

الفصل التاسع عشر

آريوس والآريوسية

٣٢٣ _ ٣٦٠

كنيسة الاسكندرية : وعكر الاضطهاد سلام الكنيسة في الاسكندرية. ففي السنة ٣٠٦ صنف بطرس اسقف الاسكندرية رسالة في كيفية قبول الجاحدين فعارضه ملاتيوس اسقف اسيوط « وخطابه سفه الرأي الى المنابذة والخلاف مع انه داجي الوثنيين وسجد لأصنامهم فيما قبل». ثم اشتدت وطأة الاضطهاد فتخفى بطرس فانطلق ملاتيوس يحرّك قضية التوبة واجترأ على سيامة الكهنة ورجال الاكليروس في غياب الأساقفة وفي أبرشيات غير أبرشيته . فعنفه على عمله هذا أساقفة أربعة كانوا معتقلين يتوقعون الشهادة . وقطعه بطرس وحرمه . ثم نال بطرس اكليل الشهادة في خريف السنة ٣١١ . فخلفه اخيلاس بضعــة أشهر ثم الكسندروس . وحاول الاثنان معالجة قضية ملاتيوس فلم يفلحا . وتجرأ كاهن يدعى كولوثوس على سيامة الكهنة والشمامسة . وحلّ الشقاق في الكنيسة المصرية وتراشق الأساقفــة بالحرمان . ثم تجرأ كاهن آخر يدعى آريوس على اسقف الاسكندرية فكانت مشادة أدت الى شقاق عظيم في كنائس الشرق دام مدة طويلة.

آريوس : (٢٥٦ _ ٣٣٥) ونكاد لا نعلم شيئاً عن آريوس قبل خروجه على رئيسه الكسندروس اسقف الاسكندرية . وجل ما نعلمه هو انه ليبي المولد والمنشأ وانه أمّ الاسكندرية وتعلم فيها وشايع ملاتيوس لدى خروجه على رئيسه بطرس . ثم تراجع فسيم شماساً . ثم انتقد رئيسه في أمر توبة الجاحدين فقطع . فالتجأ الى اخيلاس فسامه هذا كاهناً . ثم وثق فيه الكسندروس فجعله خادم كنيسة بفكالس *Baucalis* (١) .

1) *Bardy, G., Origines de l'Arianisme, Fliche et Martin, op. cit., III, 69-71.*

وكان آريوس فيما يظهر عالماً زاهداً متقشفاً يجيد الوعظ والارشاد فالتف حوله عدد من المؤمنين ولا سيما عذارى الاسكندرية اللواتي نذرن أنفسهن للعمل الصالح فأصبحن فخر كنيسة مصر . وانضم الى هؤلاء عدد كبــير من رجال الاكليروس الذين وجدوا في وعظه غذاء للنفوس فآثروا الاصغاء اليه على الرغم من التخالف في التعليم بينه وبين الاسقف رئيس الكنيسة (١) .

ووافق آريوس لوقيانوس المعلم الانطاكي وأخذ عنه . ولعله درس عليه كما سبقت الاشارة الى ذلك في الكلام عن لوقيانوس . ولا نعلم بالضبط وتمام الوضوح ما علمه لوقيانوس كما انه لم يبــق من تعاليم آريوس الا مقتطفات يسيرة جاءت في بعض « الردود » عليه ! ولا سيما ما كتبه القديس اثناسيوس الكبير وما أورده القديس امبروسيوس الذي اطلع فيما يظهر على تقارير الاسقف هوسيوس . ولا يخفى ان هوسيوس انتدب للتحقيق في قضية آريوس قبيل انعقاد المجمع المسكوني الاول وانه أصغى لكل من الأسقف الكسندروس والقس آريوس.

وجلّ ما يجوز قوله عن مذهب آريوس انه كان فيما يظهر محاولة جديدة لتأكيد وحدانية الآب وتخفيض منزلة الابن *Subordinationisme* والروح القدس. فالآب وحده في نظر آريوس استحق لقب الاله . اما الابن فانه لم يكن سوى اله ثانوي منخفض في الرتبة والمنزلة مخلوق من العدم بارادة الآب . بيد انه تميز عن سائر المخلوقات في انه كان صورة الله الاب في جوهره *Ousia* وارادته وقدرته ومجده . والثالوث في نظر آريوس ثلاثة في الاقنوم ولكنهم ليسوا واحداً الا باتفاق المشيئات (٢) . ومما أخذه سوزومينس المؤرخ على آريوس انه كان لسانياً منطيقياً متطرفاً جرّه تطرفه هذا الى الوقوع في الخطأ (٣) .

وعلم الكسندروس بما علّم به آريوس خادم كنيسة بفكاليس وسمع اعتراض بعض المؤمنين على هذه التعاليم الجديدة فدعا الطرفين الى مناقشة علنية بحضوره في موضوع الخلاف . فأوضح آريوس رأيه في الاب والابن والروح القدس

1) *Athanasius, Contra Arian. I, 8 ; Epiphane, Haeres., LXIX, 3.*
2) *Bardy, G., op. cit., III, 72-73.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., I, 15.*

واستمسك خصومه بولادة الابن من الاب قبل كل الدهور وبمساواة الابن للآب في الجوهر. واصغى الكسندروس الى كل ما قاله الطرفان واثنى على جميع الخطباء ولكنه قال بولادة الابن قبل كل الدهور وبمساواته للآب في الجوهر وأمر آريوس ان يقول قوله ومنعه عما كان يعلّم به (١).

واعتز آريوس بعلمه وبالاساقفة خارج مصر الذين اخذوا عن لوقيانوس المعلم الانطاكي وقالوا أقوالا مماثـلة. وبين هؤلاء افسابيوس اسقف نيقوميذية وافسابيوس اسقف قيصرية فلسطين وباتروفيلوس اسقف بيسان وآيتيوس اسقف اللد وبافلينوس اسقف صور وغريغوريوس اسقف بيروت وثيودوتوس اسقف اللاذقية واثناسيوس اسقف عين زربة في قيليقية (٢). واعتز آريوس بعلمه وبهؤلاء فرفض أمر سيده وامتنع عن الطاعة.

وعلم الكسندروس ان اساقفة مصر يقولون قوله فدعاهم الى مجمع في الاسكندرية وأطلعهم على بدعة آريوس. وكانوا مئة فشجب ثمانية وتسعون منهم قول آريوس وامتنع عن الشجب اسقفان فقط. فقطع المجمع الاسكندري آريوس وهذين الاسقفين وستة قساوسة وستة شمامسة (٣).

آريوس في فلسطين: وقصد آريوس اسقف قيصرية فلسطين افسابيوس المؤرخ ووصل حبله بحبله. وكان افسابيوس سيداً منظوراً وعالماً كبيراً يتجه اتجاه آريوس في تفكيره ولكنه لايجاهر برأيه ولايجادل. ولعله لم يدقق أمر الثالوث تدقيق آريوس ولم يتخذ موقفاً محدداً من هذا الموضوع (٤). ولكن غموضه في التفكير لم يمنعه عن اسعاف آريوس. فانه كتب الى الكسندروس اسقف الاسكندرية يلومه على تحريف اقوال آريوس (٥) وأشار على آريوس بالكتابة الى اسقف نيقوميذية لتبيان موقفه. فكتب آريوس وحصر شكواه في انه قطع لانه لم يقل ان الابن غير مخلوق (٦). وافسابيوس اسقف نيقوميذية رُسم بادىء ذي بدء

1) *Ibid., I, 15.*
2) *Epiphane, Haeres., LXIX, 6; Bardy, G., Recherches sur Saint Lucien d'Antioche, 223-228.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., I, 6.*
4) *Bardy, G., Origines de l'Arianisme, op. cit., III, 74.*
5) *Mansi, XIII, 317.*
6) *Arius, Epist. ad Euseb., Epiphane, Haeres., LXIX,6.*

اسقفـاً على بيروت ثم أصبح اسقف نيقوميذية. واتصل بقسطندية اخت قسطنطين وزوجة ليكينيوس ونال ثقتها فشفعت له عند اخيهـا فتقرّب من الامبراطور فخفّف لحاجاته واهتم بشؤونه (١).

آريوس في نيقوميذية: ثم أمّ آريوس نيقوميذية وعمد الى اسقفها واستحمله اموره فنزل افسابيوس على مُقترَح آريوس ولم يدخر عنه وسعاً وحرر الى جميع الجهات وحضّ الاساقفة على تأييد آريوس. ولا يزال نص كتابه الى بافلينوس اسقف صور محفوظاً في تاريخ ثيودوريتس وفيه من عبارات التشجيع على الجهر بالرأي ما يثبت تردد بافلينوس في بادىء الأمر وامتناعه عن مصارحة زملائه في قضية آريوس (٢). ويقول سوزومينس المؤرخ ان افسابيوس اسقف نيقوميذية دعا الى مجمع محلي للنظر في قضية آريوس وان هذا المجمع اتخذ قراراً بوجوب قبول آريوس وجماعته في الشركة ووجوب الكتابة الى الكسندروس بذلك ليرفع عنهم الحرم (٣). ورأى أفسابيوس اسقف نيقوميذية ان يكتب آريوس نفسه الى الكسندروس مبيناً عقيدته. فكتب آريوس كتابة لبقة جاء فيها انه لم يعلم غير ما علمه الكسندروس نفسه وانه حرّم ما حرمه سيده ورئيسه (٤). وصنف آريوس في هذا الوقت نفسه رسالة دعاها «الثالية» *Thalia* وضمنها آراءه في الثالوث وبدأها بمدح نفسه. فراجت في بعض الاوساط رواجاً ملموساً (٥).

نشاط الكسندروس: وهبّ الكسندروس للدفاع عن الايمان القويم. فكتب الى عدد كبير من الاساقفة خارج مصر معلناً وحدة الكنيسة الجامعة موجباً تبادل الرأي بين الاساقفة ليتألموا مع العضو المتألم ويفرحوا لفرحه (٦) مبيناً موقفه وموقف المجمع المصري المحلي. ويستدل من النصوص الباقية ان الكسندروس حرر بما تقدم ذكره الى كل من سلفيستروس اسقف رومة وفيلوغونيوس اسقف انطاكية وافسابيوس اسقف قيصرية فلسطين ومكاريوس اسقف اوروشليم وزينون

1) *Lichtenstein, A., Eusebius von Nikomedien.*
2) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 5.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., I, 15.*
4) *Epiphane, Haeres., LXIX, 7; Bardy, G., Recherches, op. cit., 228 - 238.*
5) *Bardy, G., La Thalie d'Arius, Rev. de Philol., 1927, 211 - 233; Puesch, A., Lit. Gr. Chrét., III, 59 - 63.*
6) *Alexandre d'Alexandrie, Epist. Encyc. apud Socrates, Hist. Ecc., I, 6.*

اسقف صور وافستاثيوس اسقف حلب واسكليبياس اسقف غزة ولونجينوس اسقف عسقلان والى واحد وستين اسقفاً آخر (١) .

وتجاوزت البدعة من آريوس وزمرته الى غيرهم فانتشرت في سنتها الاولى في جميع الاوساط المسيحية في الشرق . وتراشق الخصمان بالقطع والحرمان . وكثرت النشرات الآريوسية والردود عليها وجمعت مجموعات لتسهيل الاطلاع عليها (٢) . ومشى استيريوس *Asterios* السفسطي المخالط من قبدوقية الى جميع انحاء الشرق يدعو الى بدعة آريوس ويدافع عنها بالسفسطة . وكان قد ضحى للآلهة الوثنية في اثناء الاضطهاد العظيم وتاب وأحب الالتحاق بالاكليروس فمنع فازداد سخطاً ومعارضة (٣) .

تدخل الغوغاء : وكان المجمع المحلي الذي انعقد في نيقوميذية قد كتب الى الكسندروس في الاسكندرية ان يرفع الحرم الذي وضعه على آريوس واتباعه . فامتنع الكسندروس عن ذلك . فاجتمع بعض الاساقفة الانطاكيين امثال افسابيوس القيصري وبافلينوس الصوري وباترفيلوس البيساني وغيرهم في قيصرية فلسطين ومنحوا آريوس وجماعته حق الرجوع الى ممارسة الاسرار (٤) . فتسلح آريوس بهذا القرار وعاد وجماعته الى الاسكندرية ونظم الاغاني والاهازيج وعممها فحفظها اناس من جميع الطبقات وتغنوا بها . وسرت العدوى الى السفلة فاندفعوا يرددون هذه العبارات في الاسواق والشوارع والباحات وأماكن اللهو (٥) .

موقف الأمبراطور قسطنطين : وكان قسطنطين قد عانى الامرين في سعيه للوصول الى العرش وفي توحيد الامبراطورية . وكانت موقعة خريسوبوليس التي فصلت في الخلاف بينه وبين ليكينيوس لا تزال قريبة العهد جداً (١٨ ايلول ٣٢٤) . فلما علم الامبراطور بالخلاف بين آريوس وبين رئيسه الكسندروس وبتطور هذا الخلاف وتأزمه تألم وغضب واستشار في هذا الأمر صديقه القديم الشيخ

1) *Epiphane, Haeres., LXIX, 4; Théodoret, Hist. Ecc., I, 4.*
2) *Epiphane, Haeres., LXIX, 5; Athanase, De Synod., XVII.*
3) *Bardy, G., Asterius le Sophiste, Rev. Hist. Ecc., 1926, 226 f.*
4) *Sozomène, Hist. Ecc., I, 15.*
5) *Philostorge, Hist. Ecc., II, 2; Eusèbe, Vit. Con., I, 61.*

التي هوسيوس *Hossius* اسقف قرطبة الاسبانية . ولم يدرك هوسيوس أهمية النزاع العقائدي وصلته بالوهية السيد المخلص . ولا غرو في ذلك فان معظم اساقفة الغرب كانوا لا يزالون بعيدين عن تفهم هذه الامور لقلة تضلعهم في الفلسفة واللاهوت . فقر قرار الصديقين على الكتابة الى الكسندروس وآريوس وعلى قيام هوسيوس بنفسه الى الاسكندرية للتحقيق في القضية الماثلة وادلاء النصح للطرفين وحلها حبياً . وخلاصة الرسالة الامبراطورية التي حملها هوسيوس الى الاسكندرية ان لا فائدة من المشادة حول اللغو في الكلام وان اقرار السلم أهم بكثير من مثل هذه المشادات وان الواجب يقضي بتساهل الطرفين للوصول الى حل مرض (١) . وقد اختلف رجال الاختصاص في اصالة هذه الرسالة . فمنهم من قال بانها مزورة وانها دست دساً في أوائل عهد قسطنس الثاني (٢) ومنهم من يراها صحيحة غير مزورة (٣) .

ووصل هوسيوس الى الاسكندرية فوجد الاساقفة مجتمعين للنظر في بعض الامور المحلية منها قضية كولوثوس الذي اغتصب الاسقفية اغتصاباً ومنها مشكلة الكاهن اسخيراس الذي رسمه كولوثوس . ولا بد وان تكون قضية آريوس قد بحثت ايضاً ولكننا لانعلم الشيء الكثير عن اعمال هذا المجمع . وجل ما نعلمه هو ان هوسيوس اتصل باسقف الاسكندرية وبآريوس وانه عاد الى نيقوميذية فتبعه اليها كل من الكسندروس وآريوس وان الكسندروس أقلع الى نيقوميذية بحراً فوصل اليها قبل آريوس الذي آثر طريق البر (٤) .

مجمع في انطاكية : (٣٢٤ – ٣٢٥) وتوفي فيتاليوس اسقف انطاكية في السنة ٣١٩ فخلفه كما سبق واشرنا فيلوغونيوس . وكان فيلوغونيوس محامياً «له مع عباد الله معاملة جميلة ومروءة ظاهرة ومعدلة فاشية» فرفع بعد وفاة زوجته الى السدة الرسولية وانصرف الى خدمة الكنيسة بخوف الله وورعه وأتم بناء الكنيسة القديمة وعاد بعدد

1) *Eusèbe, Vit. Con., II., 64 - 72.*
2) *Batiffol, P., Les Documents de la Vita Constantini, Bull. Anc. Lit. et Arch. Chrét., 1914, 83 - 86.*
3) *Bardy, G., Pol. Relig. de Constantin, Rev. Sc. Relig., 1928, 516, n. 1.*
4) *Philostorge, Hist. Ecc., I, 7.*

وافر من الجاحدين الى حظيرة الخلاص وقاوم اضطهاد ليكينيوس وتحمل الضيق والشدة فاعتبر معترفاً . واحزنه أمر آريوس فبذل وسعه في محاربة هذه البدعـــة وراسل الكسندروس الاسكندري مثبتاً. ثم رقد بالرب يسوع في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ٣٢٤ (١) .

وما ان طويت صحيفة هــذا الرجل الصالح وخلا مكانه حتى انتشر الصوت به في الاوساط المستقيمة الرأي . فهرع الاساقفة الى انطاكية للتشاور في أمر الخلافة الرسولية . فاجتمع في عاصمة النصرانية ستة وخمسون اسقفاً من فلسطين والعربية وفينيقية وسورية وإسورية وقبدوقية برئاســة افسابيوس الاسوري . فتشاوروا في أمر آريوس وبدعته وسلموا عكاز الرعاية في انطاكية الى افستاثيوس (٣٢٥ ــ ٣٣٠) اسقف حلب الذي كان قد اشتهر بصحــة عقيدته وتأييده لالكسندروس الاسكندري . واتخذوا لمناسبة البحث في بدعة آريوس قراراً جاء فيه انهم يقولون باله فائق القدرة ازلي لايتغير خالق السماء والارض وكل مايوجد وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور (٢). واعترض على هذا القول ثلاثة من الاساقفة المجتمعين افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين وثيودوتوس اسقف اللاذقية ونرقيس اسقف بانياس *Neronias* احدى المدن العشر . فقطعهم المجمع لمدة معينة . ثم أقر نص الرسالة السلامية ووجهها الى اسقف رومة وغيره من رؤساء الكنائس الشقيقة والى عدد كبير من الاساقفة(٣).

ويرى بعض رجال الاختصاص ان كنيسة انطاكية سبقت غيرها من الكنائس الى فكرة المجامع المسكونية وان هذا المجمع الانطاكي نفسه اقترح دعوة اساقفة الشرق وآسية الصغرى ومصر والغرب الى مجمع مسكوني يجلس في أنقيرة للبت في قضية آريوس واخراج الكنيسة الجامعة من الورطة التي وقعت فيها .

1) *Saint Jérôme, Chron.; Théodoret, Hist. Ecc., III, 1; Chrysostomus, Hom., Dec. 20.*
2) *Schwartz, E., Gesch. des Athanasius, VI., Nachrichten, Gottingen, 1905, 27 ff; Nau, F., Lit. Canonique Syriaque Inédile, Rev. Orient Chrét., 1909, 3 - 31.*
3) *Opitz, H. G., Athanasius Werke, III, 1, Urkenden zur Gesch. des Arianischen Streites, 1934, 30 - 41.*

ويستند هؤلاء العلماء في رأيهم هذا الى نص العبارات التي قُطع بها الاساقفة الثلاثة فقد أتاح نص القطع التوبة امام مجمع كبير في أنقيرة (١) . وجاء في بعض المراجع الاولية ان الفضـــل في التفكير بمجمع مسكوني يعود الى الكسندروس الاسكندري (٢) . وينسب افسابيوس المؤرخ هذا الفضل الى الامبراطور قسطنطين نفسه (٣) ولكن روايته هذه مجروحة ينقصها شيء كثير من العدل نظراً لعلاقة افسابيوس الشخصية بآريوس والآريوسية .

مجمع نيقية : (٣٢٥) ودعا قسطنطين جميع الاساقفــة من جميع انحاء الامبراطورية الى التشاور وتبادل الرأي . وعين مكان الاجتماع في نيقيـــة لا في أنقيرة . ورأى ان تبديل المكان ضروري لاسباب منها ان مناخ نيقية ألطف من مناخ انقيرة وان نيقية اقرب الى نيقوميذية مقر حكمه وان الوصول اليها اسهل على اساقفة الغرب واوروبة من الوصول الى انقيرة . ولا يزال بعض ما كتبــه الامبراطور في هذا المعنى محفوظاً حتى يومنا هذا (٤) . ولا نعلم السبب الذي حدا بالاساقفة المجتمعين في انطاكية الى تعيين انقيرة مكاناً للاجتماع . ولعلـــه قربها كمركز انطاكي كنسي من نيقوميذية وشهرة اسقفها مركلوس *Marcellus* وصموده العنيف في وجه آريوس واتباعه .

ومثّل الكنائس عدد غفير من الاساقفة من سوريـــة وقيليقية وفينيقية والعربية ومصر وليبية وما بين النهرين واسكيثية والبونط وغلاطيـــة وبمفيلية وقبدوقية وفريجية وتراقية ومقدونية وآخية وابيروس وايطالية وغالية واسبانية وافريقية الشمالية (٥) . وتختلف المراجع في عدد الاساقفة المجتمعين . فانهم مئتان وسبعون في رواية افستاثيوس اسقف انطاكية (٦) وثلاث مئـة في عرف اثناسيوس الاسكندري . وبعد السنة ٣٦٠ جعل عددهم ثلاث مئة وثماني عشرة

1) *Baynes, N. H., Journal of Roman Studies, 1928, 219 f.*
2) *Philostorge, Hist. Ecc., I, 7.*
3) *Vit. Con., III, 6.*
4) *Pitra, Analecta Sacra, IV, 224; Opitz, H. G., Athanasius Werke, III, 41-42.*
5) *Eusèbe, Vit. Con., III, 7.*
6) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 8.*

ليتساووا «وغلمان ابراهيم المتمرنين» .(١) وكان معظمهم من الولايات الشرقية .

ويستدل مما تبقى من آثار هـــذا المجمع المسكوني الأول ان ثمانين اسقفاً انطاكياً أو أكثر أيدوا قراراته وأنهم جاؤوا من ولايات (أبرشيات) سورية وفينيقية وفلسطين والعربية وما بين النهرين وقيليقية وإسوريـــة وقبرص (٢).

وأشهر الاساقفة الانطاكيين الذين اشتركوا في اعمال المجمع افستاثيوس اسقف انطاكية العالم اللاهوتي ومكاريوس اسقف اوروشليم وافسابيوس اسقف قيصرية فلسطين العـــالم المؤرخ والخطيب المفوه ويعقوب اسقف نصيبين الناسك الورع المتوشح بجلد الماعز واسبيريـــدون الراعي اسقف قبرص الذي ذهبت له في الحلم والدعة شهرة طائلة وتوما اسقف مرعش المعترف الذي شوهت اعضاؤه وحبس نحواً من عشرين سنة وبولس اسقف قيصرية الجديدة الذي يبست اعصاب يديه من جراء تعذيبه بالحديد الحامي وماركلوس العالم اسقف أنقيرة (٣) .

ولم يستطع سيليفستروس اسقف رومة الحضور لشيخوخته فناب عنـــه قسيسان رومانيان واسقف كلابرية وحضر الكسندروس اسقف الاسكندريـــة وشماسه اثناسيوس الشهير كما حضر الكسندروس اسقف القسطنطينية وافسابيوس اسقف نيقوميذية وكثير من اجلاّء الاساقفة الذين فاح عبير قدسهم . وحضر أيضاً آريوس بنفسه (٤) .

واجتمع الاباء الأجلاء في اليـــوم العشرين من ايار من شهور السنة ٣٢٥(٥) في بهو كبير في البلاط وجلسوا في الاماكن المخصصة لهم الى اليمين والى اليسار وباتوا ينتظرون وصول الامبراطور منصتين . ثم اعطيت الاشارة بوصوله فانتصبوا احتراماً واجلالا . ودخل قسطنطين بالارجوان والذهب ووراءه بعض افراد الحاشية من المسيحيين . ولما وصل الى المكان الذي أعد له شاء الا يجلس قبل جلوس الاساقفة . وأمرهم بذلك فامتثلوا (٦) .

1) *Gen. XIV, 14; Saint Hilaire, Contra Const., 27; Rivière, J., Trois Cent Dix-Huit, Rev. Théol. Anc., 1934, 361-367.*
2) *Bizantion, 1939, 45-48.*
3) *Bardy, G., Origines de l'Arianisme, Fliche et Martin, op. cit., III, 82 - 83.*
4) *Gelzer - Hilgenfeld - Cuntz, Patrum Nicaenorum Nomina.*
5) *Socrates, Hist. Ecc., I, 13.*
6) *Eusèbe, Vit. Con., III, 10.*

وتختلف الروايات في من رئس المجمع . فالكاتب الذي رتب فصول كتاب أفسابيوس في حياة قسطنطين يرى ان افسابيوس نفسه ترأس المجمع (١) ويخيل للقارىء أن القديس أثناسيوس أراد ان يقول أن هوسيوس اسقف قرطبة تبوأ أول المراكز (٢) . ولكن ثيودوريطس المؤرخ يعطي الرئاسة لافستاثيوس اسقف انطاكية (٣) . ولعل هذا القول أقرب الى الحقيقة من سواه لانه أوضح من غيره ولان اسقف انطاكية كان اهم الاساقفة المجتمعين ولا سيما وأن اسقف رومة لم يحضر بشخصه وان الكسندروس اسقف الاسكندرية كان احد الخصمين المتداعيين (٤) . بيد انه لا بد من الاشارة الى ان اسم هوسيوس جاء في طليعـــة اسماء الموقعين (٥) .

وتوسط الامبراطور مجلس الاباء على كرسي من ذهب . ونهض رئيس المجمع فشكر الامبراطور عنايته بالكنيسة . فرد عليـــه الامبراطور شاكراً «لملك الكون» نعمه الكثيرة ولا سيما تلك التي اتاحت له ان يرى الاساقفة مجتمعين بفكر واحد وقلب واحد. وذكر بعد ذلك انه بقدرة «الملك المخلص» تمكن من القضاء على الطغاة الذين قاوموا الله . واكد انه يعتبر كل شغب في داخل الكنيسة مساوياً في الخطر لحرب كاملة (٦) .

ونُقـــل خطاب الامبراطور من اللاتينية الى اليونانية وشرع الآباء فور الانتهاء من ترجمة هذا الخطاب الى بحث القضايا الماثلة . ويرد رجال الاختصاص قول افسابيوس المؤرخ ان الامبراطور تدخـــل مراراً في البحث لاقرار السلم والوفاق (٧) . ولا يقرون قول روفينوس ان بعض الفلاسفـــة الوثنيين حضروا الجلسات وناقشوا الاساقفة (٨) . ويستبعد رجال الاختصاص ايضاً تدخـــل

1) *Ibid., III, 11.*
2) *Apolog. de Fuga, V.*
3) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 7.*
4) *Bardy, G., op. cit., III, 83, n. 3.*
5) *Grumel, V., Siège de Rome et Concile de Nicée, Echos d'Orient, 1925, 411 - 423.*
6) *Eusèbe, Vit. Con., III, 12.*
7) *Tillemont, Mémoires, VI, 652.*
8) *Rufin, Hist. Ecc., X,3; Jugie, M., Disputes des Philosophes Paiens avec les Pères de Nicée, Echos d'Orient, 1925, 403-410.*

اثناسيوس شماس الكسندروس الاسكندري في البحث . ويميلون الى الاعتقاد بأن الاساقفة وحدهم تباحثوا وتشاوروا ثم اتخذوا القرارات اللازمة (١) .

وبحث الآباء بدعة آريوس واستمعوا الى بعض ما جاء في كتابه « الثالية » فسدوا آذانهم نافرين (٢). ولم يحضروه ولم يستنطقوه. واول من قال باستحضاره روفينوس وقوله ضعيف مردود . وأيـــد آريوس من وراء الستار عشرون اسقفاً اشهرهم افسابيوس اسقف نيقوميذية وافسابيوس اسقف قيصريـــة فلسطين وثيودوتوس اسقف اللاذقية واثناسيوس اسقف عين زربة وغريغوريوس اسقف بيروت (٣) . ولكن الجميع اعترفوا بأن ابن الله هو اله حق واختلفوا في تفسير هذا الكلام وتحديـــده . فقال بعضهم بوجوب الاكتفاء بتعبير الآباء السابقين وقال آخرون بوجوب التدقيق في قول هؤلاء الآباء السابقين وتحديد التعبير (٤).

وانتهز افسابيوس أسقف قيصرية فلسطين هذه الفرصة فعرض قانون ايمان كان يتلى في كنيسته عند ممارسة سر المعمودية وترجى قبوله والموافقة عليه . ولعل هذا القانون نفسه هو من اجتهاد الكسندروس الاسكندري وهوسيوس(٥) أو من صياغة هيرموغونيوس أسقف قيصرية قبدوقية (٦) . ولكن الآباء أبوا ان يقبلوه كما كان فأدخلوا عليه بعض العبارات للضبط والتوضيح . فأوجبوا القول بأن ابن الله مولود من جوهر الآب وانه اله حق من اله حق مولود غـــير مخلوق مساو للآب في الجوهر . ويرى بعض رجال الاختصاص ان هوسيوس اقترح ادخال العبارة «مساو للآب في الجوهر» فأيده في ذلك كل من افستاثيوس أسقف انطاكية وماركلوس أسقف انقيرة (٧) . ووافق قسطنطين على رأي الأكثرية الساحقة فجاء نص قانون الايمان النيقاوي كما يلي :

« نؤمن باله واحد آب ضابط الكل خالق كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد مولود من

1) *Bardy, G., op. cit., III, 84, n. 4*
2) *Saint Athanase, Epist. ad Episc. Aegypti, XIII.*
3) *Philostorge, Hist. Ecc., I, 8.*
4) *Sozomène, Hist. Ecc., I, 17.*
5) *Philostorge, Hist. Ecc., I,9.*
6) *Basile, Epist. 81.*
7) *Bardy, G., op. cit., III, 86*

الآب أي من جوهر الآب اله من اله نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء ما في السماء وما على الأرض الذي لأجلنـــا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم . وقام في اليوم الثالث وصعد الى السماء وسيجيء ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس » (١) .

وألحق الآباء بهذا القانون العبارات التالية : « أما اولئك الذين يقولون انه كان زمن لم يكن فيه وانه لم يكن قبل ان يولد وانه صار من العدم او من أقنوم آخر او جوهر آخر او ان ابن الله مخلوق او متغير او متحول فهؤلاء جميعهم تفرزهم الكنيسة » . وحرم الآباء آريوس واتباعه فأيدهم قسطنطين في ذلك وحكم على آريوس بالابعاد والنفي .

ثم نظر المجمع في أمر عيـــد الفصح . فان كنيسة انطاكية كانت تجاري اليهود في حسابهم لتعين الرابع عشر من نيسان وبالتالي اليوم الذي يقع فيه عيد الفصح . وكانت السنة اليهودية تتألف من اثني عشر شهراً قرياً في السنين البسيطة ومن ثلاثة عشر شهراً في السنين الاضافية . وكانت سنتهم الاضافية تعود سبع مرات في مدة تسعـــة عشر عاماً . وكانوا يزيدون في هذه السنوات الاضافية « أمبوليسمية » شهراً آخر مؤلفاً من تسعة وعشرين يوماً يسمونه « واذار » أي اذار الثاني لتقريب السنة القمرية من السنة الشمسية . وكانت كنيسة الاسكندرية قد غضت النظر عن حساب اليهود واتخذت لنفسها قاعدة خاصـــة جعلت عيد الفصح يقع بعد أول بدر بعد اعتدال الربيع في الحادي والعشرين من اذار. ونتج عن تشبث كل من الكنيستين الشرقيتين بطريقتها الخاصة فرق في موعد عيد الفصح . فقد يسبق عيد الفصح الانطاكي العيد نفسه الاسكندري بشهر كامل . وبعد أن أصغى أعضاء المجمع الى حجج الفريقين اقروا وجوب الاحتفال بهذا العيد العظيم

4) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 12; Socrates, Hist. Ecc., I, 8; Saint Hilaire, De Synod., 84.*

في يوم واحد في جميع الكنائس وأوجبوا اتباع قاعدة الاسكندرية ورومة.(١)

وسن المجمع المسكوني الاول عشرين قانوناً لنظام الكنيسة فقضى القانون الثامن بقبول النوفاتيين في الكنيسة الجامعة شرط ان يعترفوا كتابة بعقيدة الكنيسة وان يشاركوا ذوي الزيجة الثانية والساقطين في الاضطهاد . وقضى هذا القانون نفسه بالاعتراف برسامة هؤلاء وباسقفية أساقفتهم الرسمية اذا رضي بذلك اسقف الابرشية الارثوذكسي . وأجاز القانون التاسع عشر عودة أتباع بولس السميساطي الى حضن الكنيسة شرط اعتمادهم ثانية وأوجب الاعتراف برسامة هؤلاء فور الانتهاء من تعميدهم (٢) .

وأوجب القانون الاول قطع الاكليريكي الذي يجبّ نفسه وعدم انتداب اي علماني لممارسة الكهنوت ما لم يكن قد جبّه الاطباء لمرض او شوهه المضطهدون. ومنع القانون الثاني قبول الحديثين في الايمان في مصاف الاكليريكيين . وقضى التاسع والعاشر برفض الكهنة الذين رسموا بغير فحص او خلافاً للقانون وبقطع الذين جحدوا الايمان ورسموا دون ان يعرف بذلك راسموهم .

وبحث المجمع في القوانين الثالث والثالث عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر في تصرفات رجال الاكليروس . فقضى الثالث الا يساكن الاسقف أو القسيس أو الشماس امرأة غير والدته أو شقيقته أو خالته او عمته او من لا تدور حولها اية شبهة . وأوجب الثالث عشر مناولة الذين يطلبون القربان المقدس وهم في حالة الاحتضار ومنع الخامس عشر والسادس عشر الاكليروس من مغادرة كنائسهم والانتقال الى كنيسة اخرى وأوجب بطلان الرسامة التي يقلدها أسقف شخصاً من كنيسة اخرى دون موافقة أسقفها . ومنع السابع عشر الاكليروس عن الاتجار بالمال بالربى . وحرّم الثامن عشر جلوس الشمامسة بين الكهنة وتقديم القربان لهم .

وحضّ القانون الرابع على اشتراك جميع أساقفة الأبرشية في سيامة أسقف

1) *Duchesne, L., La Question de la Pâque au Concile de Nicée, Rev. Quest. Hist., 1880, 1 ff; Daunoy, F., Question Pascale au Concile de Nicée, Echos d'Orient, 1925, 424-444; Théodoret, Hist. Ecc., I, 9; Socrates, Hist. Ecc., I, 9.*
2) *Bardy, G., Paul de Samosate, 390-404.*

من الأساقفة وأجاز سيامته من ثلاثة معاً بعد موافقة الغائبين وأوجب موافقة المتروبوليت وتصديقه . وقضى القانون الخامس عدم قبول الممنوعين من الشركة في الأبرشية الواحدة في شركة أبرشية اخرى وأوجب لهذه المناسبة التئام أساقفة الأبرشية في مجمع محلي مرتين في كل سنة في الربيع وفي الخريف .

وجاء في القانون السادس « بأن تكون السلطة في مصر وليبية والمدن الخمس لاسقف الاسكندرية لأن هذه العادة مرعية الاجراء للاسقف الذي في رومة ايضاً . وعلى غرار ذلك فليحفظ التقدم للكنائس في انطاكية وفي الأبرشيات الاخرى » . وجاء في القانون السابع : « انه جرت العادة والتسليم ان يكون الاسقف الذي في ايلية أي أوروشليم ذا كرامة . فلتكن له المتبوعية في الكرامة» .

وختم المجمع أعماله في التاسع عشر من حزيران السنة ٣٢٥ . ووافق هذا التاريخ او كاد يوافق اكمال السنة العشرين لتسلم قسطنطين أزمة الحكم فدعا الامبراطور الأساقفة الى مأدبة كبيرة في قصره (١) ثم حضر حفلة الختام وألقى فيها كلمة حض بها الأساقفة على التفاهم والسلم والمحبة وعلى التعاضد في نشر الايمان بين الوثنيين (٢) . وقدّم لهم الهدايا كل بقدر استحقاقه وأمر بتوزيع الحنطة على الكنائس لسد رمق الفقراء والمساكين .

تدمير هيكل افقا : (٣٢٥) وأمر قسطنطين بتهديم المعابد الوثنية التي اشتهرت بفسقها كما سبق وأشرنا . «فعلم بما نصبه ابليس من الاشراك في فينيقية لصيد النفوس . فوجد من ذلك على هضاب لبنان في موضع قفر لا تطرقه السابلة معبداً تحدق به غيضة . وكان المعبد قد اقيم لبعض الاصنام الدنسة يدعى الزُهرة يتوارد اليه البغايا واهل الفجور فاضحى بذلك أشبه بماخور منه بمعبد ديني . ولم يتجاسر احد من اهل الفضل ان يدخل اليه ليتحقق صحة ما تتناقله الالسن . بيد ان قسطنطين وقف على حقيقة الأمر فرأى من أخص واجباته ان يقوّض اركان ذلك الزون النجس . فأمر عماله بان يهدموا ذلك المقام ويكسروا اصنامه ويتلفوا ما حمل اليه من الهدايا النفيسة . فأرسلت الى افقا فئة من الجند نفذوا أوامر الملك

1) *Eusèbe, Vit. Con., III, 21.*
2) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 11.*

ولم يبقوا ولم يذروا . وكان ذلك في السنة ٣٢٥ . أما سكان افقا فأمروا بأن يبارحوا مساكنهم فاستوطنوا بعلبك » (١) .

اكتشاف الصليب المقدس : (٣٢٦) وقام قسطنطين في مطلع السنة ٣٢٦ الى رومة ليحتفل فيها كما احتفل في نيقوميذية بعيده العشرين . وكانت والدته القديسة هيلانة قد استقرت في رومة وتمتعت بلقب أوغسطة وأثرت ثراء كبيراً . فعزمت في هذه السنة على القيام برحلة الى فلسطين للتبرك بزيارة الأماكن المقدسة. فغادرت رومة في أواخر الصيف واتجهت شطر فلسطين بحراً . وكان قسطنطين قد فاوض مكاريوس اسقف اوروشليم في اقامة كنيسة لائقة بالسيد المخلص في جلجثة تكون أفضل الكنائس . فاستحثت القديسة الاسقف على اتمام هذا العمل . وكان قد سبق للنصارى ان أقاموا في القرن الثالث بناء مثمن الاضلاع والزوايا فوق المذود الذي ولد فيه السيد في بيت لحم فأضافت هيلانه الى هذا المثمن بازيليقة فخمة . وفعلت مثل هذا عند كهف الصعود .

وعند انتهاء القرن الرابع بدأ النصارى يتناقلون خبراً مؤداه ان القديسة هيلانة بعد تفتيش دقيق وعناء شديد وجدت ثلاثة صلبان في جلجثة وانها أحبت ان تتعرف الى صليب السيد منها فلمست بها جسد مريض شاب وانتقت منها ذاك الذي شفى المريض . ومما تنوقل انها لدى عودتها أذابت مسامير الصليب في معدن خوذة قسطنطين ابنها والآخر في لجام حصانه كما انها وزعت عود الصليب على كنائس عدة (٢) .

حقد الاريوسيين ومجمع انطاكية : (٣٣٠) ولم يتمكن المجمع المسكوني الأول من استئصال بذور الشقاق فانه عندما عاد بعض الأساقفة أعضاء المجمع المسكوني الأول الى أبرشياتهم وزال جو أكثرية الأعضاء شعروا بشيء من الحرية فعادوا الى الكلام عن المساواة في الجوهر وأوّلوا نص الايمان النيقاوي . وجرؤ ثيودوتوس أسقف اللاذقية على مثل هذه الأقاويل أكثر من غيره وعلم قسطنطين

1) *Eusèbe, Vita Con., III, 55.*
2) *Rufin, Hist. Ecc., I, 7-8; Sozomène, Hist. Ecc., II, 1; Théodoret, Hist. Ecc., I, 17; Diehl, E., Insc. Lat. Christ. Vet., 2068, Tocqueville; Favez, C., Episode de l'Invention de la Croix, Rev. Etudes Lat., 1932, 423.*

بذلك فكتب الى ثيودوتوس في خريف السنة ٣٢٥ يبين له سوء العاقبة ويحضه على الاستمساك بالايمان الطاهر ليحظى بالمكافأة في الحياة الأبدية (١) . وحرّر رئيس كنيسة انطاكية افستاثيوس الورع الى افسابيوس أسقف قيصرية فلسطين يؤنبه على التبديل بعقيدة نيقية . فغضب افسابيوس وكتب الى خليفة الرسولين يتهمه بالسبلنة *Sabellianisme* أي بالقول بما قال به سبيليوس الكافر الذي جحد بالثالوث الاقدس فقال بأن الله اقنوم واحد (٢) وذلك لتمسك افستاثيوس بالمساواة في الجوهر .

وكان افسابيوس اسقف نيقوميذية مقبول الشفاعة في بلاط نيقوميذية . فان صوزومينس المؤرخ يقول ان قسطندية اخت قسطنطين أوصت أخاها وهي على فراش الموت بكاهن آريوسي كان قد أصبح معلم ذمتها وان هذا الكاهن قدم افسابيوس الى قسطنطين (٣) . وكانت هيلانه أم قسطنطين من بنات دريبانوم *Drepanum* في بيثينية . وكانت بلدة دريبانوم قد أصبحت مثوى لوقيانوس الشهيد وكان قبره قد أصبح مزاراً فيها وكانت هيلانة شديدة العناية بهذا المزار . وكان افسابيوس اسقف نيقوميذية أحد تلامذة هذا الشهيد كما سبق وأشرنا وشاركه في التلمذة ثيوغينس أسقف نيقية . فلما أمر قسطنطين بابعادهما الى غالية لتمسكهما بآراء آريوس شفعت هيلانة لهما عند ابنها فقبل شفاعتها وأعادهما الى مراكزهما في السنة ٣٢٨ (٤) .

وما أن عاد افسابيوس الى أبرشية نيقوميذية وتسلم مقاليد امورها حتى استأنف نشاطه وخرج يسعى لتعليم مبادئه . وكان عالي الهمة ماضي العزيمة ذا علم ودراية وحنكة ومراوغة فتحاشى الطعن المباشر في دستور نيقية ولم يتلفظ بشيء من عبارات آريوس ولكنه ذكّر المؤمنين بسبيليوس وهرطقته وتخوّف من الوقوع فيها وأشار بلطف زائد الى وجه التشابه بين عقيدة نيقية والقول

1) *Gelase, Hist. Ecc., III, App. 2.*
2) *Socrates, Hist. Ecc., I, 23.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., II, 16-17, III,13.*
4) *Batiffol, P., Paix Const., 366-367; Bardy, G., Réaction Eusébienne, Fliche et Martin, op. cit., III, 100-101.*

بالمساواة في الجوهر وبين قول سبيليوس بان الله اقنوم واحد لا ثلاثة .

وكان افستاثيوس رئيس كنيسة انطاكية عالماً لاهوتياً كبيراً درس في انطاكية فأصبح احد مصابيحها النيرة . ثم صار اسقفاً لحلب فجاهد في سبيل الايمان في ابان الاضطهاد العظيم . وجلس على كرسي انطاكية في أوائل السنة ٣٢٥ فقاوم الآريوسية وكتب ضدها . وظهرت عظمة جهاده في المجمع النيقاوي فترأس جلساته (١) وأصبح في نظر الآريوسيين أول اعدائهم واشدهم خطراً . فرأى افسابيوس النيقوميذي ان يبدأ بتحطيم هـذه الشخصية الكبيرة . فزار انطاكية في السنة ٣٣٠ بحجة رؤية كنيستها الجديدة المذهبة ورافقه في زيارته هذه شريكه في الآريوسية والمنفى ثيوغنيس أسقف نيقية . فرحّب بهما افستاثيوس وزار معهما جميع الكنائس والأماكن الأثرية في انطاكية . ولم يدر بمكرهما فانتهزا فرصة وجودهما في انطاكية للاجتماع بزعماء الآريوسية فيها وتدبير المكيدة على خليفة الرسولين (٢). ثم غادرا انطاكية الى اورشليم واجتمعا بافسابيوس اسقف قيصرية وباتروفيلوس اسقف بيسان وآيتيوس اسقف اللد . ولا بد وان يكونا قد اجتمعا او اتصلا بثيودوتوس اسقف اللاذقية . وقر قرارهم على اجتماع اسقفي في انطاكية للحط من قدر افستاثيوس وتنزيله عن كرسيه الرسولي . وتوافدوا على عاصمة النصرانية في الشرق واجتمعوا. فاتهم كيروس اسقف حلب رئيسه بالسبلنة واتهمه غيره بالفجور وكانوا قد تآمروا في ذلك مع امرأة كان قد فجر بها رجل يدعى افستاثيوس الحداد . وحل بهذه الامرأة مرض وبيل واشتدت وطأته عليهـا فكشفت سرّ المؤامرة ولكن بعد فوات الفرصة . ومما قاله هؤلاء المتآمرون عن هذا الحبر الجليل انه انقبض عن هيلانه والدة قسطنطين لدى مرورها بانطاكية لانها اكرمت لوقيانوس الشهيد المدفون في بلدتها . واتخذوا قراراً بخلعه ورفعوه الى قسطنطين فنفاه الامبراطور الى تريانوبوليس في تراقية في طبقة من القسوس والشمامسة . ثم أمر بنقله الى فيلبي . وبقي فيهـا حتى انطلقت نفسه الزكية في

1) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 8; Socrates, Hist. Ecc., I, 24, II, 9.*
2) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 21.*

السنة ٣٣٧ (١) .

وتحلى افستاثيوس بالدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية فصنف كتاباً في قمع الآريوسية ودبج رسالات في تفسير الأيام الستة والمزامير والنفس ولم يبق من مصنفاته سوى رسالته في عرّافة عين دور وفيها يفند هذا العلامة الصالح رأي أوريجانس ويدحض طريقتـه الرمزية (٢) . وأعجب بعض الآباء بتوقد خاطره وسلاسة انشائه (٣) . وجاء في الدرر النفيسة لغبطة البطريرك اغناطيوس افرام عن ابن كيفا ان افستاثيوس وضع ليتورجية مطولة .

بافلينوس وافلاليوس : وقام مكان افستاثيوس بافلينوس *Paulinos* اسقف صور وصديق افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين . ولكنه توفي بعد ستة أشهر (٣٣٠ – ٣٣١) (٤) . وجاء بعـد بافلينوس افلاليوس *Eulalios* فخلا مكانه في السنة الثانية او الثالثة من ولايته (٥) .

تدخل قسطنطين : وكان لافستاثيوس القديس الجليل انصار كثيرون في انطاكية نفسها وفي الابرشيات التابعة لها . وكان له ايضاً اعداء متعصبون . وأبى اتباعه الانقياد الى الرؤساء الآريوسيين فاعتزلوهم برئاسة القس بافلينوس وصلوا في الكنيسة القديمة .

فلما خلا مكان افلاليوس (٣٣٢) ازداد الشقاق في الكنيسة . وتعقدت الأمور فأصبح من الصعب جداً ايجاد خلف يرضى به جمهور الشعب . فتدخل الامبراطور وكتب الى صديقه افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين ان يتولى امور كنيسة انطاكية . وكان افسابيوس كما سبق وأشرنا ملقاً مُصانعاً فداور الامبراطور والكنيسة معاً وتظاهر بالمحافظة على القانون الكنسي الذي منع انتقال الاساقفة من أبرشية الى أبرشية اخرى واعتذر . فقبل قسطنطين اعتذاره وشكر

1) *Cavallera, F., Le Schisme d'Antioche, 38-41; Loofs, F., Paulus von Samosata, 295-302.*
2) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 8.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc. II, 19.*
4) *Philostorge, Hist. Ecc., III, 15; Cavallera, F., op. cit., 67-69.*
5) *Théodoret, Hist. Ecc., I, 22; Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 5.*

له تواضعه وكتب الى الاساقفة مقترحاً انتخاب القس جاورجيوس خادم كنيسة الرستن *Arethusa* وافرونيوس *Euphronios* خادم كنيسة قيصرية قبدوقية . وكان الاول قد وقع تحت حرم صدر عن الكسندروس الاسكندري . اما الثاني فأنه انتمى آنئذ الى جماعة اليسوبيين اعداء نيقية المتسترين. فانتخب الأساقفة افرونيوس (٣٣٣) اسقفاً على انطاكية ورئيساً لكنيستها (١) .

بدء المشادة بين الكنيسة والدولة : وعلى الرغم من الانقسام الذي حل في كنيسة انطاكية حول قضية آريوس والآريوسية وحاجة الطرفين المتخاصمين الى السلطة المدنية العليا فأن اساقفة انطاكية تخشوا تدخل هذه السلطة في شؤون الكنيسة وتوجسوا خوفاً واتخذوا في السنة نفسها التي اقاموا فيها افرونيوس رئيساً عليهم قرارات من شأنها وضع حد لهذا التدخل . والاشارة هنا الى القوانين الانطاكية الخمسة والعشرين التي كانت تعتبر فيما مضى من أعمال مجمع التكريس الانطاكي (٣٤١) . فالقانون الرابع من هذه القوانين يمنع كل مجمع لاحق من اعادة اسقف الى منصبه اذا سبق لهذا الاسقف ان حُرم من مجمع سابق وظل يمارس صلاحياته على الرغم من هذا الحرم . والقانون الحادي عشر يمنع كل اكليريكي من رفع قضاياه الى الامبراطور بدون موافقة اساقفة الأبرشية ومتروبوليتها . والقانون الثـاني عشر يوجب على الاساقفة الذين يقعون تحت حرم مجمع الا يزعجوا الأمبراطور برفع قضيتهم اليه. فان فعلوا ارتكبوا ذنباً لا يغتفر وأضاعوا كل أمل في العودة الى مناصبهم . وعلى الرغم من انه ليس في هذه القرارات ما يمنع المجامع من عرض امورهم على مسامع الأمبراطور فان هذه القرارات تعتبر بحق اول خطوة رسمية نحو استقلال الكنيسة في ادارة شؤونها (٢) .

عودة آريوس من المنفى : وفي خريف السنة ٣٣٤ كتب قسطنطين الى آريوس نفسه يدعوه الى المثول بين يديه ويؤكد استعداده لاعادته الى وطنه(٣).

1) *Eusèbe, Vit. Con., III, 62; Sozomène, II, 19; Devresse, R., op. cit., 5; Bardy, G., Réaction, op. cit., III, 103.*
2) *Greenslade, S.L., Church and State, (London, 1954), 38-39; Schwartz, E., Zur Gesch. des Athanasius, VIII, 389-397; Bardy, G., Antioche, Dict. Droit Can., I, col. 589-598.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., I, 25; Bardy, G., Réaction, op. cit., III, 107, n. 3.*

فعاد آريوس ومثل بين يدي الامبراطور وأكد «ارثوذكسيته» واعترف ان الابن مولود من الآب قبل كل الدهور ولكنه لم يقل شيئاً عن المساواة في الجوهر *Homoousios* ثم التمس قبوله في الكنيسة فأحاله الامبراطور على مجمع ينعقد في صور (١) .

مجمع صور : (٣٣٥) وتوفي الكسندروس أسقف الاسكندرية في الثامن عشر من نيسان سنة ٣٢٨ وخلفه في الرئاسة اثناسيوس القديس . وكان ملاتيوس زعيم المعارضة في كنيسة مصر قد توفي ايضاً وخلفه في المعارضة يوحنا أرقف *Arkaph* . وكان يوحنـا من أبرع سماسرة الشقاق وتجار الفساد فاندسّ الى الامبراطور وتناول اثناسيوس عنده وأدعى ان اسقف الاسكندرية فرض على المؤمنـين الضرائب وأمدّ فيلومينوس الخائن بالمال وانه أمر بكسر كأس الافخارستية الذي كان يمارس السر به الكاهن اسخيراس (٢) . ويرى رجال البحث ان افسابيوس النيقوميذي مسؤول عن هذا الشغب وانه هو الذي أزكى نار الشقاق في مصر بعد وفاة الكسندروس وملاتيوس (٣) . واستدعى قسطنطين اسقف الاسكندرية اليه . فذهب اثناسيوس الى نيقوميذية وردّ هذه التهم . فاقتنع الامبراطور وأعاد الاسقف الى كنيسته قبيل فصح السنة ٣٣٢. وفي أواخر السنة ٣٣٣ أو أوائل السنة ٣٣٤ عاد يوحنا أرقف وأتباعه الى المشاغبة فأتهموا اثناسيوس بقتل ارسانيوس أحد أساقفتهم . فأوفد قسطنطين أخاه دلماتيوس للتحقيق في هذا الحادث المزعج . وقام دلماتيوس بالمهمة الموكولة اليه فوجد ارسانيوس حياً في أحد الأديرة . ونظر في قضية كأس الافخارستية واتصل باسخيراس نفسه فنفى اسخيراس الخبر وكتب ان شيئاً من هذا لم يحدث (٤) . واغتبط قسطنطين بما ثبت وكتب الى اثناسيوس يهنئه ويعنّف المشاغبين ويوجعهم

1) *Sozomène, Hist. Ecc., II, 27; Socrates, Hist. Ecc., I, 25-26; Gwatkin, H. M., Studies of Arianism, 90 ff.*
2) *Saint Athanase, Epist. Fest. IV.*
3) *Bardy, G., Politique Relig. de Constantin après le Concile de Nicée, Rev. Sc. Relig., 1928, 538, n. 2.*
4) *Saint Athanase, Apologia contra Arianos, Let. 44, 47.*

لوماً (١). وكان الامبراطور قد دعا الأساقفة الى مجمع في قيصرية فلسطين في ربيع هذه السنة نفسها (٣٣٤) فلما ثبتت براءة اثناسيوس كتب الى الأساقفة ان يعودوا الى مراكز أبرشياتهم.

وقربت السنة ٣٣٥ فأحب الامبراطور ان يحتفل فيها بمرور ثلاثين عاماً على تسلمه أزمة الحكم. ورأى ان كنيسة القيامة *Anastasis* التي كان قد أمر بانشائها قد تم بناؤها على أكمل وجه. وكاد يلمس سلماً في الكنيسة الجامعة. ولم يبق في نظره من عقبة في سبيل هذا السلم سوى التفاهم بين آريوس واثناسيوس فدعا الى مجمع كبير في صور للنظر في موقف هذين الزعيمين في صيف السنة ٣٣٥ وأمر بانتقال الأساقفة بعد الانتهاء من أعمالهم الى اوروشليم ليحتفلوا بمرور الثلاثين عاماً وليتوجوا هذا الاحتفال بتكريس كنيسة القيامة ورفع الصليب المقدس فوقها (٢).

وكان قد توفي افرونيوس أسقف انطاكية في السنة ٣٣٣ فخلفه فلاكيلوس *Flacillus* صديق افسابيوس القيصري. فقام فلاكيلوس الى صور واجتمع حواليه عدد من الأساقفة أخصام اثناسيوس وأركان الآريوسية أمثال افسابيوس النيقوميذي وافسابيوس القيصري وثيوغنيس النيقاوي وماريس الخلقيدوني. ودُعي الى الاجتماع مع هؤلاء الغلاة عدد من الأساقفة المحايدين أمثال الكسندروس أسقف تسالونيكية فبلغ عدد الجميع ستين أسقفاً. وأمّ اثناسيوس صور على رأس وفد مصري مؤلف من تسعة واربعين أسقفاً فلم يسمح لهم بالاشتراك في الأعمال (٣). ومثّل قسطنطين القومس فلافيوس ديونيسيوس. وحافظ على النظام عدد من الجند (٤).

واتهم الملاتيوسيون اثناسيوس بامور أهمها عبثه بكأس الافخارستية وضغطه على الاكليروس وعسفه وجوره. وأراد بعض الأساقفة أعضاء المجمع

1) *Ibid.*, 48.
2) *Eusèbe, Vit. Con.*, IV, 42; *Gélase de Cyzique, Hist. Ecc.*, III,17; *Théodoret, Hist. Ecc.*, I, 29; *Batiffol, P., Paix Const.*, 378 - 379
3) *Saint Athanase, Apolog. contra Arianos*, 79; *Socrates, Hist. Ecc.*, I, 28.
4) *Saint Athanase, Apolog.*, 8.

ان يجعلوا من قضية كأس الافخارستية تهمة أساسية فاقترحوا ايفاد لجنة الى مصر للتحقيق في هذه القضية. فقبل اثناسيوس بذلك شرط الا تؤلف هذه اللجنة من أخصامه. ولكن المجمع أبى ان يصغي لهذا الرجاء وأوفد الى مصر أساقفة آريوسيين منذ اللحظة الاولى. وأجرت اللجنة تحقيقاً مغرضاً وقدمت تقريراً مكدراً مؤلماً (١). ويلوح لبعض رجال الاختصاص ان حرص اثناسيوس على العقيدة الصالحة واندفاعه في سبيلها أخرجاه في بعض الأحيان عن جادة الاعتدال في معاملة الملاتيوسيين. ويستدلون على هذا بما جاء في بعض أوراق البردي التي تعود الى ربيع السنة ٣٣٥ نفسها (٢). وليس هنالك من الادلة التاريخية ما يحملنا على القول مع روفينوس المؤرخ (٣) بأن المجمع الصوري حقق ايضاً في تهمة فجور. واشتدت الدعاية في صور نفسها ضد اثناسيوس فهاج هائج السكان وتوافدوا على قاعات المجمع متهمين اثناسيوس بالسحر والقساوة مطالبين بانزال أشد العقوبات. وطالب جمهور الأساقفة المصريين الذين لم يشتركوا في أعمال المجمع برفع القضية الى مسامع الامبراطور وأيدهم في مطلبهم الكسندروس أسقف تسالونيكية ولكن معتمد الامبراطور اكتفى بحث أعضاء المجمع على الاتزان والاعتدال (٤).

وأيقن اثناسيوس باليأس مما طلب وتقوّضت حصون آماله فانسلّ من صور خفية وانطلق نحو القسطنطينية (٥). فأصدر عليه المجمع حكماً غيابياً قضى بعزله من منصبه وحرر المجمع بذلك رسالة سلامية وجهها الى جميع اساقفة المسكونة مبيناً تغيب اثناسيوس عن مجمعي قيصرية وصور وامتناعه عن الاجابة عما وُجّه اليه من تهم راجياً قطعه من الشركة.

ووصل اثناسيوس الى القسطنطينية وطلب مقابلة الامبراطور فرُدّ طلبه. فاغتنم خروج قسطنطين للنزهة على ظهر جواده وأعترض سبيله والتمس عدله.

1) *Sozomène, Hist. Ecc.*, II, 25
2) *Bardy, G., Réaction, op. cit.*, III, 109, n. 2.
3) *Rufin, Hist. Ecc.*, X, 18.
4) *Sozomène, Hist. Ecc.*, II, 25.
5) *Ibid.*

فأصغى الامبراطور اليه وسمع شكواه. ثم استدعى الاساقفة المجتمعين في صور فمثل بين يديه افسابيوس النيقوميذي وافسابيوس القيصري وأربعة غيرهما. ولم يذكروا قضية كأس الافخارستية وحصروا شكواهم في ان اثناسيوس هدد بمنع تصدير الحنطة من الاسكندرية الى القسطنطينية. وعبثاً حاول اثناسيوس اقناع الامبراطور بأن شيئاً من هذا لم يصدر عنه. وأمر قسطنطين بابعاده فنفي الى تريف *Trèves* في غالية (١).

كنيسة القيامة وعيد الصليب : وقضى برنامج الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على حكم قسطنطين ان ينتقل الاساقفة المجتمعون في صور الى اوروشليم ليكرسوا كنيسة القيامة التي أمر بانشائها قسطنطين (٢). فاجتمع في اوروشليم لهذه الغاية عدد كبير من الاساقفة والتف حولهم الوف من المؤمنين. وكان بين الأحبار الارثوذكسيين كل من الكسندروس اسقف تسالونيكية وميليس اسقف شوشن ويعقوب اسقف نصيبين. وفي الثالث عشر من ايلول احتفل الاساقفة والمؤمنون بالقداس الالهي وصلوا لتأييد المملكة وسلام الكنيسة. وفي الرابع عشر من ايلول احتفلوا بارتفاع الصليب المقدس (٣). ومنذ ذلك الحين يصعد أسقف اوروشليم في الرابع عشر من ايلول الى أعلى الكنيسة ويرفع الصليب الذي مات عليه المخلص للشعوب أجمعين ليشاهدوه مقدمين له السجود والتكريم ذاكرين رفعـه على يد القديسة هيلانه:

> «الصليب حافظ كل المسكونة. الصليب جمال الكنيسة. الصليب عزة الملوك. الصليب ثبات المؤمنين. الصليب مجد الملائكة وجرح الشياطين. اليوم يرفع والعالم يتقدس لأنك أيها الجالس مع الآب والروح القدس لما بسطت يديك عليه اجتذبت العالم الى معرفتك. فأهّل المتكلين عليك لمجدك الالهي» — الميناون.

1) *Saint Athanase, Apolog. contra Arianos, 86-87; Sozomène, Hist. Ecc., II, 28; Socrates, Hist. Ecc., I, 34.*
2) *Eusèbe, Vit. Con., IV, 43-45; Abel, F. M., Hist. Palest., II, 267-270.*
3) *Eusèbe, Vit. Con., IV, 43-54.*

آريوس يلفظ أنفاسه : (٣٣٦) ولم ترض مصر عن أعمال المجمع الصوري واحتجت عليه. وكتب القديس انطونيوس الى قسطنطين أكثر من مرة يرجوه العفو عن تلميذه القديس اثناسيوس واعادته الى أبرشيته. فأجاب قسطنطين انه لا يعقل ان يجمع عدد كبير من الأساقفة المتنورين الحكماء على ادانة بريء وان اثناسيوس كان في نظره وقحاً متعجرفاً مشاغباً (١). وجاء في بعض المراجع الاولية ان آريوس أراد ان يعود الى الاسكندرية وان الشعب لم يحتمل ذلك فاقتدحت نار الفتنة فأمر القيصر بمجيئه الى القسطنطينية (٢). وجاء ايضاً في بعض هذه المراجع ان الآريوسيين اجتهدوا باقناع أسقف القسطنطينية الكسندروس الشيخ الجليل ان يقبل آريوس في الشركة وان هذا الحبر استمسك بالايمان النيقاوي ورفض قبول آريوس فأمره قسطنطين بذلك فالتجأ الى الكنيسة وجثا أمام المذبح باكياً مبتهلاً. ومما جاء في هذه المراجع انه عندما اجتمع اشياع آريوس ليدخلوا زعيمهم الى الكنيسة اضطرب آريوس واعتزل القوم لقضـاء حاجته فاندلقت احشاؤه ومات فوقها (٣٣٦) (٣).

وفاة قسطنطين : (٣٣٧) واحتفل قسطنطين بعيد الفصح في الثالث من نيسان سنة ٣٣٧ ونالته الحمى فذهب الى مياه معدنية قريبة يستحم فيها. ثم انتقل الى انقيرونة بالقرب من نيقوميذية. وكان يود ان يعتمد في مياه الاردن كما فعل السيد نفسه ولكن الوقت عاجله فتقبل سر المعمودية على يد افسابيوس اسقف نيقوميذية. وخلع الارجوان وألقاه جانباً وتردى بالبياض. وفاضت نفسه يوم العنصرة في الثاني والعشرين من ايار سنة ٣٣٧. وحُنّط جسمه ووضع في تابوت من ذهب ونقل الى القصر في القسطنطينية ليتقبل احترام الوجهاء. ثم عرض جثمانه في كنيسة الرسل حيث صلى الاكليروس عليه طوال الليل ودفن فيهـا (٤). وخسرت الارثوذكسية بوفاته أكبر مدافع عن دستور ايمانها النيقاوي.

1) *Sozomène, Hist. Ecc., II, 31.*
2) *Rufin, Hist. Ecc., X, 11-12; Socrates, Hist. Ecc., I, 37; Sozomène, Hist. Ecc., II, 27.*
3) *Gélase de Cyzique, Hist. Ecc., III, 15; Saint Athanase, Epist. de Morte Arii; Epist. ad Episcopos Aegypti et Libyae.*
4) *Eusèbe, Vit. Con., IV, 66-71; Doelger, F. J., Konstantin und seine Zeit, 381 ff.*

وتوفي قسطنطين عن ذكور ثلاثة قسطنطين الثـاني وقسطنديوس الثاني وقسطنس . وحكم الثلاثة الامبراطورية معاً فتولى قسطنطين الثاني الغرب وتولى قسطنديوس الثاني الشرق. أما قسطنس فانه حكم إليرية وقسماً من افريقية. وطمع قسطنطين الثاني في ملك قسطنس الصغير . فحاربه ولكنه خرّ صريعاً في اكويلية في السنة ٣٤٠ . ثم تمرد الجند على قسطنس وقتـلوه في السنة ٣٥٠ . فأصبح قسطنديوس الثاني المالك وحده . وكان رجلا عاقراً لا وارث له فاستدعى ابن عمه غالوس *Gallus* من منفاه ورفعه الى رتبة قيصر وأمره على برايفكتورة الشرق وجعل مقره انطاكية . ولكن غالوس هذا كان جافي الطبع فظ القلب قليل الرحمة فطغى وتجبر وأرهب الناس ارهاباً . فاستدعاه ابن عمه الامبراطور اليه في السنة ٣٥٣ وحاكمه وأمر بقطع رأسه . وعندئذ طلب يوليانوس اخا غالوس وجعله قيصراً على غالية .

الآريوسيون ورومة : (٣٣٨) ورضي قسطنطين الثاني عن اثناسيوس فأذن له بالعودة الى الاسكندرية في السابع عشر من حزيران سنة ٣٣٧ . وشمل هذا العفو سائر الأساقفة المنفيين . ووصل اثناسيوس الى الاسكندرية في الثالث والعشرين من تشرين الثاني من السنة نفسها . فاضطرب الآريوسيون وسعوا في الشرق والغرب معـاً للاعتراف بسلطة مرشحهم بيستوس *Pistus* على كنيسة الاسكندرية وتوابعها وكتبوا الى جميـع أساقفة المسكونة بذلك . وأوفدوا الى يوليوس أسقف رومة كاهناً اسمه مكاريوس وشماسين لاطلاعه على قرارات مجمع صور واقناعه بقانونيـة عملهم ووجوب اعترافه بأسقفهم (١) . وعقد الاساقفة الأرثوذكسيون المصريون مجمعاً في السنة ٣٣٨ لدرس الموقف واتخاذ الاجراءات اللازمة. واجتمعوا في الاسكندرية واتخذوا قراراً يؤيدون به أسقفهم اثناسيوس ويجرحون في الوقت نفسه قرار مجمع صور . وحرروا رسالة سلامية بهذا كله ووجهوها الى يوليوس أسقف رومة وجميع أساقفة المسكونة (٢) والى الأباطرة الثلاثة خلفاء قسطنطين .

1) *Saint Athanase, Apolog. contra Arianos, 87, 19.*
2) *Saint Athanase, Apolog. contra Arianos, 3-19.*

ودعا يوليوس اسقف رومة زميله اثناسيوس الى رومة وأوفد الى الشرق قسين يدعوان الاساقفة الآريوسيين وغيرهم الى مجمع مسكوني في رومة للبت في القضية الماثلة . فرفض الاساقفة الآريوسيين في مطلع السنة ٣٤٠ اقتراح اسقف رومة واحتجوا على اعادة النظر في قضية شرقية بت فيها مجمع شرقي وهددوا بقطع العلاقات معه ان هو اعترف باثناسيوس (١) . وأشهر الاساقفة الذين وقعوا هذا الاحتجاج فلاكيلوس اسقف انطاكية وافسابيوس اسقف القسطنطينية . وكان هذا الأخير قد نجح في ابعاد بولس عن كرسي القسطنطينية وحلّ محله جاعلا امفيونوس خلفاً له في نيقوميذية . اما افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين فانه توفي قبل هذا الاحتجاج .

وردّ يوليوس رداً قوياً على هذا الاحتجاج مبيناً وجوب اطلاع «جميع» الاساقفة على القرارات المتخذة ليشترك «الجميع» في احقاق الحق . ويرى بعض علماء الكنيسة اللاتينية الشقيقة دليلا في هذا الرد على سلطة رومة (٢) . وهو توسع في الاستنتـاج لا تقره قواعد المنطق . وجل ما يجوز قوله هو ان اسقف رومة طالب في رده هذا باعلام جميع اساقفة الكنيسة الجامعة واشراكهم في احقـاق الحق . والاعتراف بسلطة «الجميع» أي المجامع المسكونية حقيقة تاريخية مسيحية ناصعة لا يختلف فيها اثنان (٣) .

تكريس كنيسة انطاكية الكبرى : (٣٤١) وكان قسطنطين الكبير قد أمر بانشاء كنيسة كبيرة فخمة في عاصمة النصرانية في الشرق . فبوشر في بنائهـا في السنة ٣٢٧ على الجزيرة بالقرب من القصر وفي عهد افستاثيوس الشهير (٤) . وتوفي قسطنطين في السنة ٣٣٧ فتبنى هذا المشروع ابنه قسطنديوس الثاني ، وقامت هذه الكنيسة مثمنة الاضلاع تعلوهـا قبة جميلة فدعيت الكنيسة المثمنة . ودعيت ايضاً الكروية والجليلة والذهبية (٥) .

1) *Ibid., 21-35; Sozomène, Hist. Ecc., III, 8; Bardy, G., Réaction, op. cit., III 118-119.*
2) *Batiffol, P., Paix Const., 422-431.*
3) *Caspar, E., Gesch. des Papsttum, I, 151-154.*
4) *Eusèbe, Vit. Con. et Tricennalis, (Heikel), 98, 221.*
5) *Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 109, n. 3.*

وتمّ بناء هذه الكنيسة في اواخر السنة ٣٤٠ او اوائل السنة ٣٤١ فتوافد الأساقفة الى انطاكية للاشتراك في تكريس هذا المعبد وناهز عددهم المئة . ولا نعلم اسماءهم كلهم . وجلّ ما يجوز قوله هو ان افسابيوس النيقوميدي دعا الى هذا المجمع وان فلاكيلوس ترأس أعماله (١) وان الاساقفة المجتمعين بحثوا أقوال آريوس فانقسموا الى فئات ثلاث . فأعلن افسابيوس وجماعته انهم لم يتبعوا آريوس وانما نظروا في ما قاله واقترحوا تعديلا للفصل الاول من دستور نيقية والرجوع عن اللعنة التي جاءت في آخره . وقال آخرون بدستور نيقية ولكنهم رغبوا في تلطيفه . واقترحت فئة ثالثة تعديلا مُسكناً مخدراً في عباراته الايجابية موجباً في ناحيته السلبية لعن السّبلنيتين القديمة والجديدة(٢). وأقر المجمع هذا الاقتراح الاخير وأعلن دستور ايمان انطاكي شبيه بدستور نيقية قريب منه ولكنه خالٍ من العبارة « مساو للآب في الجوهر » .

وأهم ما جاء في هذا الدستور الانطاكي الجديد عن الابن الكلمة انه إله من إله وكل من كل وواحد من واحد تام من تام وانه غير قابل للتكييف وللتحول في الالوهية وانه « صورة تامة » لمجد الآب كما انه مظهر من مظاهر مشيئته وعظمته وان الآب هو آب حق وان الابن ابن حق وان الروح القدس روح حق وان هذه الأسماء لم تذكر عبثاً بل تدل دلالة حقيقيـة على منزلة كل ممن تسموا بها وقوتهم ومرتبتهم وان هذه الأقانيم ثلاثة ولكنها واحد (٣) . ومعظم هذا النص مأخوذ عن تعليم لوقيانوس المعلم الانطاكي (٤) .

وكان قسطنس لا يزال منهمكاً في امور الغرب بعـد مقتل اخيه قسطنطين الثاني فكتب الى اخيه قسطنديوس ان يوافيه بما استقر الرأي عليه في انطاكية . فأوفد الآباء المجتمعون في انطاكية كلاً من نرقيس اسقف بانياس

1) *Ibid.*, 5, n. 3.
2) *Saint Athanase, De Synodis, XXII - XXIV; Socrates, Hist. Ecc., II, 10; Sozomène, Hist. Ecc., III, 5.*
3) *Saint Athanase, De Synodis, XXIII; Saint Hilaire, De Synodis, XXIX; Sozomène, Hist. Ecc., III, 5.*
4) *Bardy, G., Recherches sur Saint Lucien d'Antioche, 85-132.*

Neronias ومارِي اسقف خلقيدونية وثيوذوروس اسقف هرقلية ومرقس اسقف ارسوز *Arethusa* الى مقر الامبراطور في تريف وذلك في مطلع السنة ٣٤٢. وخشي أعضاء هذا الوفد الا يرضى قسطنس عن نص قرار المجمع الانطاكي فنقلوا اليهما اصطلح المؤرخون ان يسموه « دستور انطاكية الرابع » . وقد جاء فيه فيما يظهر تأكيد لأزلية ابن الله وتشبث بدوام ملكه ولعنة لكل من يقول انه كان زمان او وقت او ازل قبل ولادة الابن (١) .

وقد يستغرب القارىء تعدد قوانين الايمان في هـذه الفترة من تاريخ الكنيسة ولا سيما بعد ان اتخذ المجمع المسكوني الاول قراره الشهير . ولكن الواقع التاريخي هو ان المجمع المسكوني الاول جعل من قراره هذا رداً على بدعة آريوس لا قانوناً للايمان كاملا مانعاً وانه ترك المجال مفتوحاً للقول بالقوانين المحليـة القديمة المتوارثة عن الرسل (٢) .

ومات آريوس وحل أصدق المواعيد بمعظم أتباعه الأولين فاستصعب خلفاء هؤلاء مخالفة الآباء النيقاويين الثلاث مئة والثمانية عشر واضطروا ان يعيدوا النظر في ما قاله السلف على ضوء التطورات الأخيرة . وأراد يوليوس أسقف رومة ان يستغل هذا التطور فانتهز فرصة مثول الوفد الشرقي بين يدي الامبراطور قسطنس للدعوة الى مجمع جديد يحل قضية اثناسيوس المعلقة ويجلس في سرديكة أي صوفية على الحدود بين الامبراطوريتين الشرقية والغربية . فاستوسط يوليوس الامبراطور قسطنس ورجاه أن يكتب الى اخيه قسطنديوس محبذاً اجتماع الآباء لهذه الغاية . فقبل قسطنس وكتب بذلك .

مجمع سرديكة : (٣٤٣) وقبل الآباء ذلك فاجتمع في سرديكة في خريف السنة ٣٤٣ مئة وسبعون اسقفاً منهم ستة وسبعون شرقيون آريوسيون او نصف آريوسيين وأربعـة وتسعون غربيون وشرقيون أرثوذكسيون مستقيمو الايمان (٣) .

1) *Saint Athanase, De Synodis, XXV.*
2) *Bardy, G., Réaction, op. cit., III, 123.*
3) *Feder, A. L., Studien zu Hilarius von Poitiers, II, 12-100.*

وكان فلاكيلوس اسقف انطاكية قد توفي في السنة ٣٤٢ فأقيم بعـده اسطفانوس رئيساً على انطاكيـة وتوابعها . وكان اسطفانوس كاهناً في عهد افستاثيوس فأثم فاعلاً ما لا يحل له فقطعه افستاثيوس فحاول رفع هذا الحرم فلم يُفلح فانضم الى الآريوسيين (١) . وترأس اسطفانوس وفد الشرق الى مجمع سرذيكة . وانضوى تحت لوائه ستة وسبعون اسقفاً أشهرهم منوفنتس اسقف افسس واكاكيوس اسقف قيصرية فلسطين وذيانيوس اسقف قيصرية قبدوقية وثيودوروس اسقف هرقليـة وماري اسقف خلقيدونية . وتميز في المعسكر الأرثوذكسي هوسيوس الشيخ اسقف قرطبـة واثناسيوس الوقور أسقف الاسكندرية وماركلوس اسقف انقيرة . ومثل يوليوس اسقف رومة كاهنان وشماس (٢) .

وأدرك الآريوسيون قلة عددهم فسعوا لعرقلة أعمال المجمع وطلبوا منذ اللحظة الاولى ابعاد اثناسيوس وماركلوس واسكليباس عن جلسات المجمع لأن مجمعاً سابقاً أقر خلعهم ولأن اعادتهم الى كراسيهم هي موضوع البحث . واعتبر الأساقفة الأرثوذكسيون خلع هؤلاء لاغياً . فاعتزل الآباء الشرقيون عن الاشتراك في البحث وعقدوا جلسة منفردين عن سائر أعضـاء المجمع ثم انتقلوا ليلا الى فيليبوبوليس متخذين عذراً بشرى انتصار قسطنديوس على الفرس . وتخلّف عن الوفد الشرقي استيريوس اسقف البتراء واسقف فلسطيني يدعى آريوس واشتركا في أعمال مجمع سرذيكة (٣) .

وبرأ الآباء الأرثوذكسيون اثناسيوس واسكليباس وماركلوس وقطعوا كلا من باسيليوس اسقف انقيرة وغريغوريوس اسقف الاسكندرية وكوينتيانوس اسقف غزة . واتخذوا قرارات مماثلة فحكموا بالقطع على جاورجيوس اسقف اللاذقية وأكاكيوس اسقف قيصرية فلسطين ونرقيس اسقف بانياس واسطفان اسقف انطاكية وغيرهم . وبحثوا دستور الايمان فاقترح بعض الآباء نصاً جديداً

1) *Sozomène, Hist. Ecc., II, 10; Socrates, Hist. Ecc., II, 15; Le Quien, II, 711.*
2) *Saint Athanase, Apol. contra Arianos, XLVIII, Hist. Arian., XV.*
3) *Saint Athanase, Hist. Arian., XVI-XLIV; Sozomène, Hist. Ecc., III, 11.*

هو في زعمهم أدق من نص نيقية وأوسع يؤكد وحدة الجوهر ويبين ان الآب غير منفصل عن الابن ويثبت ان الذي تألم ومات ثم قام هو الانسان الذي ولد من مريم العذراء لا الله (١) . وفي هذا النص المقترح خطر على الايمان القويم فاعترض اثناسيوس القديس على هذا النص الجديد وأكد ان النص النيقاوي يفي بالغرض المقصود وحذّر الآباء من التمادي في البحث كي لا يجرأ على الاسترسال في الكلام من لا يشبع منه (٢) . فاقتنع الآباء وعدلوا .

ووضع الآباء المجتمعون في سرذيكة قوانين منعت تبديل الأبرشيات وحضت الأساقفة على البقاء في مراكزهم وعدم التغيب عنها وحذرت من شر اللجوء الى البلاط الامبراطوري وغير ذلك من القوانين الغربية المحلية .

وجدد الآباء الشرقيون في اثنـاء وجودهم في فيليبوبوليس الحكم على اثناسيوس وماركلوس وقطعوا يوليوس اسقف رومة وهوسيوس اسقف قرطبة وغيرهما وأقروا ثانية دستور الايمان الانطاكي .

في انطاكية : (٣٤٤) وأوفد الآباء المجتمعون في سرذيكة فيكنديوس *Vincent* اسقف كابوا وافراتاس *Euphratas* اسقف كولون الى انطاكية لمقابلة قسطنديوس واطلاعه على المقررات التي اتخذت في المجمع والتوسل اليه ان يسمح لاثناسيوس وماركلوس واسكليباس بالعودة الى مراكزهم . فوصل الاسقفان الى انطاكيـة في ربيع السنة ٣٤٤ . وعلم اسطفانوس بقرب وصولها فنصب لها شركاً ليقضي على سمعتهما ويفسد عملهما . فأوصى أحد الشبان ان يستقبلهما وينزلهما ضيفين على احدى النساء الفاجرات . فاحتج الاسقفان وعلم قسطنديوس بذلك فأوجب التحقيق فنظر المجمع في هذه القضية في أواخر السنة ٣٤٤ فثبتت خيانة اسطفانوس فجرد من رتبته وخلع . وانتخب المجمع لونديوس *Leontios* اسقفاً على انطاكية (٣) .

لونديوس اسقف انطاكية : (٣٤٤ ــ ٣٥٨) وكان لونديوس قد أخذ

1) *Hahn, A., Bibliothek der Symbole, 188 ff.*
2) *Saint Athanase, Tom. ad Antioch., V.*
3) *Saint Athanase, Hist. Arian., XX; Théodoret, Hist. Ecc., II,7-8.*

اللاهوت والفلسفة عن لوقيانوس المعلم الانطاكي فامتنع افستاثيوس عن قبوله في مصاف الاكليروس الانطاكي . وكان ايضاً قد جبّ نفسه ليتمكن من مساكنة الامرأة افستوليوم *Eustolium* فخرج بذلك على قرارات المجمع المسكوني الاول وأصبح غير لائق ان يتحلى برتبة الكهنوت (١) . ولكنـــه اعتدل في آرائه مع تقدمه في السن واتزن في سلوكه وأظهر مقدرة في تسيير دفة الاسقفية في زمن كثر فيه الشقاق واشتد الخصام (٢). ولم يتمكن الاسقفان الغربيان فيكنديوس وافراتاس من اقناع الامبراطور قسطنديوس باصدار العفو عن الأساقفـــة الأرثوذكسيين المنفيين ولكنهما استصدرا أمراً أوجب عودة الكهنة والشمامسة الارثوذكسيين من أرمينيـــة الى أماكنهم وايقاف الاضطهاد الذي كان قد حل بالاكليروس الأرثوذكسي في مصر (٣) .

وأظهر لونديوس استعداداً للتفاهم مع الارثوذكسيين المجتمعين في ميلان آنئذ فقـــام وفد مؤلف من الاساقفة ذيموفيلوس وافذوكيوس ومقدونيوس ومرتيريوس الى الغرب ليبحثوا أمر العقيدة مع الاساقفة الارثوذكسيين وامام الامبراطور قسطنديوس وحملوا الى ميلان (٣٤٥) قانون ايمان انطاكي طويل عرف فيما بعد بالمكروستيكوس *Machrosticos* اي ذي الاسطر الطويلة (٤) . وأعلن هذا القانون « الطويل » وحدانية الله والوهية الابن قبل كل الدهور وعدم فناء ملكه فأنكر بهذا القول الآريوسية الاصلية . ثم كذّب القانون الطويل أقوال ماركلوس الانقيري وفوتينوس السرمي (٥) . ولكن الأباء الارثوذكسيين المجتمعين في ميلان أوجبوا اضافة نص صريح تُنكَر به الاريوسية . فامتعض اعضاء الوفد الانطاكي من هذا الالحاح ولاسيما وان البيانات التي صدرت عن انطاكية في السنة ٣٤١ كانت قد انكرت الاريوسية انكاراً تاماً فرفضوا ان يضيفوا شيئاً الى المكروستيكوس

1) *Saint Athanase, Apolog. de Fuga, XXVI.*
2) *Bardy, G., Variations de l'Arianisme, op. cit., III, 133.*
3) *Saint Athanase, Hist. Arian., XXI.*
4) *Saint Athanase, De Synod., XXVI; Socrates, Hist. Ecc., II, 19; Sozomène, Hist. Ecc., III, 2.*
5) *Bardy, G., Variations, op. cit., III, 134.*

وانسحبوا من المجمع وعادوا الى اوطانهم (١) .

انتصار ارثوذكسي وقتي : وكان الخطر الفارسي لا يزال جاثماً منذالسنة ٣٤٠ فاضطر قسطنديوس ان يضمن سلاماً في داخل مملكته ليجابه الخطر الخارجي. وتوفي غريغوريوس اسقف الاسكندرية ومناظر اثناسيوس في الخامس والعشرين من حزيران سنة ٣٤٥ فرأى قسطنديوس ان يعيد اثناسيوس الى كرسيه فكتب اليه بذلك وألح بوجوب العودة فامتثل الاسقف وقام الى الشرق ووصل الى الاسكندرية في الحادي والعشرين من تشرين الاول سنة ٣٤٦ (٢) .

وعرج اثناسيوس في طريقه على انطاكية وأقام فيها برهة واتصل بأبنائها الأرثوذكسيين أتباع افستاثيوس الذين كانوا لا يزالون يعتبرون الكرسي الرسولي شاغراً منذ عهد افستاثيوس . وأحب ان يعاونهم في شدتهم فمثل أمام الامبراطور قسطنديوس ورجاه ان يسمح لأتباع افستاثيوس بكنيسة من كنائس انطاكيـــة يصلون فيها أحراراً . وكاد قسطنديوس يأمر بذلك ولكن لاونديوس اسقف انطاكية اعترض على ذلك ولم يسمح به . فقـــام اثناسيوس الى اللاذقية حيث استقبل استقبالا حسناً وأبحر منها الى فلسطين . فامتنع اكاكيوس اسقف قيصرية وخلف افسابيوس القيصري عن استقباله . ولكن مكسيموس اسقف اوروشليم عقد مجمعاً محلياً مؤلفـــاً من ستة عشر اسقفاً ورحّب باثناسيوس وحمّله تحيات الكنيسة الأرثوذكسية الفلسطينية الى اخوانهم الأرثوذكسيين في الاسكندرية (٣) .

غالوس والكنيسة : (٣٥٠ – ٣٥٣) وتمرد الجند على قسطنس وقتلوه في السنة ٣٥٠ فاضطر قسطنديوس الثاني وقد أصبح المالك الشرعي الوحيد، ان يخمد الثورة في الغرب . وكان قسطنديوس رجلا عاقراً لا وارث له فاستدعى ابن عمه غالوس *Gallus* من منفاه ورفعه الى رتبة قيصر وأمره على برايفكتورة الشرق وجعل مقره انطاكية . ولكن غالوس هذا كان جافي الطبع فظ القلب قليل الرحمة فطغى وتجبر وأرهب الناس ارهاباً . فاستدعاه ابن عمه الامبراطور اليه في ايطالية

1) *Saint Hilaire, Frag. Hist., V, 4.*
2) *Saint Athanase, Apol. contra Arianos, 54-55.*
3) *Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 7; Bardy, G., Variations, op. cit., III, 136.*

في السنة ٣٥٣ وحاكمه وأمر بقطع رأسه. وعندئذ طلب ابن عمه الاصغر يوليانوس وجعله قيصراً على غالية في الغرب .

ولا نعلم بالضبط ما اذا كان غالوس مسيحياً او وثنياً . ولكننا نعلم العلم اليقين ان حاشيته في انطاكيـــة كانت غير أرثوذكسية . فان ثيوفيلوس الهندي المتقشف الشهير كان قد أخذ أشياء وأشياء عن معلمه افسابيوس النيقوميذي وان لاونديوس أسقف انطاكية لم يكن أرثوذكسياً وان آئيتيوس *Aëce* أقرب المسيحيين الى القيصر ومعلم اخيه يوليانوس كان آريوسياً شديداً صارماً (١) . والتف هؤلاء وغيرهم حول القيصر وأخذوا يدلسون عليه الرأي فزينوا له وللامبراطور فوقه ان اثناسيوس على صلة بالمتمردين في الغرب وانه رجل خطر يخل بالأمن وان المصلحة تقضي بنبذه وابعاده عن الاسكندرية .

وتمادى لاونديوس في هذه السياسة الجديدة فرسم آئيتيوس شماساً وسمح له بالوعظ في الكنيسة . فاحتج الأرثوذكسيون على ذلك واجمعوا على محاربة آئيتيوس . ولم ينفرد اتباع افستاثيوس بهذا الاحتجاج فان السواد الاعظم من الارثوذكسيين الذين كانوا قد واظبوا على اجراء الطقوس مع اتباع لاونديوس ضناً بوحدة الكنيسة استنكروا صوت آئيتيوس في الكنيسة والتفوا حول زعيمين علمانيين ذيذوروس وفلافيانوس وهددوا بالانفصال التام فقاوضهم لاونديوس فأصروا على تعديل في الذوكسة (المجدلة) يثبت مساواة الابن للآب في الجوهر فأوجبوا القول «المجد للآب والابن والروح القدس» بدلا من القول «المجد للآب في الابن والروح القدس» كما جرت العادة آنئذ . فوافق لاونديوس على ذلك ولكنه خشي مقاومة الآريوسيين في الكنيسة فرتل « المجد للاب » ثم أضعف صوته متظاهراً بالألم في حلقه حتى اذا وصل الى العبارة «الان وكل اوان والى دهر الداهرين» رفع صوته فرتلها بوضوح (٢) . واشتد احتجاج الارثوذكسيين في انطاكية فنزل لاونديوس عند رغبتهم وأبعد آئيتيوس عن انطاكية .

1) *Philostorge, Hist. Ecc., III, 15-16.*
2) *Ibid., III, 18.*

الغرب ينبذ اثناسيوس : وتوفي يوليوس اسقف رومة (٣٣٧ ــ ٣٥٢) وتولى الكرسي الرسولي بعده ليباريوس (٣٥٢ ــ ٣٦٦) فاهتم لساعته بقضية اثناسيوس ورجا الامبراطور قسطنديوس ان يدعو أساقفة الكنيسة الجامعة الى مجمع في اكويلية لينظر في قضية اثناسيوس. وكان الامبراطور يرغب في تهدئة خواطر الآريوسيين في الشرق لأنهم كانوا قد أصبحوا أكثرية راجحة . فدعا الأساقفة الغربيين الى مجمع في ميلان في مطلع السنة ٣٥٥ وطلب اليهم أفراداً وجماعات ان ينتقوا لأنفسهم أحد أمرين إما نبذ اثناسيوس او النفي . فوافق معظمهم على النبذ. وأصر اسقف رومة على تأييد اثناسيوس فأبعد بأمر الامبراطور الى تراقية وأبعد أساقفة ثلاثة آخرون الى صعيد مصر (١) .

وحاول قسطنديوس ان يستدرج اثناسيوس فأرسل اليه من يؤكد له ان الامبراطور يرغب في مشاهدته في الغرب . ثم أرسل الامبراطور بارجة حربية الى الاسكندرية لنقـــل اثناسيوس وتسهيل وصوله الى الغرب . ولكن اثناسيوس اعتذر وامتنع . فلجأ الامبراطور الى العنف. وفي مساء الثامن من شباط سنة ٣٥٦ أحاط الجند بكنيسة ثيوناس *Theonas* في الاسكندرية ودخلوا اليهـــا طالبين اثناسيوس . فصدهم المصلون . واشتد الاختلاط والقتال وعلت أصوات العذارى الصالحات وظل اثناسيوس جالساً في كرسيه لا يأتي بحركة . ثم اقتنع بوجوب الفرار فخرج من الكنيسة والتجأ الى رهبان الصحراء الغربية . فأحسنوا استقباله وحموه فصنف وكتب . وقال في بعض ما كتب : « اني اسمع لاونديوس انطاكية ونرقيس بانياس وجاورجيوس اللاذقية يتهانفون ويستهزئون لأني لم أمكنهم من اغتيالي . ان انطاكية تبكي افستاثيوس المعترف بالحقيقة وبانياس البحر *Balanyas* تندب افراتيون *Euphration* وبلدة *Paltos* تعدد محاسن كيماتيوس *Cymatios* وطرطوس تذكر كرتيريوس وحلب كيروس وغزة اسكليباس *Asclepas* » (٢) . وكأني بهذا القديس يحمّل بعض رجال كنيسة انطاكية مسؤولية اضطهاده وشق

1) *Bardy, G., Variations, op. cit., III, 138-147*
2) *Saint Athanase, Apol. de Fuga, XXIV; Bardy, G., op. cit., III, 148; Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, II, 263 - 264.*

الصفوف . والواقع ان لاونديوس انطاكيـــة ونرقيس بانياس وجاورجيوس اللاذقية لم يكتفوا بما جرى بالاسكندرية وبفرار قديسها فانهم عقدوا في السنة ٣٥٦ مجمعاً انطاكياً محلياً وكتبوا الى الأساقفة باسم هذا المجمع مذكرين «بالجرائم» التي ارتكبهـــا اثناسيوس راجين الاعتراف بجاورجيوس القبذوقي اسقفاً على الاسكندرية (١) .

طغيان الاريوسية : ونفي هوسيوس الاسقف الشيخ « ابو المجامع » وتخلي ليباريوس اسقف رومة في منفاه عن اثناسيوس (٣٥٧) (٢) . وتولى دفة الامور في رومة الارشدياكون فيلكس المشاكس فعطف على الآريوسية وأيده في ذلك عدد كبير من رجال الاكليروس الروماني (٣) . وتوفي لاونديوس اسقف انطاكية سنة ٣٥٨ فتولى الرئاسة فيها افذوكسيوس اسقف مرعش *Germanicia* (٤). وأيد الآريوسية كل من جاورجيوس اسقف الاسكندرية ومقدونيوس اسقف القسطنطينية وجرمينيوس اسقف سرميوم واوكسنتيوس اسقف ميلان (٥) .

المساواة في الجوهر والتشابه والاختلاف : وكان من الطبيعي بعد هذا النصر الكبير ان تتطاول أعناق الآريوسيين الى تعديل دستور الايمان النيقاوي وان يطالبوا بذلك جهاراً . ولم يقم بينهم بعـــد وفاة استيريوس الصوفي حبر لاهوتي كبير يتزعم هذه المطالبة بالتعديل . فان ثيودوروس اسقف هرقليـــة (+ ٣٥٥) كان مفسراً للكتاب أكثر منه لاهوتياً متعمقاً . وعُني افسابيوس اسقف حمص (+ ٣٥٩) بالرد على الوثنيين واليهود والنوفاتيين والمانويين . وكان معتدلاً متزناً يكره التطرف (٦) . وكان جاورجيوس اسقف اللاذقية من هذا الطراز ايضاً فانه كتب ضد المانوية وعني عناية خاصة بسيرة افسابيوس اسقف حمص (٧) .

1) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 8.*
2) *Palanque, J. R., Eglises Occidentales, Fliche et Martin, op. cit., III 231.*
3) *Ibid., 232.*
4) *Theodoret, Hist. Ecc., II, 20; Philostorge, Hist. Ecc., IV, 4.*
5) *Bardy, G., Variations, op. cit., III. 150.*
6) *Vardinian, P. A., Eusèbe d'Emèse, Handes Amsoreai, 1921, 129 - 146, 292 - 298; Wilmart, A., Un Discours Théol. d'Eusèbe d'Emèse, Rev. Orient. Chrét., 1920 - 1921, 72 - 94.*
7) *Socrates, Hist. Ecc., II, 9.*

أما اكاكيوس اسقف قيصرية فلسطين فانه تابع السلف القيصري فعني بمكتبة كرسيه وأضاف اليها وفسر سفر الجامعة (١) . فلم يبق والحالة هذه سوى آئيتيوس الشماس يمين لاونديوس الانطاكي وعدو الأرثوذكسيين في انطاكية .

وكان آئيتيوس آريوسياً متطرفاً يحب اللاهوت ويعشق الجدل فلم يرض عن القول بالتشابه في الجوهر *homoiousion* السائد آنئذ في الأوساط الآريوسية المناظر للقول بالمساواة في الجوهر *homoousion* الذي أقره مجمع نيقيـــة فأجهر بالاختلاف في الجوهر *anomoios* وجاهر به الأرثوذكسيين معلناً انه ليس هنالك أي ارتبـــاط بين الآب والابن ! (٢) فتخطى بذلك آريوس نفسه . وشاطر جرمينيوس اسقف سرميوم الشماس آئيتيوس رأيه ودعا الى مجمع في صيف السنة ٣٥٧ في سرميوم . فحرّم هذا المجمع الاشارة الى الجوهر والمساواة في الجوهر والتشابه لأن هذه الاصطلاحات لم ترد في الكتاب المقدس ولأنهـــا تقلق راحة المؤمنين وأكد عظمة الآب وتفوقه على الابن (٣) . ورغب الآباء الآريوسيون المجتمعون في ترويج النص الجديد فاتصلوا بهوسيوس اسقف قرطبة وشيخ القائلين بالمساواة في الجوهر . وكان هوسيوس قد هرم وولى وبلغ من الكبر عتياً فعجز عن المقاومة ووافق على القول الجديد (٤) .

مقاومة أرثوذكسية : وتمادى افذوكسيوس اسقف انطاكية في ضلاله وغلا في الآريوسية وجاوز الحد فقبل التعليم الجديد الصادر عن سرميوم وحضّ أساقفة الكرسي الانطاكي على قبوله وقرب آئيوس وافنوميوس *Eunomios* واعتمد رأيهما فثار ثائر الأرثوذكسيين في كنيسة انطاكية وانضم اليهم عدد كبير من المعتدلين ولا يخفى ان مجمع التكريس الانطاكي كان قد امتنع في السنة ٣٤١ عن القول بأقوال آريوس وعن الانتماء اليـــه وحمل اسمه وان معظم الأساقفة الانطاكيين الذين اشتركوا في أعمال المجمع الأول في سرميوم سنة ٣٥١ كانوا قد

1) *Socrates, Hist. Ecc., II, 4; Epiphanios, Haeres., LXXII, 5 - 10.*
2) *Ibid., LXXVI; Socrates, Hist. Ecc., II, 35; Bardy, G., Variations, op. cit., III, 151 - 152; Héritage Litéraire d'Aelius, Rev. Hist. Ecc., 1928, 809-827.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 12; Saint Hilaire, De Synod., XI; Saint Athanase, De Synod., XXVIII.*
4) *Duchesne, L., Hist. Anc., de l'Eglise, II, 284.*

قالوا قولاً لا يجوز اعتباره هرطقة اذا حسُن تفسيره . فلما جاء آئيوس ببدعته الجديدة وأنكر الوهيـــة الابن هبّ لمقاومته هؤلاء المعتدلون أنفسهم . وكتب جاورجيوس اسقف اللاذقية كتاباً الى كل من مقدونيوس اسقف القسطنطينية وباسيليوس اسقف انقيرة وكيكروبيوس اسقف نيقوميذية وافجينس اسقف نيقية يناشدهم الاسراع في المعونة لتخليص كنيسة انطاكيـــة من افنوميوس وزمرته (١) . وكان باسيليوس اسقف انقيره قد نفر من آئيوس وحذلقاته فعقد مجمعاً في انقيرة في ربيع السنة ٣٥٨ وكتب باسم هذا المجمع رسالة سلامية وجهها الى جميع أساقفة المسكونة (٢) . ثم عاد فكتب ثانية باسمه وباسم جاورجيوس اسقف اللاذقية (٣) .

ويتضح من هاتين الرسالتين ان الآباء المجتمعين في انقيرة شجبوا القول بالاختلاف في الجوهر وأكدوا الوهية الابن وابتعدوا عن المساواة في الجوهر خشية الجنوح الى بدعة بولس السميساطي فآثروا القول بالتشابه في الجوهر *homoiousion* .

وحمل باسيليوس اسقف انقيره وافستاثيوس اسقف سبسطية والفسيوس *Eleusios* اسقف كزيكة مقررات مجمع انقيرة الى قسطنديوس في سرميوم (٤) . ونبذ عدد من أساقفة غالية وافريقيـــة قول آئيوس وافنوميوس (٥) فأيد قسطنديوس موقف الأساقفة في انقيرة وكتب الى الانطاكيين ينفي ان يكون هو قد عين افذوكسيوس اسقفاً عليهم ويحذرهم شر اولئك الذين يغيرون أبرشياتهم ليزيدوا دخلهم واولئك المتفلسفين الذين يتجرون بالنفـــاق والزندقة ليخدعوا الجماهير . وذكر الامبراطور الانطاكيين بما قاله لهم عن العقيدة وكيف انه أبان لهم ان المخلص هو ابن الله وانه مشابه للآب في الجوهر (٦) وانتهز بافيليوس هذه الفرصة السانحة فاستصدر أمراً امبراطورياً أبعد به افذوكسيوس اسقف انطاكية

1) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 13.*
2) *Epiphanios, Haeres, LXXIII.*
3) *Rasneur, G., l'Homoiousianisme dans ses Rapports avec l'Orthodoxie, Rev. Hist. Ecc., 1904, 204 ff.*
4) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 13.*
5) *Bardy, G., Variations, op. cit., III, 155-156.*
6) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 14.*

الى أرمينية و آئيوس الى بابوزة *Papuze* وسجن بموجبه افنوميوس في انقيرة(١) .

مجمع سلفكية : (٣٥٩) وسعى باسيليوس لعقد مجمع مسكوني ينظر في قضية الايمان ويقر موقفاً نهائياً منها . وأراد ان يلتئم أساقفة المسكونة للمرة الثانية في نيقيـــة ولكن ذكريات النضال حول مقررات المجمع النيقاوي الاول قضت باستبدال نيقية بمكان آخر . فاقترح باسيليوس ان يجتمع الأساقفة في نيقوميذية فوافق الامبراطور ولكن هزة أرضية دمرت هذه المدينة في الرابع والعشرين من آب سنة ٣٥٨ . فرأى الامبراطور ان يستفتي الأساقفـــة في أمر المكان الذي يرغبون الجلوس فيه وذلك بالكتابة اليهم فرداً فرداً . فطال أمر الاستفتاء وعاد باسيليوس الى مركز ابرشيته . فاستغل بعض رجال الاكليروس تغيبه عن البلاط وطلبوا الى ركنين من اركان الأريوسية ان يقوما الى سرميوم ويتصلا مباشرة بقسطنديوس . فأم البلاط الأمبراطوري في سرميوم كل من ترقيس اسقف بانياس وبتروفيلوس اسقف بيسان . وكانا من كبار الأساقفة الذين اشتركوا في مجمع نيقية المسكوني . وخشي الاسقفان ألا يكون اتباعهما ومناصروهمـــا أكثرية في مجمع مسكوني يضم أساقفـــة الشرق والغرب فأظهرا صعوبة التفاهم بين الأساقفة لتباين اللغتـــين اليونانية واللاتينية وبيّنا كثرة النفقات اللازمة لنقل الأساقفة الغربيين الى الشرق واقترحا عقد مجمعين في آن واحـــد مجمع غربي في ريميني *Rimini* على شاطيء الادرياتيك الايطالي ومجمع في سلفكية اسورية بالقرب من الساحل القيليقي (٢) .

وقبل الأمبراطور اقتراح الاسقفـــين ترقيس وبتروفيلوس وطلب الى مرقس اسقف أرسوز الذي كان آنئذ في سرميوم ان يعـــد نصاً لدستور ايمان جديد يعرض على أساقفة المجمعين . فأعدّ مرقس دستور ايمان عرف فيما بعد بالدستور المؤرخ لأن مرقس بدأ النص بالاشارة الى موافقـــة قسطنديوس والى السنة والشهر واليوم الذي تمت فيـــه هذه الموافقة . و « الدستور المؤرخ » ينص على التشابه في الجوهر *omoios* بعبارات غامضـــة ويؤكد « ان المسيح هو ابن الله مولود قبل كل الدهور وانه يشابه الآب في كل شيء كما جـــاء في الأسفار

1) *Ibid., IV, 16; Philostorge, Hist. Ecc., IV, 8-9.*
2) *Sozomène, Hist. Ecc., IV,16; Philostorge, Hist. Ecc., IV, 16.*

المقدسة » . ويتميز هذا الدستور بالاشارة الواردة فيه لأول مرة الى نزول السيد الى الجحيم (١) . وأوجب الأمبراطور على المجمعين تفحص « الدستور المؤرخ » وايفاد وفدين اليه يحملان رأيي الأساقفة المجتمعين . وترك البت في الامور الشخصية الفردية وغيرها الى كل من المجمعين على انفراد (٢) .

فالتأم في ريمينه اربع مئة اسقف . ورفض معظمهم الدستور المؤرخ وأيدوا دستور نيقية وقطعوا عدداً من الأساقفة المخالفين . وقام الى القسطنطينية وفدان أحدهما يمثل الأكثرية الساحقة والآخر الأقلية . فأذن الأمبراطور لوفد الأقلية بالمثول بين يديه ورفض الاصغاء الى وفد الأكثرية . ثم حاوط الآريوسيون هذا الوفد وداوروا رئيسه فوافق الأكثرية على حذف العبارة « في جميع الأشياء » عند الاشارة الى تشابه الابن بالآب وقبلوا بالدستور المؤرخ ووقعوا بروتوكولا بهذا المعنى في العاشر من تشرين الاول سنة ٣٥٩ (٣) .

وبدأ المجمع الشرقي أعماله في سلفكية في السابع والعشرين من ايلول سنة ٣٥٩ . وضمّ أكثر من مئة وخمسين اسقفاً . وأشهر أعضائه أصحاب الرأي والقول باسيليوس أسقف انقيرة ومقدونيوس اسقف القسطنطينية والفسيوس *Eleusios* اسقف كزيكة وسلوانوس اسقف طرسوس ومرقس اسقف ارسوز وواضع نص الدستور المؤرخ موضوع البحث وكيرلس اسقف اوروشليم وصفرونيوس اسقف بومبيوبوليس *Pompeiopolis* وجاورجيوس اسقف الاسكندرية وافذوكسيوس اسقف انطاكية سابقاً واكاكيوس اسقف قيصرية فلسطين . وتألف الوفد الانطاكي من مرقس اسقف ارسوز واكاكيوس اسقف قيصرية واورانيوس اسقف صور وسبعة عشر آخرين بينهم اربعة يمثلون أبرشيات « العربية » (٤) .

واقترح سلوانوس اسقف طرسوس القول بدستور « التكريس »

1) *Saint Athanase, De Synod., VIII; Socrates, Hist. Ecc., II, 34; Saint Hilaire, Frag. Hist., XV, 3.*
2) *Bardy, G., Variations, op. cit., III, 161-163.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 81.*
4) *Epiphanios, Haeres., LXXIII. 26; Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 128.*

الانطاكي الذي أقره المجمع الانطاكي سنة ٣٤١ . وأيده في هذا مئة وخمسة أساقفة (١) . فاحتج اكاكيوس اسقف قيصرية على هذا القرار وخرج من المجمع وتبعه ثمانية عشر اسقفاً . واجتمع هؤلاء منفردين وأقروا قبول « الدستور المؤرخ » ملطفين بعض عباراته لاغين القول بالاختلاف في الجوهر *anomoios* (٢) . وعاد اكاكيوس وجماعته الى المجمع في الجلسة الثالثة وحاولوا اعادة البحث في الدستور فلم تقبل الأكثرية بذلك وقال الفسيوس قوله الشهير : « لم نجتمع لوضع دستور جديد وانما اجتمعنا لاثبات قول الآباء » (٣) . وغضب ليوناس ممثل الأمبراطور وخرج من المجمع قائلا : اني جئت لامثل الأمبراطور في مجمع متحد متفق لا في مجمع منشق منقسم . ثم رفض اكاكيوس وجماعته الاشتراك في أعمال المجمع .

وتابعت الأكثرية أعمالها فنظرت في قضية كيرلس اسقف اوروشليم وفي الخلاف الذي كان قد نشأ بينه وبين اكاكيوس متروبوليت الأبرشية . فان كيرلس كان قد استمسك في بعض الامتيازات التي أقرها التقليد لأم الكنائس فقاومه في ذلك اكاكيوس مدعياً انه هو متروبوليت الأبرشية . وكان كيرلس قد باع آنية كنيسته ليطعم بثمنها الفقراء والجائعين فاعترضه اكاكيوس وأمر بخلعه (٤) . فأعاده مجمع سلفكية الى كرسيه مكرماً . وقطع هذا المجمع كلا من جاورجيوس اسقف الاسكندرية وافذوكسيوس اسقف انطاكية سابقاً واكاكيوس اسقف قيصرية وبتروفيلوس اسقف بيسان وخمسة أساقفة آخرين ورفع انيانوس *Annianos* أحد كهنة انطاكية الى كرسيها الرسولي ثم أعلن أسماء أعضاء الوفد الذي سيحمل قرارات هذا المجمع الى الأمبراطور قسطنديوس في القسطنطينية . ولم يرضَ لوريقيوس دوق اسورية عن القرار الذي اتخذ في أمر اسقفية انطاكية وألقى القبض على انيانوس ونفاه (٥) .

1) *Socrates, Hist. Ecc., II, 39.*
2) *Ibid., II, 40.*
3) *Ibid.*
4) *Socrates, Hist. Ecc., II, 40,*
5) *Ibid., II, 40; Sozomène, Hist. Ecc., IV, 12.*

مجمع القسطنطينية : (٣٦٠)واجتمع ممثلو المجمعين فيالقسطنطينية فيمطلع السنة ٣٦٠ فأقروا « الدستور المؤرخ » المعدل وقالوا بالتشابه في الجوهر كما في الكتب ونبذوا التخالف في الجوهر وحرّموا استعمال اللفظين *ousia* و *hypostasis* اللذين أثارا الجدل واعتاضوا عنهما بالكلمة *omoios* فجاء الدستور بهما مبهماً غامضاً قابلا لتفاسير متناقضة في بعض الأحيان (١) .

ثم انتقل الأعضاء الى البحث في الأشخاص فنزعوا عن آئيتيوس رتبته وطردوه من الكنيسة وهددوا بلعنه ان هو أصرّ على موقفه وحرّموا قراءة كتبه وأوجبوا تمزيقها (٢) . وخلعوا مقدونيوس اسقف القسطنطينيـــة والفسيوس اسقف كيزيكة وباسيليوس اسقف انقيرة وسلوانوس اسقف طرسوس وكيرللس اسقف اوروشليم وغيرهم (٣) .

وكتب المجمع الى جميع أساقفـــة المسكونة يدعوهم الى الموافقة على نص الدستور الجديد . وهددت السلطات الزمنية بالنفي في حال عدم الموافقة . فوافق عدد كبير من الأساقفة في الغرب والشرق معاً . وامتنع عدد وافر عن الموافقة . وكان اثناسيوس لا يزال سيـــد الموقف في مصر فحض أساقفـــة مصر وليبية على الاستمساك بالدستور النيقاوي ففعـــلوا . ولعل الرسالة المرسومـــة *Epistola Encyclica* هي مما كتبه لهذه المناسبة (٤) . ولعلهـــا تعود الى السنة ٣٥٦ (٥) .

ملاتيوس اسقف انطاكية : (٣٦١ـ٣٨١) وأقام الأساقفة المجتمعون في القسطنطينية افذوكسيوس اسقف انطاكيـــة السابق اسقفاً على القسطنطينية واعتبروا ترقية انيانوس الى الكرسي الانطاكي غير قانونية . فانتخب اكاكيوس اسقف قيصرية فلسطين واتباعه ملاتيوس اسقفاً على انطاكية . واحتاطوا لهذا

1) *Bardy, G., Variations, op. cit., III, 169-170; Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, II, 306.*
2) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 24; Théodoret, Hist. Ecc., II, 24; Grégoire de Nazianze, Orat., XXI; Philostorge, Hist. Ecc., VII, 6, VIII, 9.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., IV, 24.*
4) *Schwartz, E., Gesch. des Athanasius, 298.*
5) *Bardenhewer, O., Gesch. der Altkirchlichen Literatur III, 70.*

الأمر فوقعوا محضراً بانتخاب ملاتيوس وجعـــلوا إفسابيوس اسقف سميساط يحتفظ به دفعاً لكل اعتراض (١) . وكان ملاتيوس قد أبصر النور في ملاطية أرمينية واشتهر بالتقوى واللطف والمحبة والاستقامة فلما انفرط عقد المؤمنين في سبسطية ارمينيـــة وانقسموا على بعضهم نادى البعض بملاتيوس اسقفاً ضد افستاثيوس الاسقف القديم . ولم يتمكن ملاتيوس من الوصول الى كرسي سبسطية هذه نظراً لشدة الخصام والشغب فابتعد عنهـــا وأقام في حلب . وفي السنة ٣٥٩ التأم مجمع سلفكية فثل سبسطية ارمينيـــة افستاثيوس ووافق أكثرية المجمع على التمسك بالدستور الانطاكي . اما ملاتيوس فانه ماشى اكاكيوس اما في اثناء انعقاد المجمع او بعد ذلك بقليل (٢) .

ودخل ملاتيوس انطاكية في شتاء السنة ٣٦٠ـ٣٦١ وتسلم عكاز الرعاية بحضور قسطنديوس الأمـــبراطور واكاكيوس اسقف قيصرية فلسطـــين وجاورجيوس اسقف الاسكندرية . وطلب الأمبراطور الى الأساقفة الثلاثة ان يتكلموا في موضوع الآية : « الرب حازني في أول طريقه قبل عمله منذ البدء » (أمثال ٨.٢٢) فصارح جاورجيوس المؤمنين بالآريوسيـــة واكتفى اكاكيوس بالتعميات المبهمة . اما ملاتيوس فانه اعترف بأن المسيح هو ابن الله إله من إله وواحد من واحد وتحاشى استعمال الكلمتين جوهر واقنوم (٣) . فأرضى بذلك الارثوذكسيين ولكنه أغضب الآريوسيين (٤) . ويرى العلامه كافاليرا في كتابه انشقاق انطاكية (٥) ان ملاتيوس كان منـــذ البدء وظل حتى النهاية ارثوذكسياً لا غش فيـــه . والواقع ان ملاتيوس ماشى اكاكيوس كما سبق واشرنا وان اكاكيوس وجاورجيوس اشتركا في تسليمـــه عكاز الرعـــاية وان سقراط وابيفانيوس يؤكدان علاقة ملاتيوس بأكاكيوس (٦) . ولعل باسيليوس الذي

1) *Théodoret, Hist. Ecc., II, 27; Epiphanios, Haeres., LXXIII, 28*
2) *Socrates, Hist. Ecc., II, 44.*
3) *Epiphanios, Haeres., LXXIII, 29-33.*
4) *Théodoret, Hist. Ecc., II, 27.*
5) *Cavallera, F., Le Schisme d'Antioche, 95-97.*
6) *Socrates, Hist. Ecc., II, 44; Epiphanios, Haeres., LXXIII, 23*

اعتبر ملاتيوس نيقاوياً كاملا أراد ان يكتفي بما اعــترف به ملاتيوس في أواخر عهده وان يغض النظر عما فاه به ووقعه في بدء حياته العمليـــة (١) . ورقّب الآريوسيون حركات ملاتيوس وسكناته فاحتجوا على بعض اجراءاته الإدارية وطلبوا عزله وابعاده فنفاه قسطنديوس الى ارمينيـــة في آخر الشهر الأول من اسقفيته (٢) . وتبوأ الكرسي الرسولي الانطاكي بعـــده افظويوس *Euzoios* الآريوسي . وكان افظويوس شماساً ماشى الآريوسيين منذ اللحظـــة الاولى فدخل في حرم الكسندروس الاسكندري ونزعت عنـــه رتبته الكنسية . وانتصرت الآريوسية انتصاراً باهراً وأصبح أساقفة معظم الكنائس الكـــبرى في الشرق والغرب معاً إما آريوسيين متطرفين او معتدلين (٣) .

وفاة قسطنديوس الثاني : (٣٦١) وكان شابور الثاني ذو الأكتاف قد عبر دجـــلة في جيش عظيم في السنة ٣٥٨ فتجاوز نصيبين وزحف على آمـــد (دياربكر) فأخذها عنوة. وكان قسطنديوس لا يزال في سرميوم يعالج الاختلاف في العقيدة كما ذكرنا. فقام الى القسطنطينية وبقي فيها طوال شتاء السنة ٣٥٩ـ٣٦٠ وفي ربيع السنـــة ٣٦٠ نهض من القسطنطينية لمجابهـــة الخطر الفارسي . وكان شابور ذو الأكتاف قد استأنف الحرب فاحتل سنجار ثم اتجـــه منها الى بيت زبدي (جزيرة ابن عمر) على ضفة دجلة الغربية وحاصرها . فحاول قسطنديوس ان يفك هـــذا الحصار فلم يُفلح . وسقطت بيت زبدي في يد الفرس في خريف السنة ٣٦٠ . وأقبل فصل الشتاء فتوقفت الأعمال الحربية ولبث قسطنديوس في انطاكية . وكانت حاشيـــة قسطنديوس لا تزال توغر صدره على ابن عمـــه يوليانوس قيصر غالـــية بينما خطر الفرس في الشرق يتعاظم . فطلب الأمبراطور الى ابن عمه القيصر ان يوافيه بأحسن ما عنده للصمود في وجه الفرس . ويقال ان ابن عمه مال الى تلبية الطلب ولكن جنوده تمردوا احتجاجاً ونادوا به أمبراطوراً في باريز في السنة ٣٦٠ . وكتب يوليانوس الى قسطنديوس يرجو منه الاعتراف

1) *Bardy, G., Variations, op. cit., III, 173, n. 2.*
2) *Théodoret, Hist. Ecc., II, 26*
3) *Bardy, G., op. cit., III, 174-175.*

بما تمّ ولكن قسطنديوس أصرّ عليـــه ان يتنازل . فاضطر يوليانوس ان يزحف بجنده على الشرق . وسار قسطنديوس من انطاكيـــة الى القسطنطينية فالغرب لمنازلة خصمه . ولكنـــه مرض وهو لا يزال في طرسوس . واشتد الخطر على حياته فاعتمد بيد افظويوس وتوفي على مســـيرة يوم من طرسوس في الثالث من تشرين الثاني سنة ٣٦١ . وأجمل ما يذكر عنه انه عندما أشرف على التلف أوصى بأن يكون يوليانوس نفسه خلفاً له .

* * *

الفصل الثامن عشر

ملاتيوس الشريف

٣٦٠-٣٨٢

يوليانوس الجاحد : (٣٦١-٣٦٣) هو يوليانوس ابن يوليوس ابن قسطنديوس الاول كلوروس . وهو اخو غالوس لأبيه كما كان والده يوليوس اخا قسطنطين الكبير لأبيه . ووالدة يوليانوس باسيلينة نسيبة إفسابيوس اسقف نيقوميذية وقد سبقت الاشارة اليه والى نضاله في سبيل الآريوسية .

ولد يوليانوس في النصف الثاني من السنة ٣٣١ في ميسية على الدانوب . وما ان مضت بضعة أشهر حتى توفيت والدته فنقل الى القسطنطينية ونشأ في قصر لجدته في آسية لا يبعد كثيراً عن العاصمة . وفي السادسة من عمره أي في السنة ٣٣٧ شهد مقتل والده وجميع أقربائه . ونجا هو واخوه غالوس باعجوبة وعاشا مدة من الزمن مراقبين محصورين فشبّ يوليانوس مضطرب العصب يكره قسطنطين وذريته . وتولى أمره في هذه الفترة افسابيوس اسقف نيقوميذية فوكل أمر تهذيبه الى خصي نصراني (مردونيوس) كان شديد الاعجاب بهوميروس الشاعر اليوناني . وتوفي افسابيوس في السنة ٣٤١ فنفي قسطنديوس الأميرين الى قصر في قبدوقية على مسافة قريبة من قيصرية . فقضى يوليانوس ست سنوات يدرس ويطالع مؤلفات أعاره اياها كاهن نصراني . وفي السنة ٣٤٧ أمر قسطنديوس بانتقال غالوس الى أفسس ويوليانوس الى القسطنطينية . وأقام يوليانوس في عاصمة الدولة سبع سنوات احتك فيها بعالمين شهيرين احدهما وثني والآخر نصراني وتعلم مبادىء اللاتينية . ورحّب الجمهور بالأمير الصغير وأكرمه فدخلت الريبة نفس قسطنديوس فأمر بنقله الى نيقوميذية . وكان ليبانيوس العالم الانطاكي الوثني قد ترك مدرسة نيقوميذية فلم يتسن ليوليانوس ان

يأخذ عنه مباشرة . ولكنه طالع بعض مصنفات ليبانيوس وأكبّ عليها فأثرت في نفسه . ومن هنا هذا التشابه في الاسلوب بين الاثنين . وفي السنة ٣٥١ رضي قسطنديوس عن الأميرين فجعل غالوس قيصراً وأعاد الى يوليانوس ارثه فأصبح غنياً . فرحل يوليانوس في طلب العلم وأمّ برغامون في آسية الصغرى واتصل فيها بأديسيوس الفيلسوف الأفلاطوني الجديد وبتلميذه خريسانطيوس الفيلسوف الفيثاغوري . وتردد الى أفسس فاتصل بفيلسوفها مكسيميوس وكان هذا يمارس ضروب السحر فوقع يوليانوس تحت تأثير شعوذاته ودخل في زمرة اتباعه . وفي السنة ٣٥٥ قضى ثلاثة اشهر في اثينة والتحق بجامعتها . وكان بين رفقائه فيها غريغوريوس النازينزي وصديقه باسيليوس القديس . ثم أصبح قيصراً في غالية . ونادى به جنوده امبراطوراً فمشى في صيف السنة ٣٦١ الى الشرق . وتوفي قسطنديوس كما سبق وأشرنا فأسرع يوليانوس الى القسطنطينية ودخلها في الحادي عشر من كانون الاول سنة ٣٦١ (١) .

وكان يوليانوس قد جنح الى الوثنية قبل وصوله الى العرش وذلك لأسباب أهمها ان النصرانية كانت دين جلاد اسرته وانها كانت في شقاق الاضطراب وانها خلت من ابداع الفلاسفة والشعراء وان الأفلاطونية الجديدة كانت وريثة هذا الابداع (٢) . ويستدل من الرسائل التي صنفها هذا الأمبراطور الجاحد (٣) . انه قال بأكوان ثلاثة او شموس ثلاث : الشمس الاولى شمس الحقائق الراهنة والمبادىء السامية والعلة الأولى وهي التي سماها شمس النفس . والشمس الثالثة شمس المادة الملموسة وصورة انعكاس للشمس الاولى . وبين الاثنتين أي بين النفس والمادة شمس ثانية هي شمس العقل . ولما كانت الشمس الاولى بعيدة المنال وكانت الشمس الثالثة مادية غير صالحة للعبادة فان يوليانوس عبد شمس العقل وسماها الملك الشمس . واعتقد انه هو سليل الملك الشمس يهتدي بارشاده . وقال بتناسخ الأرواح على طريقة فيثاغورس فاعتقد انه هو

1) *Bidez, J., La Vie de l'Empereur Julien, Paris, 1930; Labriolle, P. de, La Réaction Païenne, Paris, 1935.*
2) *Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 17*
3) *Wright, W. C., The Works of the Empreror Julian, Camb., 1913.*

الاسكندر في « دور » آخر . وتبنى في رسالته « ما يؤخذ على النصرانية » موقف بوفيريوس الفيلسوف الحوراني اللبناني فقال ان إله التوراة هو إله شعب خاص لا إله الكون باسره وان هنالك تناقضاً بين التوحيد في التوراة والتثليث في الانجيل وان الأناجيل الأربعة متنافرة غير متآلفة .

ومنح يوليانوس الشعب حرية المعتقد فانطلق الوثنيون فرحين مهللين وراحوا يعترفون ليوليانوس بهذ الفضل ويخلدون ذكرى هذا الانطلاق . ولا تزال بعض نقوشهم الكتابية تنطق « بالجميل » حتى يومنا هذا في عنز الى الجنوب من صلخد حوران وفي جنينة وجرش (١) وفي بيروت (٢) .

في انطاكية : ودبّ النشاط في صفوف قبائل القوط في قطاع الدانوب وحسب يوليانوس لذلك حسابه . ولكنه آثر العمل في الشرق لأنه اعتبر نفسه الاسكندر في دور ثان . فقام الى انطاكية قاعدة الشرق الحربية في حزيران السنة ٣٦٢ . وفي اثناء مروره في طرسوس أمر باعادة أعمدة كانت قد انتزعت من هيكل وثني لتشييد كنيسة مسيحية منذ أكثر من ثلاثين سنة . ووصل انطاكية في التاسع عشر من تموز يوم انتحاب العذارى على مقتل اذوناي عشيق عشتروت . وكان ليبانيوس الفيلسوف الأديب قد عاد اليها ليعلم فيها اخوانه الانطاكيين فاستقبل الأمبراطور الجاحد استقبالا حاراً . ولكن انطاكية كانت قد أصبحت مسيحية فهال يوليانوس أعراض أهلها عن « الدين القويم » وقلة اكتراثهم بهياكل دفنة المقدسة . فقال في احدى رسائله الى الانطاكيين ما معناه . « هوذا الشهر العاشر شهر لوس الذي تبتهجون فيه بعيد ابولون الإله الشمس . وكان من واجبكم ان تزوروا دفنة . وكنت أنا أتصور موكبكم لهذه المناسبة شباناً بيضاً أطهاراً يحملون الخمور والزيوت والبخور ويقدمون الذبائح . ولكني دخلت المقام فلم أجد شيئاً من هذا . وظننت اني لا أزال خارج المقام فاذا بالكاهن

1) *Bruennow-Domaszewski, Die Provincia Arabia, I, 42-43, II, 230-233, 237.*
2) *Mélanges de la Faculté Orientale, 1907, 266; « Reparatori Orbis Romani et Restitutori Omnium Rerum et Totius Felicitatis Recreatori Sacrorum et Extinctori Superstitionis ».*

ينبئني ان المدينة لم تقدم قرباناً هذه المرة الا وزة واحدة جاء بها هو من بيته » (١) .

وأكرم يوليانوس ليبانيوس الفيلسوف الوثني ورقى عدداً من الوجهاء الى رتبة المشيخة فجعلهم أعضاء سناتوس انطاكية . ووهب للمدينة مساحات كبيرة من أراضي الدولة . ولكن الانطاكيين المسيحيين قابلوه بالهزء ووجدوا في النقيضين لحيته الطويلة وقامته القصيرة مجالا واسعاً للعبث والسخر (٢) . وعبثاً حاول ليبانيوس ان يوفق بين الامبراطور وبين رعاياه الانطاكيين . ثم اشتد الخلاف وتفاقم الشر حين أخرج الأمبراطور بقايا شهيد انطاكية القديس بابيلاس من قبره . فغضب المسيحيون لكرامتهم وأحرقوا في الثاني والعشرين من تشرين الاول هيكل ابولون . فأقفل الامبراطور كنيسة انطاكية الكتدرائية وأمر بنهبها وتدنيسها . فكسّر المسيحيون تماثيل الآلهة . واحتج افظويوس اسقف انطاكية فلم يلقَ الا الذل والهوان (٣) .

وتمادى يوليانوس في ضلاله وأطلق لنفسه العنان فنزع عن ميومة مرفأ غزة رتبتها المدينية لأنها مسيحية وجعلها ضاحية من ضواحي غزة الوثنية . وأعمل السيف في رقاب الكهنة والعذارى في غزة وعسقلان ورمى بأجسادهم الى الخنازير لتدوسها . وفي بانياس أنزل تمثالا للسيد المخلص عن قاعدته وحطمه تحطيماً وأقام محله تمثالا لنفسه . وأحرق القومس مغنوس كنيسة بيروت . وأشعل اليهود النيران في كنيستين من كنائس دمشق . ولقي شماس بعلبك حتفه لأنه اجترأ في عهد قسطنطين فأقدم على قلب الأصنام . وأحرقت قبور النصارى في حمص وحُولت كنيستها الى هيكل لباخوس . وفي حماه أقيم تمثال لباخوس على مذبح الكنيسة (٤) .

وعلم يوليانوس ان يسوع تنبأ بأن لا يبقى من الهيكل في اوروشليم حجر

1) *Julianus, Opera, II, 167; Wright, W. C., Works of Emp. Julian, II, 487-489.*
2) *Negri, G., Julian II, 430 - 470.*
3) *Allard, P., Julien l'Apostat, III, 9 ff.*
4) *Abel, F. M., Hist. Palest. II, 280.*

على حجر . فلكي يكذب الكتب اهتم لاعادة بناء الهيكل . فأرسل الى اوروشليم أحد امنائه اليبيوس ليشرف على العمل . وتقاطر اليهود واجتمع عدد كبير منهم في مكان الهيكل . فجرفوا المكان وحفروا الأرض كباراً وصغاراً رجالا ونساء. ولما انتهوا من هدم الأساسات القديمة وأوشكوا ان يضعوا الأساسات الجديدة حدثت زلزلة هدمت الأبنية المجاورة وقتلت بعض الفعلة وملأت الحفر تراباً (١).

ونهض يوليانوس في ربيـــع السنة ٣٦٣ الى الفرات وزحف على بابل وانتصر على ذي الاكتاف عند سلوقية فاستأنف الزحف على طيسفون . وأصابه سهم عقبه نزيف فتوفي وهو يحدث أصدقاءه عن صفات النفس السامية . وقيل ان فارساً مسيحياً من فرسانه رماه بهذا السهم للقضاء عليه. وتشاور رؤساء الجند في من يكون خلفاً ليوليانوس فأجمعوا على يوفيانوس *Jovianus* امبراطوراً . وكان هذا رئيس الخدم في القصر مسيحياً نيقاوياً أرثوذكسياً فوقع صلحاً مع الفرس وعاد الى انطاكية في خريف السنة ٣٦٣ .

مجمع الاسكندرية : (٣٦٢) واتخذ يوليانوس التساهل في الدين سياسة له في بدء عهده ليعيد الوثنية. ورغب في عودة الأساقفة المنفيين الىأوطانهم ليزداد الشقاق في صفوف النصرانية . فعاد اثناسيوس الكبير الى الاسكندرية ورجع ملاتيوس الى انطاكية . واجتمع في الاسكندرية في السنة ٣٦٢ عدد من الأساقفة المصريين المنفيين وغيرهم . وأمها استيريوس اسقف البتراء وافسابيوس الايطالي اسقف فركيلية وكانا قد نفيا الى مصر . وانضم الى هؤلاء ممثلون عن لوسيفيروس *Luciferus* أسقف كلياري وابولويناريوس اسقف اللاذقية والكاهن بافليتوس رئيس كنيسة افستاثيوس الانطاكية . واعتذر لوسيفيروس عن الحضور بالذات وقال « ان ظروف الكنيسة في انطاكيـــة قضت بذهابه اليها » (٢) . وخشي زملاؤه الأساقفة المجتمعون في الاسكندرية قلة درايته فحاولوا ابقاءه في مصر ولكنه لم يرض .

1) *Philostorge, Hist. Ecc., VII., 8 - 14; Marcellin, XXIII, 1; Vogt, J., Kaiser Julian und das Judentum, 1939.*
2) *Socrates, Hist. Ecc., III, 6 ; Sozomène, Hist. Ecc., V, 12.*

وكان ظرف الكنيسة في انطاكية دقيقاً . فان افظويوس كان لا يزال في قيد الحياة يمارس سلطته الاسقفية . فلما عاد ملاتيوس الى انطاكية أصبح لعاصمة النصرانية في الشرق اسقفان في آن واحد ومكان واحد . وظل أتباع افستاثيوس يمارسون العبادة مستقلين عن الآريوسيين أتباع افظويوس وعن الارثوذكسيين أتباع ملاتيوس وذلك برئاسة الكاهن بافلينوس (١) .

وتصوّن كاهن اللاذقيـــة ابوليناريوس من الآريوسيـــة وتزعم الارثوذكسيين في هذه المدينـــة وتوابعها . وعاونه في ذلك ابنـــه القارىء في الكنيسة . وكان يدعى ابوليناريوس ايضاً . وتحلى الاثنان بالعـــلم والأدب اليونانيين . وأصغيا للحكيم الوثني ابيفانيوس بينما كان ينشد شعراً لباخوس في اللاذقية فقطعهما ثيودوتوس اسقف اللاذقيـــة . ثم قطعهما جاورجيوس خلف ثيودوتوس لأنهما رحبا بأثناسيوس الكبير لدى مروره باللاذقية سنـــة ٣٤٦ . فلما توفي جاورجيوس بعـــد مجمع سلفكية (٣٥٩) وانتُخب بلاجيوس خلفاً له انتخب ايضاً ابوليناريوس الأصغر اسقفاً على اللاذقية (٢) .

وهكذا فان كل الأساقفة الذين اشتركوا في أعمـــال مجمع الاسكندرية كانوا نيقاويين مضطهدين . ولكنهم ما كادوا يخرجون من مخابئهم او يعودون من الأمكنة التي أبعـــدوا اليها حتى أدركوا ان معظم أساقفة عصرهم كانوا قد ماشوا الآريوسيين مكرهين او من تلقاء أنفسهم . فاضطر الأعضاء والحالة هذه ان يعتدلوا في موقفهم من الآريوسيين وان يحاولوا تفهم الظروف التي أكرهت زملاءهم على اهمال دستور نيقية وعـــدم القول به . وهكذا فاننا نرى مجمع الاسكندرية يقرر قبول الآريوسيين الأساقفـــة في الكنيسة الارثوذكسية شرط الاعتراف بالخطأ والرجوع عنـــه والتنازل عن الاسقفية . اما الآخرون الذين أكرهوا إكراهاً على القول بالآريوسية فان المجمع قرر قبولهم في الكنيسة برتبهم

1) *Théodoret, Hist. Ecc., III, 2; Socrates, Hist. Ecc., III, 6; Cavallera, F., Schisme d'Antioche, 89 - 90.*
2) *Philostorge, Hist. Ecc., V, 1; Bardy, G., Declin de l'Arianisme, Fliche et Martin, op. cit., III, 240 - 241.*

شرط اعترافهم بدستور نيقية (١). وشمل هذا العفو معظم أساقفة مصر وفلسطين وقبرص ونيقيـــة وبمفيلية واسورية . اما أساقفـــة سورية فان معظمهم كان قد اتخـــذ موقفاً مضاداً لمجمع نيقية منذ اللحظـــة الاولى ولكنهم لم يقولوا بالآريوسية المتطرفة بل بما جـــاء في قرارات مجمع التكريس الانطاكي (٣٤١) ومجمع سلفكية (٣٥٩) فاعترفوا بالوهية ابن الله ولكنهم تحاشوا القول بالمساواة في الجوهر .

المجمع الاسكندري ومشكلة انطاكية : وذكر الأساقفـــة المجتمعون في الاسكندرية اخوتهم في المسيح المخلص أبناء كنيسة انطاكيـــة فحرروا رسالة سلاميـــة الى الأساقفة النيقاويين الموجودين في انطاكيـــة والذاهبين اليها والى افسابيوس الايطـــالي اسقف هركيليـــة ولوسيفيروس السرديني اسقف كلياري واستيريوس اسقف البتراء وكيماتيوس *Cymatios* اسقف جبـــلة *Paltus* واناتوليوس اسقف افبيه وهو غير اناتوليوس اسقف حلب (٢) . ومما جاء في نص هذه الرسالة ما يلي : « وأولئك الذين يرغبون ان يعيشوا معنا في سلام ولا سيما أولئك الذين يجتمعون في الكنيسة القديمـــة والآريوسيون الذين يأتون الينا هؤلاء يدعون ويُقبلون قبول الآباء لأبنائهم . اقبلوهم قبول الأوصياء وضموهم الى البولسيين الأعزاء ولا تطلبوا منهم شيئاً سوى نكران الهرطقـــة الآريوسية والقول بالايمان الذي أقره آباؤنا في نيقية ونكران القول بخلق الروح القـــدس واختلافـــه في الجوهر » (٣) . وتجاهل المجمع الاسكندري في رسالتـــه هذه افظويوس اسقف انطاكية وأتباعه الاريوسيين . ولعلّ للأعضاء الآباء عذراً في هـــذا . ولكن الغريب انهم لم يذكروا اسم ملاتيوس اسقف أكثرية الارثوذكسيين في انطاكية الذي تحمل مشقة النفي لأجل الايمان (٤). فجاء تدخل هذا المجمع الارثوذكسي في انطاكية أبتر قليل الفائدة منذ انبثاقه .

بافلينوس اسقف انطاكية : ومما زاد في الطين بلة انلوسيفيروس السرديني

1) *Saint Athanase, Epist. ad Rufinian., Actes, Second Concile de Nicée.*
2) *Bardy, G., Déclin, op. cit., III, 242, n. 1.*
3) *Saint Athanase, Tomus ad Antiochenos, P. G., Vol.26.*
4) *Bardy, G., op. cit., III, 243.*

اسقف كلياري كان غيوراً عجولا ينتاط الامور برأي نفسه . فانه ما كاد يخلص من النفي والأسر حتى أسرع الى انطاكية ليحل مشكلتها . ولدى وصوله اليهـــا أسرع الكاهن الى تأييد البولسيين فيها ورسم الكاهن بافلينوس زعيمهم اسقفاً عليهم (١) . فجعل بعمله هذا عدد الأساقفة المتناظرين ثلاثة بدلا من واحد . فلما انتهى مجمع الاسكندرية من أعماله وقام الاسقفان افسابيوس واستيريوس الى انطاكية لتدبير امورها جوبها مجابهة بعمل لوسيفيروس . فامتنع افسابيوس عن تبكيت زميله الغربي جهاراً (٢) ولكنه لم يعترف برسامة بافلينوس وغادر انطاكية الى ايطالية مستصحباً معه الشاب الانطاكي افاغريوس *Evagrios* (٣) .

موقف ملاتيوس « الجليل » : وتوفي يوليانوس وتسلم يوفيانوس أزمة الحكم بعـــده . وكان يوفيانوس أرثوذكسياً يقول بنص الدستور النيقاوي فدعا اثناسيوس الكبير الى مقابلته في انطاكية (٤) . واستغل ملاتيوس الجليل الظرف فدعا بدوره الى مجمع أرثوذكسي ينظر في أمر العقيدة . فلبى الدعوة عدد من الأساقفـــة أشهرهم افسابيوس سميساط وبيلاجيوس اللاذقية واورانيوس أبامية وطيطس بصرى واكاكيوس قيصرية فلسطين واناطوليوس حلب واسحق أرمينيـــة . وكان قد سبق لهؤلاء الأساقفة وقالوا بنص الدستور الذي أقره مجمع القسطنطينيـــة ارضاء لقسطنديوس الامبراطور . فلما زال قسطنديوس وهلك يوليانوس بعده رأوا من الواجب ان يعودوا الى دستور نيقية (٥) فكتبوا الى يوفيانوس رسالة جاء فيها انهم لا يرغبون الانتماء الى اولئك الذين حرّفوا حقيقة الايمان وانهم يقبلون نص نيقية ويحافظون عليه وانهم توصلوا الى تفســـير حكيم للفظ *Homoousios* الذي التبس أمره على بعض الأساقفـــة (٦) . وشك البولسيون أتباع الاسقف بافلينوس في اخلاص هؤلاء الأساقفـــة واتهموهم

1) *Saint Jérôme., Chron., a. 362.*
2) *Socrates, Hist. Ecc., III, 9 ; Théodoret, Hist. Ecc., III, 2.*
3) *Saint Basile, Epist. 138.*
4) *Pat. Graeca, Vol. 26.*
5) *Sozomène, Hist. Ecc., VI, 4.*
6) *Socrates, Hist. Ecc., III, 24; Sozomène, Hist. Ecc., VI, 4.*

بالرياء والمواربة ووضعوا رداً بهـذا المعنى نسب خطأً فيما بعد الى القديس اثناسيوس الكبير (١) .

ملاتيوس واثناسيوس : ولبى اثناسيوس الكبير دعوة يوفيانوس ووصل الى انطاكية في خريف السنة ٣٦٣ واتصل بملاتيوس الجليل ودعاه الى الشركة فأجاب ملاتيوس جواباً مبهماً مطاطاً . ولعل اللوم في ذلك يقع على حاشيته. فاعترف اثناسيوس باسقفية بافلينوس وعاد الى الاسكندرية(٢). فأمست الارثوذكسية في انطاكية منقسمة على نفسها ذات رأسين ملاتيوس وبافلينوس .

ولنتنيانوس ووالنس : وتوفي يوفيانوس في السابع عشر من شباط سنة ٣٦٤ . واجتمع رؤساء الجند في نيقية وتداولوا في أمر الخلافة فأجمعوا في الرابع والعشرين من الشهر نفسه على ولنتنيانوس *Valentinianus* أحد قادة الحرس . وما ان أطلّ هذا الأمبراطور على الجند ليخطب فيهم حتى قاطعه عدد منهم بدق التروس طالبين امبراطوراً آخر يشاركه في الحكم . فاستمهلهم وشاور ثم قدّم أخاه والنس *Valens* في الثامن والعشرين من آذار اوغوسطاً وشريكاً له في الحكم . وتشاطر الاثنان الملك فحكم والنس الشرق (٣٦٤–٣٧٨) وتولى ولنتنيانوس الغرب (٣٦٤ – ٣٧٥) واقتسم الاثنان الملك اقتساماً تاماً كاملا وأصبحت الامبراطورية دولتين شرقية وغربية .

سياسة والنس الدينية : وكان الشقاق قد عم الشرق بأسره فاضطر والنس ان يتخذ موقفاً معيناً محدداً حسماً للنزاع وحباً في توطيد الأمن الداخلي وتوحيد الصفوف للدفاع عن الامبراطورية ضد القوط في الشمال والفرس في الشرق . ورأى والنس الأرثوذكسية النيقاوية ضعيفة خارج مصر ولمس مقاومة عنيفة لعقيدة آئيوس *Anomeisme* في آسية الصغرى وغيرها ووجد في الدستور « المؤرخ » الذي أقر في ريمينة والقسطنطينية قولا وسطاً *Homeisme* بين الأقوال

1) *Pat. Gr., Vol. 28, Col. 85; Cavallera, F., Schisme d'Antioche, 125 - 126.*
2) *Saint Basile, Epist., 89, 214, 258.*

المتضاربة يؤيده عدد من أساقفة المراكز الهامة في القسطنطينية وانطاكية وغيرها . ومما لحظه والنس ايضاً ان قسطنديوس الامبراطور كان قد جعل من الدستور المؤرخ دستوراً رسمياً للدولة . فقال بالهومايسية ودافع عنها طوال عهده (١) . ويلاحظ في تعليل موقف والنس ان افذوكسيوس اسقف القسطنطينية الذي قال هذا القول نفسه كان رزيناً حكيماً مجرباً ذا تأثير في نفس الامبراطور الجديد (٢) وان الامبراطورة ذومينيكة كانت آريوسية متحمسة (٣) .

ابعاد ملاتيوس الجليل : وفي ربيع السنة ٣٦٥ أصدر والنس أمراً بوجوب ابعاد الأساقفة الذين أقصاهم قسطنديوس عن مراكزهم واعادهم يوليانوس اليها . فخرج ملاتيوس الجليل من انطاكية ولم يعد اليها قبل وفاة والنس (٤) . اما بافلينوس فانه بقي آمناً في انطاكية لأنه رقي الكرسي الاسقفي بعد عهد قسطنديوس ولأنه تمتع بشطر وافر من احترام افظويوس واكرامه (٥) .

وتشاور الأساقفة الذين قالوا بالتشابه في الجوهر فأرسلوا وفداً الى ايطالية يلتمسون بواسطته عطف ولنتنيانوس وعقدوا مجمعاً في تيانة قبدوقية لسماع أقوال أعضاء هذا الوفد ولاتخاذ ما يرونه موافقاً لمصلحتهم العامة . وكان بين المجتمعين في تيانة عدد من أساقفة الكرسي الانطاكي افسابيوس قيصرية قبدوقية واثناسيوس انقيرة وبيلاجيوس اللاذقية وزينون صور وبولس حمص . فاتفق المجتمعون على القول بالمساواة في الجوهر وقرروا عقد مجمع كبير لهذه الغاية في طرسوس في ربيع السنة التالية . ولكن افذوكسيوس القسطنطينية خشي سوء العاقبة فمنع الأمبراطور انعقاد المجمع المنتظر (٦) .

1) *Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, II, 363 - 364; Bardy, G., Déclin, op. cit., III, 248 - 249.*
2) *Philostorge, Hist. Ecc., IV, 4.*
3) *Gwatkin, H. M., Studies of Arianism, 238.*
4) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 2; Sozomène, Hist. Ecc., VI, 7.*
5) *Bardy, G., Déclin, op. cit., III, 248, n. 3.*
6) *Sozomène, Hist. Ecc., VI, 12.*

جوهر الروح القدس : وأدى البحث في جوهر الابن الى النظر في جوهر الروح القدس ولا سيا وان المجمع المسكوني الاول اكتفى بالعبارة : « ونؤمن بالروح القدس » . وقال مجمع الاسكندرية في السنة ٣٦٢ بالوهية الروح القدس وأوجب لعنة من يقول بخلق الروح (١) . وراج القول في هذه الآونة في ولايات تراقية وبيثنية والهلسبونط بخلق الروح القدس . وتزعم هذه الحركة ثلاثة من كبار الأساقفة الذين اشتهروا بالفضيلة والمحبة والغيرة . والاشارة هنا الى افستاثيوس سبسطية والفسيوس *Eleusios* كزيكة ومراثونيوس *Marathonios* نيقوميذية (٢) . فكان لتزعمهم أثر في نفوس جمهور المؤمنين في هذه المنطقة فاتسعت حركتهم حتى أصبحت في السنة ٣٨١ موضوع بحث رئيسي في المجمع المسكوني الثاني كما سنرى في حينه .

الارثوذكسيون لسان واحد : وشغلت القبائل القوطية والنس الأمبراطور عن الدين والعقيدة وتخالف أتباعه أصحاب القول بالدستور المؤرخ وتعارضت أهواؤهم فانتظمت صفوف الارثوذكسيين ولا سيا في قبذوقية . فجهر اثناسيوس انقيرة بالعقيدة النيقاوية الارثوذكسية (٣) وحذا حذوه افسابيوس قيصرية واتخذ لنفسه مستشاراً ومعاوناً باسيليوس الكبير (٤) . وعاد غريغوريوس النزينزي ابو غريغوريوس اللاهوتي عن الدستور المؤرخ وصارح زملاءه بالعقيدة الأرثوذكسية (٥) . وقال آخرون من آباء كنيسة انطاكية في ارمينية والبونط قول هؤلاء الأساقفة الكبار وصرح الجميع بالاقانيم الثلاثة وبوحدة الجوهر فمهدوا بذلك لتوحيد الصفوف والانضواء تحت لواء الأرثوذكسية .

الاضطهاد الوالنسي : وعاد والنس الى القسطنطينية في أواخر السنة ٣٦٩ وتوفي افذوكسيوس بعد ذلك بقليل فخسرت الكنيسة بوفاته اباً معتدلا حكيماً .

1) *Saint Athanase, Tom. ad Antioch., III.*
2) *Bardy, G., Déclin, op. cit, III, 251 - 255.*
3) *Philostorge, Hist. Ecc., V, 1.*
4) *Bardy, G., Déclin, op. cit., III, 257; Tillemont, Mémoires, IX, 63 f.*
5) *Saint Grégoire de Nazianze, Orat., 19.*

واختلف أبناء كنيسة القسطنطينية في أمر الاسقف الجديد خليفة افذوكسيوس . فأسرع الأرثوذكسيون الى تأييد افاغريوس *Evagrios* ونادى أصحاب القول بالدستور المؤرخ بذيموفيلوس . فاحتج الأرثوذكسيون وارسلوا وفداً الى والنس الامبراطور مؤلفاً من أربعة وثمانين اكليريكياً يطالبون بالاعتراف بايفاغريوس . فغضب والنس وأمر باعدام الوفد . فالقي القبض على هؤلاء الاكليريكيين وأبعدوا على قوارب في مياه البوسفور واحرقوا (١) او احرق بعضهم (٢) . ودخلت الكنيسة في دور من الاضطهاد دام طويلا . فطرد الأرثوذكسيون من الكنائس وسلمت كنائسهم الى أصحاب القول بالدستور المؤرخ واكره الآباء إكراهاً على القول بهذا الدستور وصودرت الأملاك والأوقاف ونفي الأساقفة المؤمنون وكف الجيش عن محاربة الفرس والبرابرة ودنّس الكنائس والمذابح (٣) . وعمّ اضطهاد والنس جميع الولايات الخاضعة له .

وأطل والنس في ربيع السنة ٣٧٢ على سورية وأقام فيها حتى وفاته . فنفى ملاتيوس الجليل (٤) وبيلاجيوس اللاذقية (٥) وبرسا الرها وابراهيم بنّس (تل بتنان) وسجن افسابيوس سميساط (٦) . ونشط الكاهنان الانطاكيان افلوغيوس وبروتوجنس لرعاية الأرثوذكسيين في مدينة انطاكية فأمر الامبراطور بنفيها الى صعيد مصر (٧) . وطرد الأرثوذكسيين من كنائسهم وسلمها لافظويوس واتباعه . فاضطر المؤمنون ان ينطلقوا الى الحقول للصلاة والعبادة (٨) . ويؤكد ثيودوريطس المؤرخ ان الامبراطور امر باغراق عدد من المؤمنين في العاصي (٩) .

باسيليوس الكبير : (٣٢٩ – ٣٧٩) ولمع في فضاء الكنيسة في هذه

1) *Socrates, Hist. Ecc., IV, 16; Sozomène, Hist. Ecc., VI, 14; Théodoret, Hist. Ecc., IV, 24.*
2) *Gwatkin, H. M., Studies, 276 ff.*
3) *Saint Grégoire, Orat. 20, 25.*
4) *Saint Basile, Epist. 68.*
5) *Théodoret, Hist. Ecc., IV, 12.*
6) *Ibid.*
7) *Théodoret, H. E., IV, 15.*
8) *Saint Jérôme, Epist., 15, 16.*
9) *Théodoret, Hist. Ecc., IV, 24; Socrates, Hist., Ecc., IV, 17.*

الفترة من محنتها كوكب براق انار سبيلها وبهر خصومها فزادها قوة وثباتاً . هو باسيليوس القبدوقي اسقف قيصرية الجديدة ذو القداسة والطهارة والحكمة (١) .
ولد باسيليوس في السنــة ٣٢٩ في قيصرية الجديدة في بلاد البونط من ابوين مسيحيين تقيين ونشأ في جو مشبع بالايمان القويم والتضحية في سبيله . فان جدته مكرينة كانت لا تزال حية تحضنه لتسمعه اخبار الاضطهاد الذي عم البونط في عهـــد ديوقليتيانوس يوم فرت مع جده الى الغابات المجاورة ليتخلصا من شر الحكام واضطهادهم .

وتلقى باسيليوس العلوم في قيصرية اولا ثم في القسطنطينية على يد ليبانيوس الفيلسوف الانطاكي فأثينه حيث رافق غريغوريوس النزينزي . فأضاف الى شدة ايمانه قوة الحجة وفصاحة الكلام . وفي السنة ٣٥٧ عاد الى مسقط رأسه فأشار عليه رئيسه الروحي الاسقف افستاثيوس ان يرحل الى سورية ومصر وما بين النهرين ليتفقد شؤون الرهبان والنساك فيها . فلما عاد الى آسية الصغرى وكانت السنة ٣٦٠ أنشأ على نهر ايريس بالقرب من قيصرية الجديدة ديراً للترهب على طريقة باخوميوس اصر فيه على الطاعة زيادة على الفقر والعفة .

وأصبح باسيليوس منذ السنة ٣٦٠ قارئاً. وفي السنة ٣٦٢ سامه افسابيوس القيصري كاهناً . ولدى وفاة افسابيوس سنة ٣٧٠ أجمع المؤمنون في قيصرية على قداسة باسيليوس وثقافته وفصاحته وحنكته فأقامه القديس ملاتيوس الانطاكي اسقفاً عليهم فخضعوا لرئاسته مختارين غـــير مكرهين (٢) . وفي شتاء السنة ٣٧١ ــ ٣٧٢ وصل والنس الامبراطور الى قبدوقية في طريقــه الى انطاكية . فأقام فيها مدة يسيرة حاول في اثنائها تطبيق سياسته الدينية الجديدة ولكنه لمس في شخص باسيليوس من القداسة والثبات والجرأة والحنكة ما اضطره ان يعفّ عن كنيسة قيصرية ورئيسها (٣) .

ومما يروى عن شجاعة هذا القديس وتفانيه في سبيل الايمان القويم ما حفظه

1) *Clarke, W. K. L., Saint Basil the Great.*
2) *Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, II. 387.*
3) *Tillemont, Mem., VI, 561.*

لنا القديس غريغوريوس النزينزي في عظاته . فقد جاء في العظة العشرين ان مودستوس برايفكتوس الشرق قال لباسيليوس « وانت لا تخشى سطوتي » فأجابه القديس « وأي شيء ينتظرني عندك ؟ فأن لجأت الى المصادرة فانك لن تجد عندي سوى بعض الكتب وان قلت بالنفي فاني غريب في هذا العالم غريب اينما حللت وان أمرت بالتعذيب فان هذا الجسد النحيل لن يلقى منك سوى ضربة واحدة . اما الموت فانه سيعجل لقائي بالرب الهي الذي من اجله احيى واتحرك ولاجله اصبحت نصف ميت وللقائه أتلهّف منذ أمد بعيـــد » (١) . ومما قاله القديس غريغوريوس ايضاً ان والنس نفسه توجـــه يوم عيد العنصرة الى كنيسة قيصرية وتقدم الى المذبح بهدية فلم يتناولها منه احد فارتعد وارتعش ثم قبلهــــا الاسقف فلانت صلابة الامبراطور وعامل باسيليوس معاملة طيبـــة . ثم أراد نفيه فمرض ابنه الوحيد واشرف على الموت فطلب الامبراطور الى باسيليوس ان يصلي عليه فقبل الاسقف شرط ان يُعمَّد الولد عمادة ارثوذكسية . فتعافى الولد . ثم عمَّده اسقف آريوسي فمات حالا . فغضب الامبراطور واخذ القلم ليأمر بنفي باسيليوس فانكسر . فبراه فانكسر وهكذا للمرة الثالثة . فارتجف الامبراطور ومزق الصك(٢) .

كنيسة انطاكية أعظم الكنائس : وهال باسيليوس امر الانشقاق في كنيسة انطاكية وابعاد ملاتيوس رئيسها الشرعي وخروج بفلينوس الارثوذكسي على هـــذا الراعي الجليل واعتراف اثناسيوس الاسكندري باسقفيـــة بفلينوس وتعاونه معه . ورأى في انشقاق ام الكنائس علة العلل فقال قوله المأثور : « وهل هنالك اعظم من انطاكية بين كنائس المسكونة ! فاذا ما ساد التفاهم فيهـــا عاد الوفق والوئام الى غيرها » (٣) . واخذ باسيليوس يسعى لحل المشكلة الانطاكية منذ بداءة عهده في الاسقفية فكتب الى اثناسيوس يستحثه على مفاوضة دماسوس اسقف رومة ليُرسل الى الشرق من يتحلى بدماثة الخلق والمقدرة على المفاوضـــة

1) *Saint Grégoire de Nazianze, Orat. XX, 49-50.*
٢) الكنيسة السريانية الانطاكية لسويريوس يعقوب مطران بيروت ودمشق وتوابعها ، ج ١ ص ٢٤٨ ; *Bardy, G., Déclin, op. cit., III, 260 - 261*
3) *Saint Basile, Epist. 67.*

والاقناع فينقل جميع القرارات التي اتخذت في الغرب بعد مجمع ريميني فمحت أثر العنف وتغلبت على الشقاق فأعادت الوفاق والوئام. وأضاف باسيليوس راجياً ان يتيسر لدى الزملاء الغربيين أمر الاعتراف بشرعية انتخاب ملاتيوس والحكم على ماركلوس اسقف انقيرة (١) . فرحّب اثناسيوس باقتراح باسيليوس وأفاده بذلك . فهبّ باسيليوس لساعتـه يفاوض ملاتيوس في الامر . ثم كتب الى دماسوس اسقف رومة يرجو تدخله في الشرق بايفاد من يتمكن من جمع الشمل واحياء المحبـة بين كنائس الله او كشف اللثام عن المفسدين فيعرف من يستحق الدخول في الشركة (٢). ووكل باسيليوس أمر القيام بنقل هذه الرسالة وتوضيحها الى دوروثاوس احد شمامسة ملاتيوس الانطاكي . ووافق وصول دوروثاوس الى الاسكندرية مجيء سبينوس شماس ميلان حاملا رسالة سلاميـة من المجمع المحلي الذي عُقد في رومة سنة ٣٦٨ تجدد القول بدستور نيقية . فاطلع اثناسيوس على هذه الرسالة السلامية ونصح الى سبينوس ان يقوم بهـا الى قيصرية الجديدة . فسُرّ باسيليوس بقدوم الرسول الروماني وكتب رسائل الى « الغربيين » عموماً ثم حرر بالاشتراك مع ملاتيوس الانطاكي وافسابيوس السميساطي وغريغوريوس النزينزي (الاب) وافستاثيوس السبسطي وغيرهم من اساقفة الشرق رسالة الى اساقفة ايطالية وغالية يوضح فيها حالة الكنائس الشرقيـة المحزنة ويرجو تدخل اساقفة الغرب لانقـاذ الموقف . وعاد سبينوس الى رومة حاملا هذه الرسائل . وتوفي اثناسيوس الاسكندري وخلفه اخوه بطرس . وقضت ظروف مصر بقيام بطرس الى رومة. فلما وصل اليها بحث الوضع الراهن في انطاكية فاعتبر ملاتيوس خارجاً عن الايمان القويم مغتصباً وأوصى ببفلينوس اسقفاً شرعياً على انطاكية . وفي صيف السنة ٣٧٤ أمّ قيصرية افاغريوس الكاهن الانطاكي عائداً من رومـة حاملا نصاً معينـاً موجباً توقيعه بحروفه دون أي تغيير مُصراً على قيام وفد من كبار الاساقفة الى رومة للمفاوضة (٤) . فأحجم باسيليوس وزملاؤه عن القبول

1) *Saint Basile, Epist. 69.*
2) *Saint Basile, Epist. 70.*
3) *Saint Basile, Epist. 92.*
4) *Saint Basile, Epist. 138.*

واوضحوا السبب في ذلك فقام افاغريوس الى انطاكية واشترك في الذبيحة الالهية مع بفلينوس رافضـاً الاعتراف بملاتيوس (١) . وقضت الظروف ان يُحمّل باسيليوس على اكثر من هذا . فان والنس عاد الى التشديد والتضييق فأمر بخلع عدد من الاساقفة الارثوذكسيين ونفيهم . ولكنّ باسيليوس وطّن نفسه على الصبر فتلقى هذه الامور جميعها بسعة صدر وثبات جنان وعاد الى مفاوضة الغرب فكتب ثانية في السنة ٣٧٥ الى اساقفة ايطالية وغالية كتاباً مؤثراً مبيناً ما قاساه الشرق من تصلف الآريوسيين واستئثارهم بالسلطة مؤكداً صعوبة انتقال الاساقفة الشرقيين الى الغرب راجياً الاصغاء الى دوروثاوس لفهم الموقف في الشرق (٢). ولكن التفاهم بين نصفي الكنيسة كان قد بدأ يبدو صعباً لاختلاف التعبير وكثرة الهموم وتنوعها (٣). وما كاد باسيليوس ينتهي من وضع رسالته هذه ودفعها الى دوروثاوس حتى علـم باعتراف دماسوس اسقف رومة ببفلينوس اسقفاً على انطاكية . وعاد دوروثاوس حاملا جواب دماسوس وفيه يستنكر اسقف رومة اخطاء ماركلوس وابوليناريوس ويوضح دستور الايمان الواجب القبول والاتباع ولكنه يتجنب الكلام في وحدة الجوهر . فاستأنس باسيليوس بهـذا الجواب وكتب في ربيع السنة ٣٧٧ يشكر لاساقفة الغرب اهتمامهم ويرجو زيارة كنائس الشرق لتعزية المضطهدين وتقوية الضعفاء. ثم يشير الى خطر جديد مداهم فيرى في افستاثيوس سبسطية وابوليناريوس اللاذقية واتباعهما ذئاباً بلباس الحملان تندس بين الصفوف لتمزق الكنيسة تمزيقاً. ويتهم بفلينوس بهرطقة ماركلوس وبالتسرع في القبول بالشركة (٤) . وحمل دوروثاوس هـذه الرسالة وأسرع الى رومة فصادف اجتماع الاساقفة في مجمع محلي. فتُليت الرسالة على الاساقفة فتهجم بطرس الاسكندري على ملاتيوس الانطاكي وعلى افسابيوس السميساطي فاضطر دوروثاوس ان يرد على هذا التهجم رداً شديداً . ثم حمل جواب الاساقفة الى باسيليوس وفيه شيء من التعزية . ولكن رومة ظلت تعترف ببفلينوس :

1) *Saint Basile, Epist. 156.*
2) *Saint Basile, Epist. 239.*
3) *Bardy, G., Déclin, op. cit., III, 273 - 274.*
4) *Saint Basile, Epist. 263.*

هجوم القوط : (٣٧٢ ــ ٣٧٨) وعبر الهون الفولكة في السنة ٣٧٢ او قبيلها متدفقين كالسيل الجارف في سهول روسية الجنوبية فاحتلوا مراعي الآلاني والقوط الشرقيين ولم يبــق حائلا بينهم وبين مصب الدانوب سوى القوط الغربيين . واشتد ضغط الهون ففر جماعة من القوط الغربيين وخذلوا قومهم واتجهوا غرباً وجاؤوا يفاوضون الامبراطور والنس في الانتقال الى داخل الحدود الرومانية والاقامة في تراقية . ورأى والنس في هؤلاء عنصراً طيباً وأداة فعالة لتقوية الجيش ولا سيا فرق الخيالة . فقبل مطلبهم فعبروا الدانوب خمسين الفاً . وما ان فعلوا وألقوا سلاحهم حتى شعروا بالفاقة وقلة المأكل فاستعادوا سلاحهم بالرشوة وجالوا في البلقان ينالون قوتهم بالقوة . وفي السنة ٣٧٧ اندلعت نيران الحرب بين الفريقين . ولم يقوَ الجيش الروماني المرابط في البلقان على ضبط الموقف فاستقدم والنس نجدات من الشرق وأمده غراتيانوس ابن اخيه امبراطور الغرب ببعض الكتائب ثم قام هو بنفسه على رأس الجيش الغربي لاعانة عمه . ولكن والنس تسرّع فنازل القوط وحده . فخر في ساحة القتال صريعاً في الثامن من آب سنة ٣٧٨ .

ثيودوسيوس الكبير : (٣٧٩ ــ ٣٩٥) وعظم الأمر على غراتيانوس وهاله . فاستدعى اليه ثيودوسيوس أشهر القادة وأمهرهم في الحرب . وفاوضه في أمر القوط ورفعه الى منصة الحكم ونادى به امبراطوراً على الشرق . وهب ثيودوسيوس يعالج الموقف العسكري فأوقع بالقوط ضربات اولية متتالية . ثم رأى ان لا بد من الاستيلاء على تسالونيكية لتأمين الزاد والعتاد الواردين من مصر والشرق . فاشتق طريقه اليها ووصلها في أوائل حزيران سنة ٣٧٩ واستقر بها . وفي شباط السنة ٣٨٠ انتابه مرض عضال أشرف به على الموت . فطلب الاعتماد ليغسل به ذنوبه قبل ملاقاة ربه . ولكنه تساءل قبل اعتماده عن ايمان الاسقف المعمّد . ولما تثبت من أرثوذكسيته اعتمد (١) . وكان والنس قد عدل عن اضطهاد الأرثوذكسيين مذ ان بدأ يعــد العدة لمنازلة القوط . وكان

1) *Socrates, Hist. Ecc., V, 6.*

غراتيانوس قد أيده في ذلك في خريف السنة ٣٧٨ (١) . فلما استتب الأمر لثيودوسيوس عاد فأكد وجوب توقيف الاضطهاد والسماح للآباء المنفيــين بالعودة الى أوطانهم (٢) .

مجمع انطاكي محلي : (٣٧٩) وعاد ملاتيوس الى مدينة الله مركز أبرشيته في صيف السنة ٣٧٨ (٣) . وعاد ايضاً كيرللس الى اوروشليم وافسابيوس الى سميساط وافلاليوس الى أماسية البونط (٤) . ووجد ملاتيوس الرعية ممزقة مشتتة فقسم وافر منها كان يتبع دوروثيوس الآريوسي اسقف هرقليــة الذي خلف افظويوس في انطاكيــة في السنة ٣٧٦ (٥) . وقال بعضهم قول ابوليناريوس فاعتبروا ويتاليوس *Vitalis* اسقفاً عليهم . وكان بفلينوس الأرثوذكسي لا يزال يرعى قطيعاً صغيراً من الرعية . فاتصل ملاتيوس لدى عودته ببفلينوس اولا وحاول ازالة الشقاق بين أصحاب الايمان الواحــد بالتفاهم والرضى . ولكن بفلينوس تشامخ وتناسى كلام السيد الفادي واستغنى مكتفياً باعتراف اسقفي رومة والاسكندرية . ولا صحة فيما يظهر لما ورد في بعض المراجع (٦) من ان ملاتيوس عرض على زميله بفلينوس رئاسة مزدوجة على كنيسة انطاكية طوال حياتهما تتبعها رئاسة موحدة بعد وفاة أحدهما (٧) .

واخفق ملاتيوس الجليل في القديسين في مفاوضة بفلينوس فدعا الى مجمع انطاكي محلي في خريف السنة ٣٧٩. ولبى الدعوة مئة وثلاثة وخمسون اسقفاً بينهم افسابيوس سميساط وبلاجيوس اللاذقية وزينون صور وافلوغيوس الرها وبياتيوس ملّة وديودوروس طرسوس . اما باسيليوس الكبير فانه كان قــد توفي في مطلع

1) *Socrates, Hist. Ecc., V, 2; Sozomène, Hist. Ecc., VII, 1; Rauschen, G., Jahrbucher der Christlichen Kirche unter dem Kaiser Theodosius dem Grossen, 30.*
2) *Théodoret, Hist. Ecc., V, 2.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., V, 5.*
4) *Sozomène, Hist. Ecc., VII, 2; Théodoret, Hist. Ecc., V, 4.*
5) *Socrates, Hist. Ecc., IV, 35.*
6) *Socrates, Hist. Ecc., V, 5; Sozomène, Hist. Ecc., VII, 2; Théodoret, Hist. Ecc., V, 2 - 3.*
7) *Cavallera, F., Schisme d'Antioche, 232 - 243.*

هذه السنة نفسها . وقد ضاعت اعمال هذا المجمع . ولم يبق منها شيء سوى بعض اشارات غامضة متقطعة وردت في مجموعة الشماس ثيودوسيوس . وقد ادى هذا الغموض والتقطع الى اختلاف في الرأي بين العلماء المؤرخين . فالعلامة الالماني شوارتز يذكر إشارة الى دستور ايمان انطاكي جاءت في القانون الخامس الصادر عن المجمع المسكوني الثاني (٣٨٢) فيتوقع احتجاجاً في قرارات هذا المجمع على موقف دماسوس رومة وبطرس الاسكندرية من بفلينوس (١) . والعلاّمتان دوشان وبتيفول يذكران تعلق الامبراطور ثيودوسيوس بالعقيدة الارثوذكسية «كما قال بها دماسوس رومة وبطرس الاسكندرية» ومحاولات باسيليوس وملاتيوس السابقة للاتصال برومة واقناعها بوجوب تأييدهما فيتوقعان انقياد الآباء المجتمعين في انطاكية الى القول بما قالت به رومة والاسكندرية وطلب ادخالهم في الشركة المقدسة (٢) . ولعل افضل ما يقال في مثل هذا الظرف من الاجتهاد ان المجمع الانطاكي اعتبر ملاتيوس خليفة الرسولين الشرعي واعلن استمساكه بالايمان القويم وحرر بذلك رسالة سلامية الى اسقف رومة وغيره(٣).

موقف الامبراطور : ولا نعلم بالضبط ماذا كان موقف الامبراطور ثيودوسيوس من هذا النزاع بين ملاتيوس الجليل في القديسين وبين بفلينوس مرشح دماسوس رومة وبطرس الاسكندرية . ونجهل ايضاً درجة اهتمامه لهذا الاختلاف المحلي . وجل ما يجوز قوله هو ان هذا الامبراطور المسيحي أهمل ذكر كنيسة انطاكية ورئيسها عندما أصدر رأيه الرسمي في الثامن والعشرين من شباط سنة ٣٨٠ (٤) . فانه حض جميع المؤمنين بهذه البراءة على القول بما قال به اسقف رومة واسقف الاسكندرية . ولكن نص هذا الحض جاء في صالح بفلينوس لأن اسقف رومة واسقف الاسكندرية كانا قد اعترفا به وحده (٥) . ثم أدرك ثيودوسيوس بعد اطلاعه على الوضع الراهن في الشرق ان الأرثوذكسية لن

1) *Schwartz, P., Zur Gesch. des Athanasius, Nachrichten, 1904, 375.*
2) *Duschène, L., Hist. Anc. de l'Eglise, II, 421; Batiffol, Siège Apost., 109.*
3) *Bardy, G., Concile d'Antioche, (379), Rev. Bénédictine, 1933, 196 - 213.*
4) *Cod. Theod., XVI, 1.*
5) *Harnack, A., Dogmengeschichte, II, 272; Rade, Damasus, 71.*

تسيطر في الشرق الا بواسطة الأرثوذكسيين أنفسهم وبتعاونهم مع السلطة الزمنية فجاءت براءة العاشر من كانون الثاني سنة ٣٨١ خالية من اية اشارة الى اسقف رومة او اسقف الاسكندرية وحرمت جميع الذين لا يقولون قول « نيقية » من الاجتماع في المدن وقضت بتسليم جميع الكنائس لأبناء الكنيسة «الجامعة» (١) .

المجمع المسكوني الثاني : (٣٨١) وكان غراتيانوس وثيودوسيوس قد رغبا في عقد مجمع مسكوني منذ السنة ٣٧٨ ولكن ظروف الحرب وقلة الثقة بين اساقفة الشرق واساقفة الغرب حالت دون ذلك. فلما جاءت السنة ٣٨١ دعا ثيودوسيوس الى مجمع مسكوني في القسطنطينية . فأم العاصمة الشرقية مئة وثمانية واربعون اسقفاً واباً من أعاظم رجال الكنيسة بينهم ملاتيوس الانطاكي وغريغوريوس النزينزي وتيموثاوس الاسكندري وكيرلس الاوروشليمي . وشمل الوفد الانطاكي خمسة وستين اسقفاً من أساقفة فلسطين وفينيقية وسورية والعربية والرها وما بين النهرين والفرات وقيليقية واسورية (٢) . ووفد على الآباء الأرثوذكسيين المجتمعين في القسطنطينية ستة وثلاثون اسقفاً من انصاف الآريوسيين بزعامة الوسيوس اسقف كيزيكة فامتنعوا عن الاشتراك في أعمال هذا المجمع لأنهم لم يرضوا عن القول بدستور نيقية (٣) . وتكلم غريغوريوس النزينزي يوم عيد العنصرة عن الروح القدس فحث أتباع مقدونيوس على الالفة والاتحاد ولكن دون جدوى (٤) . فلم يبق للاشتراك في أعمال المجمع الا كل أرثوذكسي مستقيم الايمان .

وتولى ملاتيوس الجليل في القديسين رئاسة هذا المجمع المسكوني. وتوفي قبل انتهاء الاعمال فتولى الرئاسة بعده غريغوريوس النزينزي اسقف القسطنطينية . ثم استعفى هذا الثيوغولوس من اسقفية القسطنطينية ومن رئاسة المجمع فجلس في كرسي الرئاسة خلفه في اسقفية القسطنطينية نكتاريوس الشهير .

1) *Cod. Theod., XVI, 5.*
2) *Turner, C.H., Canons Attributed to the Council of Constantinople, Journ. Theol. Studies, 1913 - 1914, 161 - 178; Mansi, III, 568 - 572; Michel le Syrien, VII, 313 - 316; Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 129 - 316.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., V, 8; Sozomène, Hist. Ecc., VII, 9.*
4) *Grégoire de Nazianze, Orat., 41.*

فبحث المجمع امر العقيدة فثبّت الدستور النيقاوي وأضاف اليه فيما يظهر الفصول التاسع حتى الثاني عشر (١) . ويلاحظ هنا ان اعمال هذا المجمع ضاعت وانه لم يبق منها شيء سوى ما أعيد ذكره للتثبيت في اعمال المجمع الخلقيدوني . ويرى هرنك العلامة الالماني ان هذه الفصول التي اضيفت الى دستور نيقية اتخذت شكلها الحالي بعيد مجمع الاسكندرية (٣٦٢) لان ابيفانيوس السلمّيني يشير اليها في الانكوراتوس *Anocratus* سنة ٣٧٤ (٢) .

وسنّ المجمع اربعة قوانين بحث الاول والرابع منها أمر الهرطقات واسقفية مكسيموس القسطنطيني . وحرّم الثاني تدخل الاساقفة في شؤون الكنائس خارج ابرشياتهم . فجعل لاسقف الاسكندرية ان يسوس امور مصر فقط ولاساقفة الشرق ان يسوسوا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذي في قوانين نيقية لكنيسة الانطاكيين . وجعل هـذا القانون الثاني لاساقفة آسية ان يسوسوا امور آسية فقط وللذين في البونط امور البونط فقط وللذين في تراقية امور تراقية فقط . واما كنائس الله التي بـين الامم البربرية فيجب ان تُساس حسب عادة الآباء . وجاء في القانون الثالث « اما اسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد اسقف رومة لان القسطنطينية رومة جديدة » .

ويلاحظ هنا ان كتاب المجامع اليوناني يُضيف الى هذه القوانين الاربعة ثلاثة قوانين اخرى . ولكنّ الخامس والسادس من هذه القوانين المضافة هما من اعمال مجمع السنة ٣٨٢ لا ٣٨١ . واما السابع فانه في الارجح نبذة من رسالة وجهتها كنيسة القسطنطينية في منتصف القرن الخامس الى مرتيريوس اسقف انطاكية (٣) .

وختم الاساقفة اعمال المجمع المسكوني الثاني في التاسع من تموز سنة ٣٨١

1) *Schwartz, P., Zeitschrift fur Neutestament, 1926, 38 - 88.*
2) *Harnack, A., Dogmengeschichte, 276 - 278; Bardy - Palanque, Victoire de l'Orthodoxie, Fliche et Martin, op. cit., III, 287, n. 5.*
3) *Luebeck, K., Reichseinteilung und Kirchliche Hierarchie des Orients, 172-191; Grumel, V., Régestes des Actes du Patriarcat de Constantinople, I, 1-2.*

وحرروا بذلك رسالة الى ثيودوسيوس الامبراطور وشكروا له دفاعه عن الايمان القويم وسعيه لتوطيد السلم بين الكنائس . فأصدر الامبراطور في الثلاثين من تموز سنة ٣٨١ براءة جديدة أوجب بها اعادة الكنائس الى الكاثوليكيين الارثوذكسيين واعتبر ارثوذكسيين اولئك الذين شاركوا نكتاريوس القسطنطينية وتيموثاوس الاسكندرية وبيلاجيوس اللاذقية وديودوروس طرسوس وغيرهم (١) . وكانت اسقفية انطاكية لا تزال شاغرة بعد وفاة ملاتيوس .

فلافيانوس اسقف انطاكية : (٣٨١ ــ ٤٠٤) وتوفي ملاتيوس في أواخر ايار السنة ٣٨١ فبكاه الأمبراطور والأساقفة وأبّنه أفصح الخطباء . ومما قاله ابو الآباء غريغوريوس النيصي أحد أعضاء المجمع المسكوني الثاني : « كيف اضطر لساني على حبك الكلام وقد قيدته الطامة كالسلسلة . كيف أفتح فمي وقد أطبقته الدهشة . كيف أحدق بعين النفس وانا مغلّف بحلك الأهوال . اين شراعنا المجيد الذي كان يسير بهدي الروح القدس . اين ثبات العقيدة الذي كنا نفزع اليـه واثقين . اين النوتي الحكيم الذي كان يقود السفينة الى الهدف الاسمى . فافقهوا اي رجل هذا : جليل من مشارق الشمس صدّيق بلا لوم تقي متنكب عن كل أمر رديء » (٢) .

وبحث الآباء المجتمعون في القسطنطينية أمر خلافة الرسولين في انطاكية فارتأى غريغوريوس الثيولوغوس الاعتراف برئاسة بفلينوس الذي كان لا يزال في قيـد الحياة ولا سيما وان اسقفي رومة والاسكندرية كانا لا يزالان يعترفان بسلطته على انطاكية وتوابعها . ولكن الأساقفـة الأعضاء الصغار « ضجوا ودندنوا » والكبار أعرضوا ولم يوبخـوا فاضطر الثيولوغوس ان يقول قوله المأثور : « اذا كان السيد له المجد ولد في الشرق فانه صلب فيه ايضاً » (٣) . واستقال الثيولوغوس من رئاسة المجمع ومن اسقفية القسطنطينية وأجمع الأعضاء على نكتاريوس خلفاً له وعلى فلافيانوس الكاهن خلفاً لملاتيوس .

1) *Cod. Theod., XVI, 3.*
٢) الكنيسة السريانية الانطاكية لسويريوس يعقوب مطران بيروت ودمشق وتوابعها ، ج ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٧٧ ; *Grégoire de Nazianze, Carmen de Vita Sua, 1573*
3) *Grégoire de Nazianze, op. cit., 1690 - 1693.*

ونفّذ شابور الحاكم العسكري ارادة ثيودوسيوس في انطاكيـة فطرد دوروثيوس وأتباعه الآريوسيين ولم يعترف برئاسة بفلينوس (١) فأجمع الأساقفة في انطاكيـة وانتخبوا فلافيانوس اسقفـاً وسلموه عكاز الرعاية (٢) .

وزهت الكنيسة في عهد فلافيانوس وعاد اليها نشاطها السابق ولكن رومة ثابرت في تأييد بفلينوس ! وكبر بفلينوس وبلغ المئة . وكان لا يزال مكابراً فخرج على مقررات المجمع المسكوني الأول وسام هو نفسه افاغريوس خلفاً له ثم توفي في السنة ٣٨٨ . فعاد النشاط الى صفوف الافستاثيين في انطاكية فأتهموا فلافيانوس بالاستبداد والظلم والجور واستغاثوا بالغرب ولا سيا باسقف ميلان امبروسيوس وانتهزوا فرصة وجـود ثيودوسيوس في رومة في صيف السنة ٣٨٩ فحاولوا تقويض اسس المحبة والاحترام بين الامبراطور وخليفة الرسولين في انطاكية (٣).

ودعا امبروسيوس اسقفَ انطاكية الى كابوا في ايطالية في أواخر السنة ٣٩١ لمقابلة افاغريوس فيها . ولكن فلافيانوس ابى ان يعاد النظر في أمر انتخابه (٤). فلجأ امبروسيوس الى اسقف رومة والحّ عليه بوجوب تدخل ثيوفيلوس اسقف الاسكندرية في الأمر . فكتب سيريقيوس اسقف رومة الى ثيوفيلوس في ذلك . فالتأم مجمع محلي في قيصرية فلسطين في السنة ٣٩٢ للنظر في الخلاف القائم بين افاغريوس وفلافيانوس فاعترف الأساقفة المجتمعون باسقف واحد على انطاكية هو « فلافيانوس التقي الورع » . وعلى الرغم من هذا كله فان رومة تباطأت فلم تعترف باسقفية فلافيانوس الا بعد ذلك ببضع سنوات ! (٥) .

★

1) *Théodoret, Hist. Ecc., V, 23.*
2) *Socrates, Hist. Ecc., V, 9; Sozomène, Hist. Ecc., VII, 11; Cavallera, F., Schisme, 254 - 255.*
3) *Théodoret, Hist. Ecc., V, 23.*
4) *Ambroise, Epist., 56.*
5) *Cavallera, F., Schisme, 286.*

الفصل التاسع عشر

يوحنا الذهبي الفم

٣٤٥ — ٤٠٧

وأنجبت كنيسة انطاكية في أثناء محنتها أفصح الآباء لساناً وأبلغهم قلماً وأشدهم ذوداً عن حرمة الدين وشرف الايمان . هو يوحنـا الذهبي الفم الذي لا يزال يهزنا بصلواته هزاً ويثير فينا بمواعظه خوف الله وطاعته .

مولده وصباه : أبصر يوحنا النور في انطاكية في السنة ٣٤٥ من أب عريق في الشرف سكوندوس *Secundus* قائد القوات الرومانية في سورية وأم مسيحية تقية انثوسة *Anthusa* الشهيرة .

ولدت انثوسة ابنة ثم ابناً . وتوفي سكوندوس في السنة الرابعـة لزواجه فترملت انثوسة وهي لا تزال في العشرين من عمرها . واحتقرت اباطيـل هذه الدنيا وزهدت في ملاذها فرفضت الزواج بعد ترملها وعطفت على ولديها وتفرغت لها فربتهما تربية مسيحية خالصة ونالت بذلك اعجاب جميع معارفها المسيحيين منهم والوثنيـين . واضطر ليبانيوس الفيلسوف الوثني ان يعترف باخلاصها وثباتهـا وان يهتف قائلا : « ما أعظم النساء عند المسيحيين ! » (١) .

تهذيبه وتحصيله : وشب يوحنا فطلب اللغة والبيان في مدرسة ليبانيوس أشهر بلغاء عصره فأجاد اليونانية وشرب من مناهلها الكلاسيكيـة حتى تضلع فكانت له خير عون في مواعظه وشروحاته ورسائله . ولمس ليبانيوس مواهب تلميذه فافتخر به وعده أبرع خطباء عصره . وقال لتلاميذه عند احتضاره : لقد كان في ودي ان أختار يوحنا لادارة مدرستي من بعدي ولكن المسيحيين سلبوه

1) *Schaff, P. S., Nicene and Post - Nicene Fathers, IX, 5 ; Ad Viduam Juniorem, Opera, Ed. Bened., I, 340.*

منا (١) . وطلب يوحنا الفلسفة فقرأها على انذروغاثيوس *Androgathius* في انطاكية ايضاً . وكان ليوحنا في حيـــاة التلمذة عدد من الأصدقاء الصادقين المخلصين الامناء . ولكن واحداً بينهم كان أرفع من غيره في اخلاص الولاء وهو باسيليوس الذي أصبح فيما بعد اسقف رَفَنية بالقرب من مصياف لا باسيليوس الكبير كما ظن بعض الباحثين (٢) .

زهده وورعه : وأراد باسيليوس ان ينتقي لنفسه سيرة الزهد ويعبر الى حمى « الفلسفة الحقيقية » وأطلع صديقـــه يوحنا على ذلك وحثه على ترك العالم ولكن يوحنا لم يقبل . ومن هنا قوله : مال الميزان بيننا فارتفعت كفـــة صديقي وهبطت كفتي تحت ثقل الملاذ الدنيوية والأميال الشبابية (٣) .

وامتهن يوحنا المحاماة ليلفت النظر الى مواهبه ومداركه ويصعد بها الى أعلى الدرجات . وبهر أقرانه في قاعات المحاكمة بفصاحته وبلاغته ونال اعجاب القضاة ورجال الحكم . ثم رغب عنها فجأة وترفع فتركها أنفة واستنكافاً .

وكانت امه قد زرعت في قلبـــه خوف الله وحب الفضيلة فأقبل على الانجيل والتوراة يستقي ايماناً ومحبة وطهراً . وكان ملاتيوس الجليل في القديسين اسقف انطاكية يرقب تقدم يوحنا في العلم والفضيلة . فلما تيقن من زهده أحله في دار الاسقفية وأرشده ثلاث سنين متتالية ثم منحه سر المعمودية ورقاه الى درجة القارىء . ولا يخفى ان بعض المسيحيين آنئذ هابوا سر المعمودية وتحرزوا من عواقب الوقوع في الخطيئة بعدها فآثروا تأجيل ممارسة هذا السر حتى سن متأخرة . وليس في المراجع ما يبين لنا سبب تأخر انثوسة عن تعميد ابنهـــا ووحيدها او سبب تأخر يوحنا نفسه عن سماع الوعظ وتقبل النعمة حتى الثالثة والعشرين . وقد يكون السبب في ذلك انقسام الكنيسة في انطاكية على نفسها وقد لا يكون (٤) .

1) *Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 2.*
2) *Socrates und Kurtz, Kirchengeschichte, I, 223.*
3) *Sacerdotio, I, 3.*
4) *Stephens, W. R. W., Introduction to the Treatise on the Priesthood, Nicene and Post-Nicene Fathers, IX, 28.*

وبالمعمودية « رفع يوحنا رأسه فوق أمواج بحر العالم الجائشة » (١) فهرع اليه باسيليوس وعانقه ولازمه ابتغاء ارشاده . واتفق الاثنان على الانزواء في مسكن واحد مبتعدين عن العالم مكرسين وقتهما للدرس والتأمل والصلاة . ولكن انثوسة ذكّرت ابنها بترملها الباكر وامتناعها عن الزواج للقيام بواجبها له ولاخته وطلبت اليه بلجاجة ان يعود اليها فرضخ لسؤالها (٢) . وبقي معهـــا ولكنه حبس نفسه في البيت ولازم الصمت وقضى وقته في المطالعة والصلاة (٣). ثم أنشأ بالاشتراك مع صديقه باسيليوس اخوية نسكية ضمت بعض رفاقهما في التلمذة أمثال ثيودوروس اسقف موبسوسته فيما بعد ومكسيموس اسقف سلفكية اسورية. وخضعت هذه الأخوية فيما يظهر الى ديودوروس وكرتيريوس الراهبين الرئيسين في انطاكيـــة آنئذ . وهاك ملخص ما قاله الذهبي الفم في وصف هذا التنسك :

« منذ نصف الليل وعند صياح الديك يهب رئيس الجماعة ويطوف على غرف الاخوة فيمس كلا منهم برجله ناطقاً بعض كلمات مقدسة ليوقظهم ويدعوهم الى الصلاة . فيقومون بصمت وتهيب ويرفعون قلبهم وأصواتهم الى الله ويتلون مناوبة صلاة السحر والتسابيح . ثم يعودون ساكتين الى مخادعهم فيتبحرون متأملين في الأسفار المقدسة او ينصبون على التأليف . ثم يجتمعون في الكنيسة خمس مرات في النهار لتلاوة الساعات الاولى والثالثة والسادسة والتاسعة والغروب . أما ساعات الفراغ في النهار فانهم كانوا يقضونها بالأعمال اليدوية كحراثة الأرض وحياكة السلال والمسوح وخياطة ثياب الفقراء وجمع الحطب ونقله الى الدير وحمل ما يحتاج اليه من القوت واصلاح الاطعمة . وكان بابهم مفتوحاً يرحبون بكل ضيوفهم ان أغنياء او فقراء مرضى او قطاع طرق أبراراً او خطأة أصدقاء او أعداء . وعندما كان الغريب يطأ عتبة الدير كانوا يحيونه بالفاظ مقدسة ثم يأتي أحد الاخوة وينفض عن ثيابه الغبار ثم يغسل رجليه ويقبلهما

1) *De Sacerdotio, I, 3.*
2) *Ibid., I, 3 - 5.*
3) *Ibid., VI, 12.*

ثم يجلسه الى مائدة الضيوف ويقف أمامه باحترام لخدمته .

« وعند المساء بعد زوال النهار كانوا يجتمعون كلهم لتناول غدائهم الوحيد وهو الخبز والملح لا غير . وكانوا لا يأكلون الزيت الا قليلا . أما اذا توعك أحدهم أو أضناه المرض فكانوا يأذنون له بأكل بعض الأعشاب والخضر المسلوقة . وبعد صلاة النوم كانوا يتوغلون في التأمل ثم ينطلقون لينالوا نصيباً من الراحة . وكان فراشهم حصيرة ممدودة على الأرض فكانت لهم في النهار مجلساً وفي الليل سريراً . وكانوا يمشون حفاة وليس على أبدانهم الا أنسجة غليظة من شعر الماعز او وبر الابل او بعض الجلود الجافة . وكانوا كلهم في المأكل والملبس سواء مهما كان شرف أصلهم وغنى اسرتهم » . مأخوذ بتصرف عن نخبة النخب ص ١١ ــ ١٣ .

وفي السنة ٣٧٤ شاع في الأوساط النصرانية في انطاكية ان اصحاب الرأي والقول من رجال الاكليروس والشعب مزمعون ان يرقوا باسيليوس ويوحنا الى درجة الاسقفية (وفي بعض النسخ الى درجة الكهنوت) (١) . وقضى العرف آنئذ بوجوب الرضوخ في مثل هذه الأحوال لمشيئة الشعب والاكليروس وجاز لهؤلاء اكراه من يرون فيه الكفاءة على قبول ما يقرون . (ومن هنا بكاء القديس اوغوسطينوس قبل سيامته) . وعلم باسيليوس بما تضمره له ولرفيقه الأوساط الدينية العالية فجاء وأسر الى يوحنا هذا الخبر وتوسل اليه ان يبيح له بما في ضميره ليعمل ما هو عامل . فان رضي يوحنا بالاسقفية انضما فيها كلاهما وان رفضها هربا معاً . فأجاب يوحنا جواباً مبهماً فهم باسيليوس منه الترغيب في قبول الاسقفية . وحان الوقت وجاء الاسقف الراسم فتوارى يوحنا ورسم باسيليوس وحده فاستثقل باسيليوس الحمل ولا سيا لما وجد رفيقه قد أفلت منه فجاءه متذمراً باكياً مذكراً كيف تصافيا على المحبوب والمكروه وكيف رسخت بينهما قواعد المودة وتوثقت عرى المحبة مؤكداً انه لم يتهم وده قط ولم يخش غدره مرة

1) *Stephens, W. R. W., St. Chrysostom: Treatise Concerning The Christian Priesthood, Nicene and Post-Nicene Fathers, IX, 35, n. 1.*

واحدة (١) . فوقع هذا الكلام في قلب يوحنا وقعاً شديداً فأنشأ كتابه الشهير في الكهنوت مبيناً سمو مرتبته . وافتخر بالخديعة التي اقترفها لأنه بها أعطى الكنيسة كاهناً بحسب قلب يسوع المسيح . واعتبر الكاهن قديساً وملاكاً وجيشاً وقاضياً وطبيباً وراعياً . وقال : « ان الكهنوت يباشر على الأرض الا انه مرتب بين العجائب السماوية لأنه لم يرتب من انسان ولا من ملاك ولا من اية قوة اخرى مخلوقة بل من المعزي الالهي نفسه . ويرسم صورة الحرب الواجبة على كل كاهن فيرى في الكاهن جندياً مدافعاً عن الكنيسة جسد يسوع المسيح السري مسلحاً بسلاحين سلاح المثل الصالح وسلاح الكلام الذي يسند القلب ويؤيده (٢) .

وكان غضب والنس قد جاش على الأرثوذكسيين في السنة ٣٧٣ فأكره نساكهم ورهبانهم على الخدمة العسكرية او المدنية التي تفرضها الدولة . واعتبر بعض المسيحيين تقشفات النساك ضرباً من الجنون فهزؤوا بهم واهانوهم اينما وجدوهم وفاخروا بما فعلوا . وضحك الوثنيون على الطرفين . فأخذت الكآبة من نفس يوحنا كل مأخذ . وعلم أحد الأصدقاء بهذا الانفعال النفساني الشديد فحض يوحنا ان يقيم من كلامه حصناً يدرأ به نار الاضطهاد فتردد يوحنا ثم أنشأ ثلاثة كتب في اطراء السيرة النسكية . ولا تزال حتى يومنا هذا من أفضل ما صنف في موضوعها .

وازداد يوحنا في هذه الفترة (٣٧٤ ــ ٣٨١) رغبة في الكمال الرهباني فتوغل في وادي العاصي وأوى الى مغارة عند مصبه . فلم يقو جسمه على هذا التقشف الجديد فهزل قديسنا وحل به داء عضال . فظن هو انه قد قارب أصدق المواعيد فعاد الى انطاكية « ولم يدر ان الله انما افتقده لما رأى ثمره نضج وقد حان الوقت ليرفع صوته ويسطع نوره في افق الكنيسة » .

الشماس والكاهن والواعظ : (٣٨١ ــ ٣٩٨) وكان الجليل في القديسين ملاتيوس قد عاد الى انطاكية في صيف السنة ٣٧٨ . فلما أطل يوحنا على دار الاسقفية ابتهج الاسقف الانطاكي الجليل وجاء به ورسمه شماساً رغم معارضته .

1) *De Sacerdotio, I, 6.*
2) *De Sacerdotio, III, 1 - 6.*

فوزع الصدقات اليوميــة وزار المرضى والحزانى وحافظ على النظام والهدوء في الاجتماعات الروحيــة وعاون الاسقف في خدمة الأسرار وحمل المناولة الى المرضى .

ودعي ملاتيوس لحضور المجمع المسكوني القسطنطيني (٣٨١) فاستصحب يمينه الكاهن فلابيانوس ووكل السهر على شؤون الكنيسة في انطاكية الى شماسه يوحنا . ثم توفي ملاتيوس في اثناء انعقاد هـــذا المجمع فبكاه يوحنا لأنه فقد به مرشداً ومحامياً. وأجمع الآباء الانطاكيون أعضاء المجمع القسطنطيني على فلابيانوس خليفــة للرسولين وأيدهم في ذلك غيرهم من أعضاء هذا المجمع . وتم انتخابه وتسنم السدة الانطاكية فتوثقت بينه وبين يوحنا عرى المحبة وشرع يفكر في ترقية الشماس يوحنا الى الكهنوت . ثم وضع يده عليه في كنيسة القديس بولس سنة ٣٨٦ فجعله كاهناً وواعظاً. وسمعت كنيسة انطاكية خطب يوحنا فأخذتها الدهشة وأصغت جامدة لا تبدي حراكاً . فلك يوحنا قيادتهـــا بزمام فصاحته ومثال قداسته فكان يديرها كيف شاء . ولم يكتف بضرب معاقل الرذائل ودكها بل سعي لاصلاح المجتمع ومعالجة قضيتي الفقر والرقيق . فمثل المصائب تمثيلا بارعاً وحرك الأغنياء ان يمدوا يد المعونة فشرعت الكنيسة في انشاء المستشفيات والمآوي برئاسة الاسقف وتدبير الشمامسة والقساوسة .

الذهبي الفم وعيد الميلاد : (٣٨٦) وبدأت كنيستنا الانطاكية تحتفل بعيد الميلاد في ايام الذهبي الفم آخذة بذلك عن كنيسة رومة . فلما سيم قديسنا قساً في السنة ٣٨٦ رأى من واجبــه اقناع المؤمنين بأهمية العيد المجيد فقال مما قال في العشرين من كانون الأول :

« ايها المسيحيون ان العيد المقبل علينا هو العيد الأكثر وقاراً وهيبـــة بين جميع الأعياد . ولا نخرج عن محجة الصواب اذا قلنا انه ابو الأعياد . فلو لم يولد المسيح بالجسد لما كان اعتمد ولا صلب ولا ارسل الروح القدس . ومن ثم فما كنا نقيم عيد الغطاس ولا الفصح ولا العنصرة . فمن عيد الميلاد المجيد تولدت جميع الأعياد السيدية وتدفقت منه كما تتدفق الأنهار من ينبوع واحد . فاطلب اليكم والتمس منكم جميعاً ايها الاخوة ان تتركوا منازلكم وتوافوا الى الكنيسة بجد ونشاط لنشاهد السيد موضوعاً في مذود » .

وعاد قديسنا الى الوعظ في يوم عيد الميلاد بفصاحته المعهودة فقال قولاً بليغاً خالداً وسجل بعض الأخبار المفيدة لتاريخ هذا العيد فألمع الى اننا لم نبدأ بالاحتفال به في كنيستنا الانطاكية قبل السنة ٣٧٦ واننا اخذناه عن الغرب :

« ولئن كان ظهور هـــذا اليوم الشريف ومعرفتنا اياه من مدة لا تنيف على عشر سنوات فمع ذلك بما أظهرتموه فيه ايها المسيحيون من الجد والنشاط قد ازدهى وأضاء كأنه مسلم به قديماً . وقد كان معروفاً منذ البدء بين الشعوب القاطنين في الغرب ودخل بيننـــا حديثاً ومع ذلك فقد اينعت ثماره الدانية القطوف بغزارة تظهر لديكم جلياً مما تشاهدون من احتشاد الشعب في الدار وما حولها فضلا عن ان الكنيسة ضاقت بالذين وافوا اليها . وقد بلغني انه قامت مناظرة بشأن هذا العيد وان البعض نددوا بتعيين هذا اليوم وابوا ان يشتركوا في الاحتفال به نظراً لكونه مستحدثاً والآخرين احتجوا على ذلك وناضلوا عن اقامة هذا التذكار المجيــد مبينين انه قديم وان الأنبياء قد سبقوا وأعلنوا عن يوم ميلاد السيد وانه معروف عند جميــع الشعوب القاطنين بلاد راكي حتى بلاد اسبانية ويحتفلون به كثيراً » .

وثورة انطاكية : وتلطخت ادارة ثيودوسيوس بالرشوة . وكتب ليبانيوس الفيلسوف الانطاكي الى الامبراطور يقول : « حكامك الذين تبعثهم الى الولايات ليسوا سوى قتلة » . وجاءت السنة ٣٨٧ فشرعت الحكومة المركزية تتهيأ للاحتفال بمرور عشر سنوات على حكم الامبراطور وباتمام السنة الخامسة لاشراك ابنه اركاديوس بالسلطة . فاستثقل الانطاكيون هذه الترتيبات المالية الجديدة وتقدم أعيانهم الى عامل الامبراطور في انطاكية يسألونه رفع هذا العبء. فلم يلتفت الى سؤالهم . وأبدى جباة الضرائب الجديدة عنفاً وقسوة فأمسوا هدفاً للشتائم واللعان . واشتدت وطأة هـــذا الظلم على الفقراء فأخذوا يتجولون في الشوارع وجعلوا يجدفون على الامبراطور وأسرته . وحطموا تماثيلهم النحاسية ولا سيما الامبراطورة بلاكلّة التي كانت قد غمرت الانطاكيين بالاحسانات. فانهم جروا تماثيلها في الأوحال والأقذار ثم كسروها قطعاً . واختبأ رجال السلطة في منازلهم وحذا حذوهم سائر الأعيان والوجهاء فأمست المدينة في يد أهل الفوضى فنهبوا ودمروا وخربوا تخريباً . ثم أفاقوا فتأملوا مرتجفين وتوقعوا نزول العقاب. فهجر بعضهم المدينة وهرب آخرون الى الهضاب المجاورة .

وتفطر قلب فلابيانوس الاسقف وخشي سطوة الامبراطور فأشفق على خرافه من ان يؤخذ البريء بذنب الجريء وقر قراره ان يطرق باب الامبراطور نفسه ويلتمس العفو منه . فسار في ابان الشتاء مسرعاً ليسبق السعاة المنفذين لانذار ثيودوسيوس بما جرى . فنظر الانطاكيون الى هذه الغيرة بعين الارتياح والتقدير وشخصت أبصارهم الى خليفته الذهبي الفم . فاقتدى هـذا بأصحاب ايوب ولزم جانب الصمت سبعة أيام ثم أخذ يعزي نفوسهم مؤكداً حماية يسوع مذكراً ببلايا ايوب وبالفتيان الثلاثة الذين ظلوا يسبحون الرب في وسط اتون النار .

وبلغ ثيودوسيوس خبر الاضطرابات في انطاكية من الاشاعات قبل وصول السعاة فاستشاط غضباً وجزم بأن ينزع عن جميع انطاكية امتيازاتها وينقل عاصمة المشرق الى اللاذقية وأوفد اليها قائدين كبيرين الليبيكوس *Ellebichus* وقيصاريوس . فلما وصلا الى انطاكية في الثاني والعشرين من شباط من السنة ٣٨٧ أعلنا سقوط امتيازات المدينة وأقفلا الملاعب والمشاهد والميدان والحمامات وشرعا ينقبان عن المجرمين . ووقعت الشبهات على كثيرين من وجهاء المدينة لتقاعدهم عن قمع الهيجان فأوثقوا وطرحوا في السجون وحجز على أموالهم وطردت نساؤهم من بيوتهم ولم يجرؤ أحد ان يقبلهن عنده خشية ان يتهم بمشاركة أزواجهن . فتولى الذهبي الفم التعزية بنفسه وأقبل لمساعدته بعض أساقفة الكرسي الانطاكي وعدد من الرهبان والنساك . وامتاز بين هؤلاء مقدونيوس الناسك فانه أوقف معتمدي ثيودوسيوس وقال لهما قولا حكيماً وطلب اليهما ان ينقلاه الى سيدهما . وخلاصة هـذا القول ان ليس له ان يمحو من سفر الحياة صورة الله الممتازة . فاندهش المعتمدان من بلاغة هذا الشيخ الزاهد وقوة لهجته ووعداه بأنهما لا يمسان أحداً بسوء قبل ان يرفعا كلمته للامبراطور .

وقابل الذهبي الفم موقف الأساقفة والنساك والرهبان في هـذا الحادث الجلل بموقف كبار الوثنيين فقال في احدى مواعظه ما معناه : أين هم الآن اولئك الرجال أصحاب الطيالس الطويلة واللحى العريضة الذين كانوا يتمشون شامخي

الانوف في الأندية العمومية وفي يدهم عصاً ! أين هم في ساعة الأحزان والذعر لقد هجروا المدينة عند حلول الخطر وفروا الى المغاور والأودية اخفاء لعار ضعفهم. ولم يأت لاغاثة الشعب في ضيقه الا محبو الحكمة الحقيقية حكمة الصليب هؤلاء النساك مستودعو كنز تعليم الرسل وورثة غيرتهم وشجاعتهم . وكفى بالحوادث صوتاً يفحم كل خصم ــ نخبة النخب ٢٩ .

ووصل اسقف انطاكية فلابيانوس الى القسطنطينية وهرع الى البلاط . وكان قد عاني من التعب أشده ولا سيا وانه سافر في أثناء الصوم الكبير وحفظ فريضته. فلما أبصره ثيودوسيوس تصدع قلبه اسفاً فذكر الامتيازات والاحسانات التي غمر بها انطاكية وقال أهذا هو عرفان الجميل ؟ فرد عليـه الاسقف الشيخ خليفة الرسولين بخطاب طويل . وأفضل ما جاء فيه قوله : اني لست فقط رسول شعب انطاكيـة بل ايضاً سفير الله أتيت باسمه انبئك انك ان غفرت للناس سيئاتهم وهفواتهم غفر لك أبوك السماوي مساوئك وزلاتك . افتكرن في ذلك اليوم الرهيب حين نلتزم جميعـاً ان نؤدي عن أعمالنا حساباً . تذكر انك اليوم تستطيع بلا عناء ولا دموع وبكلمة واحدة ان تعطف عدل الله ابيك وتؤكد لك في دينونة يسوع المسيح الحصول على الصفح والغفران فبمثـل ما تحكم الآن يحكم عليك . ان سائر السفراء يمثلون بين يديك ببهاء الذهب ووفرة الهدايا وكثرة المال أما انا فلا اقدم لك الا شريعة يسوع المسيح المقدسة والمثل الذي اعطاناه بموته على الصليب ليستحق لنا مغفرة سيئاتنا . فمست الشفقة قلب ثيودوسيوس وأجاب : ان كان يسوع ربنا وسيدنا قد صار لأجلنا عبداً واسلم نفسه ليصلب وان كان قد سأل أباه المغفرة لصالبيـه فكيف أتجاسر ان أتردد في المغفرة لأعدائي ــ نخبة النخب ــ ٣٧ ــ ٤١ .

وعاد فلابيانوس الى انطاكية حاملا العفو المنشود واحتفل بعيد الفصح المجيد فانبرى الذهبي الفم يرد آيات الشكر والتسبيح لأن شعب انطاكيـة كان ميتاً فعاش وضالا فوجد (١) .

1) *Chrysostomos, J., Hom. I - XXI; Libanius, Disc., XIX - XXII, XXXIV; Sozomène, Hist. Ecc., VII, 23; Théodoret, Hist. Ecc., V, 20; Hug, A., Antiochia und der Aufstand im Jahre 387; Goebel, R., De Ioannis Chrysostomi et Libanii Orationibus quae sunt de Seditione Antiochensium; Baur, C., Chrysostomus und seine Zeit, 2 Vols., Munich, 1929 - 1930.*

أسقف رومة الجديدة : (٣٩٨ ـ ٤٠٤) وتوفي نكتاريوس اسقف القسطنطينية في خريف السنة ٣٩٦ فأصبح كرسي رومة الجديدة كرة شقاق بين الشعب وبين رجال الكهنوت . وكان ثيودوسيوس قد توفي في مطلع السنة ٣٩٥ مخلفاً أزمة الحكم ليدين ضعيفتين لابنيه اركاديوس في الشرق واونوريوس في الغرب . وتسلط على اركاديوس وزيره الأكبر روفينوس ثم قوي على هـذا الخصي افتروبيوس فأسقطه وجلس في مكانه . وهذا هو الذي عهد اليه من حيث منصبه ان يرفض توسلات اولي الأطماع وان يفتح اذنه الى وحي ضمير المؤمنين وصوت الشعب المسيحي الحقيقي . وكان افتروبيوس الخصي قد عرف الذهبي الفم في أثناء احدى رحلاته الى « الشرق » فاعجب بفصاحته وقدر فضله فلم يجد أجدر منه باعادة شعب العاصمة الى الفضائل المسيحية . ولعله أحس بوحي اوتيه من فوق . فانه عند المجاهرة باسم الذهبي الفم استصوب الجميع هذا الاختيار . وعرف الخصي تعلق الانطاكيين بمرشحه فكتب الى فيكتور استريوس والي الشرق ان يرسل يوحنا خفية دون اطلاع أحد من الانطاكيين على ذلك . فبادر الوالي الى التنفيذ ووجد ان أيسر الطرق هو الاحتيال باخراج يوحنا الى ظاهر البلد ليتمكن من تسفيره سراً . فدعا الوالي الكاهن يوحنـا الى زيارة قبور الشهداء خارج أسوار المدينة . فعد يوحنا هذه الرحلة واجباً مقدساً ورضي بها . وما كاد يعبر باب انطاكية حتى استلمه أحد الخصيان وقائد من البلاط وحملاه الى القسطنطينية (١) .

ورغب الامبراطور ومن حوله ان يستقبلوا المرشح الانطاكي بما استطاعوا من العظمة والابهة والاجلال لأنه سيتبوأ أسمى المناصب في الكنيسة بعد اسقف رومة . فدعا الامبراطور الى مجمع محلي للانتخاب وجمـع كل أكابر العاصمة واستدعى ثيوفيلوس اسقف الاسكندرية ليحتفل بوضع يده على الذهبي الفم وتسليمه عكاز الرعاية .

ولم يرضَ ثيوفيلوس عن مقررات المجمع المسكوني الثاني التي جعلت من اسقف القسطنطينية الثاني في الكرامة بعد اسقف رومة . وخشي مواهب يوحنا

1) *Sozomène, Hist. Ecc., XIII, 2; Palladius, Dialog., V, 19.*

وقداسته فأحب ان يجعـل ايسيدوروس الكاهن الاسكندري اسقفاً على رومة الجديدة . وكان هذا الكاهن راهباً فاضلا ولكنه ساذج مطواع فأحبه ثيوفيلوس لأنه رأى في انقياده الأعمى آلة يديرها في يده كيف شاء (١). فجاهر ثيوفيلوس بعـدم الرضى فاضطر افتروبيوس الخصي ان يقول لهذا الاسقف : « أمامك أحد أمرين أما ان تنقاد لرأي الأساقفة والوجهاء وأما ان تدافع عن نفسك ضد المشتكين عليك » ! فارتبك ثيوفيلوس واحتفل برسامة يوحنـا الذهبي الفم في السادس والعشرين من شباط سنة ٣٩٨ (٢) ويجـوز القول ايضاً مع السنكسار القسطنطيني ان هذه الرسامة تمت في منتصف كانون الأول من السنة ٣٩٧ (٣).

ولم يعبأ يوحنا بابهة العاصمة ولم يتعاظم بعظم مركزه ولم يتباه بقربه من البلاط بل حاول ان يوفق بين حياته الرعائية وبين حياة الخلص. وابتدأ بالاصلاح من بيته فخفض النفقات وبذل ما فاض من الدخل في سبيل اسعاف الفقير وتخفيف مصائب المرضى. وسعى سعياً حثيثاً لحماية خرافه من حملات الهراطقة ـ الآريوسيين والافنوميين والمانيين والمركونيين والفالنتينيين . والافنوميون كانوا أتبـاع افنوميوس اسقف كيزيكة وقد سبقت الاشارة اليه في فصل سابق .

وعني هذا الأسقف القديس باصلاح الاكليروس فسلق بعضهم بلسانه سلقاً وأوجب عليهم الزهد في الملبس والمأكل والقيام بالواجب المقدس . وكان لكلامه وقع شديد في قلوب السامعين فانقاد اكليروس القسطنطينية لصوته وعاد عدد كبير منهم الى ما اعتاد عليـه آباء الكنيسة الأولون من التواضع والفقر والقناعة والقداسة . وكان الارشدياكون سرابيون أشد من الذهبي الفم غيرة على الاصلاح فأمسى افراطه في التنقيب والتأنيب عثرة في سبيل القديس . فحقد بعض رجال الاكليروس على الاسقف وعلى الارشدياكون واضطر الاسقف بعد ان يئس من اصلاحهم ان يقطعهم من جسم الكنيسة . وتفقد القديس بنفسه جميع الأديرة فأثنى على المحافظين على فرائض الدعوة وأكره الذين نفخ فيهم ريح العالم

1) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 2; Palladius, Dialog., VI, 22.*
2) *Socrates, Hist. Ecc., VI. 2.*
3) *Synaxaire de Constantinople, (Ed. de la Haye), 312 - 313.*

على الرجوع الى الأديرة والتقيد بقوانينها وتقاليدها . وحرم على الكهنة قبول العذارى المصونات في بيوتهم . وأنشأ للعذارى مآوي انقطعن فيهـا للصلاة والفضائل ولنسج ثياب الفقراء وتزيين الكنائس وجعـل عليهن اماً واحدة لسياستهن نيكارتية النيقوميذية . ثم التفت الى اصلاح ما فسد من أحوال الأرامل فئة الكنيسة العاملة في أوائل عهدها . فمنعهن عن التردد الى البيوت والحمامات والملاعب وأمرهن ان يعتضن عنهـا بالتأمل والصلاة ومؤاساة الفقراء وعيادة المستشفيات وحتم انهن ان استثقلن الترمل فليتقيدن بزواج ثان خير لهن واولى . وفاقت اولمبياذة جميع الأرامل بجميل فضائلها وكثرة حسناتها. وكانت قد ترملت وهي في العشرين من عمرها فالتحقت بأحد الملاجيء . فلما أتى يوحنا القسطنطينية كان لها من العمر خمسون سنة . فأثرت شخصيته في نفسها فعرضت عليه خدماتها وأموالها . فأنفق القديس عن سعة في سبيل تبشير القوط والروس وبعض الفينيقيين في تلال لبنان وفي انشاء المؤسسات الخيرية .

سقوط افتروبيوس : (٣٩٩) وكان افتروبيوس ثاقب العقل وقاد الفكر ينظر في مشاكل ويحلها من أبواب لم يستطع غيره الوصول اليها فكبرت منزلته في عين اركاديوس ورأى فيه الرجل الوحيد الذي لا غنى عنه في تدبير السلطنة . وولد هذا الاحترام في قلب الخصي صلفاً وتيهاً .

وكان ثيودوسيوس قد أدخل الى صفوف الجيش عدداً كبيراً من القوط ولا سيا في سلاح الخيالة . وكان بعضهم قد خدم الجيش باخلاص وأبلى البلاء الحسن فرقي من رتبـة الى رتبة . وكان بين هؤلاء غايناس القوطي . وكان غايناس يهتم بشؤون القوط أبناء جنسه . ولم يكن عدد هؤلاء قليلا في العاصمة . فأصبح غايناس أحد زعماء السياسة . وأصبحت سياسة العاصمة تطاحناً مستمراً بين غايناس وبين افتروبيوس . وكان لغايناس نسيب اسمه تربيجلد كان مستلماً قيادة بعض الجيوش في آسية الصغرى . فوسوس اليه غايناس ان يجتاح برجاله القوط سهول فريجية مقوضاً وناهباً . ففعل فتظاهر غايناس بالغيظ واستأذن بالانطلاق لاطفاء نار الثورة والعصيان . فسار الى آسية الصغرى وجمع الكل

تحت امرته وزحف على القسطنطينية (١) . فانخلع قلب اركاديوس وفاوض غايناس فكان من أهم شروط الصلح ان يترك الامبراطور وزيره افتروبيوس . ثم أمر الامبراطور بنفي افتروبيوس ثم بقتله فالتجأ هـذا الى الكنيسة وهرع الى المذبح والتزق به ! وتابعه الجنود لالقاء القبض عليه فصدهم الذهبي الفم . وفي اليوم التالي بينما كان افتروبيوس لا يزال بجانب المذبح رقي الذهبي الفم المنبر ووعظ عظته الاولى في حادث افتروبيوس (٢) .

« باطل الأباطيل كل شيء في هذه الدنيا باطل . اين قنصليتك وظروفها الباهرة . اين ذهبت تلك المشاعل الساطعة والرقص ووقع أرجل الراقصين . اين تلك الأعياد والمآدب. اين ذهبت ستائر المرسح واكاليل الزهر. اين تصفيق المدينة وهتافات الملعب . اين اطراء المعاينين المتفرجين . الكل اضمحل . لقد عصفت الزوبعة فزعزعت الشجرة وذرت أوراقها وهددت بقطع عروقها . اين أصدقاؤك المداهنون المالقون . اين مآدبك وخمرك . اين اولئك الذين توددوا اليك وغازلوا سطوتك. هي أحلام تضاءلت وتلاشت عند الفجر. باطل الأباطيل كل شيء باطل. اين اولئك الذين كانوا آلة في يد شهواتك . اين اولئك السائرون أمامك لتمهيد السبيل لقدميك في الطرق العمومية. لقد هربوا عند حلول الخطر وكفروا بنعمتك حرصاً على تخليص أنفسهم . أكذلك يا ترى صنع خدمة الكنيسة . ان الكنيسة التي اضطهدت ايام كنت مسلطاً تفتح ذراعيها اليوم لتعانقك وتحميك . وحذار ايها الشعب ان تفكروا ان غاية كلامي الشماتة على هذه السقطة . كلا لست أقصد فيها الا تأييد الذين لم يسقطوا بعد . فعندما جاؤوا من البلاط أمس ليجرّوه بالقوة هرع الى الاعتصام بالآنية المقدسة وقد امتقع وجهه حتى صار كالأموات وكانت فرائصه ترعد وجميـع أعضائه ترتعش واختنق صوته واعتقل لسانه. ولعلكم تقولون انه بالشرائع البربرية التي سنها قد أغلق في وجهه أبواب هـذا الملجأ . افلا ترون انه قد ضرب نفسه بالضربة عينهـا التي أتاها وانه هو

1) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 6 ; Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 4 ; Théodoret, Hist. Ecc., V, 32.*
2) *Patrologia Graeca, Vol. 52, Col. 391 - 414 ; Nicene and Post - Nicene Fathers, IX, 245 - 265.*

نفسه كان اول مخترق لأحكامه الجائرة . وجاء الآن يكفر على مشهد من السماء عن قساوته عينها . ليكن لدينا عظيماً هذا المذبح المقدس الذي يمسك ويحمي هذا الأسد المقيد » (١) .

ورضي الامبراطور وعفا عن افتروبيوس: فخرج من حمى المذبح المقدس فاعتقل و نُقف عنقه (٢) .

الذهبي الفم وغايناس : وكان غايناس آريوسياً كمعظم القوط أبنـاء جنسه . فلما تغلب على إفتروبيوس دب النشاط الى الأوساط الآريوسية وأخذوا يجتمعون في الليـل أجواقاً يرتلون أناشيد آريوسية . فنظم الذهبي الفم أجواقاً أرثوذكسية وجعلهم فئات يحيون الليل في الهياكل مرنمين لالوهيـة السيد ترانيم وأناشيد . وادى هذا كله الى الاشتباك وسفك الدماء في بعض الأحيان . ولكن غايناس واظب على احترام الذهبي الفم وتقديره واجلاله . وكان من مظاهر هذا الاحترام انه عفا عن اوريليانوس وسترنينوس اكراماً للذهبي الفم (٣) وانه امتنع عن مصادرة احدى الكنائس في العاصمـة للسبب نفسه . وكان بعض القوط أرثوذكسيين فخصهم الذهبي الفم بعنايته ورسم لهم كهنة منهم وأفرد لهم كنيسة يتعبدون فيها بلغتهم (٤) .

أخصام الذهبي الفم : وخشي الوطنيون الروم مطامع غايناس فعاهدوا قوطياً آخر فرافيتة . ولدى خروج غايناس من العاصمة في اوائل السنة ٤٠٠ هجم الوطنيون على من تبقى من عساكره في داخل المدينة وقتلوهم . وعبر غايناس الدانوب ووقع اسيراً في يد الهون وقتل في أواخر السنة ٤٠٠ (٥) .

وبزوال افتروبيوس اولا ثم غايناس زالت هيبة السلطة فجهر أخصام الذهبي الفم بمعارضة أدت مع مرور الزمن الى نفيه ووفاته . وشملت هذه المعارضة منذ البداية عناصر معينـة من الرهبان والأرامل والأساقفة . وتزعم معارضة

1) Stephens, W. R. W., *Eutropius, Patrician and Consul, Hom. I, 1 - 5.*
2) Zosime, *Hist., V, 18 ; Philostorge, Hist. Ecc., XI, 6.*
3) Théodoret, *Hist. Ecc., V, 33.*
4) Sozomène, *Hist. Ecc., VIII, 4.*
5) Socrates, *Hist. Ecc., VI, 6.*

الرهبان اسحق الراهب السوري الذي كان قد أم العاصمة في عهد والنس الامبراطور واشتهر بحق او بغير حق بقداسة فائقة وبجرأة في سبيل الأرثوذكسية أدت به الى مصارحة والنس باقتراب اجله . وكان قد اسس لنفسه مقراً عنـد مدخل العاصمة اصبح اول الأديار فيها (١) . ولم يرض اسحق الراهب عن اصلاحات الذهبي الفم فلما زالت سطوة البلاط بدأ يطعن في الاسقف القديس فكان لكلامه ودعاياته أسوأ الأثر (٢) .

وانضم الى الرهبان المعارضين عدد من الأرامـل اللواتي حقدن على الاسقف القديس لأنه انتقد خفتهن جهاراً . وكان بينهن عدد من المقربات الى البلاط كمرسة ارملة الجنرال بروموتوس وكستريكية أرملة القنصل سترنينوس وافغرافية *Eugraphia* التي قدّر لها ان تلعب دوراً هاماً في الدس والمؤامرات في البلاط (٣) .

في افسس : (٤٠٠) وتعبـد انطونينس اسقف افسس للمال فشكاه افسابيوس اسقف ليدية الى الذهبي الفم . فأرسل الذهبي الفم اسقفين الى افسس للبحث والتدقيق . وتوفي انطونينس في غضون هذا البحث فأقبلت الرعية تطلب الى اسقف العاصمة ان يقوم اليها ليصلح شؤونها . ففعل وعقد مجمعاً محلياً وسام شماسه هرقليذس اسقفاً على افسس . واسقط ستة أساقفة كانوا قد رقوا الى درجاتهم بالسيمونية (٤) .

الاخوة الأربعة الطوال : (٤٠١ ـ ٤٠٣) وكان ثيوفيلوس اسقف الاسكندرية مطاعاً كلفاً بحشد الأموال . فطمع بثروة الرهبان . فأتهم بعضهم باتباع اوريجانس واضطهدهم . فهرب عدد منهم ولاذوا باسقف اوروشليم . ثم سار خمسون منهم الى القسطنطينية يتقدمهم الأربعة الطوال ليرفعوا للامبراطور شكواهم . وهؤلاء الأربعة هم امونيوس وافسابيوس وافثيميوس وذيوسقوروس

1) Pargoire, J., *Les Débuts du Monachisme à Constantinople.*
2) Bardy, G., *Saint Jean de Constantinople, Fliche et Martin, op. cit., IV, 133 - 134.*
3) *Ibid.*
4) Socrates, *Hist. Ecc., VI, 11; Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 6.*

اسقف هرموبوليس (١) . ولدى وصولهم الى القسطنطينية ذهبوا توّاً لزيارة اسقفها القديس وشكوا ما قاسوا من اضطهاد . فأنزلهم في بيت قريب من احدى الكنائس وسمح لهم بالصلاة مع سائر المؤمنين ولكنه منعهم عن الاشتراك في ممارسة الأسرار المقدسة ريثما تنكشف الحقيقة . وكتب الى ثيوفيلوس يناشده برابطة « المحبة الاخوية الجامعة » ان يصفح عن الاخوة الطوال وأبان انهم اذا كانوا مؤاخذين بذنب فليرسل اياً شاء من المدعين عليهم الى القسطنطينية . فخشي ثيوفيلوس المحاكمة في القسطنطينية وأدرك انه اذا تمت أخذ هو بجرائره ومظالمه فاتهم يوحنا الذهبي الفم بقبول الاخوة الطوال بشركة الأسرار بدون فحص او تدقيق واعتبره شريكاً لهم في اضاليلهم الاوريجانية . ثم أرسل رسلا الى القسطنطينية يطوون التهم والتقريعات على الأربعة الطوال فاضطر هؤلاء ان يذكروا مساوىء ثيوفيلوس نفسه أمام زميله القديس يوحنا . فاستكبر الذهبي الفم هذا الأمر وكتب ثانية الى ثيوفيلوس يشير الى الشكايات عليه ويرجوه ان يكلفه بحسم المسألة . فأجاب ثيوفيلوس ان قوانين نيقية لا تسمح للأساقفة ان ينظروا في الدعاوى الخارجة عن حدود أبرشياتهم (٢) . ولم يتعجل الامور ولم يذهب الى القسطنطينية فوراً بل انه أوفد اليها القديس ابيفانيوس اسقف سلامينة قبرص (٤٠٣) . وكان هذا لا يطيق اوريجانس وتآويله فلما قرأ رسالة ثيوفيلوس ضد الأربعة واوريجانس أقلع حالا الى العاصمة وأعلنها حرباً لا هوادة فيها على الأربعة وعلى الذهبي الفم ايضاً ! فتدخلت السلطات في أمره وطلبت اليه ان يعود الى أبرشيته . ففعل وتوفي وهو في طريقه اليها (٣) .

ثيوفيلوس في القسطنطينية : وسئم الأربعة الطوال الصبر وكتبوا العروض وأودعوها شيئاً من جرائم ثيوفيلوس وذهبوا الى كنيسة القديس يوحنا وانطرحوا على أقدام الامبراطورين والتمسوا حضور ثيوفيلوس ليحاكم بازاء الذهبي الفم . وأصابت هذه الشكوى اذناً صاغية فكتب اركاديوس الى عامله في مصر ان اقبض على ثيوفيلوس وأرسله مخفراً. فقام ثيوفيلوس الى العاصمة وأطلق

1) *Jerome. Adversus Rufinus. III, 18.*
2) *Palladius, Dialog., VII, VIII; Batiffol, Siège Apostolique, 300.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 14.*

اليها ايضاً جميع الأساقفة الخاضعين لكرسيه . ولما وصل الى البوسفور أقام في خلقيدونية أياماً . ثم جاء القسطنطينية ومرّ أمام كنيسة الرسل ولم يدخل اليها . وعلى الرغم من هذا فان الذهبي الفم ذهب لاستقباله في القصر الذي أعد له ودعاه للاقامة عنده ولكن ثيوفيلوس أسفر بجفاء انه لا يريد ان يرى الذهبي الفم ولا ان يسمع صوته ولا ان يشاركه في الصلوات ! وأنشأ ثيوفيلوس حزباً قوياً لعضده . فكان لديه تسعة وعشرون اسقفاً مصرياً وعدد من الأساقفة والرهبان الناقمين على الذهبي الفم . وشد ازره بحارة اسطول القمح وكانوا جميعهم مصريين . ونثر ثيوفيلوس الذهب فابتاع عدداً من الوجوه وكبار الموظفين . وأصبح صالون افغرافية الأرملة مركز المشاغبة على الذهبي الفم . واقتنعت افذوكسية الامبراطورة ان الاسقف القديس عناها هي نفسها عندما أشار في احدى عظاته الى ايزابل(١) .

مجمع البلوطة : (٤٠٣) ولما تمّ اتفاق هذه العناصر واتحدت كلمتهم خافوا ان تحبط مساعيهم اذا عقدوا اجتماعاتهم في العاصمة لأن الذهبي الفم كان محبوباً من عموم الشعب موقراً من جمهور الاكليروس . فاستحسنوا بلدة خلقيدونية على ضفة البوسفور الاسيوية ونزلوا ضيوفاً على اسقفها كيرينوس المصري وعقدوا اجتماعاتهم في قصر البلوطة . وانضم اليهم اكاكيوس اسقف حلب وسويريانوس اسقف جبلة وانطيوخوس اسقف عكة (٢) وماروطة اسقف ميافارقين ومكاريوس اسقف مغنيسية . وأصغى الأساقفة المجتمعون في قصر البلوطة الى جميع الاتهامات الواردة في سوء حال يوحنا الذهبي الفم . فبلغت شكايات الارشدياكون يوحنا تسعاً وعشرين . وادعى الاسقف اسحق على الذهبي الفم انه قَبِلَ في كَنَفه الرهبان الذين قالوا قول اوريجانس وانه لم يصغ الى الرهبان الذين مثلوا ثيوفيلوس وانه تدخل في شؤون ابرشيات غيره من الاساقفة . وجاء الراهب اسحق مقدماً ثماني عشرة شكوى منها « مزيد حنو القديس على الخطأة » !

وبينما كان ثيوفيلوس وأصحابه يفتلون الشر فتلا ويحكمونه احكاماً قام غيرهم اربعون اسقفاً من اقليم القسطنطينية وغيرها ينظرون في ملافاة الخطر . اما

1) *Palladius, Dialog., VIII ; Bardy, G., Saint Jean, op. cit., IV, 136.*
2) *Zellinger, J., Studien zu Severian von Gabala, Munster, 1926.*

الذهبي الفم فانه طلب الى هؤلاء الملتفين حوله ان لا يدع أحد منهم كنيسته لاجله. ومما قاله: «هوذا عاصفة شديدة تهب علينا لكن لا تنخلعنّ لها قلوبنا اذ لا نخاف البتـة من الغرق فهما جاش البحر فماذا يستطيع ان يصنع مع صخرة الكنيسة غير المتزعزعة التي نحن عليها راسخون» .

ثم كتب مجمع البلوطة الى الذهبي الفم ان يبرر نفسه امامهم وان يصحب معه الكاهنين سرابيون وتكريوس . فرد الاساقفة المجتمعون في القسطنطينية ان في هذا الطلب خروجاً على القوانين الموضوعة في المجمع النيقوي وانه يجب على أقلية مثلهم ان تخضع لاكثرية مؤلفة من اربعين اسقفاً برئاسة سبعة مطارنة (١) . وكتب الذهبي الفم الى مجمع البلوطة يؤكد ان ضميره لا يبكته بشيء وانه مستعد ان يمثل امام مجمع مؤلف من مئـة او الف اسقف . ثم يقول : وان شئتم ان امثل في محفلكم فبادروا الى تطهيره من اعدائي الشخصيين فثيوفيلوس الاسكندري قال في ليقية: «اني منطلق لعزل الاسقف يوحنا» وقد أبى منذ دخوله هذه المدينة كل اشتراك معي . وارفض ايضاً اكاكيوس مطران حلب الذي تجاسر في كنيستي نفسها ان يهددني . وانطيوخوس وسويريانوس اسقفا عكا وجبلـة سيجازيهما العدل الالهي قريباً . فان أردتم ان ادافع امامكم فامحوا هـذه الاسماء الاربعة من عداد قضاة مجمعكم (٢) .

وأبى الذهبي الفم ان يمثل امام قضاة البلوطة فاتخذوا قراراً بخلعه وبعثوا به الى البلاط ونشروه في جميع كنائس العاصمة . ولم يُبنَ الحكم فيـه الا على ان المجمع دعاه اربع مرات فلم يحضر ليزكي نفسه (٣) . وقـد ضاعت اعمال هذا المجمع ولم يبق منها سوى ما نقله فوطيوس العظيم عنها (٤) .

نفيه الى بيثينية : واستغاث الذهبي الفم بالكنيسة الجامعة وسأل عقـد مجمع مسكوني ولم يخضع فوراً لحكم قضاة البلوطة بل ظل يواصل اعماله الرعائية

1) *Chrysostomos, J., Epist. ad Innocentium, (Palladius, Dialog., II).*
2) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 15; Palladius, Dialog. VIII.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 17; Socrates, Hist. Ecc., VI, 15; Palladius, Dialog., VIII.*
4) *Photius, Bibliotheka, Cod. 59.*

يومين كاملين . وكان يقول : وما هي افكارهم وآمالهم أيظنون انهم يخيفوني بتهديدات الموت والموت عندي خير عظيم أم بالمنفى والارض بكمالها للرب الذي وقفت له حياتي . ان يسوع معي فماذا أخشى . ولا انفكّ أقول لتكن مشيئتك يارب فها أنذا بين يديك مستعد لاعمل وأتحمل بسرور ما يجري من معين رحمتك او ما تأمر به ارادتك !

ولم يتجرأ عمال الامبراطور ان ينفذوا حكم البلوطـة بالقوة لان الشعب كان عازماً على مقابلة القوة بالقوة . ثم رغب القديس حباً بالسلام ان يسلم نفسه بأيدي الجنود دون علم الشعب فنقل في الليـل الى مرفأ هيرون على البوسفور . فهام القديس على وجهـه وظلّ تائهاً حتى وصل الى بيت قروي قرب برينيت *Prenetos* في ساحل بيثينية فأوى اليه (١) .

رجوعه معززاً : واستيقظ الشعب عند الصباح ولم يجد اسقفه فغضب. واكتظت الشوارع بالناس وأحاط بعضهم بالقصر من كل جانب وصرخوا طالبين ارجاع أبيهم المنفي . وظلوا على هذا الحال حتى المساء . وفي اواسط الليل أرجفت الارض وتزلزلت اركان القصر الامبراطوري (٢) . فاشتـد خوف الامبراطورة ورأت في ذلك انتقاماً ربانياً فقالت لاركاديوس ان لم يعد الاسقف فليس لنا تاج ولا سلطان . فوكل اركاديوس اليهـا ان تفعل ما تشاء ، فكتبت بخط يدها تبدي عذرها وأوفدت أحد خصيانها ليرجو العودة . فلما عبر البوسفور أبى العودة الى كرسيه تواً لئـلا يخترق حرمة القانون الكنسي فان خروجه كان بحكم مجمعي فكان لا بد من حكم مجمعي لعودته (٣). ولكن الشعب لم يقبل له عذراً فسار بموكب عظيم الى كنيسة الرسل وأوجز في الكلام فبارك اسم الرب الى الابد: «أجل تبارك الله الذي يحبط المكايد ويقضي برجوع الراعي . تبارك الذي يثير العواصف. تبارك الذي يحل جليد الشتاء ويقمع هيجان الرياح ليقوم مقامها الهدوء والصحو والسلام» (٤). والتفت في كنيسة الحكمة الالهية الى كنيسته فتراءت له متوجة

1) *Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 18; Socrates, Hist. Ecc., VI, 15.*
2) *Theodoret, Hist. Ecc., V, 34.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 18; Socrates, Hist. Ecc., VI, 15.*
4) *Patrologia Graeca, Vol. 52, Col. 439 - 442.*

باكليل سموي فهي العروس ساره العفيفة الطاهرة التي سعَّرت طلعتها الجميلة نار الهوى في جوانح فرعون (١) . والاشارة هنا الى ثيوفيلوس الاسكندري .

عودة ثيوفيلوس الى مصر : ومال كوكب « فرعون » الى الهبوط وكاد ينفضح امره . واختلف الآباء المجتمعون في قصر البلوطة حول قضية هرقليذس اسقف أفسس واشتد بينهم الضجيج . وسمع الشعب المحدق بالقصر جلبتهم وتردد اسمي يوحنا وهرقليذس فانتصروا لهما ولعنوا المجتمعين . فخاصمهم البحارة المصريون واشتد القتـــال وجرت الدماء (٢) . وسمع « فرعون » نفسه انصار القديس يوحنا يطلبون طرحه في المياه (٣) . وعلم ان الامبراطور يميل الى دعوة مجمع مسكوني للبت في القضية الماثلة (٤) فركب البحر مستصحباً اسحق الراهب وعاد الى الاسكندرية .

التآمر على الذهبي الفم : وفي خريف السنة ٤٠٣ أقام اركاديوس لزوجته افذوكسية تمثالا من الفضة الخالصة فوق عمود من البورفير وعلى قاعدة مزدانة بأجمل النقوش . ولا تزال هذه القاعدة محفوظة حتى يومنا هذا في متحف القديسة ايرينة وعليها كتابـــة الاهداء والتدشين باللغتين اليونانية واللاتينية (٥) . وجعل الامبراطور محل هذا التمثال في اكبر باحات المدينة بحذاء مجلس الشيوخ وبازاء كنيسة الحكمة الالهية . وكان حاكم العاصمة آنئذ رجلا مانوياً يكره الذهبي الفم فأقام لمناسبة الاحتفال بالتمثال ملعباً للرقص والمصارعة امام ابواب كنيسة الحكمة . فلم يستطع الذهبي الفم صبراً فذكّر المؤمنين ان هذه الملذات من شأنها ان تجدد قبائح الديانات الوثنية ولا يجوز الاشتراك فيها (٦) . ولم يأت الذهبي الفم على ذكر الامبراطورة ولم يلمّح خلافاً لما قاله بعض المؤرخين وكما قلناه نحن سابقاً (٧) . ولا يستبعد ان تكون العظـــة « يوحنا المعمدان » التي لا تزال تنسب الى الذهبي الفم ملفقـــة

1) *Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 18; Georges d'Alexandrie, l.G., Vol. 52, Col. 443 - 448.*
2) *Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 19.*
3) *Palladius, Dialog., IX.*
4) *Chrysostomos, J., Epist. ad Innocent.*
5) *C. I. L., III, 736; Gotwald, I, La Statue de l'Impératrice Eudoxia à Const., Echos d'Orient, 1907, 274.*
6) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 18; Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 20.*
7) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 18.*

مزوّرة (١) . وخيّل لافذوكسية انها حُقّرت فأرعدت وأزبدت واغتاظ لغيظها الامبراطور وحاشيته . فاستشاروا ثيوفيلوس الاسكندري فأفتى بوجوب تبرير الذهبي الفم امام مجمع كنسي . وانتدب ثلاثة من أعوانه وأرسلهم الى القسطنطينية ولدى وصولهم دعا الامبراطور أساقفة آسية وانطاكية . فلبى الدعوة بعضهم وأبى آخرون خشية اتساع الشقاق في الكنيسة . وكان بين الذين هرعوا الى القسطنطينية أكاكيوس حلب وسويريانوس جبـــلة وانطيوخوس عكة وليونيتوس انقيرة وأمونيوس لاذقية بسيدية . وأطل عيد الميلاد وبات المؤمنون ينتظرون قدوم الامبراطور والحاشية لحضور الاحتفال فاعتذر أركاديوس مبيناً انه لا يشترك مع الذهبي الفم بشيء ما لم يُبرّر أمام المجمع (٢) . واستمع اركاديوس الى عشرة من الأساقفة الموالين ليوحنا وعشرة من الأساقفة أخصامهم . فلعب البيذس اسقف لاذقية سورية دوره المشهور وطلب الى اخصامه ان يوقعوا قانون انطاكية كأنه عمل أرثوذكسي قبل تطبيقه على يوحنا الذهبي الفم . فاحتاروا في أمرهم لانهم ان قبلوه تلطخوا بالآريوسية وان أبوا سقطت حجتهم فلاذوا بالكذب ووعدوا بالتوقيع ثم أخلفوا (٣) .

فصح السنة ٤٠٤ : ومضت أشهر عشرة والمدينة في قلق واضطراب والقديس لا يتزعزع . فاحتال اخصامه في اغلاق فيه وصوروا مجتمعاته مستوقدات للاضطراب والاخلال بالنظام وسعوا في منع انعقادها ثم طلبوا طرد الذهبي الفم قبل عيد القيامة (١٧ نيسان) لأنه محجوج من المجمع . فأتى اركاديوس هـــذه المنكرة وأوجب خروج الذهبي الفم من كنيسته . فقال الاسقف القديس : لقد استلمت الكنيسة من يسوع المسيح ولا استطيع ان اقصر في خدمتها . فان اردت ان اترك هذه الحظيرة المقدسة فاطردني قهراً . فطرد يوم سبت النور من الكنيسة طرداً وحذر عليه الخروج من قلايته (٤) . وطرد من الكنائس ايضاً جميع الكهنة الذين كانوا في شركة الاسقف القديس . وكانت العادة حينئذ تقضي بأن يبقى

1) *P. G., Vol. 59, Col. 485.*
2) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 18; Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 20.*
3) *Palladius, Dialog., IX.*
4) *Bardy, G., Saint Jean de Const., op. cit., IV, 141.*

المسيحيون ساهرين بالصلوات حتى صياح الديك معدين طالبي المعمودية الى قبول هذه النعمة فلجأوا جميعهم الى الحمام الكبير الذي شيده قسطنطين وحولوه الى كنيسة . فسعى المتآمرون في فض هذا الاجتماع . فدخل الجند الحمام والسيوف بأيديهم مصلتة واخترقوا الحشد حتى وصلوا الى جرن المعمودية فضربوا الكهنة والشيوخ والنساء واختلسوا الآنيـــة المقدسة . فخرج المؤمنون خارج الأسوار واحتفلوا بالتعميد وأقاموا الذبيحة في ميدان قسطنطين (١) .

نفي الذهبي الفم : وبعـــد العنصرة بخمسة ايام أي في التاسع من حزيران سنة ٤٠٤ سار اكاكيوس وأعوانـــه الى الامبراطور وقالوا : ان الله لم يجعل في الارض سلطاناً فوق سلطانك . وليس لك ان تتظاهر بأنك أكثر وداعـــة من الكهنة وأعظم قداسة من الاساقفة . وقـــد حملنا على رؤوسنا وزر عزل الاسقف يوحنا . فحذار مما ينجم عن اهمال التنفيذ . فأوفد أركاديوس احـــد كبراء البلاط الى الذهبي الفم يسأله ان يهجر كنيسته ورعيته حباً بالراحة العمومية (٢) . فأصغى القديس وقام الى المنفى فالموت وصلى وودّع « ملاك الكنيسة » ثم ذهب الى مصلى المعمودية ليودع الشماسات الفاضلات اولمبياذة الارملة القديسة وبنتاذية وبروكلة وسلفينة وقال لهن : لا تدعن شيئاً يخمد حرارة محبتكن للكنيسة (٣) .

وخرج القديس خفية . وقبض عليه الشرطة وعبروا البحر به الى نيقيـــة حيث ألقوه في السجن . واستبطأ الشعب خروج راعيهم فارتفعت جلبتهم في كنيسة الحكمة . وفيما هم على هذه الحال اتقدت نار تحت المنبر وحولته رماداً . ثم امتد لهيبها الى السقف وسرى خارج الكنيسة . ثم دفعته ريح شمالية الى الجنوب فبلغ قصر الشيوخ فقوّضه . وأمست الكنيسة الكبرى قاعاً صفصفاً ولم يسلم منها الا آنية الافخارستية ! (٤) .

وأقام الذهبي الفم في نيقية اربعين يوماً او أكثر . وعلى الرغم مما كان

1) *Epist. ad Innocent. ; Palladius, Dialog., III.*
2) *Palladius, Dialog., X.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 18 ; Tillemont, Mémoires, XI, 611.*
4) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 18 ; Sozomène, Hist. Ecc., VIII, 22 ; Palladius, Dialog., X.*

عليه من مضايق السجن وغلاظة الجنود فان نفسه ظلت تتوقد غيرة على خلاص النفوس في سورية وفينيقية وتحطيم الوثنية وهيا كلها وكان صديقه قسطنديوس البار لا يزال يعمل في حقل الرب في تلال فينيقية وسهولها متكبداً أشد المصاعب من الوثنيين ومن « الاخوة الكذبة » فقيّض الله للذهبي الفم راهباً زاهداً في نيقية فاستقدمه الاسقف القديس اليه واستمال قلبه الى التبشير في فينيقيـــة وأرسله الى صديقه قسطنديوس (١) .

وفي الرابع من آب سنة ٤٠٤ قامت قوة من الحرس الامبراطوري الى نيقية لتنقل الذهبي الفم الى منفاه . وقضى أمر النفي بوجوب مواصلة السفر نهاراً وليلا اجهاداً وتعجيلا . وما كاد الذهبي الفم يصل الى مداخل قيصرية قبدوقية حتى وقع لا يعي حراكاً . فوقف حراسه عن المسير واذنوا له بشيء من الراحة . بيد ان فارتاريوس اسقف قيصرية شدّد النكير فاضطر الذهبي الفم ان « يخرج وينفض غبار رجليه » . وبعد سفر دام ستة وخمسين يوماً وصل الاسقف القديس في آخر ايلول الى منفـــاه بلدة كوكوس في شمالي طوروس . وعلى الرغم من اقفارها وحقارتها فان الذهبي الفم ابتهج بمرآها لانه أحب الانقطاع والراحة ولان أهلها كانوا قد أوفدوا الرسل الى قيصرية يسألونه قبول دعوتهم في بيوتهم ولان أذلفيوس اسقف كوكوس كان على جانب من القداسة والطهارة ولان جماعته الفقراء في المادة كانوا أغنياء بالتقوى والكمال . ومما زاد في سروره انه لاقى في كوكوس صديقـــه القديم القس قسطنديوس الانطاكي الذي اضطهد في انطاكية لولائه واخلاصه . وابتهج القديس ودهش أيضاً عندما رأى الشماسة سبينة تنتظر قدومه في كوكوس . فانها على الرغم من تقدمها في السن تجشمت مشقة الأسفار وسبقت راعيها الى المنفى !

موقف انطاكية وروما : وكان فلافيانوس اسقف انطاكية قد بلغ من العمر قرناً كاملا فلم يقوَ على محاربة عقارب الحسد التي دبت في قلوب بعض

1) *Heiss, R., Monchtum, Seelsorge und Mission nach dem Heiligen Johannes Chrysostomus, (Lumen Caecis, Sainte - Odile, 1929), 1 - 23 ; Théodoret, Hist. Ecc., V, 29.*

الأساقفة أمثال اكاكيوس حلب وسويريانوس جبلة وانطيوخوس عكة وفاليريوس طرسوس. فالذهبي الفم بلغ رتبة تقاصر عنها هؤلاء وشأواً تقطعت دونه أعناقهم فأصغوا الى مفاسد ثيوفيلوس الاسكندري وآثروا الاقامة في العاصمة والدس على الذهبي الفم على العمل المثمر في ابرشياتهم (١) .

وتوفي فلافيانوس في السادس والعشرين من ايلول سنــة ٤٠٤ فهرع أكاكيوس وأعوانه الى انطاكية لانتخاب خلف يقول قولهم ويسعى سعيهم . فأيدوا بورفيريوس الكاهن الانطاكي وحاربوا قسطنديوس مرشح الشعب . وانتهزوا خروج الشعب الى دفنة لمشاهدة الالعاب الاولمبيــة فأتموا انتخاب بورفيريوس وسيامته . ثم تواروا عن الأنظار وتولت السلطات المدنية اخماد كل حركة مضادة . وفي الثامن عشر من تشرين الثاني صدرت ارادة امبراطورية أوجبت الاعتراف بسلطة ارساكيوس في القسطنطينية وثيوفيلوس في الاسكندرية وبورفيريوس في انطاكية (٢). ونفذت هذه الارادة السنية بشدة فنفي كيرياكوس اسقف حمص الى تدمر وسجن كل من البيذيوس *Elpidius* اسقف اللاذقيــة وببوس *Pappus* ثلاث سنوات متتالية (٣) .

وحرر ثيوفيلوس الاسكندري الى انوشنتيوس اسقف رومة في موضوع الذهبي الفم . وكتب يوحنا نفسه أيضاً الى اسقف رومــة يعلمه بالجريمة التي ارتكبت في القسطنطينية ويقول : «ولما كان لا يجوز لنا ان نحزن بل يجب علينا ان نعيد النظام ونبحث عن الوسائل التي تمكننا من ايقاف هذ العاصفة رأينا من الضروري ان نقنع السادة الجزيلي الشرف والتقوى الاساقفة ديمتريوس وبانسوفيوس وببوس وأوجينيوس ان يتركوا كنائسهم ويجازفوا بأنفسهم فيقوموا بهــذه الرحلة البحرية الطويلــة ويسرعوا لملاقاة محبتكم وبعد اطلاعكم على كل شيء يتخذوا الاجراءات اللازمة لمداواة الموقف بسرعة » (٤) . وأرسل الذهبي الفم مثل هذه الرسالة الى كل من فينيريوس *Venerius* اسقف ميلان وكروماتيوس

1) *Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 41.*
2) *Cod. Theod., XVI, 4, 6.*
3) *Pat. Gr., Vol. 47, Col. 71.*
4) *Nicene and Post - Nicene Fathers, IX, 309.*

Chromatius اسقف اكويلية راجياً المعونة لانقاذ الموقف . فكتب انوشنتيوس الى كل من ثيوفيلوس والذهبي الفم يؤيد دوام الشركة ويقترح عقــد مجمع مسكوني يمثل الشرق والغرب للنظر في الامر (١) .

ويلاحظ العلامة الاب غوستاف بردي انه ليس في نصوص هذه الرسائل ما يخولنا القول ان الذهبي الفم لجأ الى اسقف رومــة ليستصدر حكماً في القضية الماثلة بينه وبين اسقف الاسكندريــة . ويضيف الاب بردي ان الذهبي الفم لم يخص اسقف رومة وحده بهذه «الشكوى» فانه كتب الى اسقفي ميلان واكويلية بمثل ما كتب الى اسقف رومة (٢) . ويُلاحظ أيضاً لهذه المناسبة ان القديس انوشنتيوس اسقف رومــة أوصى بمجمع مسكوني للبت في هذه القضية والح بذلك .

وأيقن انوشنتيوس ان دعوى ثيوفيلوس فارغة فاندفع في سبيل الذهبي الفم ولم يكترث لموقف القديس ايرونيموس الذي نقــل كلام ثيوفيلوس الى اللاتينية فاتصل بأونوريوس اخي اركاديوس فقر قرار الاثنين ان يدعى الى مجمع مسكوني في تسالونيكية . وكتب اونوريوس الى اخيه بذلك وتألف الوفــد الروماني الى المجمع المنتظر . وما كاد هذا الوفد يدخل داخل حدود امبراطورية اركاديوس حتى التي القبض على أعضائه وأعيدوا الى الغرب (٣) .

وفاته : (٤٠٧) وتوفي ارساكيوس في الحادي عشر من تشرين الثاني سنة ٤٠٥ (٤) فتأمل الأرثوذوكسيون ان تعود الراحة بموته الى مجراها وان يعود يوحنا الى رعيتــه . ولكن المتآمرين أقاموا اتيكوس السبسطي اسقفاً على القسطنطينية . فأبى بعض الأساقفة الاشتراك معه وتنحى الشعب عنه فاستشاط غيظاً . فنال من الامبراطور امراً بنقل يوحنا من كوكوس الى بيتوس على الساحل

1) *Palladius, Dialog., III.*
2) *Bardy, G., Saint Jean de Const., op. cit., IV, 145, n. 3; Batiffol, P., Siège Apostolique, 313 - 315.*
3) *Palladius, Dialog., III, IV, XX; Baur, C., Johannes Chrysostomus und seine Zeit, II, 336.*
4) *Socrates, Hist. Ecc., VI, 20.*

الشرقي من البحر الاسود . وعهد في اجراء هذا الأمر الى بعض الجنود فقطعوا به آسية الصغرى من غربيها الجنوبي الى شرقيها الشمالي بعنف وصلابة وبدون راحة . ولما دنوا من كومانة كان قديسنا قد اضحى كالخيال فتوفي على بعد ستة اميال منهـا في الرابع عشر من ايلول سنة ٤٠٧ في كنيسة اسقفها القديس باسيليكوس الشهيد (١) .

مؤلفاته : وصنّف الذهبي الفم كثيراً ولعله اكثر الآباء انتاجاً . وكتب متأثراً بنفحات ايمان حار « فكان تارة يوشح خطبه البسيطة بثوب قشيب من الطلاوة الشعرية الظريفة وطوراً يزينها بحلي التشابيه اللطيفـة فيسكر السامعين ويسترق ألبابهم » .

ووعظ وأرشد فأبان ضرورة المعمودية للحصول على نعمة الله في الدنيا والسعادة في الآخرة . وأوجب مصارعة ابليس فأنشأ ثلاث خطب في قدرة الأبالسة وثلاثة كتب وجهها الى ستاجير في « فوائد » التجارب واخطارها . وأعد تسع خطب في التوبة والمحبة . واعتبر الوثنيون في انطاكيـة تجسد ابن الله حلماً من الاحلام فرد قديسنا مبدداً أقاويلهم مبيناً اتفاق السماء والارض في هذا العمل العظيم . وألف خطبتين في خيانة يهوذا بعد تناول جسد الرب مبدياً ايمانه في سر الاستحالة .

« ايها الرب الحي : انا اعلم اني لست مستحقاً ولا اهلا ان تدخل تحت سقف نفسي لانها مقفرة ساقطة وليس لك فيّ موضع اهل لتسند اليه رأسك . لكن كما انك من اجلنا تواضعت منحدراً من العلاء تنازل الان ايضاً الى حقارتي . . . فلتصر لي جمرة جسدك الاقدس ودمك الكريم لتقديس وانارة وتقوية نفسي وجسدي الحقيرين . . . ولئلا أمسي فريسة الذئب العقلي اذا ابتعدت جداً عن شركتك» . السواعي، المطاليبي .

وشرح قيامة المسيح في خطبتين بليغتين ورأى فيها عربون قيامتنا . ولا نزال نقول معه: «لا يخافن أحد من الموت لأن موت المخلص قد حررنا . اين شوكتك يا موت . اين ظفرك يا جحيم . قام المسيح وانت ُغلبت . قام المسيح والملائكة

1) *Palladius, Dialog., XI; Socrates, Hist. Ecc., VI, 21; Delehaye, H., Légendes Grecques des Saints Militaires, 202 - 213.*

يفرحون . قام المسيح واستقرت الحياة . قام المسيح وليس ميت في القبر لأن المسيح بقيامته من الأموات قد صار مقدمة الراقدين » .

وحرّض القديس على اعمال التقوى . ففي خطبته في شهداء مصر يوجب احترام ذخائر رجال الله المقدسة . وفي خطبه في حنة ام صموئيل وشاوول وداود وفي خطبه الثاني في سفر التكوين يبين قديسنا لسلفائنا في هذه الكنيسة الانطاكية المقدسة الاسباب الداعية لتكريم ذخائر الشهداء واهمية الصوم ومنفعة التوبة وفوائد الصدقة وطهارة القلب . ويطعن طعناً عنيفاً في الملاعب العموميـة . والقى في كنيسة القديس بولس في انطاكية أيضاً ثمانياً وثمانين خطبـة في انجيل يوحنا فارتقى مـع « التلميذ الحبيب » الى البحث في الجوهر وتولد الكلمة المتأنس وتساوي الآب والابن في الجوهر .

ولاقى القديس يوحنا اعداء النصرانية ببرهان كلامه وحسن سيرتـه . فخص الكهنوت بكتب ثلاثة كما سبق وأشرنا . وانشأ ثلاثـة كتب شديدة اللهجة في الدفاع عن الرهبان والرهبانية. ودبّج خمس مقالات في طبيعة الله الغير المدركة رد بها على افنوميوس وبدعته . وخصّ اليهود بثماني خطب ابان لهم بها بطلان موقفهم من النصارى. وله احدى وعشرون خطبة في ثورة انطاكية سرد فيها رذائل عاصمة الشرق انطاكية وتخلي الله عنها وسقوطها في لجـة الاثم . ثم أشار الى كيفيـة التخلص فأوجب الابتعاد عن السباب والتجديف والتمسك بالتوبة والفضيلة .

وعني الذهبي الفم منذ صبوته بتفسير الاسفار المقدسة فخص سفر التكوين بسبع وستين خطبة . ثم فسر الزبور . ولم يبق من هذا التفسير سوى ثماني وخمسين خطبة وفسر أيضاً بعض ما جاء في اشعيا وارميـا ودانيال . وله في انجيل متى تسعون خطبة وفي رسالة بولس الى اهل رومة اثنتان وثلاثون خطبة وقد دحض فيها اضاليل بيلاجيوس وفظائع المانويين .

وأروع ما جاء على يد هذا الرجل البار أربع واربعون خطبـة في تفسير رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس . وشرح أيضاً الرسالة الثانية الى اهل

كورنثوس . وفسر رسالـــة الرسول الى الغلاطيين ففنّد أضاليل ماني ومرقيون وانوميوس . وأنشأ اربعاً وعشرين خطبة في رسالة بولس الى اهل افسس وثمانياً وعشرين في رسالته الى تيموثاوس واربعاً وثلاثين في الرسالة الى العبرانيين وقد اعتبرها من رسائل بولس .

وأقدم الطبعات لمؤلفات الذهبي الفم واكملها طبعة الآباء البندكتيين التي ظهرت باليونانية واللاتينية في آن واحد في باريز سنة ١٧١٣ في ثلاثة عشر مجلداً. وقد أعيد طبعها في البندقيـــة سنة ١٧٣٤ ـ ١٧٤١ وفي باريز سنة ١٨٣٤ ـ ١٨٣٩ . وفي السنوات ١٨٥٩ ـ ١٨٦٣ ظهرت طبعة مين *Migne* في ثلاثة عشر مجلداً . وقد ترجمت هـــذه المؤلفات الى لغات عديدة منها اللغة الانكليزية . والاشارات في متن كلامنا هي هذه الترجمة (١) .

وقد يلذ للقارىء ان يعلم ان إراسموس الشهير عني بمصنف الذهبي الفم في الكهنوت فنشره باليونانية في بازل سنة ١٥٢٥ وان العالم الانكليزي السر هنري سافيل *Saville* شغف بالذهبي الفم فكرّس معظم أوقات الفراغ له ورصد للتفتيش عن مصنفاته ثمانية آلاف استرليني فاقض بذلك مضجع زوجتـــه وأثار غيرتها فهددت بحرق جميع ما جمع زوجها من آثار الذهبي الفم .

★

1) *Schaff, P., Nicene and Post-Nicene Fathers, Saint Chrysostom, New york.*

الفصل العشرون

الرهبان في القرنين الثالث والرابع

السوابق : وليس لنا ان نبحث مع كابلّي ورايتزنشتاين (١) السوابق اليونانيـــة في ضبط النفس وجمود القلب لنستعين بها على تفهم الزهد والترهب في النصرانية ولا ان نجعل من الرهبانية حلقـــة من سلسلة تشمل نساك بوذة وإسيني يوسيفوس (٢) وثيرابيفتي فيلون (٣) والأفلاطونيين الجدد أمثال أفلوطين وبورفيريوس الحوراني الصوري ويمبليخوس العنجري (٤) .

الأصل : والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به هو ان السيـــد المخلص نفسه عاش عيشة فقر وتيه ومسكنة وانه علّم باقتراب النهاية وأرسل تلاميـــذه ليكرزوا بملكوت الله وأوصاهم الا يحملوا شيئاً للطريق « لا عصاً ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة » (٥) والا يكون للواحد منهم ثوبان . والواقع ايضاً ان يعقوب اخا الرب لم يأكل لحماً ولم يشرب خمراً ولم يقتنِ سوى رداءٍ واحـــد وان الرسل جميعاً حضوا المؤمنين على العفة والبتوليـــة وأجازوا الزواج لمن خشي العنت فقط (٦) .

وجاء الاضطهاد في القرون الثلاثة الاولى ففرّ المؤمنون الى البراري والقفار وعاشوا عيشة البؤس والطهارة والتقوى (٧) . واشتدت وطأة الحكم وكثرت الضرائب وتثاقلت ، فتاه المؤمنون وتركوا القرى والمزارع محتجين على

1) *Capelle, W., Altgriechische Askese; Reitzenstein, Hellenistische Wunder-erzaehlangen.*
2) *De Bello Judaico, II, 119-121.*
3) *«Therapeutes» : Vie Contemplative, VI, 49-71.*
4) *Keim, Th., Aus dem Urchristentum.*
٥) لوقا ٩ : ٣ .
٦) ١ كو ٧ : ٨ ـ ٩ .
7) *Sozomène, Hist. Ecc., I. 11, 12.*

نظام المجتمع حتى اذا أطل القرن الرابع وجاء قسطنطين وخلفاؤه لم يكد يغير ذلك شيئاً من طريقة المؤمنين اذ اصبحوا يقولون بوجوب الانكفاء والابتعاد عن العالم للتأمل والتفكير بالقيم الروحية والبشرية .

الرهبانية في ابرشيات انطاكية: واعتكف انطونيوس الكبير (٢٥٠ـ٣٥٦) على نفسه وذاع صيتـــه في مصر والتف الزهاد حوله متنسكين افراداً لا جماعات. وتقبل القديس باخوميوس (٢٩٠ـ٣٤٥) النصرانية وتنسك فآثر اتباعه الرهبانية مجتمعين غير منفردين . وأقبل على القديسين المؤسسين مؤمنون انطاكيون فأخذوا عنهما وعادوا الى فلسطين وسورية والرها والجزيرة وآسية الصغرى .

وأقدم الرهبان الانطاكيين فيما يظهر هيلاريون غزة . فانه بعد ان أخذ التقشف عن القديس انطونيوس الكبير نفسه عاد الى فلسطين في السنة ٣٠٧ واعتكف في برية غزة في اتجاه مصر . وبعد ان قضى عشرين سنة مفكراً متأملا فاح عبير فضائله فالتف حوله وثنيون من مصر وسورية وتقبلوا النعمة على يده وثابروا على الزهد والتقشف . ونسج آخرون على منواله فانتشرت الرهبانية في فلسطين وتعددت الاديار فيها واقام هيلاريون نفسه في أحد هذه الأديار فاكتظ الرهبان حوله فتاقت نفسه الى العزلة فتركهم وشأنهم وعاد الى البرية (١) . ويلاحظ هنا ان شك اسرائيل (٢) وفاينغارتن (٣) وغيرهما في صحة أخبار هيلاريون واعتبارها اسطورة من الأساطير جاء متطرفاً مبالغاً فيه كل المبالغة (٤) . ويلاحظ ايضاً ان القديس ايرونيموس لم ينفرد في رواياته عن هيلاريون وان صوزومينس المؤرخ يؤيده في أكثر ما ذهب اليه (٥) وان صفرونيوس نقل رواية ايرونيموس الى اليونانية في النصف الثاني من القرن الخامس .

ويرى رجال الاختصاص ان الرهبانية في فلسطين اتخذت في القرن الرابع شكلين مختلفين . فبينما نرى الفلسطينيين وغيرهم من أبنـــاء الاقطار المجاورة

1) *Saint Jérôme, Vita Hilarionis, III, XIV, XXIV.*
2) *Zeitschrift fur Wissenschaftliche Theologie, 1880, 129 - 165.*
3) *Weingarten, Realencyk. Protest. Theol., X, 789.*
4) *Labriolle, P., Débuts du Monachisme, Fliche et Martin, op. cit., III, 310,*
5) *Sozomène, Hist. Ecc., V, 10, 15.*

يزهدون فيتنسكون جماعات في ساحل فلسطين وبريـــة اليهودية نلحظ عدداً من الحجاج الغربيين أيضاً يؤسسون الاديرة في اوروشليم وبيت لحم وغيرهما من الاماكن المقدسة ويقيمون فيها معتكفين على الصلاة والصوم والزهد . والاشارة هنا الى دير ميلاني للراهبات في اوروشليم ودير روفينوس للرهبان على جبـــل الزيتون وديري بفلا وايرونيموس في بيت لحم. ويلوح لنا ان العذارى الصالحات آثرن في غالب الاحيان العيشة المنفردة ولكنهن قمن بالصلاة مجتمعات (١) .

واعتكف مالك *Malchus* فيما يظهر في النصف الاول من القرن الرابع في بريـــة قنسرين *Chalcis* . وروى ما قاساه من المتاعب والاخطار الى القديس ايرونيموس في مارونية على بعد ثلاثين ميلا عن انطاكيـــة (٢) . ويذكر صوزومينس المؤرخ أكثر من ثلاثين ناسكاً في براري سورية الشمالية وسوريـــة الوسطى (٣) ويؤكد انهم فاقوا نساك مصر في ممارسة « الفلسفة » . وزهد ابراهيم القيدوني لسبعة ايام من عرسه . واشتهر بالورع والتقوى . وقدر فضله اناس كثيرون: ولما فاضت روحه في السنة ٣٦٦ احتشد المؤمنون لتشييع جنازته وتسابقوا لاقتطاع شيء من ثيابه تبركاً (٤) . وذكر ثيودوريطس اسقف قورش ثلاثين زاهداً أقاموا الصلاة واجترحوا المعجزات في براري ابرشيته . وأشار ايضاً الى الدير الذي انشأه الراهب ثيودوروس في ارسوز في ساحل سورية الشمالية والى رهبانيات جسر شغور *Seleucobelos* وتوابعها (٥) .

ويرى الأب هنري لامنس ان مدافن عدلون بين صيدا وصور أصبحت مناسك في أوائل عهد الرهبنة في ساحل لبنان . ففيها من شارات النصرانيـــة والصهاريج ما يبرر هذا القول . وهذه المدافن مغاور مختلفة الحجم يربو عددها على المئتين . وفيها مراقٍ متقنة يصعد منها الى طبقات المغاور العليا فتجمع بين القلالي . ولا يستبعد ان تكون أغوار وادي الفرزل التي تطل على البقاع قلالي

1) *Labriolle, P., op. cit., 346; Cavallera, F., Saint Jérôme, I, 127 - 128.*
2) *Patrologia Latina, Vol. 23, Col. 29 - 54.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., VI, 23 - 24 ; Baur, C., Chrysostomus und seine Zeit, I, 85 f.*
4) *Martin, P., Zeit. fur Katolische Theologie, 1880, 426 - 437.*
5) *Théodoret, Hist. Ecc., X.*

ايضاً . ولا شك في ان مغارة الراهب عنـد نبع العاصي بالقرب من الهرمل هي ايضاً مجموعة من القلالي (١) .

ولنا في اسم مزرعة مندرة بالقرب من تعنايل البقاع أثر من آثار الرهبنة في أوائل عهدها في أبرشيات انطاكيـة . ولا يخفى أن اللفظ اليوناني Mandra كان يعني حظيرة الغنم . ثم أطلق الرهبان هـذا اللفظ على المكان الذي كانوا يجتمعون فيـه . ومن هنا اللفظ ارشيمندريت الذي أطلق على رئيس الرهبان . فالارشيمندريت رئيس المندرة . ولنا في الاسم قنوبين أثر آخر من آثار الرهبنات الاولى . فبعض الرهبان الأولين أطلقوا على مكان اجتماعهم اللفظ اليوناني Choinobion ومعناه المنتدى او المجتمع .

القديس باسيليوس الكبير : (٣٢٩ـ٣٧٩) وعاد باسيليوس من أثينة مدينة العلم والنور الى مسقط رأسه قيصرية قبذوقية في السنة ٣٥٧ فعلّم الفصاحة والبيان ولقي ترحيباً وتقديراً . فخشي الكبرياء فوزع ماله على الفقراء وسار الى البرية للتعبد والصلاة .

ثم أشار عليه رئيسه الروحي الاسقف افستاثيوس ان يرحل الى مصر وسورية وما بين النهرين لتفقـد شؤون الرهبان والنساك فيها . ففعل وعاد الى بلاده في السنة ٣٥٩ فأنشأ ديراً للرهبان على ضفـة نهر الايريس مقابل دير للراهبات كانت اميلية وشقيقته مكرينة قد أنشأتاه على الضفة الثانية . « وعاش باسيليوس مع رهبانه حياة قشفة . فكان يلبس قميصاً خشناً في النهـار ويتمنطق فوقه بمنطقة من جلد ويلبس المسح ليلا فقط لئلا يلحظه أحد في النهار فيسمو في عينيه . وكان لا يأكل الا مرة واحـدة في اليوم ويكتفي بالخبز والماء . ولا يسمح لنفسه بشيء من البقول الا في أيام الأعياد . وكان يقضي أيامه في الصلاة والتأمل وعمل اليـد ويحيي لياليه ساهراً مضحياً ارادته على مذابح الصـبر والاحتمال وطول الاناة . وكان اذا نام يفترش الأرض ويحتمـل البرد اماتة لجسده » (٢) .

١) تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار للاب هنري لامنس اليسوعي ج١ ص١٠٩ـ١١٠ .

2) *Assaf, M., Synxarion, Jan. 1.*

وأنشأ هذا القديس الكبير الدير بعـد الدير حتى صار أباً لمئات من الرهبان . ووضع قوانينه الكـبرى والصغرى فعمت الشرق بأسره وانتقلت في حينها الى الغرب ايضاً . وتميزت الرهبانية الباسيلية عن الباخومية المصرية وغيرها بانتظامها وخضوع أفرادها خضوعاً تاماً لرئيسهم ومدبر شؤونهم وباصغاء هذا الرئيس الى نصح الرهبان الشيوخ . فأصبح النذر مثلثاً يقضي بالطاعـة والفقر والعفـة وخشي باسيليوس أثر الكسل في نفوس الرهبان فحضهم على العمـل اليدوي المشترك لمصلحـة المجموع وعلى مطالعة الكتاب المقـدس والتأمل في محتوياته (١) .

« هب لنفوسنا انسحاقاً ولأفكارنا اهتماماً بفحص دينونتك الرهيبة العادلة . سمر أجسادنا بخوفك وأمت أعضاءنا التي على الارض لكي نستنير في هدوء النوم بتأمل تدابيرك . أبعد عنا كل تصور لا يليق وكل شهوة مضرة . وأنهضنا في وقت الصـلاة موطدين في الايمان وناجحين في وصاياك بمسرة وصلاح ابنك الوحيد الذي انت مبارك معـه ومع روحك القدوس الصالح والمحيي » .

افرام البار : (٣٠٣ ـ ٣٧٩) وعاصر باسيليوس الكبير افرام البار « معزي الحزانى ومرشد الشبان وهادي الضالين » . ولد افرام في نصيبين من ابوين مسيحيين حوالي السنة ٣٠٣ . ولحق باسقفها القديس يعقوب الشهير «فسقاه من التقى والعلم لباناً نقياً . وقرأ كتاب الله فأحكمه » . وترك الدنيا وما فيهـا واعتكف فأخذ عن يوليانوس الناسك طريقتـه فأكب على الصوم والصلاة والاماتة . ولم يأكل سوى خبز الشعير والبقول المجففة ولم يشرب سوى الماء . فأصبح جسده على حد تعبـير غريغوريوس النيصي هيكلا عظمياً كأنه تمثال من الفخار .

وعلّم افرام القديس في مدرسة نصيبين . فلما سقطت بيد الفرس سنة ٣٦٣ جلا عنها وسار الى آمد فالرها . وارتاح الى سكنى الرها وأشرف على مدرستها فظهر فيها على أهل البدع ولقن الطلبة حقائق الدين القويم . وزار النساك المنتشرين

1) *Patrologia Graeca, Vol. 31, Col. 619-1428; Clarke, W.K.L., St. Basil the Great; Murphy, Sister, St. Basil and Monasticism.*

في ضواحي الرها وفاقهم بالكمال والقداسة . فذاع صيته وجاءه الكثيرون لاقتفاء أثره . فوعظ وهدى حتى أصبح أباً للمئات من النساك والرهبان .

ويرى غبطة البطريرك اغناطيوس افرام الاول ان هذا القديس البار هو امام اللغة السريانية الاكبر وفارس ميدانها الذي لا يجارى ولا يطاول . ويضيف غبطته ان أبرز مصنفات هذا القديس ميامره الشعرية على البحر السباعي في أسرار ربنا ومخلصنا وفي البتولية والتوبة والايمان والحياة المسيحية والكهنوت (١) .

مار مارون : (٤١٠ +) ويذكر ثيودوريطس اسقف قورش مارون الناسك في عداد نساك ابرشيته ويقول انه اعتكف على احدى القمم بالقرب من هيكل وثني وانه قضى حياتـــه بالصلاة والتوبة وأن الله منّ عليه بالقدرة على الشفاء فتقاطر الناس اليه يتبركون ويلتمسون الدعاء وان بعض هؤلاء تتلمذ عليه واقتفى أثره (٢) . و كتب يوحنا الذهبي الفم الى هـــذا « الكاهن الناسك » في أثناء محنته في أرمينية سنة ٤٠٥ يستخبر عن امره ويلتمس دعاءه (٣) .

ولم يذكر ثيودوريطس سنة وفاة هذا القديس الناسك ولا ذكرها غيره . ولكننا نعلم ان الذهبي الفم التمس دعاء هذا الناسك القديس في السنة ٤٠٥ وان ثيودوريطس بـــدأ يدون أخباره في السنة ٤٢٣ . ومن هنا تعيين الوفاة في السنة ٤١٠ او حواليها (٤) . ولا تزال الكنيسة الجامعة بفرعيها اليوناني واللاتيني تعيد لهذا القديس الارثوذكسي حتى يومنا هذا .

القديس ايرونيموس : (٣٤٧ــ٤٢٠) وأمّ انطاكيـــة في السنة ٣٧٣ ايرونيموس الشاب السلوفيني الايطالي الذي أصبح فيما بعد أكبر رجـــال التفسير في الكنيسة الغربيـــة . وُلد ايرونيموس في سلوفينية من أبوين شرقيين مسيحيين تقيين (٥) . وفي الثانية عشرة أرسل الى رومة فدرس فيها الفصاحـــة والبيان .

---

١) كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، تأليف البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم ص ١٩٦ــ٢٠٢ ، له ايضاً، الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة، ص ٥٢٣ــ٥٢٦ .

2) *Théodoret, Hist. Ecc., XVI, XXI, XXII, XXX.*

3) *Chrysostomus, Epist., XXXVI.*

4) *Dib, Mgr. Pierre, L'Eglise Maronite, 41.*

5) *Cavallera, F., Saint Jérôme, Sa Vie et Son Œuvre, 2 Vols., Louvain, 1922; Monceaux, P., Saint Jérôme, la Jeunesse, l'Etudiant, l'Ermite, Paris, 1932.*

واستسلم حيناً لأهوائه ثم قبل سر المعمودية على يد ليباريوس اسقف رومة سنة ٣٦٥ . وعزم على التفرغ للعبادة وسعى لاجتذاب اخته الصغيرة الى حياة التبتل والتنسك فغضبت عليه عمته وثارت في وجهه فسافر الى الشرق .

ولدى وصوله الى انطاكية حلّ ضيفاً على إفاغريوس الكاهن (١) يمين بفلينوس زعيم الأفستاثيين الارثوذكسيين . وفي اثناء اقامته في عاصمة الشرق درس اليونانية والعـــبرية وأصغى لكبار رجال التفســـير واللاهوت . وشعر بالدعوة الى التبتل والتنسك فانفرد في برية خلقيس (قنسرين) وأقام فيها مـــدة مثابراً على الصوم والصـــلاة والسهر والاماتة . وفي السنة ٣٧٧ عاد الى انطاكية فسعي بفلينوس اسقف الافستاثيين وأقنعه بقبول درجة الكهنوت . ثم رحل الى القسطنطينية ليأخـــذ العـــلم واللاهوت عن غريغوريوس الثيولوغس فلبث فيها سنتين . وفي السنة ٣٨١ أصبح بعلمه وفصاحته مقرراً للمجمع المسكوني الثاني . وفي السنة التالية رافق بفلينوس الى رومة فاتخذه دماسوس اسقفها كاتباً له ووكل اليه وضع ترجمة موحدة للكتب المقدسة .

وتوفي دماسوس (٣٨٤) فأراد البعض ان يخلف ايرونيموس هامـــة الرسل في رومة . فثارت ألسن الحساد ورشقوا هـــذا الراهب المسكين بسهام « القلوب الدنيئة » . فحمل ايرونيموس صليبه بصبر وحمل مكتبته وترك رومة (٣٨٥) وقام الى الشرق الى انطاكية وعكة ويافة فاوروشليم وبيت لحم . وجاء برفقته الى هـــذه الديار اخوه بولنيانس والكاهن منصور والتقيتان بولا *Paula* وافستوكيوم *Eustochium* . وشيـــدت بولا ديرين في بيت لحم في جوار « المذود المقدس » واحداً للرجال وآخر للنساء . وتسلمت هي رئاسة دير النساء وأشرف ايرونيموس على ادارة دير الرجال . وعكف ايرونيموس على تقديس نفسه في بيت لحم خمسة وثلاثين عامـــاً . وتوفي فيها (٤٢٠) ودفن بالقرب من المذود الشريف ثم نقل جسده الى رومة .

---

1) *Morin, G., Qui est l'Ambrosiaster ? Rev. Bib., 1914, I ; Rev. Bénéd., 1928, 251.*

ونقـل ايرونيموس خرونيقون افسابيوس القيصري من اليونانية الى اللاتينية وأضاف اليه وأكمل أخباره حتى السنة ٣٧٨ (١) وفي السنة ٣٩٢ أخرج مجموعته في مشاهــير ادباء النصارى *De Viris Illistribus* وكتب رسائل عديدة بعث بها الى أكابر رجال عصره رداً على كتاباتهم او رسائلهم . وفي السنة ٤٠٥ أنجز هذا القديس العظيم ترجمة الكتب المقدسة التي طلبها منــه دماسوس اسقف رومة . فكانت الـ *Vulgata* التي لا تزال مقبولة في الأوساط الكنسية الغربيــة حتى يومنا هذا .

الوثنيون والرهبان : واعتبر الوثنيون المثقفون الرهبان أعــداء ألداء لجميع المسرات الطبيعية وخونةً سخفاء الذمة لم يثبتوا على عهد الولاء للمجتمع المدني وقالوا انهم لا يدخلون المدن الا لبذر الشقاق في المجتمع والحــاق الضرر بهيا كل الآلهة . وجاء في رسالة يوليانوس الجاحد التاسعة والثمانين ان في الرهبان أرواحاً نجسة تجعلهم يتغالظون ويشا كسون ثم يبتعدون عن الناس. وكتب ليبانيوس الفيلسوف الوثني الانطــا كي في السنة ٣٨٤ الى ثيودوسيوس الأمبراطور يطلب تدخــله الفعال ضد « هؤلاء الذين يخربون الهيا كل ويملأون الكهوف والمغاور وليس لديهم من الزهــد والتقشف سوى معاطفهم هؤلاء الذين يرتدون الأسود ولكنهم يأكلون أكثر من الفيــلة ويشربون اثناء الترتيل ما يتعب الأرقاء من كثرة السكب . يصفّرون وجوههم ولكنهم يخبئون تحت هــذا التصفير بلبلة وتشويشاً . هؤلاء أيهــا الأمبراطور هم الذين يهجمون على الهيا كل عابثــين بالقانون حاملــين الأخشاب لاضرام النار والحجارة والحديــد للتقويض والنهب » (٢) .

الدولة والرهبان : ولم يرض والنس عن تدخل رهبــان النطرون في قضية خلف اثناسيوس في الاسكندرية فأصدر في السنة ٣٧٥ قانوناً قضى با كراه الرهبان على القيام بالخدمــة العسكرية . وهبّ عماله في مصر والشرق يسوقون الرهبان والنساك فيعزرونهم ويهزؤون بهم وقضوا على عدد غير قليل منهم تحت

1) *Helm, R., Hieronymus Zusatze in Eusibius Chronik.*
2) *Libanius, Oratio, II, 32.*

ضرب السياط وسفع الحديد (١) .

واضطر ثيودوسيوس على الرغم من ورعه وتقواه ان يصــدّ الرهبان ويمنع تدخلهم في الامور المدنية . فانه تألم من تدفقهم على انطاكية في السنة ٣٨٧ كما سبق واشرنا ومن تهافتهم في الغرور في السنة ٣٨٨ في كلينيكوم في مقاطعــة الرها عندما انقضوا على فئــة من الغنوسيين فأحرقوا هيكلها وطمعوا في اليهود فخربوا كنيسهم . وأراد ثيودوسيوس ان يكره اسقف كلينيكوم على اعادة تعمير الكنيس على نفقة المسيحيين . ولكن تدخل القديس امبروسيوس رفع عن زميله في كلينيكوم عبئاً ثقيلا (٢) . فسنّ الامبراطور قانوناً في الثاني من ايلول سنة ٣٩٠ منع به الرهبان من الاقامــة في المدن وأجبرهم على البقاء في البراري الفسيحة (٣) . وفي الثــاني من نيسان سنة ٣٩٢ حرّم الامبراطور على الرهبان التدخل في الاحكام والتشفع أمام السلطات (٤) .

موقف الأوساط المسيحية : ولم يجمع المسيحيون على تقرير التبتــل والزهد والتنسك ولم يشار كوا كلهم الذهبي الفم في قولــه ان رهبان الفيافي في مصر ملائكة في شكل بشري(٥). فانه قام من أبناء انطا كية نفسها من المسيحيين من قرّف بالرهبان وعدّ تقشفهم ضرباً من الجنون واستفرغ كل ما في وسعه لمنع الناس عن اقتفــاء آثارهم (٦) . واذا جاز لنا ان نأخذ بشهادة سالفيانوس قلنا معه . « اذا خرج رجال الله من اديرتهم في مصر او من اما كن اوروشليم المقدسة او من البراري وأموا المدن بوجوههم الصفر وشعورهم المجزوزة حتى الجــلد قوبلوا بالضحك والصفير والاستهزاء . . » (٧)

الاساقفة والرهبان : وليس لنا ان نغالي مــع مؤرخ الكنيسة لويس

1) *Saint Jérôme, Chron., 248; Orose, Adv. Pag., VII, 33; Théodoret, Hist. Ecc., IV, 19.*
2) *Labriolle, P., Saint Ambroise, 109-125.*
3) *Cod. Theod., XVI, 3.*
4) *Cod. Theod., XI, 36.*
5) *In Mat. Hom., VIII ; Baur, C., Chrysos. und seine Zeit, I, 91 ff.*
6) *Chrysostomus, Contre les Détracteurs de la Vie Monastique, I, 2 f, II, 6 f, III, Trad. Legrand, (Paris, 1933), 89 ff.*
7) *De Gubernatione Dei, VIII, 4.*

دوشان *Duchesne* فنرى في مجرد التنسك انتقاداً للحياة الاكليريكية آنئذ وليس لنا ايضاً ان نقول معــه ان البقاء في الكنيسة في نظر نساك ذلك العصر أضحى مستحيلا لمن أراد منهم ان يحيى حياة مسيحية حقيقية (١) ، بل يمكننا ان نقول ان الرهبانية ، رغم بعض التطرف في التبتل والتعبد ، كانت بمثابة تنفس للقوى الروحية الفائضة في الافراد الذين اضطروا الى الاعتزال لمتابعة الجهد الروحي ، وتكشف المثل العليا دون الاعتداء على نظم الكنيسة واوضاعها القائمة. والواقع ان تشريع والنس وثيودوسيوس وحده يثبت تدخل الرهبان والنساك في امور الكنيسة وان أخبار ثيوفيلوس الاسكندري تؤكد ايضاً تعاوناً وثيقاً بين الاسقف وبين الرهبان (٢) . ويجب الا ننسى ان مجمع اسنة *Latopolis* بحث ادعاء باخوميوس انه «يرى ويقرأ الأرواح» (٣). ولا يخفى ايضاً ان علاقات باخوميوس مع أساقفة مصر كانت حسنة وان عدداً كبيراً من رهبانه تقبلوا درجة الكهنوت وان اثناسيوس يبين بوضوح تام احترام انطونيوس الكبير للسلطة الدينية . ويلاحظ هنــا ان العالمين الكبيرين هارناك وغروتزماخر الألمانيين تطرفا في خروجهما عن المألوف فاستحقا نقد زميلهما شيفيتز (٤) .

ويلاحظ ايضاً ان النساك المتبتلين من أبناء كنيسة انطاكية ساهموا منــذ القرن الرابع في أعمــال الكنيسة الخيرية وفي التبشير ايضاً . فكان بعضهم يخرج من الصوامع عند اقتضاء الحاجة للعمل والتبشير ثم يعود الى العزلة بعد انجــاز المهمة . وقد أجــاد الأب اولاف هندريك في اظهار هذه الناحية من الحيــاة الرهبانية الانطاكية ولكنه تطرف في الاستنتاج عندما رأى ان اشتراك هؤلاء في هذه الأعمال هدف بعد مجمع خلقيدونية الى الاستقلال عن بيزنطة . ولعله يقصد الرهبان الذين قالوا بالطبيعة الواحــدة لا رهبان كنيسة انطاكية . فهؤلاء ظلوا أبناء الكنيسة الام الجامعة ! (٥) .

1) *Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, II, 491.*
2) *Baur, C., Chrysos. und seine Zeit, II, 294.*
3) *Labriolle, P., La Crise Montaniste, 126, 158, 320, 451.*
4) *Schiwietz, Das Morgenlandische Monchtum, I, 303 ff.*
5) *Olaf Hendriks, Activité Apost. des Premiers Moines Syriens, Proche-Or. Chrét., 1958, 25.*

تطرف في التبتل والتأبد : وتطرف بعض المؤمنين في موقفهم من لذات الجسد ولا سيما في أمر الزواج فافترق الزوجان ليلة العرس (١) او حافظا على العفة الى ما شاء الله (٢) او ترك أحد الزوجين الآخر على الرغم من فائق المحبة وشدة التعلق (٣) . وعاد البعض الى تمجيد التأبد والتبتل والدفاع عنهما دفاعاً عقليــاً منطقياً . ولا تخلو بعض مصنفات الآباء القديسين من التأسف الشديد على وجوب المحافظــة على الجنس بالطريقة الجسدية المعروفــة وعلى ما يتبعها من عواقب « نجسة قذرة » (٤) .

ويستدل من مقررات مجمع غنغرة المحلي الذي انعقــد في منتصف القرن الرابع ان المؤمنين في ابرشية سبسطية في ارمينية الصغرى اعتبروا المتزوجين منهم موبوئين لا خلاص لهم وامتنعوا عن التعبد في الكنائس التي قام بالخدمة فيها كهنة متزوجون. وقالوا ان الأغنياء لن يدخلوا ملكوت السماوات وحضوا الأرقاء على عدم الطاعة وطالبوا بجزء كبــير مما قُدّم للكنيسة مدعين انهم أحق بذلك من سواهم نظراً لمستواهم الأدبي العالي (٥) . فأوجب الأباء المجتمعون الابتعاد عن كل بدعــة لا تقرها الأسفار المقدسة او قوانين الكنيسة وأكدوا احترامهم في الوقت نفسه للتنسك والعفة والطهارة .

والتأم في هذا القرن نفسه مجمع محلي آخر في لاذقية فريجية ضمّ عدداً غير قليل من أساقفة آسيــة . ويتضح من خلاصة أعمال هذا المجمع ان الأساقفــة المجتمعين حرّموا الربا على الكهنة ومنعوا رجــال الاكليروس من التردد الى الفنادق وأوجبوا خروجهم من العُرُسات قبــل بدء الرقص وابتعادهم عن الحمامات عند دخول النسوة اليها . وحرّموا اقامة حفلات الاغبّة في الكنائس

1) *Socrates, Hist. Ecc., IV, 23.*
2) *Saint Jérôme, Epist. LXVI, 3.*
3) *Palladius, Hist. Laus., LXI, 2.*
4) *Saint Augustin, Soliloq., I, 9, 17, Conf., X, 30, De Civitate Dei, XIV, 16; Chrysostomus, Saint Jean, De Virgin., XIV.*
5) *Mansi, II, Col. 1095 ff.; Socrates, Hist. Ecc., II, 34; Sozomène, Hist. Ecc., III, 14.*

وأوجبوا على الكهنة الا ينقلوا الى بيوتهم فضالة الموائد بعد هذه الحفلات . ثم منعوا النساء منعاً باتاً من الاقتراب من المذبح ولعلهم أوصوا بسيامـة الشماسات خارج الكنيسة لا داخلها . ولم يرضوا فيما يظهر عن اشتغـال الكهنة بالسحر والتنجيم وعن اعداد التعويذات والاحراز لصيانة حاملها من الأمراض والأرواح النجسة (١) .

1) *Labriolle, P., Morale et Spiritualité, Fliche et Martin, Hist. de l'Eglise, III, 382-384.*

الفصل الحادي والعشرون

كنيسة انطاكية في الربع الأول من القرن الخامس

الهيرارخية : وتدل النصوص الباقية ان هيرارخية كنيسة انطاكية شملت في الربع الاول من القرن الرابع أي قبيل التئام المجمع المسكوني الاول الأبرشيات الآتيـة : أبرشية فلسطين ومركزها قيصرية وأبرشية فينيقية ومركزها صور وأبرشية العربية ومركزها بصرى وأبرشية سورية ومركزها انطاكية وأبرشية ما بين النهرين ومركزها الرها وأبرشية قيليقيـة ومركزها طرسوس وأبرشية إسورية ومركزها سلفكية .

وهناك ما يدل على ان هـذه الأبرشيات أصبحت خمس عشرة في الربع الأول من القرن الخامس . فأبرشيـة فلسطين أصبحت ثلاثاً : فلسطين الاولى ومركزها قيصرية وفلسطين الثانية ومركزها بيسان *Scythopolis* وفلسطين الثالثة ومركزها البتراء وقد أنشئت هـذه في السنة ٣٥٧_٣٥٨ فشملت كل ما وقع جنوبي ارنون وبحر الميت (١) . ويجوز القول ايضاً ان أبرشية قيليقية قسمت الى اثنتين ما بين المجمع المسكوني الثاني (٣٨١) والمجمع الثالث (٤٣١) فظهرت أبرشية قيليقية اولى مركزها طرسوس وأبرشيـة قيليقية ثانية مركزها عـين زربه . وجرى مثل هذا وفي الوقت نفسه في فينيقية فظهرت أبرشيتان فينيقيتان : فينيقية الساحلية ومركزها صور وفينيقية اللبنانيـة ومركزها دمشق . وقضت ظروف الحدود الفارسيـة في السنة ٣٥٩ بتقسيم أبرشية سورية الى أبرشيتين . سورية ومركزها انطاكية والفرات ومركزها دولك . ثم ظهرت أبرشية الرها في السنة ٣٧١ فسورية الاولى ومركزها انطاكية وسورية الثانية ومركزها اباميـة (٢) . ولم يرتبط عدد المطارنة بعدد الأبرشيات الادارية المدنيـة . فان اسقف بيروت أصبح متروبوليتاً منذ عهد ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨_٤٥٠). وتمتع اسقف حلب

1) *Devresse, R., Christianisme dans le Negeb, Rev. Sc. Relig., 1940, 235-237.*

2) *Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 45-47.*

بهذا اللقب في مجمع السنة ٥٣٦ . وقل الأمر نفسه عن حمص ودارا والرصافة Sergiopolis فقد تمتعت جميعها باللقب متروبوليس في أوقات لم تكن هي فيها مراكز ابرشيات ادارية (١) .

اسقف انطاكية : وكفى اسقف انطاكية فخراً آنئذ ان يكون اسقف انطاكية . ومن هنا في الأرجح هذا السكوت في المراجع الأولية عن ألقابه وعن صلاحياته قبل ايام يوستنيانوس الكبير . وجل ما نعلمه وتقرّه المصادر هو ان موافقة الأبرشيات الخاضعة له كانت ضرورية لارتقائه الى منصب الرئاسة وانه لم يكن له حق التدخل في ترقية اكليروس هذه الأبرشيات من درجة الى درجة .

متروبوليت الأبرشية : اما متروبوليت الأبرشية فانه حفظ في يده حق ترقية رجال الاكليروس في داخل أبرشيته . وكان لا بد من موافقته وحضوره لسيامة الأساقفة الخاضعين له . وكان عليه ان يدعو الى مجمع محلي جميع أساقفة أبرشيته مرتين في كل سنة مرة في الاسبوع الثالث بعد الفصح ومرة ثانية في منتصف تشرين الاول . وهي امور نصت عليها قوانين مجمع التكريس في انطاكية (١٩و٢٠) ومجمع نيقية (٦) .

ويستدل مما خلفه سويروس الانطاكي ان انتخاب الأساقفة في الأبرشية كان يتم في غالب الأحيان باشتراك الشعب والسلطة الروحية فيجتمع الوجهاء ويتخذون قراراً *Psephisma* بثلاثة من أفضل المرشحين اللائقين بمقام الاسقفية ثم يرفعون هذا القرار الى متروبوليت الأبرشية او الى رئيس الكنيسة اسقف انطاكية نفسه لينتقي الأفضل (٢) . وجاء بعد الاسقف الخوراسقف والبرديوت *Periodeutes* والكاهن والبرمون *Paramonaire* (٣) .

الكنيسة والدولة : واتبع يوفيانوس بعد يوليانوس سياسة الحياد بين النصرانية والوثنية . وتبعه في ذلك فالنتنيانوس فاستحق شكر أميانوس

1) *Ibid., 121, n. 3, 4.*
2) *Brooks, E. W., Select Letters, 91, 94, 95.*
3) *Syntagma Canonum, (Rhalli - Polti).*

ماركلينوس المؤرخ الوثني (١) . وسكت والنس عن الوثنية ولم يضيق عليها . وجاء ثيودوسيوس فخرج من هذا الحياد الرسمي الى تدخل فعلي في شقاق النصارى واختلافاتهم الداخلية . ثم أعلن في ربيع السنة ٣٨١ ما ينتظر النصراني الجاحد من عقوبات(٢) . وفي الخامس والعشرين من ايار السنة ٣٨٥ جدّد تحريم الذبائح للعرافة (٣) . ثم أرسل المدبر كينيغيوس *Cynegius* في جولة ادارية تفتيشية الى اقليمي سورية ومصر ليقفل باجراءات ادارية ما أمكنه من الهياكل الوثنية . ودامت رحلة كينيغيوس ثلاث سنوات (٣٨٥ـ٣٨٨) تمكن في أثنائها من اغلاق عدد غير قليل من هذه الهياكل (٤) . ثم دخل الامبراطور ثيودوسيوس في مشادة عنيفة مع القديس امبروسيوس (٥) (٣٩٠) فعطف على مشاهير الوثنيين وقرّبهم اليه (٦) . وهكذا فان ثيودوسيوس لم يحزم ولم يكن متوثقاً من سياسته الدينية وموقفه من النصرانية قبل السنة ٣٩١ . ولا يخفى ان انشاء الهياكل الوثنية في الشرق او ترميمها او تزيينها لم ينقطع طوال القرن الرابع . ففي السنة ٣٢٩ زين سكان عرنة حوران هيكلا لزفس (٧) . وفي السنة ٣٦٧ ـ ٣٦٨ رمم الوثنيون هيكل زفس في كوريفايوس (الحصن) (٨) . وفي السنة ٣٨٩ انشأ الحورانيون معبداً للاله ثياندريتس (٩) . وجاءت السنة ٣٩١ فبدأ ثيودوسيوس تحريماته الشهيرة الأولى في رومة في ٢٤ شباط والثانية في الاسكندرية في ١٦ حزيران والثالثة بعد سنة واكثر (٨ تشرين الثاني سنة ٣٩٢) في القسطنطينية ـ وقد حرمت هذه التدين بالوثنية في جميع أنحاء الامبراطورية (١٠) .

وبعد السنة ٣٩٢ استغلت الكنيسة وحدها جميع الامتيازات التي كان

1) *Ammianus Marcellinus, XXX, 9.*
2) *Cod. Theod., XVI, 7.*
3) *Cod. Theod., XVI, 10.*
4) *Rufin, Hist. Ecc., XI, 23 ; Théodoret, Hist. Ecc., V, 21 ; Rauschen. G., Jahrbucher, 228, 270.*
5) *Greenslade, S. L., Church and State, 71 - 85.*
6) *Palanque, J. R., Cath. Rel. d'Etat, Fliche et Martin, op. cit., III, 516.*
7) *Fossey, BCH, 73.*
8) *Jalabert - Mouterde, 652.*
9) *Waddington, 2046.*
10) *Cod. Theod., XVI, 10.*

قسطنطين الكبير قد منحها رجال الاكليروس ليساويهم بكهنة الوثنيين . وأهم هذه الامتيازات اعفاءات مالية معينـــة (١) وصلاحيات قضائية وحق حماية اللاجيء وحق الاستقلال القضائي (٢) .

واختلف الآباء القديسون في موقفهم من موضوع الكنيسة والدولة . فالقديس اثناسيوس الكبير قال الى الأمبراطور قسطنديوس في السنة ٣٥٧ : « اني لم اقاوم أوامر تقواكم ، أعوذ بالله ، اني لا اعارض أحكام وال من الولاة فكيف اجرؤ على مقاومة امير عظيم» (٣). وعلّم هذا القديس بوجوب طاعة الملوك لأن سلطتهم مستمدة من الله وبوجوب اهتمام هؤلاء بشؤون الكنيسة وحمايتها . وعندما احتج دوناتوس على تدخـــل الامبراطور في شؤون الكنيسة أجابه الأسقف اوبتاتوس : «إن الكنيسة جزء من الدولة وليست الدولة جزءاً من الكنيسة» (٤). أما امبروسيوس فانه لم يخضع السماويات للأرضيات وأكد للامبراطور « انه ليس رئيس الكنيسة » (٥) *Imperator intra ecclesiam non supra ecclesiam* .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الرأي ومن استمساك عدد من الأباطرة بالسلطة وتدخلهم في شؤون الكنيسة وتسخير هذه لأغراضهم الخاصة وسياساتهم الدنيوية فان تنصر الدولة ادى الى خضوع الأباطرة لمبادىء الانجيل الطاهر وجعل منهم اداة للخير في كثير من الأحيان . ولا يختلف اثنان في ان حكم الأباطرة المسيحيين كان اليق بالحرية والعدالة والمحبة من حكم سلفائهم الوثنيين(٦).

الآباء العلماء : وأنجبت كنيسة انطاكية في الخمسين سنة التي تلت وفاة ملاتيوس عدداً من العلماء الأعلام الذين دافعوا عن العقيدة القويمة في عصر كثرت

1) *Cod. Theod., XIII, 1, XVI, 2, XII, 1.*
2) *Privilegium Fori : Cod. Theod., XVI, 2, (17 Mai, 376) ; Const. Sirmond.; Lardé, G., Tribunal du Clerc, 23 - 26.*
3) *Saint Athan., Apol. ad Const., 19.*
4) *Optatus, III, 3.*
5) *Ambrosius, Epist. XX, XXI, Contra Auxentium, III, XXIV, XXXI.*
6) *Palanque, J. R., Cath. Rel. d'Etat, op. cit., III, 524 - 525.*

فيه البدع واشتد ضغط الهرطقة وحافظوا على نصوص الأسفار المقدسة في زمن كثر فيه اختلاف المعاني الرمزية . والاشارة هنا الى ديودوروس الطرسوسي (١) وتلميذيه يوحنا الذهبي الفم وثيودوروس الموبسوستي (٢) .

رهط من كبار الاساقفة : واذا ما ذكرنا بالاضافـــة الى ديودوروس اسقف طرسوس وثيودوروس اسقف موبسوستـــة كلا من افلوغيوس اسقف الرها ومركلوس الشهيد اسقف اباميـــة (٣) وكيرلس ويوحنا اسقفي اوروشليم وابيفانيوس اسقف سلامينة قبرص (٤) نجـــد فلابيانوس رئيس الكنيسة محاطاً بعدد غير قليل من الشخصيات القوية المحترمة .

بين اللاذقية وبيروت : ولا نعلم ماذا حل بابوليناريوس اسقف اللاذقية الذي غالى في دفاعه عن لاهوت السيد المخلص ضد آريوس وأتباعـــه فزعم ان لاهوت السيد قام مقام العقل فأصبح ناسوته ناقصاً . اما تلميـــذه فيتاليوس الانطاكي فانه توفي في السنة ٣٨٢ . ووافق تلميـــذه الآخر تيموثاوس اسقف بيروت على مقررات المجمع المسكوني الثاني فعاد الى كرسيه مكرماً وصنف بعض الرسائل ووضع تاريخاً كنسياً . فنفر منـــه بوليمون وابتعد ليصبح مغالياً من الغلاة (٥) .

المصلون والراهب الكسندروس : والمصلون *Messaliens* الذين ظهروا في الابرشيات الانطاكية الشمالية في الربع الاخير من القرن الرابع لزموا الصلاة ولا سيا الذكسولوجية ورددوها دائماً لانهم زعموا ان لكل انسان شيطاناً لا يخرج الا بالصلاة . « وامتهنوا النسك والصيام والسهر والشغل ولازموا النوم وعاشوا بالصدقات » وأدعوا أنهم بالصلاة والتجرد عن الاموال يتحدون بالله اتحاداً شديـــداً . ومن هنا اعتبارهم انفسهم ملائكة وانبياء ورؤساء ومسحاء .

1) *Bardenhewer, O., Gesch. der Altkirchlichen Lit., III, 304 - 312 ; Puech, A., Hist. Lit. Gr. Chrét., III, 447 - 457.*
2) *Bardenhewer, O., op. cit., III, 312-324 ; Puech, A., op. cit., III, 567-583*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., VII, 15.*
4) *Bardenhewer, O., op. cit. III, 293-302 ; Puech, A., op. cit., III, 644-667.*
5) *Bardenhewer, O., op cit., III, 292.*

ومن هنا في الارجح قول دوشان المؤرخ انهم « دراويش النصرانية » (١) .

وأشهر هؤلاء المصلين الراهب الكسندروس . بدأ حياتـــه الرهبانية في سورية الشمالية وفي الجزيرة. فكان تارة يجول مبشراً بالانجيل وطوراً يجمع الرهبان ليقيم معهم في مسكن دائم . وأمَّ انطاكية في أوائل القرن الخامس فدارت حوله الشبهات فطرد منها طرداً فذهب الى القسطنطينية حيث أصبح مشكلة المشاكل في عهد أتيكوس اسقفها (٢) • ويختلف المؤرخون في موقفهم من هذا الراهب . فهو قديس عنـــد بعضهم سابق ممهد باتيان فرنسيس الاسيزي (٣) وهو خارج عند غيرهم مبتدع مهرطق (٤) .

ذوات الاقراص : واهتمت نساء ابرشية بصرى بالسيدة العذراء فاقمن لها احتفالا خصوصياً وصنعن لها عرشاً واعددن اقراصاً واجتمعن حول العرش لا كل الاقراص وممارسة بعض الاعمال كأنهن من الكهنة .

بورفيريوس : (٤٠٤ ــ ٤١٤) وتوفي فلافيانوس وخلا عرش انطاكية فجاء بورفيريوس . وجل ما نعلمه عن بورفيريوس انه وصل الى السيدة الانطاكية بتواطىء اكاكيوس وسويريانوس وانطيوخوس اساقفة حلب وجبلة وعكة وانه تذرع بالارادة السنيـــة الامبراطورية فأنزل باخصامه العذاب ونفى معظمهم كما سبق واشرنا . ولا نعلم مدى مدة رئاسته بالضبط ولكننا نقرأ انـــه اشترك في المفاوضات التي جرت في السنة ٤٠٩ ــ ٤١٠ مع كنيسة فارس (٥) .

الكسندروس : (٤١٤ ــ ٤٢٤) وتولى خلافة الرسولين بعـــد بورفيريوس الكسندروس الراهب الوقور الذي تمكن بلطفـــه ودماثة اخلاقه ان يزيل الشقاق بـــين الارثوذكسيين الشرعيين اتباع ملاتيوس وبين الارثوذكسيين الافستاثيين وان يجعـــل الطائفتين رعية واحدة لراع واحد . فانه قبـــل الكهنة

1) *Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, II, 583.*
2) *Bardy, G., Atticus de Constantinople, Fliche et Martin, op. cit., IV, 159 - 160.*
3) *Acta Sanctorum, Januarii, I, 1018-1029; Sloop, E., Patrologia Orientalis, VI, 5.*
4) *Pargoire, G., «Acémètes», Dict. Arch. Chrét., I, 307 - 321.*
5) *Chabot, J. B., Synodicon Orientale, 255 ff.*

الافستاثيين بين كهنته في الرتب نفسها التي تمتعوا بها وقام بشخصه الى كنيسة الافستاثيين وجاء بهم الى كنيسته مرتلا مصلياً (١) ! وبقيت بقيـــة متعنتة من الافستاثيين ولم ترض عن شيء من التفاهم والتعاون حتى عودة رفاة افستاثيوس في عهد كالنذيون (٤٧٩ ــ ٤٨٣) .

و كان ثيوفيلوس خصم الذهبي الفم قد ناشد اساقفـــة الشرق والغرب موجباً رفع اسم خصمه من الذبتيخة . والذبتيخة مصحف يضم أسماء الذين يراد ذكرهم من شهداء وأبرار وقديسين او من اساقفة وبطاركة عند تقديم الذبيحة الطاهرة. وكان قد أصر على هذا العناد عدة سنين حتى أصبح ذكر الذهبي الفم في الذبتيخة من أهم مشاكل الكنيسة في الشرق ما بين السنة ٤٠٤ والسنة ٤١٤. وتوفي ثيوفيلوس في السنة ٤١٢ وخلف الرسولين في انطاكية الكسندروس التقي المسالم وأحب ان يزيل النفور الذي كان قد دبّ الى قلوب « الحناويين » من أبنـــاء رعيته . فدوّن اسم يوحنـــا الذهبي الفم في الذبتيخة الانطاكية وقبل في الشركة أليبذس اسقف اللاذقية وببوس وغيرهمـــا ممن وقع تحت الاضطهاد من أصدقاء الذهبي الفم .

وقضى العرف الكنسي بتسطير رسالة سلامية الى كبار الأساقفـــة خارج كنيسة انطاكية فكتب الكسندروس الى انوشنتيوس اسقف رومة ينبئه بما جرى ويلتمس الشركة وبعث بكتابه مع وفد بصحبة الكاهن كاسيانوس تلميـــذ الذهبي الفم . فتهللت نفس القديس الروماني وأنفذ الى الكسندروس رسالة مجمعيـــة مذيلة بتواقيع اربعة وعشرين اسقفاً ايطالياً قابلا شركة كنيسة انطاكية . وكتب انوشنتيوس ايضاً كتاباً خصوصياً الى الكسندروس أعرب فيه عن حبه وتقديره . ودفع الرسالتـــين الى وفد مؤلف من الكاهن بولس والشماس نقولا والشماس بطرس . وكان بورفيريوس قد كتب الى انوشنتيوس مسلماً ولكن اسقف رومة لم يجب (٢) .

1) *Théodoret, Hist. Ecc., V, 35.*
2) *Palladius, Dialog., XVI; Jaffé - Wattenbach, Regesta Pontificum Romanorum, 305, 306.*

وفي هذه الاثناء عرف اكاكيوس اسقف حلب خطأه فوضع اسم الذهبي الفم في الذبتيخة الحلبية . ولم يمض وقت يسير بعد هـذا حتى اتحدت الكنيسة الانطاكية على تكريم الذهبي الفم مفتخرة بكونه ابنها ورسولهـا . وأصرّت كنيسة القسطنطينية على انكاره وغمص جميله فسار الكسندروس اسقف انطاكية الى القسطنطينية واستنفذ الجهد في اجتذاب اتيكوس فأخفق فاستفز حمية الشعب بتعداد فضائل الذهبي الفم فتضرعوا الى اتيكوس ان يقبل بتكريم سالفـه فأبى فعاد الكسندروس الى انطاكية حابط السعي .

وكتب اكاكيوس الى اتيكوس اسقف القسطنطينية والى كيرلس اسقف الاسكندرية . فاشتد اللغط في الأوساط الشعبية في العاصمة حتى خشي من نشوب ثورة . فاستشار اتيكوس الأمبراطور الشاب ثم بادر الى تسطير اسم سالفه يوحنا في الذبتيخة . ولم يسرّ كيرلس من هذا الخبر فكتب الى زميـله القسطنطيني والحلبي يلومهما (١) . ولكنه لم يثبت في ذلك طويلا ولعله وافق زملاءه أجمعين في اكرام الذهبي الفم قبل السنة ٤١٩ (٢) .

ثيودوتوس : (٤٢٤–٤٢٨) وهو الثامن والثلاثون بعد الرسولين واسمه يوناني ومعناه عطا الله *Theodotos* . ويختلف المؤرخون في تعيين مدة رئاسته . فقد تكون ٤٢٤–٤٢٨ وقد تكون ايضاً ٤١٧–٤٢٩ (٣) . وقد تكون ايضاً ٤١٨–٤٢٧ كما جاء في تاريخ قسطنديوس البطريرك القسطنطيني (٤) . وأفضل ما يعزى اليه انه حاول رد الأبوليناريين عن ضلالهم فعـاد الى الارثوذكسية حوالي نصفهم (٥) . ويعزى اليه ايضاً انه اتخـذ موقفاً حازماً من بيلاجيوس *Pelagius* وأتباعه فعقد مجمعاً انطاكياً وخطّأ هؤلاء وحرّم عليهم الوصول الى الأماكن المقدسة (٦) .

---

1) *Cyrille, Epist. LXXV, LXXVI.*
2) *Bardy, G., Atticus et Cyrille, (Fliche et Martin), op. cit., IV, 158.*
3) *Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 117; Mussel, H., Hist. du Christ., I, 163.*
4) *Constantius, Patriachs of Antioch, 43.*
5) *Théodoret, Hist. Ecc., V, 37.*
6) *Mercator, Commonit. Caelest. (Mansi, IV, Col. 296).*

الفصل الثاني والعشرون

نسطوريوس والمجمع المسكوني الثالث

٤٢٨ – ٤٤١

شغور الكرسي القسطنطيني : وتوفي اتيكوس اسقف القسطنطينيـة في خريف السنة ٤٢٥ فترشح للخلافة كل من بروكلوس سكرتير اتيكوس وفيليبوس أحد كهنة العاصمة وقد عرف هذا بشغفه بالآثار وباهتمامه بتاريخ النصرانيـة . ولكن الشعب آثر سيسينيوس *Sisinnius* أحد كهنة الضواحي الذي اشتهر بمحبة المسيح وبتواضعه وزهده وعطفـه على الفقراء . فتم انتخابه في الثامن والعشرين من شباط سنة ٤٢٦ (١) . ثم اختار الله له ما عنده فاصطفاه لجواره في ليلة عيد الميلاد سنة ٤٢٧ . فعاد كل من بروكلوس وفيليبوس الى سابق نشاطهما . ولكن ثيودوسيوس الثاني آثر التفتيش عن خلف لسيسينيوس خارج العاصمـة فاتجهت انظاره نحو انطاكية نحو الراهب نسطوريوس رئيس أحد أديارها الذي كان قد اشتهر بفضله وفصاحته .

نسطوريوس : ولد نسطوريوس في ضواحي مرعش في الربع الأخـير من القرن الرابع من أبوين سوريين او فارسيـين . وهو ابن عم ثيودوريطس المؤرخ اسقف قورش (٢) . ودرس اليونانيـة ومبادىء العلوم في مرعش ثم انتقل منها الى انطاكية حيث أخذ العلوم الدينية عن ثيودوروس الموبسوستي . وقدم النـذر والتجأ الى دير افربيبيوس *Euprepios* في ضواحي انطاكية .

---

1) *Socrates, Hist. Ecc., VII, 26.*
2) *Nau, F., Naissance de Nestorius, Rev. Or. Chrét., 1909, 424-426.*

ثم سيم كاهناً على مذابح كنيستنا الرسولية وكلّف بتفسير الأسفار المقدسة لتفوقه في اللغة والاسلوب ولجمال صوته (١) .

وشغر الكرسي القسطنطيني واشتد نشاط المرشحين وأصحاب المصالح فوقع اختيار السلطات على نسطوريوس فقام الى القسطنطينية في أوائل السنـة ٤٢٨ . وجاء في اسطورة سريانية ان نسطوريوس عرّج وهو في طريقه الى القسطنطينية على معلمه القديم الاسقف ثيودوروس فأقام عنـده في موبسوستي يومين كاملين وان ثيودوروس شيعه حتى مشهد القديسة تقلا وقال له عند الوداع : «اني أعرفك يا بُني . لم تلد امرأة رجلا أشد حماساً منك . فعليك بالاعتدال ان رمت النجاح في معالجـة الاختلافات في الرأي » . فأجاب نسطوريوس « ولو عشت أنت يا سيد في زمن السيد المسيح لقيل لك وأنت ايضاً ذاهب » (٢) .

واحتفل بتتويج نسطوريوس اسقفاً على القسطنطينية في العاشر من نيسان سنة ٤٢٨ فخاطب الأمبراطور على مسمع من جمهور المحتفلـين قائلا : « أعطني بلاداً خاليـة من الهراطقة اقدم لك السموات بديلة . واستأصل الهراطقة لنا نستأصل الفرس معك » (٣) .

حمية نسطوريوس واندفاعه : واندفع نسطوريوس في سبيل الايمـان القويم فاستصدر أمراً باغـلاق كنيسة الآريوسيين في القسطنطينية في الاسبوع الأول من رئاسته . وفي الثلاثين من ايار أي في الاسبوع الثامن لرئاسته صدرت ارادة سنية أمبراطورية تستأصل الهرطقة في جميـع مظاهرها فشملت في حكمها الآريوسيين والمقـدونيين والأبوليناريين والنوفاتيين والأفنوميين والفالنتينيين والمونتانيين والمركيونيين والبوربوريين والمصلـين والأفخيتيين والدوناتيين والبولسيين والمركلوسيين والمانويين وغيرهم (٤) . ونُفذّت هذه الارادة بحزم

1) *Nau, F., Analyse du Traité écrit par Denys bar Saliby contre les Nestoriens, Rev. Or. Chrét., 1909, 302.*
2) *Brière, M., Légende Syriaque de Nestorius, 19; Nau. F., Héraclide de Damas, VI.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., VII, 29; Loofs, F., Nestoriana, 171.*
4) *Cod. Théod., XVI, 5; Bardy, G., Débuts du Nestorianisme, Fliche et Martin, op. cit., IV, 166.*

فاغلقت كنائس هؤلاء المبتدعين وأدى اغلاقهـا الى استعمال العنف في بعض الأحيان والى خسائر في الأرواح .

والدة الاله : وكان الشقاق لا يزال مستحكماً في العاصمـة بين أتباع آريوس وأتباع ابوليناريوس وكان من الطبيعي ان يشترك في الجـدل بين هذين المعسكرين بعض الكهنـة والشمامسة الارثوذكسيين . ويستدل مما جاء في بعض المراجع الأولية (١) ان كاهناً انطاكياً من ناحية نسطوريوس يدعى انستاسيوس تدخل في الجدل القائم وقال ان مريم بشر وكبشر لا يمكنها ان تلد الهاً ولذا فانه لا يجوز القول عنها انها والدة الاله *Theotokos* . وتضيف هذه المراجع نفسها ان نسطوريوس أبى ان يلوم انستاسيوس وانه تحاشى هو بدوره استعمال التعبـير « والدة الاله » . وجاء في مخلفات المجمع المسكوني الثالث ان دوروثيوس اسقف مركيانوبوليس حرم استعمال الاصطلاح والدة الاله وان نسطوريوس سكت عن هذا التحريم ولم يقطع دوروثيوس من الشركة (٢) .

والاصطلاح « والدة الاله » قديم العهـد فيما يظهر . فألكسندروس الاسكندري استعمله بدون تكلف وغريغوريوس النزينزي لعن من لا يعتبر مريم ام الله (٣) .

ورأى نسطوريوس ان هذا الاصطلاح لم يرد في الأسفار المقدسـة وان الآباء لم يستعملوه في نيقية (٤) . وذكر القول النيقاوي « ان ابن الله تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء » فرأى في هـذا اعترافاً بطبيعتين طبيعـة ابن الله المساوي للآب في الجوهر وطبيعة الانسان المولود من العـذراء فرأى في الاصطلاح « والدة الاله » خلطاً بين اللاهوت والناسوت . واقترح القول « والدة المسيح » (٥) .

1) *Socrates, Hist. Ecc., VII, 32; Evagrius, Hist. Ecc., I, 2; Liberatus, Breviar., IV.*
2) *Bardy, G., Débuts du Nestorianisme, op. cit., IV, 170.*
3) *Epist. ad Cledonium.*
4) *Nestorius, Epist. Fraternas.*
5) *Nestorius, Epist. Saepe Scripsi.*

اللاهوت والناسوت : وعلّمت الكنيسة منذ البدء ان مخلصنا الوحيد إله كاملٌ وانسان كامل رب واحد لمجد الله الآب . فقام آريوس وأنكر على الكنيسة الاعتقاد بطبيعة لاهوت الكلمة المتأنس فعقدت المجمع المسكوني الأول وحكمت عليه وعلى تعليمه وقررت حقيقـــة كمال لاهوت المخلص . ثم قام ابوليناريوس وقال بنقص في طبيعة المسيح البشرية فعلّم ان اللاهوت في المسيح قام مقام العقل في الانسان . فعقدت الكنيسة المجمع المسكوني الثـــاني وحكمت على ابوليناريوس وقررت حقيقـــة كمال ناسوت المخلص . ولكن الكنيسة لم تعـــين بعبارات محدودة مضبوطة وجه العلاقة بين الطبيعتين الإلهية والبشرية ووجـــه الاتحاد بين اللاهوت والناسوت . فأدى هذا الى تفاوت في فهم التعبير ونشأ عنه اختلاف في التعليم وخصام ونزاع أفضى الى الانشقاقين النسطوري والاوطيخي .

الاسكندرية وانطاكية : وتزعمت الاسكندرية الفكر المسيحي مدة من الزمن وشاطرتها انطاكية هذه الزعامـــة . وكان لكل من هذين المركزين نهج خصوصي في التعليم واصطلاح في التعبير كثيراً ما خالف اصطلاح المركز الآخر في تأدية المعنى الواحد (١) .

وقالت الاسكندرية بكمال الطبيعـــة البشرية في شخص المخلص وبكمال الطبيعة الإلهية ولكنها لم تعين وجه اتحاد الطبيعتين فقالت مثلا بالاتحاد الطبيعي والاتحاد الشخصي والاتحاد الجوهري بين الطبيعتين . وبعضهم نظر الى الطبيعة الإلهية بنوع خصوصي فقال بطبيعة واحدة متجسدة وما عنى بذلك سوى الاتحاد الحقيقي بين لاهوت الكلمة وناسوته وان الإله المتأنس شخص واحد وليس اثنين لأن كلمة طبيعة كانت عندهم بمعنى الشخص والاقنوم . ولكن أحداً منهم لم ينكر الطبيعتين بمعنى الجوهر اللاهوتي والعنصر البشري . ونظراً لامتداد بدعة آريوس ووجوب محاربتها كان كلام الاسكندريين في لاهوت المخلص أكثر من كلامهم في ناسوته . وهكذا فانهم سموا سيدتنا مريم والدة الإله وقالوا انها ولدت إلهاً وان الإله ولد وتألم وصلب .

1) Bardy, G., *Débuts du Nestorianisme, op. cit., IV, 169-170.*

وأما مدرسة انطاكية فانها توخت البساطة والايضاح فميزت بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح الواحد . ومع انها كانت تعتقد بأن المسيح واحد وليس اثنين فانها كانت ترفض التعليم بالاتحاد الطبيعي وبالمزاج بين الطبيعتين . وكانت تعتبر اتحادهما اضافياً بمعنى السكنى والارتباط حفظاً لكمال الطبيعة البشرية التي زعم ابوليناريوس اسقف اللاذقية الانطاكية انها كانت ناقصة . وكانت تنكر على الناسوت خواص اللاهوت كالحضور في كل مكان والقدرة على كل شيء وما شاكل ذلك كما انها أنكرت على اللاهوت أهواء الناسوت وآلامه كالولودة والتألم والموت . ولهذا السبب ابتعد الانطاكيون عن كل تعبير يؤدي على زعمهم الى مثل ذلك المعنى كتسمية العذراء والدة الإله وغيرها من العبارات التي عيّنتها الكنيسة بعد ذلك صيانة للتعليم القويم . وقالوا بوجوب كمال الطبيعة البشرية لأن لوقا يقول ان يسوع « كان ينمو في الحكمة والقامة » وأوجبوا السجود للناسوت لأنه متحد بالكلمة . ومن هنا قولهم : « انما نسجد للارجوان من أجل المتردي به وللهيكل من أجل الساكن فيه ولصورة العبد من أجل صورة الله وللحمل من أجل رئيس الكهنة وللمتّخذ من أجل الذي اتخذه وللمكوّن في بطن البتول من أجل خالق الكل » . ولا يجوز القول ان الانطاكيين علموا باقنومين فانهم قالوا باقنوم واحد ذي طبيعتين متحدتين بلا امتزاج ولا اختلاط ولا تشويش (١) .

وهكذا فان أساتذة المدرستين علموا تعليماً مستقيماً ولكن بمناهج مختلفة وبانتقاء عبارات معينـــة قضت باستعمالها ظروفهم الخصوصيـــة . فالمصريون الاسكندريون توخوا العبارات التي أوضحت كمال اللاهوت حذراً من بدعـــة آريوس والانطاكيون طلبوا ايضاح كمال الناسوت حذراً من بدعة ابوليناريوس . وآريوس اسكندري وابوليناريوس لاذقي انطاكي !

١) عن ذيوذوروس الطرسوسي كما جاء في كتابه ضد الأبوليناريين وفي كلامـــه في الروح القدس وعن ثيوذوروس الموبسوستي في شرح رسالة رومية — تاريخ الانشقاق لجراسيموس متروبوليت بيروت ، ج١ص ١٩٩-٢٠٢ .

وقام في الكنيستين والمدرستين أناس تطرفوا فسقطوا في الضلال . فان نسطوريوس الانطاكي تطرف في التعليم بالطبيعتين الى حد قال عنده بشخصين او اقنومين . واوطيخة الاسكندري كما سنرى تطرف في التعليم باتحاد الطبيعتين الى حد قال عنده باختلاطهما طبيعة واحدة لا يميز بعدها بين اللاهوت والناسوت. وهاتان البدعتان أدتا الى عقد المجمع المسكوني الثالث للنظر في بدعة نسطوريوس وعقد المجمع المسكوني الرابع للبت في بدعة اوطيخة وعقد المجمع المسكوني السادس للنظر في بدعة المشيئة الواحدة التي تفرعت عن بدعة الطبيعة الواحدة .

نسطوريوس واكليروس القسطنطينية : ومع ان نسطوريوس كان انطاكي المذهب فان رهبان الكرسي القسطنطيني واكليروسه كانوا اسكندريين يعملون ضد آريوس والآريوسية . فلما قاوم نسطوريوس القول باتحاد الطبيعتين اتحاداً طبيعياً وجوهرياً ونهى عن تسمية السيدة العذراء والدة الإله وقع تعليمه موقع الاستغراب في جميع الأوساط الارثوذكسية في العاصمة . ثم وصمه المحامي افسابيوس باتباع بولس السميساطي (١) واحتج الرهبان لديه فأمر بضربهم وحبسهم . فاضطر الشعب ان يلجأ الى الأمبراطور (٢) . فعقد الاسقف مجمعاً سنة ٣٢٩ وحرم جميع الذين لم يقبلوا تعليمه (٣) .

كيرلس ونسطوريوس : ولم يلبث خبر نسطوريوس ان ظهر وشاع فانتشر بريده في الانحاء ووصل الى الاسكندرية . وكان كيرلس قد خلف خاله ثيوفيلوس في كرسي الاسقفية (٤١٢) وورث عنه شيئاً من المنافسة بين الاسكندرية والقسطنطينية التي كانت قد دبت الى الصدور بعد المجمع المسكوني الثاني عندما أصبح اسقف القسطنطينية الثاني بعد اسقف رومة في الكرامة (٤) . واذا كان الحاسد يغتاظ على من لا ذنب له فكيف به والذنب خروج على الدين القويم . وهكذا فان كيرلس تكلم في منشوره الفصحي للسنة ٤٢٩ في تعليم الكنيسة عن

1) *Socrates, Hist. Ecc., VII, 31.*
2) *Mansi, II, Col. 1101 - 1108.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., VII, 32.*
4) *Baynes, N. H., Alexandria and Constantinople, Journ. of Eg. Arch. 1926, 145 - 156.*

الطبيعتين وحارب تعليم نسطوريوس دون ان يذكر اسمه (١) . ثم كتب الى نسطوريوس يوضح الاصطلاح والدة الإله ويفسر ان هذا الاصطلاح لا يعني ان مبدأ اللاهوت منها وانما ان المولود منها كان الهاً كاملا وانساناً كاملا (٢) . فأجابه نسطوريوس بعبارات مبهمة غامضة ولامه على جفاف العبارة وقلة المودة الأخوية (٣) . وعقد كيرلس مجمعاً محلياً وعرض عليه الرسائل المتبادلة فاستصوب المجمع رأيه وحكم بصحته .

كيليستينوس ونسطوريوس : وكتب نسطوريوس الى كيليستينوس *Celestinus* اسقف رومة والى كثير من الأساقفة الغربيين لتعزيز موقفه وتكثير انصاره . ولكن كيليستينوس أنكر على نسطوريوس بقاء بعض الأساقفة البيلاجيين في القسطنطينية واعتمد في رأيه على مشورة يوحنا كاسيانوس *Jean Cassien* الذي عرف الشرق جيداً . وبلغ كيرلس اتصال نسطوريوس برومة فكتب هو ايضاً لكيليستينوس وافاد ان الايمان القويم معرض لخطر عظيم وأرسل هذه الرسالة مع مخصوص اسمه بوسيذونيوس وأوصاه ان يلاحظ ويفهم فاذا كان نسطوريوس قد كتب فيقدم الرسالة . وعلم بوسيذونيوس ان نسطوريوس كتب فدفع هو ايضاً رسالة كيرلس . فعقد كيليستينوس مجمعاً محلياً في صيف السنة ٤٣٠ واعتبر تعليم نسطوريوس غير قويم وكتب بذلك الى كيرلس الاسكندري ويوحنا الانطاكي وغيرهما من رؤساء الكهنة في الشرق . وأوجب التراجع عن الضلال في العشرة الأيام الاولى التي تلي التبليغ . وهدد بالقطع (٤) . وكتب اسقف رومة الى نسطوريوس نفسه ايضاً والى رعيته بمثل ما تقدم (٥) .

وكتب كيرلس ايضاً الى رؤساء الكهنة في الشرق راجياً التدخل لهدي نسطوريوس وردّه عن الضلال . وكان بين هؤلاء الذين كتب كيرلس اليهم اكاكيوس اسقف حلب وقد زاد سنه على المئة فكتب هذا الشيخ الى كيرلس

1) *Cyrille, Epist. I, Mansi, IV, Col. 588.*
2) *Cyrille, Epist. II.*
3) *Cyrille, Epist. III.*
4) *Jaffé-Wattenbach, Regesta Pontificum Romanorum, 372, 373; Morin, G., Etudes, Textes Découverts, I, 341.*
5) *Jaffé-Wattenbach, op. cit., 347 - 375.*

يرجوه ان يجتهد في اطفاء نار الخصومة ضناً براحة الكنيسة .

البنود الاثنا عشر : وكان اسقف رومة قد أوجب على نسطوريوس اظهار ايمانه كتابة فكتب كيرلس رسالة لنسطوريوس « يعلمه فيها كيف يجب ان يؤمن » وأضاف اليها اثني عشر بنداً يشتمل كل واحد منها على قضية وحرم ضد من يعلم غير ذلك وكلفه ان يوقع هذه البنود ! ووصل الوفد الاسكندري الى العاصمة في السابع من كانون الأول وأموا دار الاسقفية في أثناء خدمة القداس الالهي وطلبوا مواجهة نسطوريوس فأرجأ الإسقف المقابلة الى الغد . ولما اطلع على الرسالة والبنود رفض مقابلة الوفد الاسكندري . ولم يكتب نسطوريوس ضد كل بند بنداً كما شاع بعد ذلك . وما ينسب اليه من هذا القبيل هو من قلم أحد المعجبين به من المتأخرين (١) . ولكنه أخبر يوحنا اسقف انطاكية بالبنود الاثني عشر . وما ان اطلع هذا على نص هذه البنود حتى وصمها بالأبولينارية وشجع علماء الكرسي الانطاكي على درسها والرد عليها : فكتب ثيودوريطس اسقف قورش اثني عشر فصلا كما صنف مؤلفاً آخر في تجسد الكلمة . ووضع إيبا اسقف الرها رسالة دافع بها عن نسطوريوس . وألّف اندراوس اسقف سميساط ايضاً كتاباً ضد كيرلس وبنوده (٢) . وهكذا فان الاختلاف في الاصطلاح واندفاع كل من نسطوريوس وكيرلس وانتفاخهما وتسرعهما قسم الكنيسة في ظرف سنوات ثلاث الى شطرين رومة وآسية واوروشليم والاسكندرية في الجهة الواحدة وانطاكية ونسطوريوس في الجهة الاخرى .

الدعوة الى مجمع افسس : (٤٣٠) واتصل نسطوريوس بالامبراطور ثيودوسيوس الثاني وأطلعه على واقع الحال ورجاه ان يأمر بدعوة الأساقفة الى مجمع مسكوني للنظر في القضية القائمة بينه وبين كيرلس . وكان ثيودوسيوس يعطف على اسقف عاصمته فأمر في ١٩ تشرين الثاني سنة ٤٣٠ بدعوة جميع « مطارنة » الامبراطورية الى مجمع مسكوني يعقد يوم عيد العنصرة في السابع من

1) *Schwartz, E., Die Sogenannten Gegenanathematismen des Nestorius, (Sitzungsberichte der bayerischen Akademie der Wissenschaften), Philol. Hist. Kl., 1922, 1-29.*
2) *Pat. Graeca, Vol. 76, Col. 316, 385 ; Cyrille, Epist. 44*

حزيران سنة ٤٣١ . وشملت هذه الدعوة كيليستينوس اسقف رومة واوغوسطينوس وغيرهما من كبار اساقفة الغرب (١) .

وتوافدت الوفود على أفسس . وشمل الوفد الاسكندري خمسين اسقفاً وعدداً كبيراً من الشمامسة والرهبان . ولم يعبأ كيرلس بنص الدعوة الأمبراطورية ووجوب الاكتفاء بعدد قليل من الأساقفة . وجاء نسطوريوس الى أفسس تصحبه حاشية مخلصة صادقة . وكان من أعضاء هذه الحاشية القومس ايريناوس أحد كبار رجال البلاط الامبراطوري . وفي الثاني عشر من حزيران أطل اسقف اوروشليم على رأس وفد مؤلف من خمسة عشر اسقفاً . ولا يخفى ان يوبيناليوس *Juvenal* الاوروشليمي كان مشاغباً من الدرجة الاولى وطاعاً كبيراً . وكان همه الوحيد ان يصطاد في الماء العكر ليرفع عن رأسه سلطة انطاكية ويستقل بأبرشيات فلسطين (٢) . ولم يرض ممنون اسقف أفسس ومئة غيره من أساقفة آسية عن تدخل اسقف العاصمة في امورهم فوقفوا الى جانب كيرلس وناصروه مناصرة فعالة نظراً لكثرة عددهم . وأوفد كيليستينوس اسقف رومة الاسقفين اركاذيوس وبروبكتوس *Projectus* والقس فيليبوس وأوجب عليهم التقيد برأي كيرلس اسقف الاسكندرية (٣) . وكان اوغوسطينوس قد توفي قبل صدور الدعوة الى المجمع في الثامن والعشرين من آب سنة ٤٣٠ . أما كابريولوس *Capreolus* اسقف قرطاجة ورئيس كنيسة افريقية فانه اعتذر عن الحضور بداعي هجوم الوندال وأوفد الشماس بسولة *Bessula* ليمثله في المجمع .

وترأس يوحنا اسقف انطاكية (٤٢٨-٤٤١) الوفد الانطاكي . وتألف هذا الوفد من اربعة وثلاثين اسقفاً : يوحنا اسقف انطاكية والكسندروس اسقف ابامية ويوحنا اسقف دمشق وايلاذيوس اسقف طرسوس والكسندروس اسقف منبج *Hierapolis* ومكسيموس اسقف عين زربة وذكسيانوس اسقف

1) *Mansi, IV, Col. 1112 - 1116 ; Bardy, G., Débuts du Nestorianisme, op. cit., IV, 175, n. 1.*
2) *Bardy, G., Début du Nestorianisme, op. cit., IV, 178.*
3) *Jaffé - Wattenbach, op. cit., 379 ; Collectio Veronensis, VII ; Bardy, G., op. cit., 177.*

سلفكية وكيروس اسقف صور واستيريوس اسقف آمد وانطيوخوس اسقف بصرى وثيودوريطس اسقف قورش وبولس اسقف حمص ومكاريوس اسقف اللاذقية وابرنجيوس *Apringios* اسقف قنسرين *Chalcis* وجيرونتيوس اسقف كلوديابوليس اسورية وكيرلس اسقف ادنة وكيروس اسقف مركوبوليس الرها *Marcoupolis* وأوسونيوس اسقف هيميرية الرها *Himeria* وأوريليوس اسقف ايرينوبوليس *Irenopolis* اسورية وبوليخروتيوس اسقف حماه وملاتيوس اسقف قيصرية الجديدة وموسايوس *Musaeus* اسقف ارواد وطرطوس وايلاذيوس اسقف عكة وهيسيخيوس اسقف كستبالة بودروم قيليقيــة وتريانوس اسقف أوغوسطة وسلوستوس اسقف كوريكوس وفالنتينوس اسقف ملوس وزوسيس اسقف اسبوس ويوليانوس اسقف شيزر *Larissa* وديوجينس اسقف جسر شغوز *Seleucobelos* والياس اسقف بلقيس *Zeugma* بالقرب من بيره جك وبلاكوس اسقف اللاذقية ومركلوس اسقف عرقة ورابولا اسقف الرها (١) .

ونهض الوفد الانطاكي الى افسس . ولم تخل رحلتهم هذه من المتاعب وبعض الحوادث ولا سيما وانهم سافروا براً . فأوفدوا من سبقهم الى افسس ليؤكد وصولهم اليها بعد حين ويرجو انتظارهم . ورأى رأي هؤلاء ثمانية وستون اسقفاً وأوصوا كيرلس بالانتظار (٢) . ووافقهم على هــذه النصيحة القومس كنديديانوس ممثل الامبراطور . وكان الوفد الروماني في طريقــه الى افسس . ولكن حسد كيرلس وحقده الموروث وخوفه من مناقشة بنوده أمام المجمــع بكامله وطمع يوبيناليوس أوقع الكنيسة الجامعة في مأزق كان من الممكن تجنبه (٣) .

الجلسات : وفي الثاني والعشرين من حزيران سنة ٤٣١ اجتمع في كنيسة السيدة في أفسس مئة وخمسون اسقفاً برئاسة كيرلس اسقف الاسكندرية . فهرع ممثل الأمبراطور الى هذه الكنيسة يؤكد ان الأمبراطور لا يرضى عن مجامع ناقصة

1) *Gerland - Laurent, Corpus Notitiarum Episcopatuum, I, 1936, fasc. II, 74 - 78 ; Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 131-133.*
2) *Nestorius, Heraclide, I, 2 ; Tillemont, Mémoires, XIV, 393.*
3) *Galtier, P., Centenaire d'Ephèse, Rech. Sc. Relig., 1931, 275 ; Alès, A., Le Dogme d'Ephèse, 139 ; Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, III, 349, n. 1.*

ويرجو الانتظار ريثما يصل وفد انطاكية . فامتنع الآباء عن الاصغـاء وكادوا يطردون ممثل الأمبراطور طرداً من الكنيسة . فاضطر هــذا الممثل ان يدون احتجاجه ويعلنه للجمهور .

ثم دُعي نسطوريوس الى الحضور فلم يحضر . فدعي ثانية وثالثة فلم يحضر فحكم عليــه بالقطع ثم تليت رسائل كيرلس وبنوده الاثنا عشر ورسالة البابا كيليستينوس الى نسطوريوس وأساقفة الشرق وقرار مجمع روميــة المحلي فصدّق المجمع على هــذه كلها واعتبرها ارثوذكسية . وكتب كيرلس باسم المجمع الى الأمبراطور والى اكليروس العاصمــة وشعبها منبئاً بما تمّ في أفسس . واحتج نسطوريوس وعشرة او سبعة عشر من مؤيديه على خروج كيرلس ومجمعه على النظام ورفعوا احتجاجهم الى الأمبراطور (١) .

وفي الرابع والعشرين من حزيران وصل يوحنا اسقف انطاكيــة ووفد كنيسته . فأرسل المجمع من أفاد بقطع نسطوريوس . فأسف يوحنا واعتبر عمل المجمع ظاهرة من ظواهر الرعونة والاستبداد . ثم عقد يوحنا مجمعاً مؤلفــاً من ثلاثة واربعين اسقفاً حكم فيــه بالقطع على كيرلس وممنون لظلمهما . وحكم ايضاً بمثل ذلك على سائر الأساقفــة الذين قبلوا قرار المجمع بدون فحص ولا ترو (٢) الى ان يجتمعوا ثانيــة ويلغوا ما قرروه ويحرموا بنود كيرلس الاثني عشر . وكتب يوحنــا بهذا كله الى الأمبراطور والمجلس الأعلى والأمبراطورة والاكليروس والشعب (٣) .

ثم وصل وفد رومة . فاجتمع مجمع كيرلس في دار الاسقفيــة في العاشر من تموز فتُليت تحارير كيليستينوس الجديدة وأعمال الجلسة الاولى . وفي الحادي عشر وافق أعضاء الوفد على مقررات هذا المجمع . ثم عقد كيرلس وأتباعــه جلستين في السادس عشر والسابع عشر من تموز . ودُعي يوحنــا اولا وثانياً

1) *Loofs, E., Nestoriana, 186 - 190.*
2) *Schwartz, E., Acta Concil. Œcumen., I, 4; Bardy, G., Débuts du Nestorianisme, op. cit., IV, 183, n.1.*
3) *Mansi, IV, Col. 1260 - 1277, 1380 - 1392.*

وثالثاً فأرسل رئيس شمامسته فلم يقبل المجمع فحكم حالا بقطعه وقطع اربعـة وثلاثين اسقفاً معه (١) . وكتب يوحنا الى الأمبراطور ضد كيرلس ووافقه في ذلك ممثل الأمبراطور . فأمر ثيودوسيوس الثاني بتكدير كيرلس وتوبيخه وبيقاء جميع الأساقفة في أفسس ليجتمعوا مجمعاً جديداً واحداً (٢) .

دستور الايمان : وبحث مجمع كيرلس في جلسته السادسـة في الثاني والعشرين من تموز أمر دستور ايمان كان قد فُرض في فيلادلفيـة على بعض التائبين من الهراطقة . فحرم المجمع كل محاولة لاعداد دستور ايمان غير ذاك الذي أقره الآباء في نيقية بالهام الروح القدس (٣) .

استقلال كنيسة قبرص : وشملت ولاية الشرق قبرص فخضعت هذه الجزيرة لانطاكية في شؤونها المدنية . واعتبرت كنائس قبرص كنيسة انطاكية كنيسة مؤسسة فنشأت مرتبطة بالكنيسة الام خاضعة لها . وكان ما كان من أمر آريوس والآريوسية ودب الشقاق الى صفوف المؤمنين في انطاكية فتشاغلوا عن شؤون قبرص وتركوها رهن الطوارق . وقيض الله لقبرص في النصف الثاني من القرن الرابع راعياً صالحاً عالماً ورعاً فوحد صفوف المؤمنين فيها وزادهم ثقة في النفس واحساساً بالعزة والكرامة . والاشارة هنا الى القديس ابيفانيوس صاحب كتاب علبة الأدوية البيناريون وكتاب الانكيروتس «الثابت في مرساه»، وكتاب الأدوية ضد البدع وفيه محاولة لدحض ثمانين بدعة وهرطقة . وقد يفيد ان يعلم ان ابيفانيوس ولد في بيت جبرين وتنسك في بيت صدوق وانه ذاع صيت علمه وقداسته فعين اسقفاً على مدينة قسطنسية (سلامينة) سنة ٣٦٧ وبقي حتى وفاته في السنة ٤٠٣ . والواقع ان احترام ابيفانيوس ادى الى ممارسة الاستقلال قبـل الاعتراف به . وفي السنة ٤١٥ نرى الجدال محتدماً بين تروئيلوس متروبوليت الجزيرة وبين الكسندروس رئيس كنيسة انطاكية ونرى هذا الأخير يستعين بزميله الروماني انوشنتيوس الأول فيؤكد اسقف رومة وجوب الاعتراف بسلطـة

1) *Alès, A., Dogme d'Ephèse, 167 - 170.*
2) *Mansi, IV, Col. 1377 - 1380.*
3) *Mansi, IV, Col. 1361.*

اسقف انطاكية في جميع أنحاء ذيقوسية الشرق . ويضيف ان هـذا التقدم عائد الى أمرين اولها ان انطاكيـة كانت مقر الرسول بطرس وانها كانت عظيمة (١) . ولكن أساقفة قبرص لم يكترثوا بشيء من هـذا كله . فلما كان ما كان من أمر نسطوريوس ومجمع أفسس سأل اسقف انطاكية يوحنا والي ذيقوسية الشرق ان يأمر بتأجيـل انتخاب خلف للمتروبوليت ثيودوروس في قبرص الى ان يرفض مجمع أفسس . ولكن رجينيوس المتروبوليت الجديد كان قد انتخب فأقلع للحال الى أفسس ومعه اسقفان . وبات رجينيوس ينتظر فرصة مناسبة لإثارة قضيته . فلما توترت العلاقات بين يوحنا وكيرلس تقدم متروبوليت قبرص بطلب رسمي الى المجمع في جلسته السابعـة في الحادي والثلاثين من تموز سنـة ٤٣١ يرجو به منح قبرص استقلالها . فكان له ذلك . ولا يجوز القول ان هذا تمّ في الثلاثين من آب (٢) .

بيان أمبراطوري : وفي أوائل آب أطل على الآباء المجتمعين المختلفـين أحد كبار رجال البلاط يوحنا قومس العطايا المقدسة وبيده براءة أمبراطورية . ولدى وصوله أمر الحزبين المتنافرين ان يجتمعا في مكان واحـد . ثم قرأ عليهم البراءة وفيهـا خلع نسطوريوس وكيرلس وممنون ووجوب الاستمساك بنص الدستور النيقاوي والعودة الى الأوطان (٣) .

ووافق الوفد الانطاكي على مضمون هذا البيان وأعلن استمساكه بالدستور النيقاوي واعتقاده بصحة الاصطلاح « والدة الإله » . ولم يأت الوفد على ذكر نسطوريوس . والواقع انه منذ وصول الوفد الى أفسس ونقطة الدائرة في البحث هي بنود كيرلس الاثنا عشر . اما الوفد الاسكندري ومن شـد ازره فانهم صعقوا صعقاً وراحوا يسعون للدفاع عن كرامة كيرلس وممنون . وعاد كيرلس الى أساليب خاله ثيوفيلوس فنثر الذهب في العاصمة ولا سيما في البلاط ووزّع الهدايا

1) *Jaffé-Wattenbach, Regesta Pont. Roman., 307 ; Batiffol, P., Siège Apost., 330 - 332 ; Tillemont, Mémoires, XIV, 444 - 447.*
2) *Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 49, n. 4 ; Bardy, G., Débuts du Nestorianisme, op. cit., IV, 186, n. 4.*
3) *Gerland - Laurent, op. cit., 55 - 56.*

على أنواعها (١) . فأصغى الأمبراطور اليه وقال بالتسوية .

في خلقيدونية : واستقال نسطوريوس من منصبه وآثر العودة الى الدير في انطاكية ولم يطلب شيئاً سوى ابطال بنود كيرلس الاثني عشر . ووافق الوالي انطيوخوس فعاد نسطوريوس الى دير افبريبيوس (٢) . ودعا الأمبراطور ممثلين عن الحزبين المختلفين الى خلقيدونية . واستمع الى أقوالها وأمر باعادة كيرلس وممنون الى منصبيهما ونصّب على كرسي القسطنطينيـــة مكسيميانوس الكاهن الوقور المحب المحترم (٣) . ولكن هـــذا وحده لم يكف لاعادة السلم والوئام الى الصفوف . فبنود كيرلس الاثنا عشر كانت لا تزال موضع جـــدل عنيف بين انطاكية والاسكندرية .

ورجع الأساقفة الى أوطانهم وهم على شقاق لا على سلام واتفاق . وبعد رجوعهم عقد الانطاكيون مجمعـــين أحدهما في طرسوس والآخر في انطاكية وأعادوا حرم كيرلس وبنوده .

مهمة ارسطولاوس : فساء هـــذا كله في نظر الأمبراطور فشاور مكسيميانوس في الأمر فأشار بدعوة كل من كيرلس ويوحنـــا الى اجتماع خصوصي يعقد بينهما وحدهمـــا في نيقوميذية . فاستدعى الأمبراطور القائد ارسطولاوس *Aristolaus* ودفع اليه بارادة سنية قضت بقيـــام كل من كيرلس ويوحنا الى نيقوميذية لأجل التفاهم وبامتناعهما عن خلع الأساقفة وسيامتهم حتى وصولهما الى الصلح والاتحاد . ولدى وصول ارسطولاوس الى انطاكية رأى من المفيد جداً ان يتصل بعميد الأساقفـــة وشيخهم الوقور اكاكيوس متروبوليت حلب . ففعل وحمل اليـــه ايضاً جواب أساقفة انطاكية وكان هؤلاء قد أكدوا للأمبراطور ارثوذكسيتهم واستمساكهم بدستور نيقية وبنص رسالة اثناسيوس الى ابيكتيتس ولكنهم أعلنوا عـــدم استعدادهم لتقبل أية اضافة الى التعـــاليم الموروثة (٤) .

1) *Batiffol, P., Les Présents de Saint Cyrille à la Cour de Const., Études de Liturgie et d'Arch. Chrét., 1919, 154 - 179.*
2) *Synodicon, XXIV - XXV; Neue Aktenstücke, 13 - 14.*
3) *Socrates, Hist. Ecc., VII, 37.*
4) *Synodicon, 35.*

ورأى اكاكيوس ان يطلع كيرلس على جواب اساقفـــة انطاكية فأوصى ارسطولاوس بذلك . فكتب كيرلس الى اكاكيوس مبينـــاً شروط التفاهم المنشود . وأهمها الاعتراف بخلع نسطوريوس وتحريم بدعته . وأما سائر الامور المعلقة ولا سيما البنود فان كيرلس لم يقصد بها سوى نسطوريوس وعقيدته. فلمس الاسقف الشيخ استعداد كيرلس للمصالحـــة فكتب الى ثيودوريطس قورش والكسندروس منبج يبيّن شروط كيرلس وينصح بقبولها ويرجو التفضل بالرد (١) . فرفض الكسندروس منبج هذا النصح وأيـــده في الرفض عدد من زملائه الاساقفة وأجمعوا ان في ما يقوله كيرلس شيئاً من الابوليناريـــة . أما ثيودوريطس قورش واندراوس سميساط فانهما لما تقرباً في رد كيرلس ولكنهما رفضا ذم نسطوريوس والحكم عليه (٢) .

بولس اسقف حمص : وكتب يوحنا اسقف انطاكية كتاباً كريماً الى زميله الاسكندري جاء فيـــه انه لا يطلب الا السلام وانه يغتبط لتمسك زميله برســـالة اثناسيوس لابيكتيتس لانه هو أيضاً مستمسك بهـــا (٣) . فرأى اكاكيوس ان يوفد صديقه بولس اسقف حمص الى الاسكندرية لينقـــل رسالة يوحنا ويفاوض كيرلس في التفاهم والاتحاد (٤) .

وصل بولس الى الاسكندرية فوجد كيرلس مريضاً . ثم لمس شيئاً من الدس يزرعه البلاط الأمبراطوري طمعاً بالمال فطالت اقامة الرسول الانطاكي . ونثر كيرلس الذهب مرة ثانية فسكتت القسطنطينية . ثم استأنف الفريقـــان التفاوض فاتفقا على ان يعلن بولس اعترافه بقانونيـــة انتخاب مكسيميانوس وبصحة التعبير « والدة الاله » وان يخطّىء نسطوريوس في ما ذهب اليه فيدخله عندئذ كيرلس في شركته . واعترف بولس بهذا كله فاشترك في الذبيحة الالهيـــة في الاسكندرية مرتين متتاليتين في ٢٥ كانون الاول سنـــة ٤٣٢ وفي اول كانون الثاني سنة ٤٣٣ (٥) .

1) *Mansi, V, Col. 830; Alès, A., Dogme d'Ephèse, 207.*
2) *Synodicon, 60.*
3) *Synodicon, 80.*
4) *Neue Aktenstucke, 67-68.*
5) *Mansi, V, 293-301.*

اتفاق وسلام : وكان ارسطولاوس قد عرّج على انطاكية حاملا رسالة بيّن فيها كيرلس موقفه النهائي من المسالة وقد أوجب فيها قطع نسطوريوس ونبذ تعاليمه . ولم يُشر بشيء الى بنوده الاثني عشر . فقبل يوحنا وأرسل الى كيرلس نص اعتراف كان قد حرره ثيوذوريطس في أفسس . فوافق كيرلس عليه وتم التفاهم بين الاسكندرية وانطاكية . واليك أهم ما جاء في هذا الاعتراف :

« نؤمن بأن سيدنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد هو اله تام وانسان تام من نفس ناطقة وجسد . . . وانه قام به اتحاد طبيعتين وانه مسيح واحد وابن واحد ورب واحد وان البتول بحسب هذا الاتحاد العادم الاختلاط هي والدة الإله لأن الإله الكلمة تجسد وتأنس منها ومن بدء الحبل اتحد بذاته الهيكل المأخوذ منها» الخ (١) .

وصدر عن انطاكية وعن الاسكندرية رسائل سلامية الى كل من سيكستوس اسقف رومة ومكسيميانوس اسقف القسطنطينية وثيودوسيوس الأمبراطور تنبيء بالحادث السعيد (٢) .

اختلاف الكلمة في انطاكية : واختلف الأساقفة الانطاكيون في أمر هذا الاعتراف فاعتبره الكسندروس منبج انتصاراً لكيرلس واندحاراً ليوحنا وأتباعه . وقال هذا القول معظم أساقفة قيليقية الاولى والثانية كما يتبين من مقررات مجمع عين زربه في ربيع السنة ٤٣٣ . وتفرقت الطرق بأساقفة وادي الفرات . فبعضهم أيد الكسندروس والبعض الآخر عاد الى الشركة مع يوحنا رئيس الكنيسة . وبين هؤلاء اندراوس اسقف سميساط ويوحنا اسقف مرعش .

وتوفي مكسيميانوس اسقف القسطنطينية في ربيع السنة ٤٣٤ وحل محله بروكلوس وقد سبقت الاشارة اليه . وظل الكسندروس منبج وايلاذيوس طرسوس ومكسيميانوس عين زربة وملاتيوس موبسوستي وثيودوريطس قورش مستبدين برأيهم منفردين به . فأطلت عليهم السلطات المدنية وأكدت لهم ان الوقت قد حان للتواضع والتعقل . وضغطت بشكل خصوصي على ثيودوريطس

1) *Mansi, V, 781-783; Cyrille, Epist. 38; Alès, A., Dogme d'Ephèse, 296-312.*
2) *Jaffé - Wattenbach, Regesta, 391.*

أعلم الأساقفة وأبعدهم أثراً فبعثت بسمعان العمودي ويعقوب وغيرهما من مشاهير الرهبان اليه ليتوسلوا اليه بوجوب المحافظة على الاتحاد . وشجعت السلطات وجهاء رعية هذا الاسقف القديس على مطالبته بالأمر نفسه . وتعددت رسائل زملائه الأساقفة للغاية نفسها . فقبل ثيودوريطس ان ينهض الى انطاكية لمقابلة رئيس الكنيسة يوحنا . ولدى وصوله اليها اشترك بالذبيحة مع يوحنا ووقع الاعتراف وكتب الى كيرلس بذلك. ولم يُطلب اليه ان يقطع نسطوريوس (١). وتبع ثيودوريطس في هذا عدد غير قليل من أساقفة القيليقيتين واسورية . وأصرّ الكسندروس منبج على غيّه وأمعن في تيهه فنفي الى مناجم مصر . وهام في أودية الضلال حتى وافته المنية . وعميت وجوه الرشد على خمسة عشر اسقفاً آخرين فخلعوا وابعدوا . وأشهر هؤلاء ملاتيوس موبسوستي وانستاسيوس تنذوس (٢) .

إبعاد نسطوريوس : وكان نسطوريوس لا يزال مقيماً في ديره في انطاكية منذ اواخر السنة ٤٣١ يرقب سير الحوادث ويجمع المواد اللازمة للرد على خصومه . ورأى كيليستينوس في ذلك ضرراً على الايمان والوحدة فكتب بابعاده عن انطاكية في السنة ٤٣٢ (٣) . ثم خشي يوحنا نفسه أثر بقاء نسطوريوس في كنفه فكتب الى الامبراطور بابعاده . فأبعد الى البتراء أولا ثم الى الواحة الكبرى في صحراء ليبية . وبقي فيها حتى وفاته . ولا نعلم تاريخ وفاته . ولم يعلم سقراط المؤرخ الذي كان يدون تاريخه في السنة ٤٣٩ ما اذا كان نسطوريوس قد مات فعلا او أنه كان لا يزال حياً (٤) .

وفي الثالث من آب سنة ٤٣٥ صدر قانون امبراطوري قضى بتحريم تعاليم نسطوريوس وحرق كتبه (٥) . واضطهد الولاة اتباعه وخصوا صديقيه القومس ايريناوس والكاهن فوتيوس بعنايتهم فنزعوا عنهما الالقاب والرتب

1) *Devresse, R., Le Retour des Orientaux à l'Unité (433-437), Échos d'Orient, 1931, 271-292; Tillemont, Mémoires, XIV, 585-590.*
2) *Tillemont, Mémoires, XIV, 596-603.*
3) *Jaffé - Wattenbach, 385.*
4) *Socrates, Hist. Ecc., VII, 34.*
5) *Cod. Theod. XVI, 5.*

وصادروا أملاكها ونفوهما الى البتراء (١) .

فاتحة الفصول الثلاثة : وانتمى نسطوريوس الى مدرسة انطاكية فنزع الى أساتذته فيها الى ثيودوروس الموبسوستي وديودوروس الطرسوسي . ولكن أحداً من الباحثين في قضيته في أفسس والاسكندرية لم يُثر هذا النسب العلمي ولا سيما وان كلا من ثيودوروس وديودوروس كان قد توفي على ايمان وتقوى .

وكانت الكنيسة في ارمينية في نهضـــة مباركة . وكان آباؤها قد آثروا نقل مؤلفات الآباء اليونانيين الى الأرمنية على التصنيف من جديـــد فتعرفوا الى أقوال ثيودوروس وديودوروس وغيرهمـــا من الآباء الانطاكيين ونقلوها الى الأرمنية . وشاء القدر ان تتاخم أبرشيتا اكاكيوس ملاطية ورابولة الرها البلاد الأرمنية . وكان كل من هذين الاسقفين كيرلّسياً حساساً فكتبا الى اخوانهما في الرب أساقفة أرمينية يرشدانهم الى الابتعاد عن مصنفات ثيودوروس الموبسوستي لأنه « ابو النسطرة » . وكانت العقائد الأبوليناريّة ايضاً قد تسربت الى بعض الأوساط الأرمنية . فقـــام انصارها يعارضون الاعتماد على مصنفات الآباء الانطاكيين . فعقد الأرمن مجمعاً محلياً للنظر في هذا الأمر وأوفدوا كاهنين الى القسطنطينية ليعرضا القضية على بروكلوس ويستبصرا برأيه (٢) .

ورحّب بروكلوس بالوفـــد الأرمني ودرس نصوص ثيودوروس المحمولة اليه فألفاها تتطرّف في التفريق بين «ابن الله» و « ابن الانسان » الى درجة يصعب عندها القول بوحدانيـــة الاقنوم . فشجبها ودون « اعترافاً » خصوصياً عُرف باسمـــه ودفع بهذا النتاج كله الى الوفد الأرمني موصياً بوجوب قبوله وتوقيعه .

ولم يقف بروكلوس اسقف القسطنطينية عند هذا الحد . فانه بعث بمثل ما خص الأرمن به الى الآباء الانطاكيـــين وأوجب شجب بعض الأقوال التي نسبت الى ثيودوروس . وأرفق هذا كله بارادة أمبراطورية توصي يوحنا رئيس

1) *Synodicon, 188-189.*
2) *Mansi, IX, Col. 240; Liberatus, Breviarium, X.*

كنيسة انطاكية وزملاءه الأساقفة بالابتعاد عن كل ما من شأنه الاخلال بالسلام والمحبة (١) .

وُدهش يوحنا ولفيف الأساقفة الانطاكيين لهذا التجرّم والتجني . فكتبوا الى بروكلوس يشجبون نسطوريوس والنسطرة ويؤكـــدون استمساكهم بالدستور النيقـــاوي . ولكنهم رفضوا شجب ثيودوروس « كي لا يشجبوا اثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس وثيوفيلوس وغيرهم ممن علّم المبادىء نفسها » (٢) . وكتب يوحنا الى الأمبراطور بالمعنى نفسه ولفت نظره بالاضافة الى الخطر الذي يتحتم وقوعه من جراء محاكمـــة آباء سبق رقادهم على ايمان وتقوى . وحرر الى كيرلس ايضاً يوجب تسكين هذا اللهيب واطفاء جمره (٤) . وكان كيرلس يعد كتاباً في الرد على علماء انطاكية ولكنه أحب السلام فيما يظهر فكتب الى بروكلوس يذكره ان مجمع أفسس شجب قولاً عُزي الى ثيودوروس ولكنه لم يذكر اسماً واحداً عند شجب هذا القول وأضاف انه يجدر به ألا يتطلّب اموراً كثيرة من أساقفة الشرق (٥) .

وسكت الأساقفـــة الكبار الثلاثة ولكن اسقف الرها خلفَ رابولة لم يسكت ، وكان يدعى إيبا *Ibas* ، فانه شنها حرباً شعواء على بروكلوس في سبيل الدفاع عن ثيودوروس الموبسوستي وديودوروس الطرسوسي المعلمـــين الانطاكيين . وعرف فيما بعد برسالة امتدح فيها هذين المعلمين ووجهها الى ماري أحد أتباع ملك الفرس في سلفكية (٦) .

وفاة يوحنا وكيرلس وبروكلوس : وتوفي يوحنا اسقف انطاكية في السنة ٤٤١ او ٤٤٢ وخلفه ابن اخته دومنوس . ثم لحق بيوحنا كيرلس اسقف الاسكندرية (٤٤٤) فتولى الرئاسة بعده الارشدياكون ديوسقوروس . وفي السنة

1) *Synodicon, 219.*
2) *Synodicon, 196, 197.*
3) *Synodicon, 200.*
4) *Schwartz, E., Konzilstudien, 62-66.*
5) *Mansi, IX, Col. 409.*
6) *Labourt, J., Le Christianisme dans l'Empire Perse sous la Dynastie Sassanide, 133 n. 6; Devresse, R., Lettre d'Ibas et Tome de Proclus, Rev. Sc. Relig., 1931, 543-565.*

٤٤٦ انتقل بروكلوس اسقف القسطنطينية فرقي سدة الرئاسة بعده فلافيانوس الكاهن . وبوفاة هؤلاء الثلاثة أصبح ثيودوريطس اسقف قورش زعيم الكنيسة الأوحد في الشرق كله .

ثيودوريطس : (٣٩٣ ــ ٤٥٧) ولد في انطاكية ونشأ فيها وأخذ عن أساتذتها شطراً وافراً من العلوم الدنيوية ثم نقل عن آبائها تفسير الأسفار المقدسة واللاهوت . وقبل النذر فالتجأ الى أحد الأديار بالقرب من ابامية (١) واشتهر بالعفة والطهارة والتقوى فسيم اسقفاً على قورش في السنة ٤٢٣ .

وكانت أبرشية قورش كبيرة ولكنها لم تكن غنية ولم تخل من الوثنيين والهراطقة . فكرّس ثيودوريطس سنواته الاولى (٤٢٣ ــ ٤٣٠) لمكافحة الوثنية والهرطقة بالوعظ والكتابة والتأليف . ويجمع رجال الاختصاص اليوم على ان مصنفه الـ *Curatio* في الدفاع عن المسيحية ظهر في هــذه الحقبة الاولى من اسقفيته (٢) وان عدداً كبيراً من رسائله الضائعــة التي رشق بها الآريوسيين والمركيونيين والافنوميين والمقدونيين تعود الى هذه الحقبة نفسها ايضاً (٣) . وصادر ثيودوريطس في أثناء حربه هــذه أكثر من مئتي نسخة من دياتسرون *Diatessaron* تاتيانوس وأحل محلها نسخاً من الأناجيل المفردة حرصاً على سلامة النص . وأعاد الاسقف الى حظيرة الخلاص أكثر من عشرة الاف ضال (٤) . وواصل الاسقف ابناءه الروحيين حيثما كانوا في المدن وفي القرى والمزارع وأصغى الى شكاويهم ودافع عن حقوقهم ولا سيا أمام الجباة والشرطة (٥) .

ووصل نسطوريوس الى السدة القسطنطينية وحلت العاصفــة ووضع كيرلس الاسكندري بنوده الاثني عشر وهبت انطاكية تدافع عن موقفها العلمي اللاهوتي فوكل اسقفها يوحنا أمر هذا الدفاع الى ثيودوريطس فصنف كتاباً اسماه

1) *Epist., 119 ; Azema, Y., Correspondance (Théodoret de Cyr), 14 - 15.*
2) *Canivet, P., Précisions sur la Date de la Curatio, Rech. Sc. Relig., 1949, 585 - 593.*
3) *Azema, Y., op. cit., 16.*
4) *Théodoret, Haeret. Fabul. Compend., I, 20.*
5) *Azema, Y., op. cit., 44 - 56 ; Bardy, G., L'Acte d'Union, Fliche et Martin, op. cit., IV, 209 - 210.*

« الرد على اللعنات » وقد ضاع هذا المؤلف ولا نعلم عن محتوياته شيئاً سوى ما جاء في معرض الرد عليها في رسائل كيرلس (١) . ومثّل ثيودوريطس رئيسه الكسندروس منبج في اجتماع خلقيدونية المنبثق عن مجمع افسس وتولى الكلام باسم كنيسة انطاكية . وما فتيء يدافع عن مدرسة انطاكية حتي كان ما كان من أمر التفاهم بين يوحنا وكيرلس فطغت محبة المسيح على نعرة اقليمية ووقّع ثيودوريطس ما أدى الى توحيد الصفوف في الكنيسة الجامعة .

1) *Pat. Gr., Vol. 77, Col. 316, 385.*

الفصل الثاني والعشرون

اوطيخة
والمجمع المسكوني الرابع

٤٤١ — ٤٥١

اوطيخـــة : (٣٧٨_٤٥٥) وراجت تعاليم كيرلس الاسكندري في الأوساط الرهبانية في القسطنطينية . وتزعم هـــذه الأوساط بعد وفاة القديس دلماتوس (٤٤٠) الراهب اوطيخة او افتيشيس *Eutyches* . وكان اوطيخة راهباً زاهداً ورعاً محترماً وقد تقدّم جميع رهبان العاصمة وبرز تبريزاً. وكان الأمبراطور يجله كما كان الخصي خريسافيوس ابنـــه في المعمودية يحترمه ويستشيره في جميع المشاكل الادارية الدينية (١) .

واهتم اوطيخة للجـــدل بين كيرلس ونسطوريوس . وكان يكره نسطوريوس فقال قول كيرلس . ثم تمادى فقال ان الطبيعة الانسانيـــة في المسيح امتزجت بالطبيعة الالهية حتى تلاشت فيها « تلاشي نقطة خمر وقعت في بحر ماء» . فالمسيح والحالة هذه اقنوم واحد وطبيعة واحدة (٢) . وراجت هـــذه التعاليم في القسطنطينية وخارجها نظراً لروابط الصداقة التي كانت تربط اوطيخـــة بأصدقاء كيرلس وأتباعه ونظراً لبراعة اوطيخة في وضع الخطط ونصب المكايد. فانه تودد الى اورانيوس اسقف هيميرية في منطقة الرها ليحارب به ايبا الاسقف الشهير وتحبب الى الناسك برصوم ليشاغب به على دومنوس اسقف انطا كيـــة وثيودوريطس اسقف قورش في سورية وفي العاصمة (٣) .

1) *Bardy, G., Brigandage d'Ephèse, Fliche et Martin, op. cit., IV, 212.*
2) *Tixeront, J., Hist. des Dogmes, III, 84-85.*
3) *Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Église, III, 398 ff.*

دومنوس اسقف انطاكية : (٤٤١ ـ ٤٤٩) هـــو دومنوس الثاني *Domnos* ولد في انطاكية ونشأ فيها وأخذ العلم عن أساتذتها ثم عكف على الصلاة والتأمل في جوار القديس افثيميوس الكبير في ساحل اريحا . وكان بامكانه ان يلجأ الى دير افريبيوس حيث تقبل النذر خاله يوحنا اسقف انطاكية ونسطوريوس ايضاً ولكنه آثر طهر افثيميوس وقفار اريحا فأطل على هـــذا القديس في السنة ٤٢٨ وتقبـــل النذر على يده . ثم هاله موقف خاله من كيرلس في السنة ٤٣١ فأحب ان يعود الى انطاكية ليقنع خاله بوجوب تأييد العقيدة القويمة كما رآها معلمه ومرشده. فنهاه افثيميوس عن ذلك مبيناً انه اذا عاد الى انطاكية فانه لا يستفيد شيئاً وانه سيبقى هناك وسيقام اسقفاً ليخلف خاله في كرسي الرسولين ولكن المنافقين سيحطونه من مقامه. والواقع ان القديس الكبير افثيميوس عرف دومنوس حق معرفة فقدر فيـــه طهره وقداسته وتواضعه وحسن نواياه ولكنه لمس فيه « بساطة » وضعفاً في تقدير الرجال لم يؤهلاه للزعامة والرئاسة (١) .

دومنوس واوطيخة : ولم يرضَ دومنوس عن تعليم اوطيخة ولم يخشَ خريسافيوس الخصي ولا سيده الامبراطور فرأى رأي ثيودوريطس ورضي عن تصنيف كتاب يرد به على اوطيخة . فظهر في أواخر السنة ٤٤٧ ايرانيستيس *Eranistes* ثيودوريطس اي كتابه «الشحاذ» . وراج هذا الكتاب في الأوساط الرسمية والدينية فوجد المؤمنون فيه رسالة متينة تثبت ان الله لا يتغير ولا يتألم وان الطبيعتين وجدتا معاً في المسيح بدون امتزاج . ورصّع ثيودوريطس فقراته بمقتطفات من كلام الآباء القديسين . ولم يستهدف شخصاً معيناً ولكنه لم يترك لقرائه مجالا للشك في انه انما يقصد اوطيخـــة و « الأوطخة » . وفي مطلع السنة ٤٤٨ كتب دومنوس الى الأمبراطور نفسه يلفت نظره الى خروج اوطيخة وهرطقته (٢) .

الأمبراطور يدافع عن اوطيخة : ولم يرضَ الأمبراطور عن هـــذه الشكوى فأجاب في السادس عشر من شباط سنة ٤٤٨ بارادة أمبراطورية قضت

1) *Tillemont, Mémoires, XV, 581 - 582 ; Génier, F. R., Vie de Saint Euthyme le Grand, 152 - 156.*
2) *Facundus d'Hermiane, Pro Defensione Trium Capitulorum, XII, 5.*

بتحريم مصنفات بورفيريوس ونسطوريوس وجميع المصنفات التي لم تتفق ونصوص قرارات نيقية وأفسس و « بنود كيرلس » ! وأمر ايضاً بعزل ايريناوس اسقف صور من منصبه (١) . فاتخذ لنفسه بعمله هذا صلاحيات لم يسبقه اليها قسطنديوس من قبل . ولا يخفى ان القومس ايريناوس كان أحد أصدقاء نسطوريوس وانه نفي الى البتراء ثم اطلق سراحه بعد وفاة كيرلس وان أساقفة فينيقية الساحلية ألحوا بوجوب سيامته اسقفاً على صور فوافق بروكلوس نفسه على ذلك وقام بفروض السيامة ثيودوريطس اسقف قورش (٢) .

وذاع خبر هذه الارادة السنية ودبت عقارب اوطيخة وخريسافيوس بين القوم فخاض عملاؤهما في الأخبار الكاذبة ايقاداً للفتنة . فأمّ انطاكية من الرها من شكا الاسقف ايبا الى رئيسه دومنوس . فأحتار دومنوس في أمره وأجل وسوّف فرفع المتذمرون شكواهم الى القسطنطينية والاسكندرية وشكوا دومنوس نفسه وثيودوريطس (٣) . فصدرت ارادة جديدة تقضي بوجوب بقاء ثيودوريطس ضمن حدود ابرشيته وحصر اهتمامه بأبنائه الروحيين . وكتب ديوسقوروس الى دومنوس كتاباً ناشفاً أشار فيه الى تأخر دومنوس عن سيامة خلف لايريناوس في صور واهتمامه باعداء الأرثوذكسية ومعاونته لهم (٤) . فاحتج دومنوس على تدخل ديوسقوروس في شؤون غيره ولكن دون جدوى (٥) .

وفي الثامن والعشرين من تشرين الاول سنة ٤٤٨ صدر أمر سني الى القائد دمسكيوس *Damascius* بوجوب نقل كل من إيبا الرها ودانيال حران ويوحنا الرسينة الى فينيقية لاجراء محاكمتهم أمام هيئة روحية مؤلفة من اورانيوس اسقف هيميرية وفوطيوس اسقف صور وافستاثيوس اسقف بيروت (٦) . ومثل

1) *Cod. Justin., I, 1.*
2) *Mansi, V, Col. 417-420; Martin, P., Actes du Brigandage d'Ephèse, 163. For English edition, see Perry, S. G. F., Second Synod of Ephesus, Dartford, 1881.*
3) *Epist., 83.*
4) *Martin, P., Actes, 163.*
5) *Martin, P., op. cit., 142; Théodoret, Epist., 92.*
6) *Schwartz, Ed., Acta, Session XI, 378.*

المتهمون أمام الهيئة الحاكمة في صور اولا ثم في بيروت وترافع الطرفان فنصحت الهيئة الحاكمة بالصلح والمسالمة . فتم ذلك في بيروت في ربيع السنة ٤٤٩ (١) .

فلابيانوس واوطيخة : وفي الثامن من تشرين الثاني سنة ٤٤٨ أثار افسابيوس اسقف دورلة قضية اوطيخة أمام المجمع القسطنطيني . وكان افسابيوس قد نبّه اوطيخة الى ضلاله فلم يصغ . واضطر فلابيانوس ان يأمر الارشمندريت اوطيخة بالمثول أمام المجمع المقدس للاجابة عما يوجه اليه من اسئلة تتعلق بتعاليمه . فلم يحضر ولم يمتثل الا بعد التهديد . وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني خرج اوطيخة من ديره يحف به عدد كبير من الرهبان والموظفين واتجه نحو الاسقفية . ومثل أمام الأساقفة في المجمع وأصرّ على القول بالطبيعة الواحدة فحكم عليه المجمع بالهرطقة وقطعه من كل رتبة كهنوتية ومن الشركة ومن رئاسة الدير . وكان بين الأساقفة الجالسين اربعة انطاكيون : باسيليوس سلفكية وسابا « بلدة *Paltos* » عند مصب نهر السن بين بانياس وجبلة وبروكلوس اذرح وذيفرنطيوس *Diapherontios* حلبان في شرقي حماة (٢) . ولم يرضخ اوطيخة وأكد انه سيرفع أمره الى مجامع رومة والاسكندرية واوروشليم وتسالونيكية (٣) .

لاوون واوطيخة : وكتب اوطيخة الى لاوون اسقف رومة وبطرس اسقف رابينة وغيرهما من الشخصيات الكبيرة راجياً انصافه (٤) . فكتب لاوون الى الأمبراطور يفيد ان فلافيانوس لم يكتب اليه بشيء مما جرى وانه بناء على ما أفاد به اوطيخة نفسه لا يرى ما يستعاب به للبت في الأمر (٥) .

تلصص في أفسس : (٤٤٩) وكتب خريسافيوس الخصي الى ديوسقوروس اسقف الاسكندرية يطلب معونته . فعقد ديوسقوروس مجمعاً محلياً وحلّ

1) *Ibid., Session X, 373-375.*
2) *Schwartz, Ed., Acta, Session I, 145-146.*
3) *Mansi, VI, Col. 817.*
4) *Bardy, G., Brigandage d'Ephèse, op. cit., IV, 217.*
5) *Jaffé - Wattenbach, Regesta, 421.*

اوطيخة من القطع واعتبره ارشمندريتاً على ديره . ثم طلب الى القيصر ان يدعو الى مجمع مسكوني للنظر في قضيـــة اوطيخة . وبمداخلة خريسافيوس وافذوكية زوجة الأمبراطور وغيرهما من رجال البلاط انتصر الأمبراطور لاوطيخة وكتب الى لاوون اسقف رومة يلمح بوجوب النظر في قضيـــة اوطيخة أمام مجمع مسكوني . فكتب لاوون الى فلابيانوس بعناية الأمبراطور في الحق والعـــدل واستعلم منه ما جرى . فأرسل فلابيانوس أعمال المجمع القسطنطيني الذي حكم على اوطيخة . فعقد لاوون مجمعاً محلياً ودقق هذه الأعمال فوافق عليها . وكتب الى الأمبراطور يعتذر عن حضور المجمع بشخصه ويفيد ان يوليوس اسقف بوزولة سيرأس الوفـــد الروماني الى المجمع وان ليوليانوس اسقف كوس الحق بتمثيله ايضاً (١) .

ودعا الأمبراطور الى مجمع في أفسس يبدأ أعماله في اول آب سنة ٤٤٩ . وأكد الأمبراطور انه لا يجوز اشتراك ثيودوريطس في هذا المجمع الا اذا طلب ذلك الأساقفـــة المجتمعون . وأمر ايضاً بأن يمثل الزهـــاد والنساك في الشرق الارشمندريت برصوم (عدو ثيودوريطس) وأوجب الأمبراطور على إلبيذيوس *Elpidios* وافلوجيوس *Eulogios* من رجال المعيـــة ان يمثلاه في المجمع . وأعلن مسبقاً ان رئاسة هـــذا المجمع ستكون لديوسقوروس اسقف الاسكندرية يعاونه فيهـــا كل من يوبيليانوس اسقف اوروشليم وثلاسيوس *Thalasios* اسقف قيصرية .

ومثّل كنيسة انطاكية في هذا المجمع دومنوس رئيسها وواحـــد وعشرون اسقفاً بينهم ملاتيوس شيزر وفوطيوس صور وثيودوروس دمشق وافستاثيوس بيروت واسطفانوس عـــين زربه وثيودوروس طرسوس وروفينوس سميساط وسمعان آمد وبوليكاربوس جبـــلة (٢) . ومنع ثيودوريطس كما مرّ بنا . والتي

1) *Saint Léon, Epist., 34, 35; Jaffé - Wattenbach, Regesta, 423-429.*
2) *Schwartz, Ed., Acta, II, 77-82, 183-186, 192-195; Devresse, R., Patriarcal d'Antioche, 135-136.*

القبض على ايبا اسقف الرها في أواخر حزيران وتجاذبته أيدي الشرطة مـــدة من الزمن (١) .

طوموس القديس لاوون : وحمل الوفد الروماني عدداً من الرسائل منها واحدة للمجمع بكامله وثانية للأمبراطور وغيرها للأمبراطورة ورابعـــة لرهبان العاصمة . وأهمها طوموس القديس لاوون وهي رسالتـــه الى زميله فلابيانوس اسقف القسطنطينيـــة . وفيها أيد موقف فلابيانوس ضد اوطيخة وشرح تعليم الكنيسة بالطبيعتين في الاقنوم الواحد شرحاً مدققاً واضحاً (٢) .

« لقد جلست أيها المجيد على كرسي الكهنوت وأبكمت بعقـــائد الثالوث الموقر أفواه الأسد الناطقة وأنرت رعيتك بنور معرفة الله فلذلك مجدت يا مقراً الهياً لنعمة الله » .

السواعي — ١٨ شباط

المجمع اللصوصي : ودعـــا ديوسقوروس الوفود الى الاجتماع في كنيسة السيدة في أفسس في الثامن من آب سنة ٤٤٩ فلبى الدعوة مئة وثلاثون اسقفاً او أكثر . وافتتح ديوسقوروس الأعمال بتلاوة أوامر الأمبراطور . وعند الانتهاء من تلاوتها طلب اليه ممثل رومة الاسقف يوليوس ان يقرأ رسائل رئيسه . فتناولها ديوسقوروس ولكنه أمر بتلاوة ما تعلق بمهمة الارشمندريت برصوم . ثم طلب الى اوطيخة ان يعترف بالايمان . فأكد هذا الراهب ان ايمانه هو ايمان الآباء ثم لعن جميـــع الهرطقات ولا سيما تلك التي ادعت بأزلية جسد المسيح . واحتج على قطعه وطلب انصافه. فأشار فلابيانوس بوجوب استماع افسابيوس اسقف دورلة ولكن إلبيذيوس ممثـــل الأمبراطور رفض ذلك ولم يسمح ايضاً بقراءة رسائل اسقف رومة . ثم بدأوا بتلاوة أعمال المجمع القسطنطيني الذي حكم على اوطيخة بالقطع . وعندمـــا بلغ القارىء الى العبارة : « ان افسابيوس الدورلي قد بذل جهده في حمل اوطيخة على الاقرار بأن في المسيح طبيعتين » هتف عدد كبير من الحاضرين : « فليُحرق افسابيوس حياً وليقطع لأنه أراد ان يقسم المسيح » . ثم

1) *Martin, Actes, 4-5.*
2) *Saint Léon, Epist. 28; Tixeront, J., Hist. des Dogmes, III, 86; Bardy, G., Brigandage, op. cit., IV, 219-220.*

طرح ديوسقوروس قضية اوطيخة للتصويت فقال باستقامة رأيه مئة واربعة عشر اسقفاً أولهم دومنوس اسقف انطاكية ويوبيليانوس اسقف اوروشليم وآخرهم ديوسقوروس (١) ! فشهر اوطيخة ارثوذكسياً واعيد الى مقامه ورئاسة ديره .

وذكّر ديوسقوروس بعد هذا الأعضاء الجالسين بموقف المجمع المسكوني الثالث ممن يجسر على مخالفة دستور نيقية وطلب ادانة فلابيانوس وافسابيوس على هذا الأساس . فاحتج فلابيانوس وصرخ الشماس الروماني هيلاريوس باللاتينية « *Contradicitur* » وتقدم بعض الأساقفة نحو ديوسقوروس ورجوه التبصر والتريث فأدعى اسقف الاسكندرية بأنهم هددوه وطلب المعونة من ممثلي الأمبراطور . ففتح هؤلاء أبواب الكنيسة وأدخلوا اليها الجند والرهبان والبحارة المصريين وغيرهم من عناصر الغوغاء . وعبثاً حاول فلابيانوس الالتجاء الى قدسية المذبح فان الرهبان جروه جراً فوقع على الارض فداسه ديوسقوروس وجماعة برصوم واخرج خارجاً وسجن وتوفي بعد ثلاثة ايام وهو في طريقه الى المنفى (٢) . واتهم ديوسقوروس بقتله قتلا (٣) . أما أفسابيوس اسقف دورلة فانه كان أسعد حظاً فتمكن من الفرار والالتجاء الى رومة (٤) .

وعقد هذا المجمع جلسته الثانية في الثاني والعشرين من آب من السنة نفسها فنظر في قضية ايبا اسقف الرها . فاستمع الى أعمال المجمع الانطاكي وقرار محكمة بيروت وأفادات قاضي الرها *Chereas* فحطّه عن مقامه الاسقفي ونزع عنه ممارسة السلطات الكهنوتية وأكرهه على « اعادة الذهب المسروق » (٥) .

ونظر المجمع ايضاً في قضية دانيال اسقف حران فاعتبره غير أهل لأن

1) *Mansi, VI, Col. 839.*
2) *Mansi, VI, Col. 691, 1017, VII, Col. 68.*
3) *Jaffé - Wattenbach, Regesta, 496; Silva - Tarouca, C., S. Leonis Magni Epist. cont. Eutychis, II, 34-38.*
4) *Libellus Appellationis (Ed. Mommsen), Neues Archiv. 1886, 362-367.*
5) *Théodoret, Epist. 132; Martin, Actes, 69-76.*

يكون كاهناً (١) . وحرم المجمع ايريناوس اسقف صور واكلينوس *Aclynos* اسقف جبيل . وكان هذا قد سيم اسقفاً على يد ايريناوس . وطلب المجمع الى فوطيوس اسقف صور الجديد ان يرسم اسقفاً آخر على جبيل (٢) . وجاء دور صفرونيوس اسقف قسطنطينة . وكان قد اتهم بالسحر والعرافة وبكسر الصوم والاشتراك في الأكل والقصف مع يهودي معين . فقرر المجمع احالة ملف صفرونيوس الى عهدة متروبوليت الرها (٣) .

ثم تليت بعض فقرات من مصنفات ثيودوريطس اسقف قورش فاتهم بالنسطرة وأوجب ديوسقوروس حرق هذه المصنفات وخلع صاحبها من كرسي الاسقفية وابعاده . ولفت ديوسقوروس نظر دومنوس الى هذه الامور فوافق دومنوس على هذه الاقتراحات وخرج بذلك على الايمان القويم . ومن هنا في الأرجح امتناع المجمع الخلقيدوني عن اعادة النظر في قضيته (٤) . واستجار ثيودوريطس باسقف رومة واساقفة الغرب (٥) ولكن دون جدوى . وترجى ان يُسمح له بالعودة الى ديره القريب من أبامية (٦) فكان له ذلك (٧) .

وكان دومنوس قد وعد مسبقاً بأنه يوافق على جميع الاجراءات التي تتخذ ضد النساطرة (٨) ولكن هذا لم يكف لغض النظر عنه . فانه كان في نظر ديوسقوروس وأعوانه صديق فلابيانوس اسقف القسطنطينية وثيودوريطس وحامي النساطرة . فحكم المجمع عليه بالخلع (٩) . فعاد الى فلسطين الى ساحل اريحا وجاور معلمه الكبير افثيميوس (١٠) . وخلف فلابيانوس في كرسي القسطنطينية اناتوليوس ممثل ديوسقوروس في العاصمة . وخلف دومنوس في انطاكية مكسيموس (٤٤٩—٤٥٥) عدو يوحنا وصديق الاسكندرية .

1) *Martin, Actes, 77-82.*
2) *Martin, Actes, 82-89.*
3) *Martin, Actes, 89-94.*
4) *Tillemont, Mém., XV, 581-583; Martin, Actes, 95-129.*
5) *Théodoret, Epist. 113, 116.*
6) *Devresse, R., Patriarcat, 60, n. 7.*
7) *Azema, Y., Corresp., 24.*
8) *Martin, Actes, 11.*
9) *Martin, Actes, 132 - 172.*
10) *Tillemont, Mém., XV, 582.*

رومة تحتج : ولم يرضَ لاوون الكبير عن هذا التلصلص ولم يسكت فانه كتب في خريف السنة ٤٤٩ الى الأمبراطور والأمبراطورة والاكليروس والشعب يعترض على ما جرى ويوجب انعقاد مجمع مسكوني لاعادة النظر. ولكن ثيودوسيوس لم يكترث ولم يجب . فحرر الاسقف الروماني مرة ثانية يوم عيد الميلاد . ثم وصل الى رومة في مطلع السنة ٤٥٠ كل من فالنتنيانوس الثالث وامه بلاكيدية *Placidia* وزوجته افذوكسية . فتوسل لاوون بالدموع اليهم ان يكتبوا الى ثيودوسيوس . فكتبوا ولكن ثيودوسيوس أجاب ان ما جرى كان كافياً وانه لا حاجة الى عقد مجمع آخر (١) .

بلشيرية ومركيانوس : ووقع ثيودوسيوس عن حصانه ومات في الثامن والعشرين من تموز سنة ٤٥٠ . ولم يكن له ولد فاستلمت بلشيرية اخته زمام الامور . ثم تزوجت من قائد جيشها مركيانوس شرط ان تبقى عذراء وان تقتصر الزيجة على الاشتراك في ادارة الامبراطورية .

وكان مركيانوس رجلا حازماً عادلا يتمتع بتأييد الجيش فوفقت فيه رومة الجديدة الى حاكم مناسب . وأعلن مركيانوس انتهاء الظلم والفوضى باعدام خريسافيوس الخصي وابعاد مستشاره اوطيخة (٢) . فسعى الأساقفة المظلومون لديه واسقف رومة ايضاً فأرجع المنفيين من منافيهم ووافق لاوون في الدعوة الى مجمع مسكوني جديد ينظر في أمر اوطيخة ويصلح ما هدّمه ديوسقوروس . ولكنه لم يرضَ ان يلتئم هذا المجمع في ارض ايطالية كما رغب في ذلك لاوون .

المجمع المسكوني الرابع : وفي السابع عشر من ايار سنة ٤٥١ صدرت عن بلاط مركيانوس دعوة الى مجمع مسكوني يفتتح في اليوم الاول من ايلول . ولبى هذه الدعوة خمس مئة اسقف وتلاقوا في القسطنطينية ليقوموا منها الى نيقية في الموعد المعين . وقضت ظروف عسكرية بتأخر مركيانوس عن الحضور فتأجل انعقاد المجمع مدة وجيزة . وانتهز ديوسقوروس هذه الفرصة للدس

1) *Inter Epistolas Leonis, Epist. 4, 56, 57, 58.*
2) *Théodore le Lecteur, Hist. Ecc., I, 1.*

والتخريب فسعى سعياً حثيثاً لقطع لاوون اسقف رومة (١) . ولكنه لم يلق آذاناً صاغية خارج اوساط الأساقفة المصريين . واعترف في هذه الآونة نفسها بمكسيموس اسقفاً على انطاكية (٢) .

ثم رغب مركيانوس ان تعقد جلسات المجمع في خلقيدونية لقربها من العاصمة . وأمر باخراج رهبانها منها لتأمين السلام والصفاء فاخرجوا . وبدأ المجمع المسكوني الرابع اعماله في الثامن من تشرين الاول سنة ٤٥١ في خلقيدونية .

الوفد الانطاكي : وتألف الوفد الانطاكي من مئة وثلاثين أسقفاً وذلك على الوجه التالي :

١ : أساقفة سورية الأولى: مكسيموس أسقف انطاكية وماراس أسقف خناصير *Anasartha* (الى جنوبي حلب وشرقيها وعلى بعد ستين كيلومتراً عنها) وثيوكتيستوس أسقف حلب ورومولوس أسقف قنسرين *Chalcis* وبوليكاربوس أسقف جبلة وبطرس أسقف الجبّول *Gabboula* ومكاريوس أسقف اللاذقية وسابا أسقف بلدة *Paltos* وجيرونتيوس أسقف سلفكية .

٢ : اساقفة سورية الثانية : دومنوس اسقف اباميه ومرقس اسقف الرستن *Arethusa* وتيموثاوس اسقف بانياس *Balanée* وافتيخيانوس اسقف حماه وملاتيوس اسقف شيزر . وبولس اسقف مريمين الى شرقي المشتى ولمباذيوس *Lampadios* اسقف رفنية *Raphania* وافسابيوس اسقف جسر شغور *Seleucobelos* .

٣ : أساقفة اسورية : وهم اثنان وعشرون اولهم باسيليوس اسقف سلفكية الساحلية ويأتي بعده يعقوب اسقف انيموريون واكاكيوس اسقف انطاكية .

٤ : أساقفة قيليقية الاولى : ثيودوروس اسقف طرسوس وفيليبوس اسقف ادنه وثيودوروس اسقف اوغسطة وخمسة آخرون .

٥ : أساقفة قيليقية الثانية : كيروس اسقف عين زربة ويوليانوس

1) *Mansi, VI, Col. 1097 ; Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, III, 428, n. 1.*
2) *Bardy, G., Concile de Chalcédoine, op. cit., IV, 228.*

اسقف الاسكندرية وباسيانوس اسقف موبسوستي ويوليانوس اسقف ارسوز *Rhosos* وخمسة آخرون .

٦ : أساقفة الفرات : اسطفانوس اسقف منبج *Hierapolis* وقوزمة اسقف بالس *Barbalisos* (بين منبج والرقة وقبل صفين) وثيودوريطس اسقف قورش وتيموثاوس اسقف دولك *Doliché* وداود اسقف جرابلس *Europos* ويوحنا اسقف مرعش وبتريقيوس اسقف صفين *Neocesaria* وماراس اسقف روم قلعة *Ourima* واثاسيوس اسقف برين *Perrhé* وماريانوس اسقف الرصافة *Sergiopolis* وروفينوس اسقف سميساط واورانيوس اسقف سوريه او سوره على الفرات وايفولغيوس *Evolcios* اسقف بلقيس *Zeugma* .

٧ : أساقفة الرها : نونوس اسقف مدينة الرها ودانيال اسقف بيره جك *Birtha* وأحياناً *Macedonopolis* ودميانوس اسقف الرقة *Callinicum* وابراهيم اسقف كيراسيوم *Ciresium* ولعلها قرقيسيون عند مصب الخابور في الفرات وصفرونيوس اسقف قسطنطينة ويوحنا اسقف حرّان *Carrhes* وقيومة اسقف مركوبوليس وهي مجهولة الموقع ويوحنا اسقف العرب *Sarracènes* .

٨ : أساقفة ما بين النهرين : سمعان اسقف آمد وماراس اسقف غزة (وهي مجهولة الموقع) وقيومة اسقف انجل ونوح اسقف كيفا وزبنوس اسقف ميافارقين *Martyropolis* وافسابيوس اسقف صوقانة .

٩ : أساقفة العربية : قسطنطين اسقف بصرى وبروكلوس اسقف درعة ومالك اسقف مسمية *Phaena* وثيودوسيوس اسقف القنوات *Canatha* وسُليم اسقف قسطنطينة الجا وماراس اسقف السويدا *Dionysias* ويوحنا اسقف الصنمين *Erès* وزوسيس اسقف حسبان *Esbos* واناستاسيوس اسقف حران *Eutimia* وبلانكوس اسقف جرش وغيانوس اسقف مادبا وسويروس اسقف شقة *Maximianopolis* وخيلون اسقف خان النيلة *Neapolis* وايوب اسقف نوى *Nevé* وغوطوس اسقف مشنّف *Neela* وافلوجيوس اسقف عمان

Philadelphia وهوزميداس اسقف شحبة *Philippopolis* ونونوس اسقف اذرح *Zerabene* .

١٠ : أساقفة فينيقية الأولى او الساحلية : فوطيوس اسقف صور والكسندروس اسقف طرطوس *Antarados* وبولس اسقف ارواد وايراقليطس اسقف عرقة *Arce* وافستاثيوس اسقف بسيروت وبورفيريوس اسقف البترون *Botrys* وبطرس اسقف جبيل *Byblos* وفوسفوروس اسقف عرطوز *Orthosia* واوليمبوس اسقف بانياس وتوما اسقف النبي يونس *Porphyreon* وبولس اسقف عكة *Ptolemais* ودميانوس اسقف صيدا وثيودوروس اسقف طرابلس .

١١ : أساقفة فينيقية الثانية او اللبنانية : ثيودوروس أسقف دمشق ويردانوس أسقف سوق وادي بردى *Abila* وابراهيم أسقف حرلانة في الغوطة وذاذاس أسقف قارة او كنا كر *Chonacara* وبطرس أسقف جيرود *Corada* وثيودوروس أسقف مهين *Danaba* وأورانيوس أسقف حمص وتوما أسقف حوارين *Evaria* ويوسف أسقف بعلبك *Heliopolis* وافسابيوس أسقف يبرود وفاليريوس أسقف قطيفة *Laodicia* ويوحنا أسقف تدمر وافستاثيوس أسقف العرب (١) .

الوفود الأخرى : وتألف الوفد الروماني من الاسقفين باسكاسينوس *Paschasinus* ولوشنتيوس *Lucentius* والقسين بونيفاتيوس وباسيليوس وأنضم اليهم يوليانوس أسقف جزيرة كوس للمرة الثانية . وجاء ديوسقوروس ووراءه سبعة عشر أسقفاً . وانضم الى هؤلاء أساقفة آسية وتراقية واليونان والبرية وافريقية . ومثل الدولة الرومانية اناتوليوس القائد الكبير وبلاذيوس برايفكتوس الشرق وتاتيانوس برايفكتوس العاصمة وخمسة عشر موظفاً .

الجلسة الأولى : وافتتحت أعمال المجمع في الثامن من تشرين الأول في كنيسة القديسة أفيمية (٢) في خلقيدونية بحضور هذا العدد الكبير من الأساقفة ووجود

1) *Schwartz, Ed., Acta, op. cit., II, 56 - 64, 326 - 335, 337 - 351; Devresse, R., Patriarcat d'Antioche, 136 - 140.*
2) *Evagrius, Hist. Ecc., II, 3.*

عدد من وجهاء الدولة في صدر المجمع امام الباب الملوكي وعن يسارهم نواب رومة القديمة واناتوليوس اسقف رومة الجديدة فكسيموس اسقف انطاكية وعن يمينهم ديوسقوروس اسقف الاسكندرية ويوبيناليوس اسقف اوروشليم ثم سائر الأساقفة من الجهتين . ويتضح من هذا الترتيب ان رئاسة المجمع المسكوني الرابع كانت في يد السلطة (١) .

وبعد الافتتاح قام باسكاسينوس ووقف في وسط المجمع وقال لعظماء الدولة : ان اسقف مدينة الرومانيين الرسولي الجزيل الغبطة رأس جميع الكنائس أمرنا ان نخاطبكم بأن لا يجلس معنا ديوسقوروس اسقف الاسكندرية . فأما ان يخرج هو وأما ان نخرج نحن » . فرأى ممثلو السلطة ان يجلس ديوسقوروس في وسط المجمع فجلس . ثم وقف افسابيوس اسقف دورلة ودفع للمجمع كتاباً مضمونه ملخص ما جرى من التلصص في افسس . وتليت بعد ذلك أعمال المجمع اللصوصي ثم أعمال المجمع القسطنطيني قبله . وبعد أخذ ورد شديدين اقترح ممثلو السلطة قطع كل من ديوسقوروس الاسكندرية ويوبيناليوس اوروشليم وثلاسيوس قيصرية وافسابيوس انقيرة وافستاثيوس بيروت وباسيليوس سلفكية باعتبارهم زعماء التلصص في افسس . ثم ارتفعت الجلسة فخرج الآباء يرددون : « قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا » وهي اول مرة يرد فيها ذكر التريصاجيون في تاريخ الكنيسة . وهتفوا بعد هذا التقديس قائلين « لتكن سنو الامبراطور عديدة ! المسيح أسقط ديوسقوروس القاتل ! قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا » .

الجلسة الثانية : وعاد الآباء الى العمل في العاشر من تشرين الاول وظل ديوسقوروس ويوبيناليوس وسائر المتهمين بأعمال التلصص في افسس خارج المجمع . فطلب ممثلو السلطة الى الآباء المجتمعين ان ينظروا في أمر الايمان وان يتفقوا على صيغة تصبح هي المعول عليها . فذكر الآباء ان المجمع المسكوني الثالث حرم اي تعديل في قانون الايمان النيقاوي . ولكن نظراً لالحاح السلطة فان الآباء

1) *Batiffol, P., Siège Apostolique, 539.*

أصغوا الى نصوص رسائل كيرلس الى نسطوريوس ويوحنا والى « الطوموس » رسالة لاوون الى فلابيانوس . فهتف معظم الآباء قائلين : هذا هو ايمان الآباء هذا ايمان الرسل . جميعنا هكذا نؤمن . الأرثوذكسيون هكذا يؤمنون . محروم من لا يؤمن هكذا . بطرس نادى بهذا التعليم بواسطة لاوون . كيرلس هكذا علم . محروم من لا يؤمن هكذا . وتردد أساقفة فلسطين وطلبوا شرح الطوموس ولم يتخذ أساقفة مصر موقفاً معيناً نظراً لتغيب رئيس وفدهم ديوسقوروس . وقبيل ارفضاض الجلسة هتف بعض الاليريين للاساقفة المتهمين .

الجلسة الثالثة : والتأم المجمع في جلسة ثالثة في الثالث عشر من تشرين الاول وفي كنيسة مجاورة لكنيسة القديسة افيمية تضم رفاة بعض الشهداء . وتغيب ممثلو السلطة فتسلم تسيير دفة الامور الاسقف باسكاسينوس ممثل اسقف رومة . ونهض افسابيوس اسقف دورلة وقرأ مذكرة جديدة بيّن فيها هفوات ديوسقوروس وذنوبه . ثم تلاه أربعة اكليريكيين اسكندريين انتقدوا ديوسقوروس من حيث موقفه من اسرة سلفه كيرلس وقساوته وظلمه ومن حيث طمعه بالمال وجشعه في جمعه . فدعا المجمع ديوسقوروس ثلاث مرات فلم يحضر فقال باسكاسينوس لقد دعي ديوسقوروس ثلاث مرات ولم يحضر فماذا يستحق هذا الذي يزدري بالمجمع ؟ فقال المجمع : يستحق جزاء العصاة . ثم قال لوقيانوس اسقف بيزا ونائب اسقف هرقلية : لقد أجرى المجمع المسكوني السابق أعمالا ضد نسطوريوس فلنقف على اجراءاته ولنعمل بموجبها . فقال باسكاسينوس : أتأمرون ان نطبق في حقه عقوبات كنسية ؟ فقال المجمع : « اننا نوافق على ما هو حسن » . وخاطب الأسقف يوليانوس وفد رومة وطلب الى رئيسه باسكاسينوس ان يبين القصاص المعين في القوانين . فقال باسكاسينوس : اني اكرر ماذا تستحسنون ؟ فقال مكسيموس اسقف انطاكية العظمى : « كل ما يستحسنه برّكم نوافق عليه » . فاقترح باسكاسينوس قطع ديوسقوروس لأنه برّأ اوطيخة وقبله في الشركة قبل اجتماع أفسس ولانه لم يسمح بقراءة رسالة لاوون الى المجمع ولأنه أصر على قطع العلاقة مع الأرثوذكسيين . فقال اناتوليوس اسقف رومة الجديدة : اني أعتقد في كل شيء

مثل الكرسي الرسولي واوافق على قطع ديوسقوروس . وقال مكسيموس أسقف انطاكية : اني أضع ديوسقوروس تحت العقـاب الكنسي الذي فاه بـه لاوون اسقف رومة القديمة واناتوليوس اسقف رومة الجديدة . ووافق كثيرون آخرون فحكم على ديوسقوروس بالقطع . اما الأساقفة الباقون من المتهمين فانهم قدموا ندامة ونالوا الصفح .

الجلسة الرابعة والخامسة : وبحث الآباء في الجلستين الرابعة والخامسة أمر العقيدة . فنظروا في طوموس لاوون على ضوء دستور الايمان الذي سُنّ في المجمعين المسكونيين الأول والثـاني وعلى ضوء تحديدات القديس كيرلس كما جاءَت في اعمال المجمع المسكوني الثالث .

وقدم ثلاثة عشر أسقفاً مصرياً لائحة ايمان أثبتت تعلقهم بأيمان الآباء منذ عهد مرقس الانجيلي حتى أيام كيرلس وشجبوا آريوس وفنوميوس وماني ونسطوريوس ولكنهم سكتوا عن اوطيخة . فوبخهم المجمع فقالوا أنهم يعملون بموجب القانون النيقاوي السادس اذ لا يجوز لهم ان يقطعوا رأياً بدون موافقـة أسقف الأسكندرية .

وحاول برصوم ان يدافع عن ديوسقوروس ولكنه لم يُفلح . فانـه ما كاد يُطل على الآباء المجتمعين حتى تعالت الأصوات بوجوب خروجه . فقـال البعض : « الى الخارج ايها القاتل الى المرسح المدرّج الى الوحوش الضارية » . فخرج برصوم والوفد الرهباني الذي كان يرافقه .

والفت لجنة تمثل جميع الآراء في المجمع لتعد صورة اعتراف يبت في قضية الطبيعة الواحدة التي أثارها اوطيخة . فقامت هذه اللجنة بالمهمة الموكولة اليها خير قيام وتقدمت من المجمع في جلسته الخامسة بمشروع اعتراف هذا نصه :

« اننا نعلم جميعنا تعليماً واحداً تابعين الآباء القديسين . ونعترف بابن واحد هو نفسه ربنا يسوع المسيح . وهو نفسه كامل بحسب اللاهوت وهو نفسه كامل بحسب الناسوت . اله حقيقي وانسان حقيقي . وهو نفسه من نفس واحدة وجسد . مساو للآب في جوهر اللاهوت . وهو نفسه مساو لنا في جوهر الناسوت

مماثل لنا في كل شيء ما عدا الخطيئة . مولود من الآب قبل الدهور بحسب اللاهوت . وهو نفسه في آخر الأيام مولود من مريم العذراء والدة الاله بحسب الناسوت لأجلنا ولأجل خلاصنا . ومعروف هو نفسه مسيحاً وابناً ورباً ووحيداً واحداً بطبيعتين بلا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال من غير ان يُنفى فرق الطبائع بسبب الاتحاد بل ان خاصة كل واحدة من الطبيعتين ما زالت محفوظة تؤلفان كلتاهما شخصاً واحداً واقنوماً واحداً لا مقسوماً ولا مجزءاً الى شخصين بل هو ابن ووحيد واحد هو نفسه الله الكلمة الرب يسوع المسيح كما تنبأ عنـه الأنبياء من البدء وكما علمنـا الرب يسوع المسيح نفسه وكما سلمنا دستور الآباء » (١) .

الجلسة السادسة : وفي هـذه الجلسة في الخامس والعشرين من تشرين الاول حضر الامبراطور بشخصه وخطب في الآباء فحضهم على استقامة الرأي والسلام . وتلي تحديد المجمع فأمضى عليه الآباء وصدق الامبراطور .

صور وبيروت : ونظر الآباء في الجلسة الرابعـة في الدعوى التي أقامها فوطيوس اسقف صور على افستاثيوس اسقف بيروت . وخلاصة هذه الدعوى ان أناتوليوس اسقف القسطنطينية وهب افستاثيوس اسقف بيروت لمناسبـة ارتقائـه الى رتبة متروبوليت الرئاسة على اسقفيات جبيل والبترون وطرابلس وعرطوز وعكار وطرطوس وذلك بعد ان كانت هذه جميعها خاضعة لمتروبوليت صور . فلام المجمع أناتوليوس على هذا التعدي وحكم بارجاع هـذه الاسقفيات الى متروبوليت صور .

ثيودوريطس وايبا : وفي الجلسة الثامنة فاه ثيودوريطس اسقف قورش لاول مرة بقطع نسطوريوس « وكل من لا يدعو مريم العذراء والدة الاله ويجعل من الابن الوحيد اثنين » . وحذا حذوه كل من صفرونيوس اسقف قسطنطينة الرها ويوحنا أسقف مرعش . فعرف المجمع جميـع هؤلاء ارثوذكسيين . وفي الجلسة العاشرة تبرأ ايبا .

1) *Mansi, VII, Col. 116 ; Hahn, A., Bibliothek der Symbole, 146.*

كنيسة اوروشليم : وكان الآباء القديسون المجتمعون في نيقية في المجمع المسكوني الأول قد خصوا أسقف اوروشليم بامتيازات معينة نجهلها وحافظوا في الوقت نفسه على حقوق متروبوليت الأبرشية اسقف قيصرية. وكان يوبيناليوس منذ ان تسلم عكاز الرعاية قـد بدأ يمارس صلاحيات أوسع بكثير ممـا سمح به العرف والتقليد . فانه تشوّف الى ممارسة السلطة في العربية وفي فينيقيـة فسام الأساقفة في هاتين الأبرشيتين . وزوّر الوثائق وأبرزها في أفسس ليثبت حقاً لم يعترف به أحـد . واعترض كيرلس سبيله وكشف أمره فسكت وبات ينتظر فرصة موآتية . فلما تعكّر الجو واجتمع الآباء لينظروا في أمر اوطيخة عـاد يوبيناليوس الى سابق مطلبه . وفي الجلسة السابعة من جلسات المجمع الخلقيدوني المنعقدة في السادس والعشرين من تشرين الأول سنة ٤٥١ تفاهم الأسقفان الأنطاكي والأوروشليمي فاعترف مكسيموس بسلطة يوبيناليوس على امهات المدن بيسان وقيصرية والبتراء وامتنـع يوبيناليوس عن المطالبة بأية صلاحية في فينيقية او العربيـة .

اسقف رومة الجديدة : وفي الجلسات الحادية عشرة الى الرابعة عشرة حلّت مسائل تتعلق بأساقفة آسية . وفي الجلسة الخامسة عشرة سنّ المجمع ثلاثين قانوناً لا تزال سارية المفعول . وجاء في القانون التاسع انه اذا وقـع خلاف بين اكليريكي وبين متروبوليت الابرشية يرفع الى اكسرخوس الولايـة او الى الجالس على كرسي القسطنطينية . وجاء مثل هـذا في القانون السابع عشر . ونص القانون الثامن والعشرون بالمساواة في الكرامة بين اسقفي رومـة الجديدة ورومة القديمة . فاعترض الوفد الروماني على هذه المساواة .

انتهاء الاعمال : وصدّق الامبراطور على القرارات والقوانين وحـلّ المجمع المسكوني الرابع . ومنع اتباع اوطيخة عن اقامة الحفلات الدينية . ونفى اوطيخة فتوفي بعد ذلك بقليل ، ونفى أيضاً ديوسقوروس فجعل اقامته جبرية في كنغريس افلاغونية .

* * *

الفصل الرابع والعشرون

النزاع الخريستولوجي

٤٤١ ـ ٥١٨

الاباطرة : وتوفيت بلشيرية في السنة ٤٥٣ وتبعها مركيانوس في السنة ٤٥٧ . ولم يكن لها وارث . فاتجهت الأنظار الى قائد الجيش أسبار فوجـد آلانياً آريوسياً فوقع الاختيـار على وكيل خرجه لاوون فتربع على عرش القسطنطينية حتى السنة ٤٧٤ . واصطنع لاوون منافساً ينافس أسبار فأنشأ حرساً امبراطورياً من الاسوريين واتى بزعيمهم زينون وأزوجه من بنته ارياذنة (٤٦٧). وبطش زينون بأسبار وحرسه (٤٧١) . ونشب خلاف بين لاوون وفيروز شاه الفرس حـول مصير امارة لازقة على شاطىء البحر الأسود . وتدفق القوط الشرقيون على شاطىء الادرياتيك الشرقي فعاد لاوون الى دفع الاعانة الماليـة السنوية اليهم .

وتوفي لاوون الاول في السنة ٤٧٤ فتولى العرش بعده حفيده لاوون الثاني ابن بنته أرياذنة . وكان لا يزال في السادسة من عمره فأشرك الولد والده زينون في الحكم (٤٧٤ ـ ٤٩١) ثم توفي بعد بضعة أشهر . فعظم أمر الآريوسيين في الدولة .

وفي ايطالية أصبحت السلطة محصورة بيد العسكريين البرابرة . فكانوا ينصبون الأباطرة ويعزلونهم حسب أهوائهم . وخلعـوا في السنة ٤٧٦ آخر الأباطرة ونصبوا مكانه أحدهم اودواكر . واستقل هـذا بالحكم ولم يكترث لصاحب السلطة الشرعي زينون امبراطور الشرق . فالتفت زينون شطر القوط الشرقيين في البلقان الغربي ووجههم شطر ايطالية . فزحف ملكهم ثيودوريكوس على ايطالية واستولى على رابينة ثم على رومة وخلع اودواكر وجلس مكانه (٤٩٣)

ملكاً على مملكة قوطية شرقية ذات حول وطول .

مركيانوس ينفذ : وفي السابع من شباط سنة ٤٥٢ شرع مركيانوس بالتنفيذ فأمر بتطبيق جميع مقررات المجمع الخلقيدوني ونهى عن التردد في قبولها وتطبيقها . ثم عاد فكرر هذه الأوامر في الثالث عشر من آذار من السنة نفسها . وفي الثامن والعشرين من تموز أعلن عدم الرضى الأمبراطوري على اوطيخة وأتباعه .

بلبلة في فلسطين : وكانت افذوكية أرملة ثيودوسيوس الثاني قد استقرت في فلسطين منذ السنة ٤٤٢ بعد ان دب الخلاف بينها وبين بلشيرية شقيقة زوجها وزوجها ايضاً . وأنفقت هذه الأمبراطورة بسخاء في سبيل الدين في فلسطين فاكتسبت عطف الرهبان وجمهور المؤمنين . وقالت افذوكية بالطبيعة الواحدة لأنها توهمت ان الايمان الصحيح يقضي بذلك ولأن بطانتها أكدت لها ان القول بالطبيعة الواحدة هو قول كيرلس الاسكندري . وارتاحت نفس الأمبراطورة الأرملة الى القول بالطبيعة الواحدة لأن بلشيرية وزوجها مركيانوس قالا بالطبيعتين (١) .

وكان قد أمّ فلسطين عدد كبير من النساك والرهبان الذين قالوا بالطبيعة الواحدة لأنهم توهموا ان في ذلك مجاراة لاعتقاد الآباء الأطهار وان في القول بالطبيعتين خروجاً على التقليد . وكثر عدد هؤلاء حتى أصبحوا في السنة ٤٥١ أكثرية ساحقة بين الرهبان وغدا معظم رؤساء الرهبان أمثال البيذيوس وجيرونتيوس و رومانوس ومركيانوس من اقحاح الاوطيخيين . وجارى الرهبان في قولهم هذا نصف الأحبار الأساقفة . واضطر يوبيناليوس اسقف اوروشليم ان يصرح قبل قيامه الى خلقيدونية في السنة ٤٥١ : « ان من يؤيد طومس لاوون اسقف رومة فليتبوأ مقعده بالقرب من سمعان الساحر ويهوذا الخائن وليختتن اختتان اليهود أنفسهم » !

1) *Abel, F. M., Hist. de la Palestine, II, 334-337, 338-340, Génier, F. R., Vie de Saint Euthyme, 198-220.*

ثيودوسيوس الواهب : وقدر لثيودوسيوس أحد هؤلاء الرهبان الفلسطينيين او الموجودين في فلسطين ان يتزعم القول بالطبيعة الواحدة ويدافع عنه . ويستدل من بعض المراجع الأولية ان ثيودوسيوس هذا كان مشاغباً من الطراز الأول وانه كان يجمع في شخصه صفتين قلما اجتمعا في شخص واحد : المالقة والوقاحة وان صلابة وجهه كانت قد دفعته للتواقح على ديوسقوروس في الاسكندرية فأمر به فجلد وأركب الاجرب الاعرّ ! (١) .

فلما دعي الاساقفة الى خلقيدونية في السنة ٤٥١ أسرع ثيودوسيوس السير وأقام في خلقيدونية يترقب اخبار الآباء الأعضاء ويتجسسها احياناً . وعند ارفضاض المجمع سبق يوبيناليوس الى فلسطين فحدّث بما جرى ولامَ الآباءَ الاساقفة وشدد عليهم النكير مدعياً انهم خانوا كيرلس وأيدوا نسطوريوس . فاغتاظ الرهبان وقبّحوا وانكروا ثم تمادوا في اللوم بعد ان تزعمت هذه الحركة المعارضة افذوكيةُ الامبراطورة الارملة المقيمة في فلسطين (٢) .

وعاد يوبيناليوس الى اوروشليم فخيّره الرهبان المعارضون بين الموافقة على موقفهم من المجمع الخلقيدوني وبين الاستقالة والعزلة . فرفض يوبيناليوس فأحاط الرهبان به من كل جانب وهددوه بالقتل واغتالوا سويريانوس اسقف بيسان . وفرّ يوبيناليوس الى القسطنطينية فسام بعض الاساقفة المعارضين ثيودوسيوس اسقفاً على اوروشليم . ورأى ثيودوسيوس واعوانه ان لا بد من الاستغناء عن خدمات الاساقفة الأرثوذكسيين واستبدالهم بغيرهم ممن يقول بالطبيعة الواحدة فأقاموا بطرس الكرجي (٣) اسقفاً على مايومة وثيودوتوس اسقفاً على يافة .

واهتم الامبراطور مركيانوس للامر فأنفذ القائد دوروثيوس الى فلسطين على رأس قوة عسكرية للقضاء على المعارضة وايصال يوبيناليوس الى كرسيه في اوروشليم . فقاوم ثيودوسيوس والرهبان ولجأوا الى العنف فكانت معركة بالقرب من نابلس سقط فيها عدد كبير من الرهبان . وفرّ ثيودوسيوس الى

1) *Evagrius, Hist. Ecc., II, 5.*
2) *Bardy, G., Luttes Christologiques, op. cit., IV, 276 - 277.*
3) *Bardenhewer, O., Gesch. der Altkirchlichen Lit., IV, 315 - 317.*

سيناء و كذلك بطرس الكرجي . ووقع ثيودوسيوس في أيدي الشرطة ونقل الى القسطنطينية وأكره على الاقامـــة في أحد اديارها . وما فتىء حتى توفي فيها في الثلاثين من كانون الاول سنة ٤٥٧ . ونقل رفاته الى جزيرة قبرص (١) .

وظلت افذوكية الامبراطورة الارملة في اوروشليم وتابعت نشاطها في المعارضة . وظل جمهور الرهبان ناقماً ساخطـــاً . فلجأ الامبراطور الى الطرق السلمية وحرر هو وزوجته الامبراطورة الى رهبان سيناء ورهبان اوروشليم (٢) والى الراهبات في اوروشليم والمجمع المقدس ناشدين السلم للكنيسة (٣) . وحذا حذوهما اسقف رومة لاوون الكبير فكتب الى افذوكية يحضها على انقاذ الرهبان من الضلال (٤) .

اضطراب في مصر : وأوعز مركيانوس بانتخاب خلف لديوسقوروس واوصى ببروتيريوس *Proterios* وكيل ديوسقوروس في الاسكندرية فتم انتخابه وسلم العكاز واعتبر خليفة أرثوذكسياً لمرقص الانجيلي . فثارت فتنة فتدخل الجند فاكرهوا على الجوء الى السيرابيوم فاحرقوا أحياء . فمنعت الحكومة توزيع الحنطة وأقفلت الحمامات والملاهي (٥) .

وتوفي ديوسقوروس في الرابع من ايلول سنة ٤٥٤ ولم تقع حوادث هامة. ولكن لما توفي مركيانوس في السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ٤٥٧ اعتبر تيموثاوس الهر *Ailouros* نفسه مرسلا من السماء ودعا الى خلع بروتيريوس. وسيم اسقفاً وهجم على بروتيريوس وقتله وعرض جثتـــه في قلب البلد ثم أمر بجرها الى محل سباق الخيل وهناك أحرقها (٦) . وبعد ثبوته في الكرسي جمع مجمعاً وحرم المجمع الرابع المسكوني وقطع أساقفة رومة والقسطنطينية وانطاكية (٧) .

في انطاكية : وفي انطاكية خلع مكسيموس خلعاً في السنة ٤٥٥ فخلفه

1) *Zacharie, Hist. Ecc., III, 9.*
2) *Mansi, VII, Col. 483 - 484.*
3) *Mansi, VII, Col. 505, 509, 513.*
4) *Jaffé - Wattenbach, Regesta, 499.*
5) *Evagrius, Hist. Ecc., II, 5.*
6) *Ibid., II, 8.*
7) *Ibid., II, 10 - 11.*

باسيليوس الاول ثم اكاكيوس فمرتيريوس *Martyrios* (٤٥٨ ـ ٤٧١) .

وانتشر القول بالطبيعة الواحدة في وادي الفرات وسار على أفواه النساك والرهبان وملأ الأسماع وتولى زينون الاسوري قيادة الجيش في الشرق . فجاء انطاكية يجر وراءه اخلاطاً من الناس بينهم راهب خلقيدوني قال بالطبيعـــة الواحدة وأبطل النذر يدعى بطرس القصار (١) . وما كاد هذا القصار يستقر في انطاكية حتى الف عصبة من بقايا الابوليناريين وهاجم بها مرتيريوس. فانطلق هذا الى القسطنطينية يشكو زينون وصديقـــه القصار . فضغط زينون على بعض الأساقفة فساموا بطرس اسقفاً على انطاكية وسلموه عكاز الرعاية في سلفكيـــة الساحليـــة . ولدى عودة مرتيريوس فائزاً بعطف الأمبراطور توارى القصار وبات ينتظر فرصة ثانية . ثم عاد الى المشاغبة فيئس مرتيريوس واستقال فجلس القصار مرة ثانية على سدة الرسولين في انطاكيـــة . فغضب الأمبراطور لكرامته وكرامـــة القانون فأصدر أمراً بابعاد بطرس فابتعد فتبوأ يوليانوس الكرسي الرسولي (٢) .

وفي مطلع السنة ٤٧٥ تغلب باسيليسكوس القائد على زينون واستوى على عرش القسطنطينية وأصغى لأقوال الرهبان في مصر وآسية فأعاد تيموثاوس الى سدة الاسكندرية وبطرس القصار الى رئاسة انطاكية . ثم أصدر برأيهما منشوره الشهير وأكره خمس مئة اسقف على تأييده فأصبح القول بالطبيعة الواحدة قول الدولة والقول بالمجمع الخلقيدوني وطومس لاوون قولا منبوذاً (٣) . ولم يدم حكم باسيليسكوس أكثر من عشرين شهراً . وعـــاد زينون الى سابق عزه (٤٧٧) بمعونة الخلقيدونيين فاضطر ان يرضيهم فألغى شرائع باسيليسكوس وخلع بطرس القصار من كرسي الرئاسة وأجلس صديقه يوحنا الثاني محـــله *Jean Codonat* . وكان هـــذا لا يزال قائماً في انطاكية منذ سيامته لأن أبرشيتـــه أبت ان تعترف برئاسته . وهو الذي قطع في السنة ٤٧٨ بقرار من مجمع روماني عقـــد

1) *Théodore le Lecteur, Hist. Ecc., I, 20 22.*
2) *Cod. Just., I, 3, 29; Duchesne, L., Hist. Anc. de l'Eglise, III, 495, n. 1.*
3) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 4; Bardy, G., Luttes Christologiques, op. cit., IV, 285, n. 2.*

برئاسة سيمبليكيوس اسقف رومة (١) . وفي هـــذه السنة نفسها عادت السلطة الزمنيـــة فأقصت يوحنا وأجلست اسطفانوس الثاني في كرسي الرئاســـة (٤٧٧_٤٨١) . وليس لدينا في هـــذه الحقبة سوى اسطفان واحد هو اسطفان الثاني بدليل اتفاق النصوص (٢) . ولم يرضَ أتباع اوطيخـــة عن ارثوذكسية اسطفانوس فأوقعوا به وهو في طريقه الى كنيسة الاربعين وذلك بشكه بالقصب الحاد الذرب (٣) . فتدخلت العاصمة وانتقت كلانديون *Calendion* وسامتـــه اسقفاً على انطاكية وأرسلته اليها (٤٨١ _ ٤٨٥) (٤) .

كتاب الاتحاد : (٤٨٢) ولم يثمر حزم مركيانيوس ولاوون ودام الشقاق في مصر وفلسطين وفي كنيسة انطاكية ايضـــاً وأصبح القوم لا تجمعهم جامعة . فاضطرب زينون لهذا التشعب في الآراء والتباين في المذاهب . فاستشار اكاكيوس اسقف العاصمة في ذلك فاقترح هذا ان يصار الى التراخي بانتهـــاج سبيل وسط . فأصـــدر زينون في السنة ٤٨٢ الاينوتيكون *Henotikon* كتاب الاتحاد . وهو ارادة سنية امبراطورية موجهة الى الاساقفة والاكليروس والرهبان والمؤمنين في الاسكندرية ومصر وليبية والمدن الخمس . وفيهـــا يشجب زينون تعاليم نسطوريوس واوطيخة معاً ويقرّ رأي كيرلّس ويجتنب الكلام في الطبيعة الواحدة والطبيعتين ليرفض بلباقة ما كان قد أقره المجمع الخلقيدوني الاخير(٥) .

ولكن الاينوتيكون بـــدلا من ان يؤلف القلوب ويوحـــد الصفوف سعّر نـــار الشقاق والتفرقـــة لانه لم يرضِ الارثوذكسيين ولا أصحـــاب الطبيعة الواحدة . وانشق في مصر عن بطرس اسقف الاسكندرية قسم من جماعته فألفوا طائفة سموها الآكيفلي أي العادمـــة الرأس . وكتب الارثوذكسيون الى أكاكيوس يلومونه على مماشاة بطرس الاسكندري . فلم يكترث بل أصر على

1) *Ibid., 287, n. 5.*
2) *Malalas, Chron., 381 - 382 ; Evagrius, Hist. Ecc., III, 10 ; Michel le Syrien, IX, 6.*
3) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 10.*
4) *Ibid.*
5) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 14 ; Bardy, G., Luttes Christologiques, op. cit., IV, 291 - 292.*

القول بكتاب الاتحاد . فكتبوا الى اسقف رومة فيلكس الثالث (٤٨٣) . ولكن هذا بدلا من ان يراسل زميله القسطنطيني مستوضحاً حسب العادة القديمة والمحبة الاخوية فانه عقد مجمعاً محلياً وحرم بطرس واكاكيوس . فلما علم اكاكيوس بذلك محا اسم اسقف رومة من الذبتيخـــة . فنشب انشقاق دام اكثر من خمس وثلاثين سنة .

ولم يرض كلانديون اسقف انطاكية عن كتاب الاتحاد ولم يوقعـــه . وعلى الرغم من أرثوذكسيته ونجاحه في انهاء الانشقاق الافستاثيوسي بنقل رفاة افستاثيوس الى انطاكية فانه اتهم بالمؤامرة على سلامـــة الامبراطور وتأييد القائد لاونـــديوس مرشح البطريق ايلوس للعرش . فأنزل عن الكرسي الرسولي ونُفي الى الواحة الكبرى في اواخر السنة ٤٨٤ او أوائل السنة ٤٨٥ .

بطرس القصار : (٤٨٥ _ ٤٩٠) وعاد بطرس القصـــار الى الكرسي للمرة الرابعـــة والاخيرة . وكان قد تولى الرئاسة في أثناء غياب مرتيريوس ثم بعد استقالته ثم في أثنـــاء حكم باسيليسكوس . ووقع بطرس كتاب الاتحاد ودعا المجمع الانطاكي فأرسل الرسائل السلامية ولا سيما الى بطرس اسقف الاسكندرية . وحاول ان يرجع كنيسة قبرص الى طاعة انطاكية ولكنه لم يفلح .

وهو أول من اوجب تلاوة قانون الايمان في أثناء القداس الالهي وانشأ رتبة تكريس الماء ليلة عيد الظهور فضلا عن تبريكه يوم العيد نفسه وأضاف الى التريصاجيون العبارة : « يا من صلبت لاجلنا » كأن يقال : قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت الذي صلب من اجلنا ارحمنا .

ودخلت الكنيسة في دور من الفوضى كثرت فيه سيامة الأساقفة زوجاً زوجاً أرثوذكسيين ومونوفيسيين في وقت واحد . ومدت الأيدي الى الكراسي لخلع هذا وتنصيب ذاك وكان من أهم أسباب هـــذه الفوضى سعي الأباطرة لاسترضاء من قال بالطبيعة الواحدة في مصر وسورية لكثرة عددهم ولضعف هيبة السلطة اذ احرجتها مشاغل اخرى . وظلت الحال على هذا المنوال حتى ظهرت كنائس مونوفيسية مستقلة في مصر وسورية وأرمينية .

الامبراطور انسطاسيوس الاول : (٤٩١ ــ ٥١٨) وكان زينون قد سعى لاجلاس اخيــه لونجينوس على العرش بعده ولكن زوجته الامبراطورة ارياذنة لم ترَ في لونجينوس الكفاءة اللازمــة فانتقت انسطاسيوس الموظف في التشريفات ورفعته الى منصة الحكم . وكان انسطاسيوس في الحادية والستين من عمره ورعاً تقياً . وعلى الرغم من ميله الى القول بالطبيعة الواحدة فان الشعب قابل ارتقاءه بالهتاف : « ليكن عهدك في الحكم كعهد مركيانوس وكسيرتك انت في حياتك الشخصية » . واشترط اوفيميوس العاقل اسقف القسطنطينية الا يحيد الامبراطور عن العقيدة الأرثوذكسية وان يكتب قبل التتويج تعهداً بذلك . ففعل وتقبل تاجه من يد الاسقف القسطنطيني .

بلاذيوس وفيلوكسينوس : وخلف بطرس القصار في رئاسة الكنيسة بلاذيوس *Polladios* (٤٩٠ ــ ٤٩١) أحد كهنة القديسة تقلا في سلفكية اسورية الذين قالوا بالطبيعة الواحدة وشملهم عطف الامبراطور انسطاسيوس (١) . فلما استتب له الأمر دعا رعاياه الى قبول كتاب الاتحاد وتأييده . ووجد في شخص فيلوكسينوس *Philoxenos* اسقف منبج خير عون لتأدية هــذه الرسالة .

وجاء في بعض المراجع ان فيلوكسينوس هذا كان رقاً فارسياً اسمــه اكسينائياس . ففر من بيت سيده وتزيى بزي قس ودخــل ابرشية انطاكية في ايام كلانذيون وعلّم بخلع الايقونات من الكنائس وكان غير معمــد فطرده كلانذيون . اما بطرس القصار فانه سامه اسقفاً على منبج وسماه فيلوكسينوس . وعلم انه غير معمد ولكنه قال : « لا بأس فالشرطونية تغنيــه عن المعمودية » ! واشتهر فيلوكسينوس بتعلقه بالطبيعة الواحــدة فجاب الاقطــار مبشراً ناشراً المصنفات المونوفيسية حيثما حل (٢) .

وفيلوكسينوس هذا نفسه هو في نظر الكنيسة السريانية « علم من اعلام السريان واقطاب الزمان مع ديانة وصيانة وزهد ظاهر وورع معروف بحث عن

1) Devresse, R., *Patriarcat d'Antioche*, 118, n. 2, 3.
2) Bardy, G., *Politique Relig. d'Anastase*, op. cit., IV, 303 - 304.

اصول الدين اتمّ بحث وأبعــد استقصاء . اقرأ كتابه في التثليث والتجسد تراه الملفان المتبحر وتصفح رسائله تعلم أية نفس وثابة كان يحمل بــين جنبيه ذلك الرجل العظيم . اقامه بطرس الثاني خورياً ثم مطراناً فبذل قصارى عنايته في حماية العقيدة الارثوذكسية وغلا في مناوأة النساطرة والخلقيدونية » (١).

تقلب انسطاسيوس : وكان انسطاسيوس كلما زاد سناً ازداد تعلقــاً بالقول بالطبيعة الواحدة . فأدى تشبثه الى مشاكل متتالية في العاصمة وفي انطاكية والاسكندرية وروما وبدأت مشاكله عندما حاول ان يسترجع التعهد الذي كان قد كتبه قبيل تتويجه وسلمه الى اسقف القسطنطينية . ولكن اوفيميوس الاسقف أبى فجمع الامبراطور مجمعاً محلياً سنة ٤٩٦ وقطع المجمع اوفيميوس ونفاه (٢). وتولى رئاسة كنيسة القسطنطينية مقدونيوس الثاني . وكان هذا تقي السيرة مستقيم العقيدة محبوباً . فحاول مصالحة بعض الرهبان الذين تباعدوا عن كنيسته منــذ ظهور الاينوتيكون فلم يستطع . فعقد مجمعاً محلياً ثبت فيــه قرارات المجمع المسكوني الرابع الخلقيدوني . ونوى ان يكتب بذلك الى كنيسة رومة . فمنعه الامبراطور وحاول اقناعه بوجوب شجب قرارات هذا المجمع الخلقيدوني . فلم يجب مقدونيوس طلبه .

سويروس الانطاكي : وفي نيسان السنة ٥٠٥ أنهى انسطاسيوس الحرب الفارسية بعد اخماد ثورة الاسوريين وترتيب امور الهون فتمكن من اتباع سياسة ايجابية في معالجة الموقف الديني . فاستعان بسويروس وفيلوكسينوس الانطاكيين .

ولد سويروس في سوزوبوليس من اعمال بسيدية في حدود السنة ٤٥٩ ودرس الادب اليوناني والبيان في الاسكندرية والفقه الروماني في بيروت . وتقبل النعمة في دير الشهيد لاونديوس بالقرب من طرابلس في السنة ٤٨٨ . واختــار لنفسه الزهد فلجأ الى برية بيت جبرين ثم التحق بدير رومانوس فحبسة *Laura*

١) كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، تأليف البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم ، ص ٢٢٦ – ٢٣٢ .

مايومة . وانشأ ديراً خصوصياً واقام فيـــه مدة طويلة . وتقبل الكهنوت على يد ابيفانيوس اسقف مغيذوس في بمفيلية وكان هذا قـــد أُخرج من ابرشيته لقوله بالطبيعة الواحدة .

وكان سويروس من فحول علماء عصره تضلّع من البيـــان وعلوم اللغة وتبحر في الفقه والمحاماة ثم أوغل في بحث الاسفار المقدسة وأمعن في تنقيب التقليد ليدحض طومس لاوون ويخرج على مقررات المجمع المسكوني الرابع الخلقيدوني فيشتت بذلك صفوف المؤمنين ويشق الكنيسة غيرمكترث بدستور الايمان الموروث وبنص الانجيل الطاهر المبارك : « ليكونوا واحداً مثلما نحن واحد » .

ويلاحظ لهذه المناسبة ان العلماء المؤرخين الذين يعنون اليوم بتاريخ هذه الحقبـــة يرون ان كيرلّس وديوسقوروس وتيموثاوس ايلوروس الاسكندريين وسويروس الانطاكي لم يقولوا بمزج الطبيعتين الالهيـــة والبشرية في شخص السيد المخلص ولم ينكروا العنصرين البشريين الجسد والنفس اللذين وجدا فيه وانما قصدوا ان يظهروا وحدة العامل المتصرف الذي هو الله. وعبروا عن هذه الوحدة بالقول بطبيعة واحدة . وآثر الآباء الارثوذكسيون الشرقيون والغربيون التعبـــير عن وحدة هذا العامل المتصرف بالقول بوحدة الأقنوم واصروا في الوقت نفسه على القول بطبيعتين الهية وبشرية (١) .

التهجم على فلابيانوس الثاني : ومـــا كاد انسطاسيوس ينهي الحرب الفارسية في ربيع السنة ٥٠٥ حتى أوعز الى فيلوكسينوس ان يداعب فلافيانوس رئيسه ليحرجه فيخرجه . و كان فلافيانوس قد قضى مدة طويلة في القسطنطينية ممثلا الحبر الانطاكي فيها *Apokrisis* أمام السلطات العليا . فلما كانت السنة ٤٩٨ انتخب اسقفاً على انطاكية . فهب يعمل بأمانة واستقامـــة . وكان ارثوذكسياً مستقيم الرأي فتم شيء من التفاهم والتعاون بينه وبين زميـــله مقدونيوس اسقف القسطنطينية وايليا اسقف اوروشليم (٢) . فلما قضت الظروف بالعمل للطبيعـــة

1) *Lebon, J., Le Monophysisme Sévérien, (Louvain, 1919); Draguet, R., Julien d'Halicarnasse et sa Controverse avec Sévère d'Antioche, (Louvain, 1924).*
2) *Lebon, J., Monophysisme, 41.*

الواحدة اعلنها فيلوكسينوس حرباً لا هوادة فيها على فلابيانوس مدعياً انـــه كان لا يزال يقول بالنسطرة(١). فتنصل فلابيانوس ولعن نسطوريوس والنسطرة. ولكن فيلوكسينوس لم يرض بذلك وأصر على وجوب التراجع عن القول بالطبيعتين وكتب فيلوكسينوس بهذا كله الى مارون اناغنوسطوس عين زربة (٢). وادعى الجهاد ودخوله في حرب ضـــد نسطوريوس وجميع علماء انطاكية ديودوروس وثيودوروس وثيودوريطس وإيبـــا . وعاونه في ذلك كل من الفسينوس *Eleusinos* اسقف ساسيمة قبدوقيـــة ونيقياس *Nicias* اسقف اللاذقيـــة وغيرهما (٣) . وأعد فيلوكسينوس رسالة في مقومات الايمان الصحيح ورفعها الى البلاط الأمبراطوري فأمر انسطاسيوس بوجوب مثوله في القسطنطينية . فامتثل ومثل بين يدي الامبراطور ولكن مقدونيوس لم يسمح له بالمثول امامه لتقبيل يده فاضطر فيلوكسينوس ان يفر من العاصمة تحت جناح الظلام .

سويروس يؤم القسطنطينية : (٥٠٨ – ٥١١) وما كاد فيلو كسينوس يخرج من العاصمة حتى دخلها سويروس على رأس مئتي ناسك فلسطيني يحاربون نيفاليوس وغيره من الرهبـــان الذين قالوا بالطبيعتين . وأجيب طلب سويروس سريعاً ولكنه بقي ثلاث سنوات متتالية في عاصمـــة الدولة يخطب ويجادل ويؤلف في سبيل القول بالطبيعة الواحدة . فردّ على الخلقيدونيين بالفيلاليثة مبينـــاً ان ما نسبوه الى كيرلس غير صحيح . ووجه رسالة الى ابيون وبولس البطريقين نافياً ما نسب اليه من المانوية وغير ذلك (٤) . واجتمع حوله عدد لا يستهان به من اخصام مقدونيوس اسقف العاصمـــة وافتروا اقوالا وافعالاً ونسبوهـــا الى مقدونيوس وهو برآء منها . ثم تجرأوا على اكثر من هذا فجعلوا رهبان سويروس يسبحون التريصاجيون مضيفين اليها عبارتهم « المصلوب من أجلنا » فأدى هذا الى هياج شعبي عظيم جعل انسطاسيوس يخشى سؤ العاقبة ويستعد للفرار . وبات

1) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 31; Bardy, G., Pol. Rel. d'Anastase, op. cit., IV, 310, n. 1.*
2) *Lebon. J., Textes Inédits de Philoxène. Mnseum, 1930, 20 ff.*
3) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 31; Liberatus, Breviarium, XIX.*
4) *Zacharie, Vita Severi, 104; Jean, Vita Severi, 234; Lebon, J. Monophysisme, 123 f.*

الأمبراطور يعد العــدة لخلع مقدونيوس وابعاده . فاستمال بعض العناصر الاكليريكية وأمر باقفال أبواب العاصمة في وجـــه الرهبان الداخلين اليها ووزع العطايا على الجيش . وفي السادس من آب سنة ٥١١ أمر بخلـــع مقدونيوس وابعاده . فتم ذلك بدون مقاومة (١) . ثم أوعز الأمبراطور بتنصيب تيموثاوس الاول (٥١١ ــ ٥١٨) اسقفاً على القسطنطينية .

مجمع صيدا : (٥١٢) وعاد فيلوكسينوس الى منبج مركز أبرشيتــه ليستأنف النزاع ضد رئيسه فلابيانوس . وشدد الخناق على فلابيانوس واضطره ان يوقع بياناً شجب فيــه تعاليم ديدوروس وثيودوروس وإيبا وغيرهم من الآباء الانطاكيين (٢) . وما ان نال هذا القدر من الرئيس المسالم حتى طالب بأكثر . فانه أكد ان لا بد من شجب أعمـــال المجمع الخلقيدوني وشجب كل من يقول ان في المسيح طبيعتـــين لا طبيعة واحدة (٣) ودفع بوثيقـــة مهيأة لهذه الغاية *Plerophoria* وطلب الى فلابيانوس ان يوقعها لتعــاد الى القسطنطينية . فوقع فلابيانوس هذه الوثيقـــة ايضاً معترفاً بحكم المجمع الخلقيدوني على نسطوريوس واوطيخة ممتنعاً عن تأييد أي تحديد للعقيدة ورد في مقررات هذا المجمع (٤) .

وعاد فيلوكسينوس للمؤاخذة وشفــاء الغيظ فرأى فلابيانوس ان يدعو المجمع الانطاكي للنظر في جميع الامور التي أثارها فيلوكسينوس ولا سيا قضيتــه الأخيرة . فاجتمع الآباء الانطاكيون في صيدا في خريف السنة ٥١٢ وبلغ عددهم الثمانين . ومثل الأمبراطور بينهم القائد افترويبوس . ومشى في ركاب فيلوكسينوس كل من بطرس اسقف حلب ونيقياس اسقف طرابلس ومكسيموس اسقف بيروت وسبعة آخرون بحيث أصبح عدد المونوفيسيين عشرة فقط . وأيد فيلوكسينوس ووفده عدد كبير من الرهبان فقدموا الى المجمع طلباً بشجب مقررات خلقيدونية وأردفوا

1) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 32; Théophane, Chron., 6004; Duchesne, L., L'Eglise au VI Siècle, 24-25.*
2) *Lebon, J., Monophysisme, 47*
3) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 31; Brooks, L. W., Letters of Severus, II, 3 f.*
4) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 31.*

طلبهم هذا بسبعة وستين فصلا في تفنيد طومس لاوون وقرارات المجمع الخلقيدوني (١) فتدبر الآباء الارثوذكسيون هذه الفصول وغيرها وجادلوا خصومهم واستظهروا عليهم بدليل العقل والنقـــل . ثم استشهدوا بنصوص الآباء المونوفيسيين برسائل بطرس مونغوس واثناسيوس الثاني فثبتوا وجوب الاكتفاء بتوقيع الاينوتيكون (٢) . فأفحموا فيلوكسينوس وتركوه معتقل اللسان . وانتهت أعمال المجمع بانتصار الارثوذكسية على المونوفيسيــة . ولا نرى ما يوجب القول بتدخل الامبراطور لتعليل الاسراع في انهاء الاعمال (٣) . وقبل الارفضاض وجــه فلابيانوس انطاكية وايليا اوروشليم رسالة الى انسطاسيوس الامبراطور اكدا فيها تأييدهما لنص الاينوتيكون (٤) .

خلع فلابيانوس وابعاده : (٥١٢) وخرج فيلوكسينوس من مجمــع صيدا ساخطاً حاقداً . فجمع الرهبان من كل حدب وصوب واتصل بأساقفــة اسوريـــة فأفسد بينهم وبين رئيسهم فلابيانوس ثم ارسل رهباناً الى القسطنطينية يطالبون بخلع فلابيانوس وابعاده . فتم لهم ذلك في اوائل تشرين الثاني سنة ٥١٢ بواسطة مجمع محلي عقد خصيصاً لهذه الغاية في مدينة اللاذقية . وأبعد فلابيانوس الى البتراء (٥) .

سويروس اسقف انطاكية : (٥١٢ ــ ٥١٨) واوعز انسطـــاسيوس بانتخاب سويروس خلفاً لفلابيانوس فتم ذلك في السادس من تشرين الثاني سنة ٥١٢ . وسيم سويروس في انطاكية نفسها على يد متروبوليتي طرسوس ومنبج وعشرة أساقفة محليين من ابرشيات الفرات وسورية الأولى (٦) . ووجه سويروس لمناسبة تسلمه عكاز الرعاية خطاباً الى الرهبان لا تزال ترجمته الى السريانية محفوظة

1) *Zacharie le Rheteur, Hist. Ecc., VII, II.*
2) *Sévère, Epist. IV, 2.*
3) *Diekamp, F., Die Origenistische Streitigkeiten, 21.*
4) *Cyrille de Scythopolis, Vita Sabae.*
5) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 31, 32; Zacharie le Rheteur, Hist. Ecc., VII., 12; Sévère, Epist. V.*
6) *Zacharie, Vita Severi, 110; Jean, Vita Severi, 321; Devresse, R., Patriarcat, 69, n. 7.*

حتى يومنا هذا (١). وقد جاء في هذا البيان الرعائي تأكيد باستمساك سويروس بما جاء في أعمال مجامع نيقيــة وأفسس واعتراف بصحة ما تضمنه الاينوتيكون . ولكنه شجب نسطوريوس واوطيخه والمجمع الخلقيدوني وطومس لاوون وجميع الذين قالوا بالطبيعتين (١) . وفي السنة التاليــة (٥١٣) دعا الى مجمع انطاكي في انطاكية نفسها فأقر هــذا المجمع الرئيس في كل ما ذهب اليه وشجب المجمع الخلقيدوني وطومس لاوون (٢) . واعترض على هذه المقررات ولم يؤيدها كل من ابيفانيوس متروبوليت صور (اخي فلابيانوس الرئيس السابق) ويوليانوس متروبوليت بصرى وبطرس اسقف دمشق وأساقفــة الرستن وحمــاة وشيزر والرفنية (٣) .

مجمع صور : (٥١٤) وأدعى سويروس ان أكثرية الأساقفة الساحقة تؤيده فذكر في رسائله عدداً كبيراً منهم (٤). وادعى خصومه غير ذلــك . فدعا الى مجمع في صور في السنة ٥١٤ فاشترك في أعمالــه أساقفة انطاكية وأبامية ووادي الفرات والرها وما بين النهرين والعربية وفينيقية اللبنانية. وأيد هذا المجمع موقف سويروس السابق من مشكلة العقيدة وفسر الاينوتيكون تفسيراً معاكساً لمقررات المجمع الخلقيدوني . فاضطرب معظم الأساقفة . وامتنع عدد من أساقفة السورية عن الاعتراف بسلطة سويروس. وقطعه من الشركة أساقفة صور ودمشق وبصرى وأنزله عن السدة الرسولية كل من سويريانوس الرستن وقوزمة حماة وأرسلا اليه نص القرار المتخذ (٥) . ووافق هذا كله ظهور قرار مجمعي في الاسكندرية يوفق بين بنود كيرلس وطومس لاوون ويحتج كل الاحتجاج على مشاغبــات سويروس وفيلوكسينوس (٦) . فرأى سويروس ان لا بد من اللجوء الى العنف . فوكل أمر تهذيب الأساقفة الى سويروس أبامية وبطرس رفيقه . فدعا سويروس الأبامي اكليروس الأبرشيات المجاورة اليه وحادثهم في موضوع الساعــة فبسط على بعضهم جناح الرحمــة وأعرض عن غيرهم واستبدلهم بآخرين ممن قالوا قول

1) *Patr. Orient., II, 322.*
2) *Brooks, L. W., op. cit. I, 97; Lebon, J., Monophysisme, 57.*
3) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 33, 34.*
4) *Devresse, R., Patriarcat, 70, n. 3.*
5) *Evagrius, Hist. Ecc., III, 34.*
6) *Philoxène, Epist. ad Maron. OK. Lebon, J., op. cit., 61.*

سويروس الانطاكي ومجمع صور . ولم يقف الأبامي عنــد هذا الحد فانه صادر الذهب والفضة من فوق المذابح واجران المعمودية . وتذوق بطرس رفيق هذا الأبامي الخشونة والغلاظة والفظاظة فاستعان بالاسوريين على الزهــاد والنساك فكانت معركة في شيزر وسقط عدد من الرهبان دفاعاً عن الدين القويم (١) .

اوروشليم : ولم يعترف ايليا اسقف اوروشليم باسقفيــة سويروس الانطاكي ولم يذكره في الشركة لخروجه على العقيدة الارثوذكسية . فكان لا بد من خلعه واجلاس غيره ليقول قول الأمبراطور ويتعاون مع اسقف انطاكية . وفي السنة ٥١٦ قام اوليمبيوس حاكم فلسطين من مركز حكمــه في قيصرية الى اوروشليم على رأس قوة لخلع ايليا وتنصيب غــيره . فاعترضه الرهبان فأطلعهم على بعض الوثائق الصادرة عن ايليا فاثبط عزمهم ودخل اوروشليم بدون مقاومة وخلع ايليا ونفاه الى ايلة عند خليج العقبة (٢) .

واختــار اوليمبيوس الحاكم الشماس يوحنا « حامي الصليب المقدس » *Stavrophylax* خلفاً لايليا . وكان هذا الشماس ابن مرقيانوس اسقف سبسطية وشقيق انطونيوس اسقف عسقلان. وطلب اليه اوليمبيوس ان ينبذ طومس لاوون ويشجب قرارات المجمع المسكوني الرابع قبل تنصيبه . فوعــد يوحنا بذلك . فحدد يوم التنصيب وعين المكان . فهرع الناس الى كنيسة القديس اسطفانوس أكبر الكنائس آنئذ وأمّ اوروشليم ثمانية عشر الفاً من الرهبان الارثوذكسيين . وأطــل يوحنا يواكبه القديسان سابا وثيودوسيوس . وهتفت الجماهير : « العن الهراطقة وأيد المجمع » . فلعن يوحنا كلا من نسطوريوس واوطيخة وسويروس الانطاكي وسوتيريخوس *Soterichos* قيصرية قبدوقيــة وأيد في الوقت نفسه المجامع المسكونية الأربعة (٣) .

ضغط الامبراطور وفشله : وكان تيموثاوس الاول إسقف القسطنطينية (٥١١ ـ ٥١٨) رجلا متقلباً فحرّم قرارات المجمع الرابع المسكوني وتفاهم مع

1) *Mansi, VII, 1038 - 1107; Schwartz, E., Acta, III, 52 - 99, 106 - 110; Collectio Avellana, 139; Guenther, O., Corpus, 565 - 571.*
2) *Diekamp, F., Die Origenistischen Streitigkeiten, 24 f.*
3) *Bardy, G., Pol. Rel. d'Anastase, Fliche et Martin, op. cit., IV, 316.*

سويروس الانطاكي ويوحنــا النيقاوي الاسكندري . فاضطر متروبوليت تسالونيكية ان يماشي تيموثاوس خوفــاً من الامبراطور فتظاهر الشعب ضد الامبراطور والاساقفــة . وعقد اربعون اسقفاً من البلقان وبلاد اليونان مجمعاً وقطعوا علاقاتهم مع تيموثاوس ودخلوا في شركة اسقف رومة .

وتتابع ضغط الامبراطور على الارثوذكسيين فثار فيتاليانوس قائد فرقة بلغارية في الجيش واحتل وارنة على البحر الاسود . ثم تقدم نحو العاصمة مطالباً بالغاء التسبيح المونوفيسيتي وباعادة الاساقفة الارثوذكسيين من منفاهم وهاجم العاصمة براً وبحراً . فصدّ ولكنه لم يُغلب . فعاد برجاله الى بورغاس وبقي فيها ثائراً غاضباً ! (١)

وعلم سويروس في هذه الآونة ان عدداً كبيراً من المؤمنين الأرثوذكسيين سيقصدون مقــام سمعان العمودي احتجاجاً على قساوة سويروس وهراطقته . فارسل سويروس من كمن لهؤلاء وانقض عليهم فقتّل تقتيلا (٢) .

وعلى الرغم من هذه القساوة وهذا الضغط المتزايد فان الشعب في آسية وتراقية والبلقان واليونان وفلسطين ظل محافظاً على التقليد القويم مستمسكاً بمقررات المجامع المسكونية وظل اساقفته بعيدين عن القول بالطبيعة الواحدة . وفي كنيسة انطاكية كثر القائلون بالطبيعة الواحدة اساقفــة وشعباً ولكن الارثوذكسيين ظلوا كثراً ايضاً ولا سيما بين الرهبان والنساك . اما في مصر فان القول بالطبيعة الواحدة عمّ القسم الاكبر من الشعب والاكليروس .

وفي ربيع السنة ٥١٨ توفي تيموثاوس الاول اسقف القسطنطينية وتبعــه انسطاسيوس الامبراطور فزهقت نفسه في التاسع من تمــوز من السنة نفسها . وانصرف الى جوار ربه في التاسع عشر من تموز من السنة ٥١٨ ايضاً فلابيانوس الثاني اسقف انطاكية المنفي وزميله ايليا اسقف اوروشليم . وفي خريف هــذه السنة ايضاً نفي فيلوكسينوس الى غنغرة ليحبس في بيت يوقد فيــه وتسد منافذه فيموت خنقاً .

1) *Jean d'Antioche, Fragm. Hist. Gr., V. 3; Evagrius, Hist. Ecc., III, 43.*
2) *Hormisdas, Coll. Avellana, 139, 140.*

الفصل الخامس والعشرون

يوستينوس ويوستنيانوس

٥١٨ — ٥٩٠

الامبراطور يوستينوس : وتوفي انسطاسيوس في التاسع من تموز سنة ٥١٨ بدون عقب . فتولى العرش بعده يوستينوس احد قادة الحرس الامبراطوري وذلك بتدبير لا يزال غامضاً . وكان يوستينوس هذا وضيع الاصل جاء العاصمة مغامراً يمشي على القدمين من مقدونية . الا انه كان جندياً باسلا فألحق بالحرس الامبراطوري . وظل يتقدم حتى أصبح قومس احدى فرق الحرس . على انه في الواقع لم يكن شيئاً غير جندي باسل . وقد رأى فيه المؤرخون المعاصرون له أمياً لا يقرأ ولا يكتب متطفلا على السياسة وأهلها جاهلا عــلم اللاهوت . ويقولون ايضاً انه لولا مساندة ابن اخته يوستنيانوس له لنــاء بحمله وضاع في متاهات الادارة والسياسة . وكان يوستينوس قد استقدم يوستنيانوس اليه في حداثتــه وعني بتثقيفه وتهذيبه فأصاب يوستنيانوس شطراً وافراً من العــلم في مدارس العاصمة . فلما تبوأ خاله عرش الاباطرة كان يوستنيانوس قد أنهى علومه وخبر الحياة السياسية وتحلى بالنضج والاتزان (١) .

العودة الى الارثوذكسية : وكان يوستينوس قــد نشأ يتكلم اللاتينية ويقول قول اساقفة رومة . فلما أدرك ان المعارضة منوفيسية في الصميم اضطر هو ان ينهج نهجاً ارثوذكسياً خالصاً (٢) . واندفع الشعب في سبيل هــذا الايمان القويم فطالب الاسقف في الاحد الاول بعد وصول يوستينوس الى العرش وفي كنيسة الحكمة الالهية ان يقوم الى الأمبون *Ambon* وينادي بصحة اعمال الآباء

1) *Stein, E., Hist. du Bas Empire, II, 219-223; Bréhier, L., Byzance, 20-21.*
2) *Zacharie Rheteur, Hist. Ecc., VII. 15, VIII, 1.*

في المجمع المسكوني الرابع ففعل . ثم طالبوا بذكر افيميوس ومقدونيوس ولاوون في الذبيحة فذكر . والحوا بلعنة سويروس الانطاكي فلعن (١) . واوجبوا اعادة الاكليريكيين الارثوذكسيين الذين ابعدوا عن مراكزهم فالتأم مجمع محـلي في العشرين من تموز وأقر ذلك ورفع قراره الى الامبراطور (٢) . فصدرت ارادة سنية امبراطورية فرضت الاعتراف بالمجمع الخلقيدوني فرضاً وأوجبت اعـداد نص جديد يحل محل الاينوتيكون . وقضت ارادة سنية اخرى بابعـاد الهراطقة المونوفسيين عن وظائف الدولة وصفوف الجيش (٣) .

وتجاوب الارثوذكسيون فالتأم مجمع مقدس في اوروشليم في السادس من آب من هذه السنة نفسها واتخذ القرارات نفسها التي اتخذهـا مجمع القسطنطينية في العشرين من تموز . وحذا الشاطىء اللبناني حذو القسطنطينية واوروشليم فاتخذ مجمع صور في السادس عشر من ايلول قرارات مماثـلة وتظاهر الشعب تظاهراً كبيراً في كنيسة صور الكتدرائية. وقام كيروس اسقف مريمينة المشتى في مجمع جمع زويلوس رفنية وسويريانوس الرستن وقوزمة حماة وافسابيوس شيزر فطلب لعن اسقف ابامية وقطعه ففر بطرس فراراً (٤) . وامر الامبراطور بالقاء القبض على سويروس الانطاكي وقطع لسانه فلاذ سويروس بالفرار فقام الى سلفكية الساحل في التاسع والعشرين من ايلول واقلع منها الى الاسكندرية حيث اقام مدة طويلة (٥) .

وخيّر الأساقفة الانطاكيون بين القول بالطبيعتين وبين الاستقـالة فآثر اثنان وثلاثون منهم الاستعفاء من الخدمـة على الرضوخ والاعتراف بالمجمع الخلقيدوني . وكان بين هؤلاء بولس الاسكندرونة وقسطنطين اللاذقيـة وانطونيوس حلب ونونوس سلفكيـة الساحل وايسيدوروس قنسرين وبطرس ابامية وتوما دمشق والكسندروس وادي بردى وتوما يبرود ويوحنا تدمر ويوحنا

1) *Mansi, VIII, Col. 1057 - 1065.*
2) *Mansi, VIII, Col. 1041 - 1057.*
3) *Michel le Syrien, II, 180.*
4) *Mansi, VIII, Col. 578, 1068 - 1082, 1093 - 1138 ; Schwartz, E., Acta, III. 77 - 110 ; Maspero, J., Hist. des Patriarches d'Alexandrie, 69 - 71.*
5) *Maspero, J., op. cit., 70.*

حوارين (اسقف الرهبان العرب) وفيلوكسينوس منبج وسرجيوس قورش وتوما مرعش وبولس الرها ويوحنا حران وبولس الرقة ومريون سوره وماراس آمد وتوما دارا (١) .

واتخذت اجراءات قاسية لاكراه الرهبان على القول بالطبيعتين فطردوا من اديرتهم شباناً وشيوخاً اصحاء ومرضى ومقعدين في حر الصيف وبرد الشتاء (٢) .

بولس الثاني : (٥١٩ ــ ٥٢١) ولمست المقامـات الارثوذكسية في العاصمة كفاءة في شخص الكاهن الانطاكي بولس « مضيف الغرباء » فأوصت به فسيم اسقفـاً على انطاكية . وما كاد يستلم ازمة الرئاسـة حتى كاشف المونوفيسيين بالعداوة وجاهر بها . وخصّ رهبانهم بشطر وافر من كرهـه وحقده . ثم حامت نفسه على المال والمادة فلجأ الى البلص وما يتبعه . و كاد يمثل أمام القضاء ولكنه استعفى من الخدمة (٥٢١) فخلفـه راهب فلسطيني اسمه افراسيوس *Euphrasios* (٣) .

افراسيوس : (٥٢١ ــ ٥٢٦) وقال افراسيوس بالطبيعة الواحدة حينما كان لا يزال قسيساً في اوروشليم. ثم عدل عن هذا القول وأعلن تمسكه بالايمان القويم. وتبوأ السدة الانطاكية فتابع التضييق على المونوفيسيين فخنق فيلوكسينوس في غنفرة سنة ٥٢٣ (٤) واقتلع بولس اقتلاعاً من كنيسة الرها وطارد الرهبان فهاموا طالبين البادية وأسسوا فيها أدياراً جديدة (٥) .

مصر ملجأ الهراطقة : وتشاغل الاباطرة عن مصر وسياستها فأطمعوا أبناءها في هيبة الحكم وروعتـه فتطمّعوا وراحوا يخادعون ويراوغون . ولولا

1) *Michel le Syrien, IX, 13 ; Zacharie, Hist. Ecc., VIII, 5.*
2) *Michel le Syrien, IX, 14 ; Zacharie, Hist. Ecc., VIII, 5 ; Chron. d'Edesse, 90 ; Duchesne, L., l'Eglise au VIe Siècle, 70.*
3) *Duchesne, L., L'Eglise au VIe Siècle, 66.*
4) *Lebon, J., Monophysisme Sévérien, 68 ; Muséon, 1930, 149 ff, 163 - 165. 171 - 173, 197 - 199.*
5) *Lebon, J., op. cit., 67 - 69 ; Maspero, J., op. cit., 71 f ; Michel le Syrien, IX, 16. 20.*

الشقاق المزمن بين الفلاح والملتزم لما تمكن الروم من البقـــاء في مصر حتى ظهور الاسلام (١). ومن هنا التجاء سويروس ويوليانوس وغيرهما من كبار المونوفيسيين الى وادي النيل واقامتهم فيه اعزاء الجانب لا ينالهم طالب ولا يطمع فيهم طامع. ومن هنا ايضاً هذه الصلابة التي دفعت سويروس الى متابعة العمل في انطاكية وابرشياتها بعد خروجه منها (٢). ومن هنا كذلك اعمال يوحنا اسقف قسطنطينية الذي ظل يمارس السلطة الروحية في مسقط رأسه الرقة بعد استعفائه من الخدمـــة وخروجه من ابرشيته (٣).

« واقام سويروس في مصر عشرين سنة يدبر الكنيسة بنوابه ومراسلاته ويحبّر الكتاب أثر الكتاب نقضاً « للبدع ودحضاً للمضللين » بهمة لا تعرف الملل ولا تتعثر بأذيال الكلل مجيباً على مسائل السائلين معطيـــاً الفتاوي السديدة في المشاكل الشرعية » (٤).

وأكمل سويروس في مصر كتابه ضد يوحنا النحوي القيصراني الذي بدأ به في انطاكية (٥). ثم اختلف مـــع يوليانوس الاليكرناسوسي في ما اذا كان جسد المسيح قابلا او غير قابل الفساد فانقسم المونوفيسيون في مصر الى سويريين ويوليانيين وما فتئوا حتى الفتح الاسلامي (٦).

زلزال انطاكية : (٥٢٦) وتنوعت الكوارث الطبيعيـــة في عهـــد يوستينوس واشتدت. فزلزلت الارض في عين زربة (٧) وطفت المياه في الرها فغمرتها (٢٢ نيسان ٥٢٥) (٨) وحلت صاعقة في بعلبك فأحرقت هيكلها (٩) وعمّ الجفاف فلسطين باسرها وطال امده فحلّ الجوع فيها. وفي التاسع والعشرين

1) *Stein, E., op. cit. II, 161 - 162.*
2) *Maspero, J., op. cit., 77 - 81.*
3) *Vie de Jean de Tella par son disciple Elie, Corp. Script. Oriental., XXV, 23.*
٤) كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، تأليف البطريرك اغناطيوس الاول برصوم ص ٢٣٩ ــ ٢٤٠ .
5) *Lebon, J., op. cit., 147 - 163.*
6) *Stein, E., op. cit. II, 233 - 235 ; Draguet, Julien d'Halicarnasse, Rev. Hist. Ecc; 1937, 92 - 95.*
7) *Malalas, 417 f. ; Evagrius, Hist. Ecc., IV, 8.*
8) *Zacharie Rhet., Hist. Ecc., VIII, 4.*
9) *Stein, E., op. cit., II, 242, n. 1.*

من ايار سنة ٥٢٦ دهمت زلزلة كـــبرى انطاكية فخربتها تخريباً وقضت على خمسين الفاً من السكان وعلى الاسقف افراسيوس ايضاً (١).

يوستنيانوس : (٥٢٧ ــ ٥٦٥) هو فلافيوس بتروس سباتيوس يوستنيانوس ابن اخت يوستينوس ولد في توريزيوم *Tauresium* مقدونية (٢) في السنة ٤٨٢ . وقدم العـــاصمة في حداثته فعني خاله الامبراطور بتثقيفه وتهذيبه فأصاب شطراً وافراً من العلم. ولماتبوأ خاله عرش القسطنطينية كان يوستنيانوس قد انهى علومه وخبر الحياة السياسية وتحلى بالنضج والاتزان. ويقول معاصروه انه كان يميل الى البساطة في العيش لا يشرب الخمر ولا يأكل الا القليل من الخضراوات وكثيراً ما كان يصوم ليلتين ونهاراً بينهما (٣). وجاء ايضاً انـــه كان يحب مجالسة الاساقفة والرهبان للبحث في العقيدة والدين وانه كان قد اخذ اللاهوت عن أكبر رجـــال عصره لاونديوس البيزنطي مؤسس اللاهوت البيزنطي السكولاستيكي (٤). ويجوز القول ان مغـــامرات يوستنيانوس في اللاهوت نشأت في بعض هذه الجلسات التي أحياها الأمبراطور في قصره (٥).

أهدافه : وأراد يوستنيانوس ان يعيد الى الدولة الرومانية سابق وحدتها السياسية وان يضرب على أيدي الوثنيين واليهود والهراطقة ليؤمن كنيسة واحدة جامعة (٦). واعتبر نفسه مسؤولا أمام الله والناس عن الامن والسلام في الدولة وفي الكنيسة فتدخل في شؤون هذه تدخلا منتظماً لم يسبقه اليه أحد من قبل. فلا قسطنطين ولا ثيودوسيوس ولا غيرهما تدخل في امور الكنيسة هـــذا التدخل المستمر المطلق الصلاحية. ولا هـــذا ولا ذاك حاول ان ينظر في جميع المشاكل الكبيرة والصغـــيرة التي اعترضت الأساقفة في علاقاتهم مع زمـــلائهم ومع الاكليريكيين الخاضعين لسلطتهم. ومن هنا هـــذا الاشتراع الكبير في المسائل

1) *Malalas, 419 - 421; Procopius, Bell. Pers., II 14.*
2) *Zeiller, J., Site de Justiniana Prima, Mélanges Charles Diehl, I, 299-304.*
3) *Diehl, Ch., Justinien, 14 - 22.*
4) *Loofs, Leontius von Byzanz ; Tixeront, J., Hist. des Dogmes, III, 4 - 9, 152 - 158.*
5) *Duchesne, L., L'Eglise au VIe Siècle, 174.*
6) *Bréhier, L., Pol. Rel. de Justinien, Fliche et Martin, op. cit., IV, 439.*

الاكليريكية الذي تركه يوستنيانوس لخلف الصالح والذي لا يزال المرجع الرئيسي في القانون الكنسي حتى يومنا هذا (١) . ولم يكتف هذا الرجل الفذ في تنفيذ قرارات المجامع المسكونيـــة باقتباس نصوصها وجعلها جزءاً من اراداته السنية بل انه ذهب الى أبعد من هذا فاتخذ لنفسه صلاحية التفسير وكيفية التطبيق دون ان يستند في ذلك الى أية سلطة كنسية (٢) .

يوستنيانوس وتقدم رومة : وكان يوستنيانوس شديد الايمان بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . فما ان تبوأ خاله عرش الأمبراطورية حتى عمـد الى ازالة الانشقاق بين كنيسة رومة الجديدة وكنيسة رومة القديمـة . واعترف يوستنيانوس ببطاركة خمسة بطريرك لرومة القديمـة وآخر لرومة الجديدة وثالث للاسكندرية ورابع لانطاكية وخامس لاوروشليم (٣) . وخصّ بطريرك رومة القديمة بلقب بابا فخاطبه اما بهذا اللقب وحده او باللقبين بابا وبطريرك . وجاء في أحـد القوانين الصادرة عنه ان أبرشية رومة الجديدة تأتي بعد أبرشية رومة القديمة . واعتبر بابا رومة القديمـة في احدى الرسائل التي وجهها اليه « رئيس جميع الكنائس المقدسة » *caput omnium sanctarum ecclesiarum* (٤) ولكنـه على الرغم من هذا كله ظل يعتبر نفسه مسؤولاً عن الدولة والكنيسة ورئيساً لهذه كما كان لتلك (٥) .

ثيودورة : وحرص يوستنيانوس ان يعلم كل شيء وان يدقق في كل شيء وان يقر كل شيء . وكان شديد الاعجاب بمواهبه ومؤهلاته لا يسمح لأحد من رجاله أن يعارضه في أمر . ولكنـه على الرغم من التظاهر بالعزم والحزم والثبات فانه كان في قرارة نفسه متردداً شديد التأثر بآراء الحاشية ولا سيما زوجته ثيودورة (٦) .

1) *Batiffol, P., Empereur Justinien, 221 - 223.*
2) *Bréhier, L. Pol. Rel. de Justinien, Fliche et Martin, op. cit. IV, 439 - 440.*
3) *Novelle, 131.*
4) *Knecht, A., Die Religions-Politik Kaiser Justinians, 62 - 65.*
5) *Ostrogorsky, G., Hist. of Byzant. State, 71 ; Vasiliev, A.A., Byz. Emp., 149.*
6) *Stein, E, Bas Emp., II, 279 - 280.*

ويقول بروكوبيوس المؤرخ في كتابه عن أسرار هذه الحقبة ان ثيودورة هذه تلطخت منذ حداثتها بفساد المحيط حولها لانها نشأت في مسارح القسطنطينية ابنةً لمروض الدببـة (١) . ويقول شارل ديل الافرنسي ان ثيودورة شغلت العاصمة فألهتها لا بل فتنتها ثم جرّت الخزي عليها (٢) . ولكن يجب ألا يغيب عن البال ان بروكوبيوس كتب ليحطم يوستنيانوس وزوجته وأنه بالتالي راو مغرض لا تقبل شهادته بدون تبصر وروية . ويجب الا ننسى أيضاً ان ثيودورة ترصنت بعد طيشها وانها اخرجت زوجها في كثير من الاحيان من مآزق حرجة .

والمهم هنا هو ان نذكر ما كان لثيودورة من التأثير على زوجها وألا ننسى انها قالت بالطبيعة الواحدة وعطفت على من شاركها هذا القول وانها ربما عرفت سويروس الانطاكي قبل زواجها من الأمبراطور واننا نجدها « عظيمة » في جميع المراجع المونوفيسية (٣) .

اضطهاد غير المسيحيين : وأدى شعور يوستنيانوس بالمسؤوليـة الدينية الملقاة على عاتقـه بصفته أمبراطوراً مسيحياً ارثوذكسياً الى ان يأمر بالتضييق على رعاياه غير المسيحيين ليصيروا مسيحيين . وبدأ بهذا التضييق منذ ان شارك خاله يوستينوس في الحكم فحرم الوثنيين والسامريين والهراطقة حق الانتفاع من أرث آبائهم وأجدادهم وحق توريث من لم يكن ارثوذكسياً . ثم حرم الكفـار واليهود حق الشهـادة على الارثوذكسيين أمام المحـاكم (٥) وحق استرقاق الارثوذكسيين (٦) . وأردف هـذا كله بقانون آخر منع به المانويين والوثنيين والسامريين من الاستفادة من أي حـكم قانوني (٧) . ورأى ضرورياً ان يقضي على عقائـد الوثنيين وفلسفاتهم فأمر في السنة ٥٢٩ باقفال جامعـة اثينة . فآثر دماسكيوس وزملاؤه الاساتذة النفي على التنصر . فأموا بلاط كسرى وعاشوا

1) *Procopios, Hist. Arcana, IX, 25.*
2) *Diehl, Ch., Byz. Portraits, 54.*
3) *Jean d'Ephèse, Comment., 138, 154, 157, 160 ; Michel le Syrien, II, 192-193.*
4) *Cod. Just. I, 5, 15, 17, 18, ; Just. Nov. 115.*
5) *Cod. Just., I, 5, 21 ; Just. Nov., 45.*
6) *Cod. Just., I, 3, 54.*
7) *Cod. Just., I, 5, 21.*

في كنفـــه وما فتئوا حتى انتهت الحرب الفارسيـــة (٥٣٢) فقبل يوستنيانوس بعودتهم الى اوطانهم آمنين (١) .

ونفذ يوستنيانوس قوانينه هذه بشدة وقساوة . واستعان في الوقت نفسه بالرهبان لوعظ الوثنيين وتبشيرهم . فانتدب يوحنا الافسسي او الاسيوي لتبشير الوثنيين في جبال ازميرو افسس . فأحرز يوحنا نجاحاً عظيماً وهدى ثمانين الفـــاً وانشأ تسعاً وتسعين كنيسة واثني عشر ديراً (٢) .

« ولد يوحنا في الارجح في بلدة اكل من ولاية آمـــد حوالي السنة ٥٠٧ وشارف الموت وهو طفل فدعا له وشفاه مارون الناسك العمودي في دير ارعاريتا في اجل . فلما بلغ الرابعة ارسله اهله الى الدير عملا بأمر مارون فأقام فيه حتى الخامسة عشرة . وتوفي الناسك فانضم يوحنـــا الى رهبان مار يوحنا الاورطي . فدرس الاسفار واجاد اللغتين اليونانيـــة والسريانية . (وفي السنة ٥٢١) حين اضطهاد الرهبان وتشريدهم خرج يوحنا معهم » (٣) . ثم أم القسطنطينية لينال عطف ثيودورة وينضم الى مار زعورا *Zooras* ورفاقه . والظريف اللطيف في هذا المبشر انه لم ينقل الى الموعوظين شيئاً من التعليم بالطبيعة الواحدة (٤) .

وعلى الرغم من التضييق والتبشير فان الوثنية ظلت عائشة مدة غير يسيرة. فالرهـــا كانت وثنية في معظم سكانها في السنة ٥٤٠ (٥) والشرطة ضبطت في زوايا العاصمة في السنة ٥٦٢ عدداً من كتب السحر فأوقفت خمسة من كهنة الاوثان واحداً من اثينة واثنين من انطاكيـــة واثنين من بعلبك وشوهتهم ثم أركبتهم الجمال عراة ودارت بهم في شوارع العاصمة وأحرقت كتبهم (٦) . ولدينا من الادلة ما يجعلنا نعتقد ان هيا كل بعلبك بقيت وثنية تقام فيها الذبائح حتى السنة ٥٨٠ (٧) وان شيئاً من الوثنية بقي لاحقاً بمصر حتى اوائل القرن السابع (٨) .

1) *Malalas., Chron., XVIII ; Agathiae Historiae, II, 28 - 30; Bury, J. B., Later Roman Emp., II, 369 - 371 ; Bréhier, E., Hist. de la Philosophie, I, 476 - 486.*
2) *Denis de Tell - Mahré, Rev. Orient Chrét., 1897, 482 ff.*
٣) البطريرك اغناطيوس برصوم ، المؤلف نفسه ، ص ٢٦٤ .
4) *Bréhier, L., Pol. Relig. Justinien, op. cit., IV, 443.*
5) *Stein, E., Bas Empire, II, 373.*
6) *Michel le Syrien, II, 207, 291 ; Malalas, J., Chron. XVIII.*
7) *Stein, E., Studien, 87, 100, n. s.*
8) *Maspero, J., Patriarches d'Alex., 34.*

واحترم الامبراطور يوستنيانوس حقوق اليهود المدنيـــة واذن لهم بحرية العبادة واقامة الشعائر الدينية ولكنـــه لم يسمح لهم بالشهادة امام المحاكم على المسيحيين الارثوذكسيين ولم ياذن لهم بشراء اي شيء له علاقـــة بالكنيسة والكنائس . وادعى ان عدداً كبيراً من اليهود لا يفقهون العبريـــة فأمر بأستعمال الترجمة السبعينية او ترجمة اكويلة *Aquila* . ثم تدخل في امور العقيدة فحرم القول بالذفتيروسيس *Deuterosis* (نكران اليوم الآخر وقيامة الموتى) (١) وأمر بقطع من يقول هذا القول واعتباره وثنياً غير يهودي .

واتخذ السامريون موقفاً معادياً من المسيحيين ودولتهم واعتصموا بجبال فلسطين . فأمر يوستنيانوس بتدمـــير معابدهم (٢) فثاروا في السنة ٥٢٩ ونادوا بيوليانوس أمبراطوراً (٣) . فاضطر والي الشرق ان يجهز جيشـــاً لمحاربتهم فاستعان بالقبائل العربيـــة وطوقهم تطويقاً وقتل منهم عشرين الفاً وسجن عشرين الفاً آخرين وأمر بيوليانوس فقطع رأسه (٤) ثم ثاروا ثانية في السنة ٥٥٥ فذبحوا اسطفانوس برو قنصل فلسطين وعدداً من النصارى ونجسّوا الكنائس وأحرقوها : فاخضعوا ثانية وصلب زعماؤهم صلباً (٥) .

التضييق على الهراطقة : أبعد يوستنيانوس الهراطقة عن الوظائف والمهن الحرة ومنـــع اجتماعاتهم وأغلق كنائسهم كما سبق وأشرنا وحرمهم حقوقهم المدنية قائلا : « يكفي هؤلاء ان يؤذن لهم بالعيش » .

ولم ينجُ من هذا التضييق سوى المونوفيسيين ولا سيما السوريين منهم . فيوستينيانوس رأى التفاهم مع هؤلاء ممكناً على اساس الاستمساك بنص الدستور النيقاوي وتفسيره على طريقة كيرلس الاسكندري . ولمس في الوقت نفسه قوتهم المتزايـــدة في مصر فرهبانهم هناك ألّفوا جيشاً متراصاً مستعـــداً لتنفيذ اوامر

1) *Novelle 146 ; Bury, J. B., Later Rom. Emp., II, 366.*
2) *Code Just., I, 5.*
3) *Malalas, Chron. XVIII ; Cyrille de Scythopolis, Vit. Sabae, 70.*
4) *Bury, J. B., Lat. Rom. Emp., II, 365-366 ; Maspero, J., Patr. d'Alex., 260.*
5) *Michel le Syrien, II, 262 ; Malalas, Chron., XVIII ; Lammens, H., Califat de Yazid I, Melanges Fac. Or. de Beyrouth, 1910 - 1913, 669 - 711.*

البطريرك . ولا يخفى ان يوستينيانوس كان مؤمناً مخلصاً يقول بكنيسة واحـــدة جامعة وانه كان لاهوتيـــاً واسع الاطلاع اخـــذ علمه هذا عن يد قطب اهل اللاهوت آنئذ وعميدهم لاونديوس الكبير (١) ومما تجب الاشارة اليه ان المؤرخين المونوفيسيين لمسوا اخلاص يوستينيانوس في معالجة قضيتهم فـــلم يهملوا الاشارة الى ورعه واهتمامه بالفقراء (٢) .

وزينت ثيودورة لزوجها وحسّنت فأشارت عليه منذ وصوله الى العرش ان يسمح بعودة الرهبان المونوفيسيين والاساقفة من منافيهم الى اوطانهم ففعل. وعاد منذ السنة ٥٣١ الى آمد والرها جميع الرهبان المونوفيسيين الذين كانوا قـــد لجأوا الى البادية (٣) . ثم حببّت اليه اقامة بعض الرهبان المونوفيسيين في العاصمة فسمح بهذا ايضاً وأم العاصمة اساقفة مونوفيسيون ثمانية وعدد كبير من الرهبان . وانتظم هؤلاء برعاية ثيودورة وادارة مار زعورا *Zooras* في دير ما وراء القرن الذهبي اقيمت فيه الصلوات بحضور الامبراطورة وحاشيتها (٤) .

مؤتمر في القسطنطينية : (٥٣٣) وركن المونوفيسيون الى يوستنيانوس فرفعوا اليه طلباً ضمنوه بياناً بمعتقدهم فتراءى للامبراطور انه بامكانه ان يعيدهم الى الايمان القويم بواسطـــة مؤتمر يضم ممثلين عنهم وعن الكنيسة الام . ودعا الامبراطور الى هذا المؤتمر ستة اساقفة عن كل جانب . ووجه دعوة خصوصية الى سويروس الانطاكي زعيم المونوفيسيين ولكن سويروس اعتذر ولم يحضر .

وعقد هذا المؤتمر جلساته في قصر الهورميـــزدة في السنة ٥٣٣ فترأس الجلستين الاولى والثانية قومس العطايا *Comes Sacrarum Largitionum* وشرف الثالثة والاخيرة الامبراطور بشخصه . ووافق الاساقفة الشرقيون المونوفيسيون زملاءهم ممثلي الكنيسة الام على شجب اقوال اوطيخـــة ووجوب دعوة المجمع المسكوني الرابع للنظر في البدعة في خلقيدونية . ثم اختلفوا في الجلسة الثانية حول

1) *Brehier, L., Pol. Relig. de Justinien, op. cit., IV, 448 - 449.*
2) *Maspero, J., Hist. des Pat. d'Alex., 109 ff.*
3) *Michel le Syrien, II, 177 ; Duchesne, L., Les Protégés de Théodora, Mélanges d'Arch. et d'Hist., 1915, 57 - 79.*
4) *Michel le Syrien, II, 197 - 203.*

القول بالطبيعتين . فاقام المونوفيسيون شهـــادة ديونيسيوس الآريوس باغوسي واشاروا الى مؤلفات نسبوها اليه لاول مرة في تاريخ الفكر اليوناني . ثم أبرزوا نصوصاً اخرى اعتبرها زملاؤهم الارثوذكسيون مزورة . وعبثـــا حاول يوستنيانوس في الجلسة الثالثة التقريب بين الطرفين . ولم يعترف بصحة موقف الكنيسة الام من جميع الاساقفة المونوفيسيين سوى فيلو كسينوس اسقف دولك . وأصر الخمســـة الاخرون على شجب تساهل المجمع الخلقيدوني في أمر ايبا وتيودوريطس (١) .

أحد الثالوث تألم في الجسد : *Unus de Trinitate passus* وتابـــع الأمبراطور سعيه للتقريب بين المونوفيسيين والارثوذكسيين فأصدر في الخامس عشر من اذار سنة ٥٣٣ وفي السادس والعشرين من هذا الشهر نفسه ايضاً ارادتين سنيتين امبرطوريتين أبان فيهما موقفـــه من النزاع القائم حول الطبيعة الواحدة والطبيعتين فأهمل ذكر أي مجمع مسكوني وتحاشى الاشارة الى « الطبيعتين » وأكد وحدة شخص السيد المسيح على طريقة الرهبان السكيتيين الذين قالوا بتألم الاله *Theopaschites* (٢) . فأغضب الرهبان الذين « لاينامون » *Akoimetoi* (٣) ولم يُرض المونوفيسيين !

ونظر البابا يوحنا الثاني في هـــذا النص اليوستنياني بناء على طلب الامبراطور نفســـه وشاور الشماس الافريقي فران *Ferrand* ووافق على نص الارادة الامبراطورية ومضمونها وشجب موقف الذين لا ينامون (٤) .

سويروس ويوستنيانوس : (٥٣٥) وكدّت ثيودوره للمونوفيسيين وسعت . فعلمت بقرب اجل تيموتاوس الثالث بطريرك الاسكندرية فأرسلت في مطلع السنة ٥٣٥ احد خدامها الخصي كالوتيخيوس *Kalotychios* الى مصر فحض السلطات فيهـــا على مساعدة ثيودوسيوس الشماس احد تلاميذ سويروس

1) *Hefelé - Leclercq, Hist. des Conciles, II, 1120 - 1125.*
2) *Cod. Just., I, 1, 6, 7.*
3) *Delehaye, H., Byzantine Monasticism, Byzantium (Baynes and Moss), 144 - 145 ; Pargoire, J., Acémètes, Dict. d'Arch. Chrét., I, Col. 307 - 321.*
4) *Brehier, L., Pol. Relig. de Justinien, op. cit. IV, 451 ; Stein, E., Bas Empire, II, 376 - 380.*

الانطاكي (١) . وفي شهر حزيران توفي ايبفانيوس بطريرك القسطنطينية فتدخلت ثيودوره وجعلت زوجها والاساقفة يوافقون على سيامــة انثيموس اسقف طرابزون بطريركاً على رومة الجديدة وكان انثيموس هذا يتظاهر بالارثوذكسية ويُبطن القول بالطبيعة الواحدة . فلما تبوأ العرش القسطنطيني وجه رسالتــه السلامية الى سويروس وثيودوسيوس معتبراً كلا منهما اسقفاً شرعياً متناسياً خلع سويروس عن عرش انطاكية وقيام افراميوس بطريركاً ارثوذكسياً على سدة الرسولين (٢) .

وكان يوستنيانوس قد دعا كلا من سويروس الانطاكي وتيموثاوس الاسكندري الى التشاور في امر الاختلاف القائم فاستوفى تيموثاوس انفاســه وطاحت روحه وقام سويروس يلبي الدعوة في صيف السنة ٥٣٥ . فنهض الى القسطنطينية وأقام فيها سنة كاملة . واستصحب سويروس تلميذه بطرس اسقف أباميــة للتعاون في الاقناع والتبشير . وبينما كان سويروس وبطرس يسعيان لاجتذاب الشخصيات الاكليريكية العاليــة كان مار زعورا يُطلق لنفسه عنان هواه في الأوساط الشعبية . وغلا وجاوز الحد فعمد أبناء بعض العائلات المعروفة في يوم عيد الفصح في الثالث والعشرين من آذار السنة ٥٣٦ (٣) . وطبع الله على بصيرة مونوفيسي آخر اسحق الفارسي فتجرأ وثقب عيني الأمبراطور في احــدى صوره الزيتية لأنه « لم يرضَ عن فتوره » ! (٤) .

البابا اغابيتوس : وكان ثيوداتوس ملك القوط قد طلب الى اغابيتوس بابا رومة ان يفاوض يوستنيانوس في سياسته ومطامعــه في ايطالية . ووصل اغابيتوس الى القسطنطينية في الثاني من شباط سنة ٥٣٦ فاستقبل استقبالا حافلا حاراً . وآثر البابا الدين على السياسة ، وكان رجــلا تقياً جليلا ، فعلم بما في الزوايا من خبايا . فدعا أساقفة القسطنطينية ومقدمي الكهنة فيها الى مجمع محــلي

1) *Zacharie de Mytilène, Hist. Ecc., IX, 9 ; Maspero, J., Patr. d'Alex., 110 ff.*
2) *Zacharie de Mytilène, Hist. Ecc., IX, 15 ; Evagrius, Hist. Ecc., IV, II ; Michel le Syrien, II, 208 - 220.*
3) *Diehl, Ch., Théodora, Impératrice de Byzance, 262 - 266.*
4) *Ibid., 266.*

برئاسته وقطع فيــه أنثيموس ومن شاركه رأيه . ثم انتخب الاكليروس والأمبراطور والشعب ميناس بطريركاً على القسطنطينيــة (١) . وفرّ انثيموس ولجأ الى القصر واختبأ فيه اثنتي عشرة سنــة (٢) . وأصغى اغابيتوس الى شكاوي رهبان العاصمة ورهبان سورية وفلسطين من سياسة سويروس واعتداءاته فاقترح عقــد مجمع ينظر في هذه الشكاوي وفي قضية انثيموس وغــيرها . ووافق الأمبراطور ولكن اغابيتوس انصرف الى جوار ربه في الثاني والعشرين من نيسان .

قطع سويروس الانطاكي : والتأم مجمع في القسطنطينية في الثاني من ايار سنة ٥٣٦ برئاسة ميناس البطريرك الجديد وعضوية اساقفة الكرسي القسطنطيني وأساقفة الوفد الروماني ووكيلي بطريرك انطاكية وبطريرك اوروشليم . ودعــا المجمع انثيموس للدفاع عن نفسه اولا وثانياً وثالثاً فلم يحضر فجرّد من صلاحياته الروحية بمــا في ذلك صلاحيات الكهنوت وخلع وقطع . وبعــد الاتصال بالأمبراطور قطع سويروس الانطاكي وأبطلت مصنفاته . وقُطع ايضــاً بطرس اسقف ابامية السابق والراهب مــار زعورا (٣) . وفرّ سويروس والتجأ الى مصر ثانية فلم يرض اليوليانيون عنه فاختبأ في احــدى القرى وما فتىء ان لفظ انفاسه في السنة ٥٣٨ (٤) . وأصر مار زعورا واخوانه الرهبان المونوفيسيون على البقاء في القسطنطينية فطردوا منها طرداً (٥) .

افراميوس بطريرك انطاكية : (٥٢٧ — ٥٤٥) وخلف افراسيوس في الكرسي الانطاكي افراميوس الآمدي. وكان افراميوس قومس الشرق فاضطر ان يتدخل في شؤون انطاكية السياسية في السنة ٥٢٥ ليقضي على مشادة عنيفة كانت قد نشبت بين الزرق والخضر فأعجب الانطاكيون باتزانه وعدله وجمال خلقه . وقام

1) *Liber Pontificalis, I, 287 - 288.*
2) *Kirsch, Agapet I, Dic. Hist. Géog. Ecc., I, Col. 887 - 890.*
3) *Mansi, VIII, Col. 873 - 1176 ; Hefelé - Leclercq, op. cit., I, 1145 ff.; Batiffol, P., Justinien et le Siège Apost., 228 - 231.*
4) *Zacharie de Mytelène, Hist. Ecc., IX, 15 ; Michel le Syrien, II, 221-223.*
5) *Diehl, Ch., Theodora, 261 - 263.*

في سلفكية الساحلية (السويدية) أثر يشيد بفضل هذا القومس العادل (١) . ثم دُهمت انطاكية بزلزال السنة ٥٢٦ وتهدمت بيوتها وابنيتها العمومية وكنائسها وتوفي اسقفها افراسيوس تحت الانقاض فجاءها القومس افراميوس مرة ثانية يُعينها على النهوض من كبوتها . فتعلق الناس به ورأوا في شخصه خلفاً صالحاً للرسولين فسيم اسقفاً على انطاكية في نيسان او ايار السنة ٥٢٧ (٢) . وكان افراميوس ارثوذكسياً صادق العهد وفياً ملماً بالعلوم الالهية مؤلفاً كاتباً (٣) . فدافع عن الارثوذكسية دفاعاً شديداً . وكان يوستنيانوس لا يزال ينفق في سبيل انهاض انطاكية من الكبوة التي حلت بها بعد زلزالي السنة ٥٢٦ و٥٢٨ . فلما قارب العمل النهاية اقترح القديس سمعان العمودي « الأصغر » على الأمبراطور ان يطلق على انطاكية الاسم « مدينة الله » تعوذاً . فوافق يوستنيانوس على هذا الاقتراح ولا تزال انطاكية مدينة الله حتى يومنا هذا . وقام افراميوس في السنة ٥٣١ ينفذ ارادة أمبراطورية يوستينية فطالب بنفي من قال بالطبيعة الواحدة في انطاكية فقاومه العوام في ذلك وتدخلت السلطة فجرت حوادث مؤلمة (٤) . وما ان صدر قرار المجمع القسطنطيني بقطع سويروس وحرق مصنفاته في السنة ٥٣٦ حتى هبّ افراميوس ينفذ بالشدة التي عرف بها فأعاد اضطهاد المونوفيسيين وتشريدهم . وجاب البلاد يفتش عن زعمائهم . ووصل الى حدود فارس جاداً في طلب ديونيسيوس اسقف قسطنطينة فقيل له انه عبر الحدود والتجأ الى المرزبان في نصيبين فاتصل افراميوس بالمرزبان وتسلّم ديونيسيوس وحبسه في دير على باب انطاكية وشدد عليه « فصبر هذا على مكروه عظيم » حتى انقضت أنفاسه (٥) . وجاء في بعض المراجع ان افراميوس أمر باحراق بعض من أصرّ على غيّه ومضى في طغيانه من هؤلاء المونوفيسيين (٦) .

1) *Stein, E., Bas Empire, II, 241, n. 1.*
2) *Evagrius, Hist. Ecc., IV, 6 ; Zacharie Rhet. Hist. Ecc., VIII, 4, 6.*
3) *Photios, Biblioth, 228, 229 ; Bardenhewer, O., Gesch. der Altkirchlichen Literatur, V, 17 f.*
4) *Stein, E., Bas Empire, II, 377.*
5) *Jean d'Ephèse, Commentarium, 112 ; Maspero, J., Hist. des Patr. d'Alex., 122 - 123.*
6) *Zacharie Rhet., Hist. Ecc., X, 2.*

ويقول ميخائيل المؤرخ السرياني ان افراميوس سافر الى الرها محاولاً اقناع أهلها بتقبل قرارات المجمع الخلقيدوني وانه توجه الى بلاد فارس وسنجار للغاية نفسها فاجتذب كثيرين وانه قصد الحارث ابن جبلة وحدثه في الموضوع نفسه ولكنه عجز عن اقناعه (١) .

ونجد هذا البطريرك في مطلع السنة ٥٤٠ متعاوناً مع زميله بطرس الاوروشليمي وبيلاجيوس وكيل الحبر الروماني جالساً في غزة فلسطين ناظراً في قضية بولس بطريرك الاسكندرية (٢) .

اسطفانوس بار صوديلي والاوريجينية الجديدة : وقام في الرها في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس الراهب السرياني اسطفانوس ابن صوديلي يدعو الى اوريجينية جديدة تستند الى تعاليم اوريجينس الاسكندري وتقول بشيء من وحدة الوجود . فنبذه الرهاويون وطردوه فلجأ الى فلسطين الى محابس الرهبان الى رهبان من أهل مذهبه . وكان القديس سابا لا يزال في قيد الحياة فنهى الرهبان عن هذه الأقوال وكاشف اسطفانوس بارصوديلي بالمقاومة ورحل الى القسطنطينية يطلب المعونة للقضاء على الاوريجينية الجديدة (٣). ولكنه ما كاد يعود الى فلسطين حتى انتقل الى دار القرار (٥٣٢) فضاعف الاوريجينيون جهودهم وبثوا دعايتهم في دير مار سابا نفسه . فقاومهم الساباويون وطردوا اربعين راهباً من رهبانهم اتهموا بالاوريجينية (٥٣٩) وشد ازر الاوريجينيين اثنان منهم كانا قد نالا حظوة في عيني يوستنيانوس (٥٣٦) فأمر بترقيتهما الى رتبة الأسقفية . وتدخل هذان الأسقفان ثيودوروس اسكيداس اسقف قيصرية قبدوقية ودوميتيانوس اسقف انقيرة في الأمر فقضت الارادة السنية بوجوب ابعاد أشد الرهبان عداوة للاوريجينية عن دير القديس سابا . فخرج من هذا الدير ستة من كبار الرهبان عرفوا بعداوتهم لبارصوديلي وفلسفته .

1) *Michel le Syrien, II, 274, 279, 283, 288, 310.*
2) *Cyrille de Scythopolis, Vit. Sabae, 70, 85; Maspero, J., Hist. Patr. d'Alex; 145 - 151.*
3) *Diekamp, Die Origenistischen Streitigkeiten, 32 - 36; Bury, J. B., Lat. Rom. Emp. II, 381 f.*

والتجأ الستة الكبار الى افراميوس بطريرك انطاكية فقبلهم. وعقد مجمعاً انطاكياً وشجب الاوريجينية. فضغط الاوريجينيون في فلسطين (٥٤١) على بطرس بطريرك اوروشليم موجبين حذف اسم افراميوس الانطاكي من الذبتيخة. فأرسل بطرس وفداً الى القسطنطينية يبين واقع الحال ويرجو اتخاذ موقف واضح من اوريجينس ومؤلفاته فكان من ميناس بطريرك القسطنطينية ان عقد مجمعاً محلياً بموافقة الامبراطور حكم فيه على اوريجينس وتعاليمه (١).

هيرارخية مونوفيسية : وتسابق سويروس الانطاكي ويوحنا التلاوي الى حياض المنيه فتوفي الاول في الثامن من شباط سنة ٥٣٨ وسبقه الثاني بيومين لا ثالث لهما (٢). وكان انثيموس الطرابزوني لا يزال مختبئاً في حمى ثيودورة. و كذلك ثيودوسيوس بطريرك الاسكندرية السابق فانه كان مبعداً في تراقية لا يستطيع القيام بأي عمل روحي. فلاحت بارقة أمل للامبراطور و كبار رجال الكنيسة الارثوذكسية في الشرق والغرب معاً ان تتقطع حبال السلطة المونوفيسية فيجيء يوم يصبح فيه المونوفيسيون بدون رؤساء روحيين يدبرون امورهم.

ولكن ثيودورة ظلت تداهن وتصانع فتمكنت من نقل ثيودوسيوس الاسكندري من منفاه من ذركوسة تراقية الى القسطنطينية. وتمكن هو من استصحاب يمينه الاسقف يوحنا (الراهب الفلسطيني) وما ان تم لثيودورة هذا حتى دفعت بثيودوسيوس ويوحنا الى الاهتمام برعاية المونوفيسيين في آسية وسيامة الكهنة ورؤساء الكهنة لخدمتهم وتدبير امورهم. والواقع ان يوحنا الفلسطيني هذا عبر البوسفور مراراً مستتراً بداعي المرض فجاب ولاية آسية باسرها متفقداً شؤون المونوفيسيين ناظراً في احتياجاتهم (٣).

وتفيد المراجع الاولى ان الحارث ابن جبلة الامير الغساني اتصل بثيودوره سنة ٥٤٣ ورجاها ان تعين اسقفاً يرعى شعبه. فأحالت الامبراطورة

1) *Diekamp, op. cit., 39 - 42, 46 - 50; Schwartz, Ed., Acta Concil., III, 189 - 214.*
2) *Michel le Syrien, II, 224, 243; Maspero, J., op. cit., 123.*
3) *Duchesne, L., Protégés de Théodora, op. cit., 62 f; Stein, E., Bas Empire, II, 624.*

طلبه على ثيودوسيوس الاسكندري فسام هذا ثيودوروس رئيساً على أساقفة بصرى ويعقوب البرادعي اسقفاً على الرها ومتروبوليتاً مسكونياً (١).

ويرى ثيودور نولدكه مؤرخ الغساسنة انه ليس ثمة من أساس تاريخي للعلاقة الاولى بين الحارث الغساني وبين يعقوب البرادعي مؤسس الكنيسة السريانية القائلة بالطبيعة الواحدة التي تدعى أحياناً كنيسة اليعاقبة. ومما يذهب اليه نولدكه ان بعض رجال الاختصاص صبغوا هذه العلاقة بمسحة من الاعجاز (٢) لا تتفق والواقع التاريخي. ويؤكد هذا العلامة ان الحارث ابن جبلة لم يرحل الى القسطنطينية في هذه الحقبة وان ما جاء من هذا القبيل في كلام المتقدمين والمتأخرين هو خطأ فاضح (٣).

ولد يعقوب ابن القس ثيوفيلوس ابن معنو في تل موزل. وترهب في دير فسيلتا القريب من مسقط رأسه. وأجاد السريانية واليونانية. وفي السنة ٥٢٨ رحل الى القسطنطينية مع من رحل اليها من الرهبان المونوفيسين. وهو في نظر غبطة بطريرك السريان «أشهر الأحبار ورعاً وطهراً وأكبر المجاهدين الرسوليين في نصرة المعتقد القويم ونخبة النساك الصوّامين القوّامين ذوي الصلاح والدين المتين» (٤).

وما كاد يعقوب البرادعي يصير اسقفاً على يد ثيودوسيوس حتى طفق يطوف متنكراً مرشداً مشجعاً مؤسساً. ومما يروى عنه انه سام في رحلاته العديدة سبعة وعشرين اسقفاً وبضعة الآف شماس وقس وانه زار مصر ورسم فيها اثني عشر اسقفاً. وشملت رحلاته آسية الصغرى وسورية وما بين النهرين وفارس ومصر وقبرص ورودوس وغيرهما من الجزر. وأعطى يعقوب المونوفيسيين بعمله هذا ملاكاً اكليريكياً خصوصياً ولكنه مزّق كنيسة انطاكية اذ جعل من الاسقفية

1) *Bréhier, L., Pol. Relig. de Justinien, op. cit., IV, 456.*
2) *Land, Anecd., II, 361 - 362; Kleyn, Jacobus Baradaeus, 41 - 42.*
٣) امراء غسان للدكتور ثيودور نولدكه، تعريب الدكتور بندلي جوزي والدكتور قسطنطين زريق ٢١ – ٢٢ و ٥٧.
٤) البطريرك اغناطيوس برصوم، المؤلف نفسه، ص ٢٦٠ – ٢٦١.

الواحدة اسقفيتين ومن الكنيسة الواحدة كنيستين . وأقام على هذه الحال خمساً وثلاثين سنة فاعتبر بحق احد مؤسسي الكنيسة السريانية ونُسبت هذه اليه فدعيت يعقوبية وعرف ابناؤها باليعاقبة . (١) وهـــذه اسماء خلفاء سويروس الانطاكي حتى الفتح الاسلامي :

سويروس	٥١٢ ـ ٥٣٨	بطرس	٥٨١ ـ ٥٩١
سرجيوس	٥٣٨ ـ ٥٦٢	يوليانوس	٥٩١ ـ ٥٩٤
بولس	٥٦٤ ـ ٥٨١	اثناسيوس	٥٩٥ ـ ٦٣١
يوحنا	٦٣١ ـ ٦٤٩		

الفصول الثلاثة : (٥٤٤ ـ ٥٤٥) واتفق ان كان في البلاط ثيودروس اسكيذاس اسقف قيصرية قبدوقية ودوميتيانوس اسقف انقيرة وهمـــا الراهبان الفلسطينيان اللذان رحلا الى القسطنطينية سنة ٥٣٦ ليدافعا عمن قال بالاوريجينية الجديدة من رهبان فلسطين فنالا الحظوة لدى الامبراطور ورقيا الى رتبة الاسقفية وبقيا بين العاصمة وآسية . وكان ثيودوروس لا يزال يحقد على بيلاجيوس ممثـــل رومة وجيلاسينوس رئيس اخوية القديس سابا لما ابدياه من النشاط في ملاحقة الرهبان الذين قالوا بالاوريجينية الجديدة في فلسطين . فرأى هـــذا الأسقف الاوريجيني « الباطني » ان يحقّر سميه ثيودوروس المبسوستي مقابل تحقير اوريجنس لتعلق جيلاسينوس واتباعه به وتعظيمهم له ولا يخفى ان ثيودوروس المبسوستي كان قـــد انتقد اوريجينس وتفاسيره الرمزية .

واستدعت رومة بيلاجيوس عـــام ٥٤٣ فأضحى الأسقف ثيودوروس أشد المستشارين أثراً في نفس الامبراطـــور . وكانت ثيودوره لا تزال تداور زوجها وتدامله لتصلح بينه وبين جماعتها المونوفيسيين فشجعت ثيودوروس على موقفه من سميـــه المبسوستي ونصحت اليه ان يطلع زوجها على رأيه . فانتهز ثيودوروس ظرفاً ملائماً في احدى سهراته فيمكتبة القصر ولفت نظر يوستنيانوس الى امكانية كسب المونوفيسيين بشجب مصنفات النساطرة الذين تبرأوا في المجمع

1) *Nicephorus Callistus, Hist. Ecc., XVIII, 52 ; Stein, E., Bas Empire, II, 626, n. 4.*

الخلقيـــدوني (١) . فأصغى يوستنيانوس اليه ثم شاور نفسه فصوّب رأي ثيودوروس وأصدر ارادة سنية جديدة حرّم فيها تعاليم ثيودوروس الموبسوستي وثيودوريطس القورشي وايبا الرهاوي .

وجاءت هذه الارادة الأمبراطورية في ثلاثة فصول . ومن هنـــا القول الفصول الثلاثة . وقد ضاع نص هذه الارادة ولم يبق منه سوى بعض شذرات منثورة هنا وهناك . ويعود الفضل في جمع هـــذه الشذرات الى العلامة شوراتز الذي عاني مشقة في مضاهاة النصوص الباقية وضمها بعضها الى بعض ليؤلف منها مجموعاً موحداً متسلسلا متواصلا (٢) .

ولا يخفى ان ثيودوروس الموبسوستي جعل من اتحـــاد الكلمة بالناسوت في المسيح مجرد سكنى وتلطف ومسرة *eudoxia* لا اتحـــاداً في الجوهر *ousia* فأصبحت السيـــدة في نظره ام انسان *anthropotoxos* وام إله *theotoxos* ! وأهم ما أخذ على ثيودوريطس القورشي اعتراضه على البند الثاني عشر من بنود كيرلس الاسكندري الذي نصّ على ان « ان الله الكلمـــة تألم وصلب ومات في الجسد » . اما ايبا الرهاوي فانه نقل تعاليم ثيودوروس الى السريانيـــة وفنّد أعمال مجمع أفسس في رسالة وجهها الى ماري اسقف اردشير (٣) .

وطلب يوستنيانوس الى جميع الاساقفة في الشرق والغرب معاً ان يوافقوه على شجب هذه المصنفات والاقوال . فتردد افراميوس بطريرك انطاكية مدة ثم وافق قبيل وفاته (٤) . ولم يرض اساقفة الغرب عن هـــذه الفصول وجاراهم في ذلك البابا فيجيليوس . وكتب اسقف قرطاجة الى الامبراطور انه لايجوز ايقاع الحرم بشخص بعد موته . واستخف المونوفيسيون بعمل الامبراطور لان نص

1) *Cum Theodorae Augustae favore (Liberatus, Breviarum XXIV) ; Duchesne, L., Eglise au VI Siècle, 174 - 175 ; Batiffol, P. Justinien et le Siège Apostol., 225 ff.*
2) *Schwartz, Ed., Sitzungs. der Bayer. Akad., Philos. Hist. Abt. 1940, fasc. II, 73 - 81.*
3) *Brehier, L., Pol. Relig. de Justinien, op. cit., IV, 461 - 462.*
4) *Facundi Hermianensis, l. c. IV, 4 ; Delehaye, Les Saint Stylites, 252 f.*

الأرادة بتحريم الفصول الثلاثـــة حوى ايضاً تحريماً مماثلا لمن فكّر في ابطـــال مقررات المجمع الخلقيدوني (١) .

فأستدعى يوستنيانوس البابا الى القسطنطينية فحضر اليها وانتهى بالنزول عند ارادة الامبراطور فأنشأ رسالتــه المعروفة بالجوديكاتوم *Judicatum* وفيها شجب الفصول الثلاثة (٥٤٨) ولكن اساقفته انتقضوا عليه وعينوا له وقتاً للندامة. فلبث فيجيليوس في القسطنطينية ورجع عن قولــه في الجوديكاتوم . ثم أصدر يوستنيانوس امراً ثانياً (٥٥١ بشجب الفصول الثلاثة وطلب الموافقة عليه . فأبى فيجيليوس ودخل كنيسة القديس بطرس في قصر الهورمزدا واحتمى بها مستمسكاً بعمود المائدة . فسحبه الجند بالقوة فانسحب العمود معه وسقطت المائدة (٢) .

دومنينوس البطريرك : (٥٤٥ – ٥٥٩) . وتوفي افراميوس في السنـــة ٥٤٥ فاهتم يوستنيانوس للامر اهتماماً بالغاً واخذ يبحث بنفسه عن خلف صالح للرسولين في انطاكية . فتقدم عدد من الكهنة مرشحين أنفسهم لهـــذا المنصب الكبير . وأتفق ان أم العاصمة آنئذ دومنينوس *Domninos* رئيس احدى المؤسسات الخيرية في ليخنيذس *Lychnidos* في تراقيـــة . وما ان تعرف الامبراطور الى شخص هـــذا الرجل الصالح الوقور حتى أوعز بانتخابه بطريركاً على انطاكية العظمى . وهو ذومنينوس لا ذومنوس بدليل الكتابة اليونانيـــة التي انشئت في الجو"انية لذكر هذا الراعي الصالح في السنة ٥٥٤ (٣) . ولنا في كره السريان له واعتباره « اكولا" نهماً لا يعمل شيئاً سوى ركوب الخيـــل والاضطهاد » دليل على اندفاعه الشديد في سبيل المحافظة على الايمان القويم (٤) .

المجمع المسكوني الخامس : (٥٥٣) ورأى يوستنيانوس ان يضع حـــداً للنزاع حول الفصول الثلاثة فشاور في الدعوة الى مجمع مسكوني خامس ينظر في هذا النزاع ويبت فيـــه . وتوفي في اثناء المشاورة ميناس بطريرك القسطنطينية

1) *Stein, E., Bas Empire, II, 635 - 637.*
2) *Ibid. 638 - 654.*
3) *Jalabert et Mouterde, Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie, II, 618, 620.*
4) *Michel le Syrien, II, 267.*

فخلفه افتيشيوس الراهب البونطي . وأعلن افتيشيوس تسلمه عكاز الرعـــاية الى البابا فيجيليوس المقيم في القسطنطينية (٦ كانون الثاني ٥٥٣) وأرفق رسالتــه السلامية هـــذه ببيان بالايمان موقع منه ومن ابوليناريوس بطريرك الاسكندرية وذومنينوس بطريرك انطاكية وايليا رئيس أساقفة تسالونيكيـــة (١) . ولمس فيجيليوس ارثوذكسية زملائه لمس اليد فوافق على الدعوة الى مجمـــع مسكوني ينعقد برئاسته لينظر في أمر الفصول الثلاثة (٢) .

وأحب بابا رومة ان يجتمع المجمع في صقلية او ايطالية ليضمن أكثرية غربية افريقيـــة ولكن يوستنيانوس أوجب المساواة بين البطريركيات الخمس ورومة القديمـــة ورومة الجديدة والاسكندرية وانطاكية واوروشليم ، وذلك بارسال عدد مماثل من الأساقفة من كل من هـــذه البطريركيات (٣) . واحتج البابا ولكن الأمبراطور لم يعبأ به .

واجتمع المجمع في القصر البطريركي في جوار كنيسة الحكمة الالهيـــة في الخـــامس من ايار سنة ٥٥٣ برئاسة افتيشيوس البطريرك القسطنطيني وعضوية كل من ابوليناريوس بطريرك الاسكندرية ودومنينوس بطريرك انطاكية ومئة وخمسة واربعين اسقفاً .

وتألف الوفـــد الانطاكي مـــن دومنينوس البطريرك ودوميتيوس قنسرين وديونيسيوس سلفكية الساحلية وتوما أبامية وثيودوتوس سلفكية اسورية وبولس ادراسوس وبطرس دوميتيوبوليس وبطرس طرسوس وكبريانوس كوريكوس وقوزمة مالوس وايثيريوس عـــين زربة وباسكاسيوس ايجه ونيقيطاس ابيفانية قيليقية . وثيودوروس منبج ويوحنا قيصرية الجديدة التي على الفرات ويوليانوس بلقيس *Zeugma* وأمازون الرهـــا ويوليانوس سروج *Batnae* وتوما قرقيسية وتوما قسطنطينة ونونوس دوسر وسرجيوس هيمـــيرية . وكيرياكوس آمـــد

1) *Eustratios, Vie d'Eutychios, Pat. Gr., 86, 2296 - 2304 ; Mansi, IX, Col. 63, XI, Col. 186.*
2) *Hefelé - Leclercq, Hist. des Conciles, III, I, 65 ff.*
3) *Brehier, L., Concile de Const., op. cit., IV, 471 - 472 ; Duchesne, L., Eglise au VI Siècle, 210.*

وثيودوروس انجل *Ingel* . ويوحنا بصرى وذوريمانيوس درعة . وافسابيوس صـور وزوسيموس طرطوس واسينكراتيوس ارواد ولاونديوس عرقـة واسطفانوس البترون وثيودوسيوس جبيـل وجاورجيوس عكة وانسطاسيوس رخلة *Rachlé* . وافستاثيوس دمشق ويوحنـا برقش (الغوطة) وثيودوروس جيرود *Corada* وافلوغيوس مهين *Danaba* وثيودوروس اللاذقية ؟واسطفانوس اللاذقية واسطفانوس بانياس الساحليـة وورمانوس جبـلة . وابراهيم الرصافة واسطفانوس دارا (١) .

وتليت رسالة يوستنيانوس وفيهـا استمزاج الأعضاء في أمر الفصول الثلاثة وتلميح الى ان معظم الأساقفة سبق لهم ان شجبوا تعاليم الانطاكيين الثلاثة ثم تقرر ان ينتقل وفد من الاساقفة الى مقر البابا فيجيليوس ليدعوه بأسم المجمع الى الاشتراك في أعمال المجمع . فقام وفد مؤلف من البطاركة الثلاثة وعدد كبير من الأساقفة واتصلوا بفيجيليوس وأبلغوه قرار المجمع . فشكا البابا من مرض ألم به واستمهل المجمع بعض الوقت قبل القبول او الرفض . ثم أعاد الوفد الكرة في اليوم التالي فأجاب فيجيليوس انه لا يشترك في أعمال المجمع ما لم يشترك معـه أساقفة ايطاليون آخرون (٢) . فترأس المجمـع بطريرك القسطنطينية وأقر جميع أعمال المجامع المسكونية السابقـة . وفي الثاني عشر من ايار او الثالث عشر دقق المجمع قضية الفصول الثلاثة (٣) .

وفي الرابع عشر من ايار قـدم فيجيليوس بابا رومة الى الأمبراطور مذكرة *Constitutum* (٤) استعرض فيها موقفه من الفصول الثلاثة منذ ان اثيرت قضيتها حتى اليوم الذي حرر فيه مذكرته . وأبان فيجيليوس في هذه المذكرة أشياء عديدة لام فيها ثيودوروس الموبسوستي ولكنه امتنع عن شجب ثيودوروس بعـد وفاته ولا سيما وانه توفي في حضن الكنيسة الجامعـة . وامتنع ايضاً عن نبذ ثيودوريطس وايبا لأن المجمـع المسكوني الرابع استمع اليهما وبرّأهمـا من

1) *Devresse. R., Patriarcat, 140 - 141.*
2) *Mansi, IX, Col. 196.*
3) *Duchesne, L., Eglise au VI Siècle, 212.*
4) *Constitutum Vigilii Papae de III capitulis, Mansi, IX, Col. 61 - 106.*

من النسطرة (١) . ورفض يوستنيانوس تناول هذه الوثيقـة البابوية مدعياً انها عديمـة الجدوى مؤكداً ان البابا سبق له ان نبذ الفصول الثلاثة وانه اذا دافع بوثيقته الجديدة عما نبذ من قبل يكون قد ناقض نفسه وأضعف حجته (٢) .

وفي السابع عشر والتاسع عشر من ايار عاد المجمع يدقق قضية الفصول الثلاثة . وفي الثاني من حزيران في الجلسة الثامنـة الأخيرة أجمع الأعضاء على نبذ جميع مصنفات ثيودوروس الموبسوستي وعلى استنكار موقف ثيودوريطس من مجمع أفسس وبنود كيرلس . وأبانوا بوضوح كفر ايبا والحاده في الرسالة التي وجهها الى ماري . واعتبر يوستنيانوس قرارات هذا المجمع ملزمة واكره الأساقفة على قبولها . ونفي حاشية فيجيليوس الى صعيـد مصر وترأف بالبابا نفسه لأنه كان يشكو من داء الحصى فأبقـاه في القسطنطينية ولم يبعده عنها كما جاء في بعض المراجع (٣) وبعد ستة اشهر وافق فيجيليوس على قرار المجمع وحرر بذلك الى زميـله القسطنطيني وأصدر مذكرة ثانية *Constititum* تنقض ما جاء في الاولى (شباط ٥٥٤) . وبقي فيجيليوس في القسطنطينية سنـة اخرى ولم يبرحها قبل ان نال من الأمبراطور موافقته على نظام جديد لايطالية . وأقلع الى رومة ولكنـه توفي في سرقوصة قبل ان يصل .

ضلال يوستنيانوس : وتوفيت ثيودورة بداء السرطان في السنة ٥٤٨ . فانكشف أمر انثيموس البطريرك المونوفيسي وتبين انه عنـد خلعه التجـأ الى الامبراطورة فخبأته في قصرها . وتبين ايضاً انها أوصت باكرامه واكرام غيره من الاكليروس المونوفيسيي الذين كانوا قد التجأوا اليها وأقاموا في ظلها . وما ان أدرجت وسوّي عليهـا التراب حتى استدعى يوستنيانوس اليـه كلا من انثيموس وثيودوسيوس البطريركين المونوفيسيين المبعدين ظاناً ان وفاة حاميتهما ستجعلهما أقل تصلفاً من ذي قبل وأكثر استعداداً للتفاهم مع الكنيسة الأم الجامعة . وتحدث الأمبراطور الى البطريركين في هذه الأمور وطلب الى يوحنا الأفسسي ان

1) *Hefelé-Leclercq, Hist. des Conciles. III, I, 93 - 101 ; Tixeront, Hist. des Dogmes, III, 143 - 145.*
2) *Batiffol, P., Justinien et le Siège Apostolique, 253 - 254.*
3) *Liber Pontif. I, 299.*

يقوم الى سورية ويجيء بعدد كبير من رهبان الأكليروس المونوفيسي للبحث في التفاهم والوئام. وامتنع يوحنا ولكن منوفيسياً آخر دفع بأكثر من اربع مئة راهب مونوفيسي سوري للقيام الى العاصمة . وظل هؤلاء زهـاء سنة كاملة من الزمن يدخلون العاصمة ويجادلون ثم يخرجون بدون جدوى . وفي السنة ٥٥٧ وصل الى العاصمة يعقوب البرادعي ووراءه عدد من الرهبان السوريين (١) . ولكن شيئاً من التفاهم لم يتم !

وتوفي ثيودوروس سكيذاس اسقف قيصرية في السنـة ٥٥٨ فتقرب اسقف يافه من يوستنيانوس واصبح هو صاحب الرأي في المسائل اللاهوتية عند الامبراطور . ويرى بعض المدققين ان هذا الاسقف الفلسطيني كان مثل سلفـه ثيودوروس اسكيذاس اوريجينياً في الباطن وانه اقترح على الامبراطور امكانية توحيد الصفوف بالتقرب من مونوفيسيين غير سوريين فذكر اليوليانيين وشرح موقفهم من السويريين وأشار بامكانية التفاهم معهم (٢) .

وهكذا فاننا نرى يوستنيانوس يصدر في السنـة ٥٦٢ ارادة امبراطورية توجب القول بالطبيعتين وتنذر المخالفين باشد العقوبات فيطمئن بها الارثوذكسيين ثم يعمل بنصيحة اسقف يافـه فيعمم في السنة ٥٦٤ البراءة الافثرتوذوقية *Aphthartodocetisme* ويؤكـد مع اليوليانيين المونوفيسيين ان جسد المسيح لا يتعب ولا يتـألم ولا يفسد ! ويعتقد فيما يظهر انه بعمله هـذا انما يفسر الخريستولوجية الخلقيدونية على طريقة كيرلس الاسكندري (٣) .

واضطرب اساقفة الكنيسة الجامعة وانزعجوا فكتب اسقف تريز *Trier* من وادي الرين يؤنب الامبراطور لسقوطه في اثنـاء الشيخوخة مع نسطوريوس واوطيخة اللذين أنكرا على السيد الوهيتـه (٤) . ولا نعلم موقف البابا يوحنا الثالث « ولكننا نعلم العلم اليقين ان افتيشيوس بطريرك القسطنطينية لمس ضلال

1) *John of Ephesus, Lives of Eastsr Saints, ch. 47 f. (Patr. Orient. XVIII, 680).*
2) *Stein, E., Bas Empire, II, 685 - 686.*
3) *Evagrius, Hist. Ecc., IV, 39 ; Brehier, L., Concile de Const., op. cit., IV, 480 - 481.*
4) *Epist. Austras. 7, Monum. Germ. Epp. III, 118 f.*

يوستنيانوس لمس اليد وامتنع عن الموافقة على مضمون البراءة الامبراطورية . فأمر الامبراطور بحبسـه وابعاده وأوعز بأنتقاء وكيل البطريرك الانطاكي المحامي يوحنا السرميني *Sirimis* خلفاً له . وكان هذا عالماً فاضلا وقانونياً قديراً ولد في سرمين في سورية الشماليـة وتلقى علومه في انطاكية ثم عُين وكيلا عن الكرسي الانطاكي لدى البلاط الامبراطوري . وقبـل يوحنا السرميني الدعوة ولكنه اشترط في الموافقـة على البراءة الافثرتوذوقية موافقة البطاركة الآخرين ولا سيما بطريرك انطاكية موكله الكبير (١) :

انسطاسيوس بطريرك انطاكية : (٥٥٩ ــ ٥٧٠) وكان ذومنينوس قد توفي في السنة ٥٥٩ فتولى السدة البطريركية بعده انسطاسيوس الراهب السيناوي الذي كان وكيل البطريرك الاسكندري في انطاكية . وكان انسطاسيوس قـد اشتهر بالورع والتقوى وصحة الايمان والفضل . وكان قـد أتقن ايضاً العلوم الدينية فبلغ منها موضعاً جليلا وأصبح عالم عصره يرجع اليه في المشكلات (٢) . فلما صدرت الارادة الأفثرتوذوقية سنة ٥٦٤ وطلب الحكومة الى الآباء تأييدها اتجهت الانظار الى انطاكية للفصل بين الحق والباطل. فدعا انسطاسيوس في السنة ٥٦٥ الى مجمع محلي في انطاكية فلبى الدعوة مئة وخمسة وتسعون اسقفاً وأجمعوا على رفض الافثرتوذوقية وعلى الكتابة بذلك الى الامبراطور. واستعد انسطاسيوس للنفي وأعد عظة الوداع ولكن المنية عاجلت يوستنيانوس (٥٦٥) فظل انسطاسيوس يدير دفة الامور في كنيسة انطاكية حتى السنة ٥٧٠ كما سيجيء بنا (٣) .

يوستينوس الثاني : (٥٦٥ ــ ٥٧٨) ولم يخلف يوستنيانوس عقباً ولم يشرك احداً معه في الارجوان . ولكنه كان يثق بابن اخته يوستينوس ويستشيره في امور الدولة . ولمس اعضاء مجلس الشيوخ هذه الثقة وأحبوا يوستينوس فعوّلوا على انتخابه فور وفاة الامبراطور الشيخ . وأدرك يوستنيانوس الثالثة

1) *Eustrat., Vit. Eutichii, 36-40, 56, 75-77.*
2) *Stein, E., Bas Empire, II, 689.*
3) *Evagrius, Hist. Ecc., IV, 39 - 41: Michel le Syrien, II, 272 - 281; Duchesne, L., Eglise au VI Siècle, 272 f.*

والثمانين ومرض مرضه الاخير ولم يفه بكلمة واحدة تنبىء عمن يريده خلفاً له في الحكم . وكاد يلفظ انفاسه في ليلة من ليالي الخريف فجلس يوستينوس وزوجته صوفية في احدى نوافذ قصرهما التي تطل على البوسفور وباتا ينتظران . وعند الفجر أبلغهما الرسول وفاة الامبراطور ورجاء مجلس الشيوخ ان يتوليا دفة الاحكام . وقضت التقاليد بان يرفض يوستينوس الرجاء ففعل . ثم قبل وذهب تواً الى القصر (١٤ تشرين الثاني ٥٦٥) وخرج منه متردياً الارجوان متزيناً بالجواهر التي اقتنصها بليساريوس من القوط فرفعه الجند على الترس معلنين بذلك موافقتهم . ثم أيدته الكنيسة فباركه بطريرك العاصمة ووضع التاج على رأسه (١).

وكان يوستينوس نشيطاً مجتهداً شجاعاً جريئاً فامتنع عن ان يؤدي المنح السنوية للبرابرة « وكانت قد بلغت ثلاث مئة الف ليرة ذهباً » وأعاد العناية بالجيش واهتم بالمالية وحاول محاولة صادقة في ازالة الهم والعناء عن جميع الرعايا . ولكن الحوادث تتالت قوية عنيفة فجاءت بما لم يشته وكعمته كعماً . وكان يوستينوس على مزاياه شامخاً متغطرساً تعوزه الحيلة . وفي أواخر السنة ٥٧٣ اصيب في عقله اصابة ظاهرة فتصدت زوجته صوفية للقيام بأعباء الحكم مستعينة بقومس الحرس طيباريوس الامين . ثم ان يوستينوس تبنى طيباريوس وفي السابع من كانون الاول سنة ٥٧٤ اعلنه قيصراً . فصرّف طيباريوس الامور باسم سيده أربع سنوات متتاليات الى ان قضى يوستينوس فانفرد بالحكم .

تثليث الآلهة : وأدى الشقاق الى التطرف فالضلال فان واحداً من أبامية اسمه يوحنا اسكوصناغ *Askusnagès* علم في القسطنطينية في السنة ٥٥٧ بأن المسيح له طبيعة واحدة وان كل واحد من الأقانيم الثلاثة له طبيعة واحدة خاصة . فقطع ونفي وتوفي . وانقسم أتباعه فعلم يوحنا فيلوبونوس *Philoponos* الاستاذ الاسكندري بتثليث الآلهة *Tritheisme* وقال بفناء جسد الانسان بحسب الهيئة والمادة معاً . وعلم كونون *Conon* اسقف طرسوس بأن جسد الانسان فان بحسب الهيئة فقط . وذهب دميان أحد بطاركة الطبيعة الواحدة في

1) *Evagrius, Hist. Ecc., V, 1 ; Theophanes, a. 6058.*

الاسكندرية الى القول بتربيع اللاهوت اي انه اعتبر وجوداً خاصاً لكل واحد من الاقانيم الثلاثة ووجوداً رابعاً عاماً للثلاثة معاً (١) .

يوستينوس الثاني والكنيسة : وعلى الرغم من فشل يوستنيانوس في سياسة التودد الى من قال بالطبيعة الواحدة فان يوستينوس لم يغير شيئاً من خطة خاله الكبير . فظل رائده توحيد الصفوف وظلت وسيلته اما مساومة في العقيدة او ضغطاً في الادارة ولم تختلف صوفية زوجته عن نسيبتها ثيودورة . فالاثنتان قالتا بالطبيعة الواحدة على طريقة سويروس الانطاكي والاثنتان أيدتا المونوفيسيين بما اوتيتا من حكمة ودهاء ومقدرة (٢) .

وبدأ يوستينوس برنامجه الديني بأرجاع الاساقفة المنفيين الى اوطانهم . ثم استقبل ثيودوسيوس البطريرك الاسكندري الذي كان لا يزال في المنفى بعيداً عن أبرشيته بحفاوة فائقة . ولدى وفاته في السنة ٥٦٦ أمر يوستينوس بدفنه دفناً فخماً عظيماً (٣) . وتصبّر فاستمع الى المثلثين في العاصمة والى اخصامهم المونوفيسيين محاولا الاصلاح وتوحيد الصفوف . ودعت صوفية الى مؤتمر شبه دائم في القسطنطينية لتقرّب وجهات النظر بين الآباء المتخاصمين المتجادلين . فجاء البرادعي وجاء غيره من كبار المونوفيسيين ودام الاحتكاك الشخصي سنة كاملة (٥٦٦) ولكن بدون فائدة (٤) . فلجأ يوستينوس الى البيانات والتحريم والضغط الاداري . وأصدر في السنة ٥٦٧ اينوتيكوناً قضى بنبذ الفصول الثلاثة وقبول سويروس الانطاكي وتجاهل المجمع الخلقيدوني ولكن المونوفيسيين أصروا على وجوب الاعتراف جهراً بالطبيعية الواحدة (٥). فأمر يوستينوس سفيره في فارس البطريق يوحنا ان يعرّج على سورية لدى عودته ويحاول اقناع الاباء المونوفيسيين بقبول الاينوتيكون والعمل بموجبه . وهكذا

1) *Chabot, M., Documenta ad Origenes Monophysitarum; Illustrandas; Maspero, J., Patr. d'Alex., 194 ff. ; Duchesne, L., Eglise au VI Siècle, 243-343.*
2) *Duchesne, L., l'Eglise au VI Siècle, 347 ; Michel le Syrien, II, 306.*
3) *Michel le Syrien, II, 282 - 285.*
4) *Duchesne, L., op. cit. 348.*
5) *Evagrius, Aist. Ecc., V, 4 ; Hefelé - Leclercq, Hist. des Conciles, III, I, 148.*

فأننا نرى الآباء مجتمعين في الرقة *Callinicum* في السنة ٥٦٧ للتـــداول مع يوحنا البطريق في أمر الاينوتيكون . ويابن البرادعي وغيره ولكن جمهـــور الاباء ظل مرتاباً في كل حل امبراطوري من هذا النوع . وقام احدهم وخطف الوثيقـــة الامبراطورية من يد القارىء ومزقهاوعاد يوحنا الى القسطنطينية مخفقاً (١) .

وأعاد يوستينوس الكرة وألحّ على التفاهم وأطلع كبار المنوفيسيين على نص تفاهم جديد قبل اصداره . وفي السنة ٥٧١ أبرز الاينوتيكون الثاني وفيه اعتراف بطبيعة واحدة متجسدة ولكن في الثيوريا *theoria* فقط واعتراف بفرق بين طبيعتين الهية وبشرية مع اعتراف ضمني بالمجمع الخلقيدوني واستمرار القطع الذي حل بسويروس الانطاكي (٢) .

طيباريوس وموريقيوس : وتسلّم طيباريوس زمام الحكم في خريف السنة ٥٧٤ فأوقف ملاحقة المنوفيسيين وسمح للبرادعي بالخروج من منفاه والعودة الى القسطنطينية . ولدى وفاة يوحنا بطريرك القسطنطينية اعاد افتيشيوس من منفاه وسلّمه عكاز الرعاية (٥٧٧) . وعاد افتيشيوس الى سابق حماسه في الضغط على المنوفيسيين والتضييق عليهم فقال له طيباريوس قوله التاريخي : « تمهل فالبرابرة كثر ومحاربتهم اولى » (٣) .

واتبع موريقيوس هذه الخطة نفسها في موقفه من الكنيسة ومشاكلها . فانه اتزن واعتدل فحافظ على ارثوذكسيته ولم يتطرف ولم يضيـــق على المنوفيسيين وغيرهم . وكان قد صادق غريغوريوس الكبير بابا رومة عندما كان لا يزال وكيلا عن رومة القديمة لدى البلاط الامبراطوري في رومة الجديدة فأبقى على هذه الصداقة وعززها . واحترم موريقيوس غريغوريوس بطريرك انطاكية ويوحنا الصوام بطريرك القسطنطينية وتعاون معهما تعاوناً وثيقاً . والغريب ان التقليد السرياني جعل من هذا الامبراطور قديساً (٤) .

1) *Michel le Syrien, II, 287 - 290 ; Maspero, J., op. cit., 187 - 198.*
2) *Evagrius, Hist. Ecc., V, 4 ; Maspero, J., op. cit., 168 - 169.*
3) *Michel le Syrien, II, 310.*
4) *Légende Syriaque de Maurice, Patr. Orient. V, 773 - 778.*

غريغوريوس بطريرك انطاكيـة : (٥٧٠ — ٥٩٣) ولم يتعاون يوستينوس الامبراطور مع انسطاسيوس البطريرك الانطاكي . ولعل السبب في ذلك ان انسطاسيوس أخلص للعقيدة الأرثوذكسية كل الاخلاص وان تصلبه في الدين لم يتفق ومرونة يوستينوس في السياسة . وفي السنة ٥٧٠ اشتد الخلاف بين العاهلين فأتهم الامبراطور البطريرك بالتفوه بما لا يليق بالحضرة السنية وبتبذير اموال الكنيسة فاضطر انسطاسيوس ان يغادر انطاكيـــة الى اوروشليم . فاقيم مكانه غريغوريوس رئيس دير سيناء . فساس الرعية بالتقى وخوف الله حتى وفاته في السنة ٥٩٣ . فأعيـــد انسطاسيوس الى خلافة الرسولين وظل يرعى بالعزم والغيرة حتى الوفاة في السنة ٥٩٨ .

الكنيسة السريانية والكنيسة الملكية : واعتدل خلفاء يوستنيانوس في موقفهم من المونوفيسيين فتمكن هؤلاء من تنظيم شؤونهم واستقروا في الربع الأخير من القرن السادس كنيسة مستقلة . وأطلقوا على الكنيسة الام الجامعـــة اسماً جديداً شاع في أوساطهم هو الكنيسة الملكيـــة اي انها كنيسة الملك في القسطنطينية (١) .

* * *

1) *Bréhier, L., Successeurs de Justinien, Fliche et Martin, op. cit.,IV, 489.*

الفصل السادس والعشرون

تنصّر العرب

رسالة عالمية : وقال السيد له المجد : « ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا ليؤمن العالم انك أرسلتني » . وقال بطرس الرسول « واما أنتم فشعب مختار وامة مقدسة » . وهكذا فانه بعد ان انتصرت النصرانية على الوثنية وعمت البلاد الرومانية بأسرها اتجهت أنظار الأباطرة والبطاركة الى ما وراء حدود الامبراطورية لاداء الرسالة المقدسة وتنصير العالم .

ومن هنا هذا الاهتمام في القرن السادس بالعالم أجمع وهذه الالقاب « المسكوني » و « المسكونية » . فرب الكون نفسه هو الملك والامبراطور عبده يحمل رسالة « عالمية » لا بد من ادائها . والامبراطور يوستينوس يحمي ذمار النصرانية في كل المسكونة فيصغي لشكوى نصارى اليمن ويطلب الى النجاشي المونوفيسي ان يتدخل في تلك البلاد النائية لينصر النصارى على اليهود (١) . ومن هنا ايضاً هذا التعاون بين الدولة والكنيسة لتبشير الوثنيين في ما وراء الحدود وهذا الربط في ولاء الجماهير بين الاباطرة والنصرانية . فكل من اهتدى جعل عهد الله بينه وبين الامبراطور وضمن له من نفسه مودة واخلاصاً (٢) .

النصرانية والعربية : والعربية في عرف رجال الكنيسة هي الولاية الرومانية العربية التي انشئت في السنة ١٠٥ حول مدينة بصرى فشملت كل ما وقع بين وادي الحسا في الجنوب واللجا في الشمال وبين بحر الميت والاردن من الغرب حتى اطراف البادية في الشرق .

وجاء في التقليد أن يوسي اخا يعقوب ويهوذا بشر في درعا واستشهد

---

١) الدكتور اسد رستم ، الروم ، ج ١ ص ١٦٧ — ١٦٨ .

2) *Diehl, C., Justinien, 375 - 377.*

فيها وان طيمون أحد الشمامسة السبعة بشر في بصرى وتسقف عليها وان يوسف الرامي الذي تشرف بتجهيز الرب بشر في المدن العشر في شرقي الاردن (١) .

وتنجلي الشكوك وينتفي الريب في مطلع القرن الثالث فيرن صوت الانجيل في بصرى ويقوم اوريجينس الاسكندري اليها لينظر في بعض ما قاله اسقفها بيرلس . ويقول بولس السميساطي قولا لعيناً فيتوافد الأساقفة الى انطاكية للنظر في بدعته فيمثل العربية زهاء سنوات اربع (٢٦٤ — ٢٦٨) مكسيموس اسقف بصرى . ولكن الاقبال على النصرانية يظل بطيئاً وتبقى الأكثرية الساحقة وثنية طوال القرن الرابع فلا يؤم القسطنطينية في السنة ٣٨١ للاشتراك في أعمال المجمع المسكوني الثاني سوى خمسة أساقفة فقط أساقفة بصرى ودرعه والسويدا وبراق وشيخ مسكين او خان النيلة ثم يرتفع عددهم في المجمع المسكوني الرابع (٤٥١) الى سبعة عشر فيجلس في خلقيدونية أساقفة درعة وعينة وقنوات وبراق اللجا والسويدا وصنمين وحسبان وافتيمية وجرش ومادبا والشقا وخان النيلة او شيخ مسكين ونوى وعمان والشهبا واذرع (٢) .

ويتبارى المؤمنون في العربية منذ منتصف القرن الخامس حتى الفتح الاسلامي في ميدان الانشاء فيحولون معابد جرش والقنوات وشقا وبصرى الحريري واذرع الى كنائس . وينهي بوليانوس متروبوليت بصرى في السنة ٥١٢ كتدرائية فخمة جليلة (٣) . ويندفع سرجيوس اسقف مادبا في سبيل الانشاء فيتم انشاء كنيسة الرسل في السنة ٥٧٨ . ويؤسس القس لاونديوس في السنة ٦٠٣ كنيسة جديدة في مادبا ويكمل ما انشأه سرجيوس في اليانه (٤) . ثم يلتفت الى صياغة (الدير في الآرامية) فيوفق الى اكمال كنيستها الكبيرة (٥) . ثم تنشأ الكنائس والاديار في كل مكان آخر في طول هذه الابرشية العربية وعرضها (٦) .

---

١) الدرر النفيسة ، للبطريرك اغناطيوس برصوم ، ص ٨٢ — ٨٣ ، ٢١١ — ٢١٣ .

2) *Devresse, R., Patriarcat, 208 - 215.*

3) *Waddington, 1915.*

4) *Savignac, R., Nouv. Inscr. Gr. de Madaba, Rev. Bib., 1911, 437 - 440.*

5) *Saller, S., the Memorial of Moses on Mount Nebo, 2 Vols.*

6) *Devresse, R., Patriercat, 208 - 240.*

عرب البادية : ولا نعرف المؤمن البدوي الاول . ولا نعلم متى بدأ عهد النصرانية في البادية ولعل اقدم اخبار التنصر في البادية روايـــة نقلها القديس ايرونيموس تنبىء باحترام عشائر البدو في منطقـــة غزة لشخص ايلاريون الناسك (٢٩١ــ٣٧١)وتعلقهم به وتنصرهم على يده (١) ومن اقدم ما يروى من هذا القبيل خبر ماوية البدوية التي حاربت والنس (٣٦٤ ــ ٣٧٨) وأنزلت به الخسائر الفادحة وحينما جاء دور الصلح والتفاهم اشترطت ان يكون « موسى » اسقفـــاً على عشيرتها . فوافق والنس وأمر بذلك فنقل موسى الناسك الى الاسكندرية ليسام اسقفاً على يد لوفيوس الاسكندري . فلم يرض موسى لتمسكه بالعقيدة الارثوذكسية . فجيء بأسقف نيقاوي فسامه اسقفاً . فأقام في الباديـــة يرعى شؤون ماوية وعشائرها (٢) .

ويقول سوزومينس المؤرخ ان راهباً من الرهبان تضرع الى الله ان يرزق زقوماً *Zocomos* شيخ احدى العشائر الضاربة في البادية ابنا ذكراً وان الله استجاب طلبة هذا الراهب فتنصر الشيخ زقوم وجميع اتباعه وان زقوماً وقومه اصبحوا اخلص القبائل العربية لرومة في نزاعها مع فارس (٣) .

وفي أخبار كيرلس البيساني (٤) ان جماعة من البدو دخلوا على النساك في منطقة أريحا في اواخر السنة ٤٢٠ وان النساك فزعوا وتوجسوا خوفاً . فطلب شيخهم الصبيبة *Asdabet* مقابلة رئيس النساك افتيميوس الكبير . وكان له ولد مقعد « لم تنجح فيه حيل الاطباء ولا رقي الراقين المشعوذين » (٥) فبارك افتيميوس الولد الكسيح فقام يمشي . فتنصر الصبيبة مع عشيرته بل اضحى رسولا عربيـــاً بدوياً يبشر باسم المسيح . وكلل الله عمله بالنجاح فسامه يوبيناليوس اسقف اوروشليم اسقفاً على المضارب (٤٢٨) . وكان قد اتخذ من بطرس الرسول

1) *Saint Jerome, Vita Hilarionis, XXV.*
2) *Sozomène, Hist. Ecc., VI, 38 ; Rev. Bib., 1940, 205 - 206 ; Rufin, Hist. Ecc., XI, 6 ; Ammien Marcellin, Hist., XXXI, 16.*
3) *Sozomène, Hist. Ecc., VI, 38.*
4) *Cyrille de Scythopolis, Vita S. Euthymii, (Cotelier), Ecclesiae Graecae Monumenta, IV.*
5) *Assaf, Mgr. Michel, Synaxaire, I, 89.*

شفيعاً له فسمّى الاسقف بطرس . ومثل نصارى فلسطين في مجمع افسس ووقع هكذا : « بطرس اسقف المضارب » *Paremboles* وأصبح الكسيح طربون *Terebon* شيخاً على العشيرة وخلفه اولاده واحفاده . وقُدّر لاحد هؤلاء طربون الثاني ان ينقل هذه الرواية الى كيرلس البيساني فخلدت بخلود مصنفه (١). وقدّم النذر عدد من ابناء هذه العشيرة بينهم ماري الذي ترأس المحبسة في اريحا وتوفي في السنة ٤٤٨ . ولا يخفى ان القديس الياس بطريرك اوروشليم كان هو ايضاً بدوياً عربياً (٢) . وهدى ننوس *Nonnos* اسقف بعلبك في هذا القرن نفسه ثلاثين الف بدوي (٣) .

الغساسنة : وجاء في الانساب ان الغساسنة رحلوا من اليمن الى تهامة واقاموا فيهـــا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان فنسبوا اليه . ونزلوا مشارف الشام وفيها الضجاعم من قضاعة فغلبوهم على ما في ايديهم وانشأوا لانفسهم زعامة في البلقاء وحوران في المنطقة التي دعيت العربية . وتنصروا تنصر سائر ابناء هذه المنطقة كما سبق وأشرنا .

وقضى الغسانيون زمناً طويلا والروم لايكترثون لهم لانهم لم يحتاجوا الى نصرتهم . واشتد ضغط البرابرة واستفرس الفرس فشعر الروم بالضعف ورأوا الفرس يستنجدون عرب الحيرة فاضطروا الى استنصار عرب العربية وما جاورها فاتجهت انظارهم نحو الغساسنة. واول من ذكر من امراء غسان في خدمة الروم جبلة وقد ورد عنه انه أخمد ثورة فمنحوه رتبة فيلارخوس وجعلوه عاملا على البتراء . وجبلة هذا هو في نظر ثيودور نولدكه والد الحارث ابن جبلة اكبر ملوك غسان واكثرهم ذكراً في مراجع الروم . وحارب الحارث الغساني المنذر ملك الحيرة سنة ٥٢٨ . واستعانه الروم لاخماد ثورة السامريين ففاز بها . ثم عاون بليساريوس في محاربة الفرس سنة ٥٣١ . فهابه الروم واعجبوا بشجاعته وبالغوا في تقريبه وترقيته فأصبح فيلارخوساً عاماً وبطريقاً . وفي السنة ٥٤١ حارب الحارث في

1) *Vita, op. cit. IV, 19 f.*
2) *Bardy et Brehier, Expansion Chret., Fliche et Martin, op. cit., IV, 517, n.2.*
3) *Vailhé, S., Notes de Géog. Ecc., Echos d'Orient, 1900, 11 - 15.*

العراق بجانب الروم وعبر دجلة على رأس جماعته ثم ارتد الى مركزه السابق عن طريق غير الطريق التي اتبعها الروم . فشك بعض الروم في اخلاصه . وفي السنة ٥٦٣ سافر الحارث الى القسطنطينية ليفاوض البلاط في من يخلفه من اولاده وما يجب اتخاذه من التدابير لمقاومة عمرو ملك الحيرة . فكان لما شاهده من مظاهر العظمة وقع عظيم في نفسه، وكذلك فانه أحدث هو بدوره تأثيراً قوياً على سكان العاصمة ولا سيما على يوستينوس نسيب يوستنيانوس . فلما اصيب يوستينوس هذا بعقله بعد تسنمه العرش كان أهل البلاط يخيفونه بالحارث العربي كلما بدا منه عصيان او عربدة فيقولون له : « تعقل سندعو الحارث » .

وناصر الحارث المونوفيسيين ولم يدخر وسعاً في الدفاع عنهم وتحريرهم من الاضطهاد . وتمكن في السنة ٥٤٢ ـ ٥٤٣ من تحقيق رجائـه لدى ثيودورة الامبراطورة بتعيين يعقوب البرادعي ورفيقه ثيودوروس اسقفين في العربية او غيرها فتوطدت بذلك دعائم الكنيسة اليعقوبية . ويظهر من أقوال يوحنا الافسسي ان الحارث سعى لحل المشاكل العقائدية والشخصية بين اكليروس اليعاقبـة واكليروس الكنيسة الجامعة ولكن بدون جدوى . ويرى العلامة ثيودور نولدكه ان الحارث لم يدرك حقيقة المسائل التي كانت تدور عليها تلك المنازعات وانما كان مدفوعاً بالعامل السياسي لمعاضدة المذهب الذي كانت تتبعه اكثرية الشعب في امارته (١) .

ويجب الا يغيب عن البال ان امراء غسان لم يجمعوا على القول بالطبيعة الواحدة . فالدعاء للمنذر ابن الحارث الذي وجد منقوشاً على حجر في احدى نواحي تدمر او النبك يشمل عبارة هامة جداً تنص بما يلي : « واهد الضالين من اخوته الى معرفـة الحق ايها الله تعالى » . فاذا ما ذكرنا ان هذا النص يتضمن ايضاً اشارة « الى الاسقفين المحترمين القديسين » يعقوب البرادعي ورفيقـه ثيودوروس يتبـين ان المقصود من ضلال اخوة المنـذر انتماؤهم للكنيسة الارثوذكسية الجامعة وقولهم معها بالطبيعتين (٢) .

١) امراء غسان : تعريب الدكتور بندلي جوزي والدكتور قسطنطين زريق ٢١ ـ ٢٢ .
٢) مجموعة نقوش رايت *Wright* رقم ٤٦٨ .

وتوفي الحارث ابن جبلة في السنة ٥٦٩ او في اوائل السنة ٥٧٠ فتسلم زمام الحكم بعده ابنه المنذر *Alamundaros* فهب لمحاربة قابوس ملك الحيرة لأنه كان قد انتهز فرصة وفاة الحارث للاغارة. فانتصر المنذر ابن الحارث على قابوس عند عين اباغ في البادية في ربيع السنة ٥٧٠ . ومما تحفظـه لنا المراجع عن هذا الامير الغساني انه عقد في أوائل عهده مجمعاً محلياً للنظر في بدعة المثلثين *Tritheisme* وحكم عليهم بالهرطقة . وكان ممن أمضى قراراته « كاهن البطريق المنذر الامجد ومحب المسيح » وهو فيما يظهر كاهن بلاط الأمير (١) . ولم يرضَ الامبراطور يوستينوس عن المنذر لأسباب نجهلها فأوعز الى عامله البطريق مرقيانوس ان يحتال عليه ويقتله . وأحس المنذر بذلك فشق عصا الطاعة . فأغار عرب الحيرة على املاك الروم. فاسترضى الروم المنذر فلم يرضَ بالمفاوضة الا عند قبر القديس سرجيوس في الرصافة لما تمتع به هذا القديس من الاجلال والاحترام عنـد السوريين (٢) . وفي الثامن من شباط سنة ٥٨٠ وصل المنذر مع اثنين من أبنائه الى القسطنطينية فاستقبل فيها استقبالا حاراً وأنعم عليه الامبراطور طيباريوس بالتاج بدلا من الاكليل . وانتهز المنذر هذه الفرصة فسعى لنيل العفو عن اليعاقبة أصحاب مذهبه . ويرى مؤرخ الغساسنة العلامة ثيودور نولدكه انه لا يجوز تعليق أهمية كبرى على قول يوحنا الافسسي (٤ : ٢١ و٣٦) ان قبائل العرب في سورية كانت متمسكة متعصبة لمذهب الطبيعة الواحدة « لان ذلك لم يكن ليحول دون دخول أكثرهم في الاسلام بعد خمسين او ستين سنة » (٣) .

وفي السنة ٥٨٠ عزم موريقيوس قومس الأناضول ان يغزو بالاشتراك مع المنذر احدى ولايات الفرس . وما ان فعل حتى وجد الجسر الكبير على الفرات مهدوماً فارتد خائباً وعزا هذه الخيبة الى خيانة المنذر وتواطئه مع العدو (٤) . وعلى الرغم من عودة المنذر الى الغزو ووصوله الى الحيرة وعودته غانمـاً فان

1) *Z. D. M. G., XXIX, 419 f.*
2) *Jean d'Ephèse, op. cit., VI, 4.*
٣) امراء غسان : للدكتور نولدكه ، المشار اليه ، ص ٢٧ ه ٦٩ .
4) *Jean d'Ephèse, op. cit., III, 40, VI, 16 ; Evagrius, Hist. Ecc., V, 20.*

سلطات الروم ظلت حاقدة حائرة في أمر هـــذا الأمير . ولعل السبب في هذا يعود الى الفارق المذهبي وتوتر الاعصاب . فالعاصمة وامهات المدن حوت آنئذ جماعات كبيرة من كبار رجال الاكليروس والشعب ونظرت شزراً الى سياسة التساهل مع اليعاقبة وتاقت الى تجريد كنائس هؤلاء من حماتها . فصدرت اوامر مشددة الى مغنوس *Magnus* حاكم سورية بالقبض على هذا الامير العربي . فأرسل مغنوس الى المنذر يدعوه الى حوّارين ليشترك في تدشين كنيستها ولاسيما وان البطريرك خليفة الرسولين سيرأس الحفلة . فلبى الامير الدعوة فألقي القبض عليه وارسل مخفوراً الى العاصمة . ومن اغرب ما جاء في كلام يوحنا الافسسي لهذه المناسبة ان الامير أقام مع « احدى نسائه » وابنين وبنت له في الاسر . ومما جاء لهذه المناسبة نفسها كلام الامير الغساني : « ولقد كان في وسع عرب الفرس ان يأسروا نسائي واولادي » (١) . فهل يجوز القول انه كان للمنذر عدة نساء وان الكنيسة لم تكن تبالي بذلك مادامت زيجات الامراء المتعددة غير كنائسية! وجرى هذا كله في اواخر عهد طيباريوس . فلما توفي هذا الامبراطور وخلفه موريقيوس عدو المنذر نفاه ورجلا آخر من كبار الحاشية الى جزيرة صقلية (٢) .

وتمرد اولاد المنذر على دولة الروم وأوغلوا في البادية بزعامة كبيرهم النعمان واخذوا يشنون الغارة تلو الغارة على اراضي الدولة . وألقوا الرعب في قلوب الحامية في بصرى واضطروها ان تتخلى عن الذخائر الحربية واموال ابيهم المحفوظة فيها . فاستعان موريقيوس باحد اخوة المنذر « الارثوذكسيين » وألقى القبض على النعمان واخذه اسيراً . وتصدعت احوال العرب عند تخوم البادية (٥٨٤) وتفككت عرى الوحدة بينهم واختارت كل قبيلة اميراً ولحق بعضهم بالروم وعادوا الى حضن الكنيسة .

سمعان العمودي والبدو : وقد يعود الفضـــل في بدء التبشير في شرقي البادية الى بعض الاسرى المسيحيين الذين نقلوا الى الحيرة وغيرها بأمر شابور في

1) *Jean d'Ephèse, XI, 216, 217.*
2) *Evagrius, Hist. Ecc., VI, 2.*

السنة ٢٦٠ (١) . ولكن الفضل الاعظم يعود فـيما يظهر الى العمودي الاكبر القديس سمعان الذي بهر نوره في النصف الاول من القرن الخامس فأضاء البادية بأسرها (٢) .

ولد سمعان في قرية سيسان بين سورية وقيليقية في الربع الاخير من القرن الرابع . ونشاء راعياً فألف الصمت والتأمل . ومـــا لبث ان حمل عصاه وجرابه وذهب يطرق باب احد الاديار القريبة فتردد الرئيس في قبوله لحداثة سنه ثم اخذ برصانته فقبله . وقضى سمعان الفتى سنتين في هـــذا الدير ثم انتقل الى غيره طالباً فقراً اكبر واماتة عظمى فكان ما كان من امر الحبل الذي شده على وسطه فأدماه وقرح جلده وتفنن سمعان في اساليب القهر والاماتة فطلب اليـــه رئيسه ان يترك الدير ويذهب حيث يشاء ليكون حراً في اساليبه ونفسه . فأقام سمعان في صومعة على سفح جبل لايبعد كثيراً عن انطاكية . وهنا تعرف الى الكاهن باسوس الذي كان يتفقد شؤون النساك من قبل البطريرك الانطاكي وينقل اليهم الاسرار الالهية . ثم رغب سمعان في الصوم اربعين يوماً من غير طعام اوشراب فردعه باسوس مؤكداً ان الله لايرضى عن الانتحار فقبـــل سمعان النصيحة وابقى في كوخه بعض الخبز والماء وطلب الى الكاهن ان يسد عليـــه باب الكوخ بالحجارة . ففعل الكاهن ومضى . وصام سمعان الاربعين بدون خبز او ماء وجاء الكاهن في اسبوع الالام يحمل القربان المقدس فوجده على الارض لا يتحرك . فعني به وناوله . ومارس سمعان هذا النوع من الصوم سنين كثيرة . ثم توغل في الجبل وبنى صومعة جديدة بلا سقف وقيد نفسه بالحديد الى احدى زواياها وأقـــام فيها عرضة لتقلبات الطقس . فمر به نائب بطريركي فدهش لطريقته ثم قال له مشيراً الى القيد : «من لم يكن ايمانه قيداً له فلا ينفعه قيد» فأذعن سمعان ونزع القيد من رجله .

وشرّف الله سمعان بالعجائب فأقبلت الناس عليه تبركاً واعجاباً . فخشي ان يضيع روح الصمت والصلاة . فتوغل بعيداً وبنى لنفسه عموداً وصعد اليه

1) *Labourt, J., Le Christianisme dans l'Empire Perse, 1 - 43.*
2) *Bardy et Brehier, Expansion Chrét., op. cit., IV, 519.*

ليأمن شر الوحوش الضارية ويعيش في العراء . فجدّ الناس في طلبه من جديد . فرأى في سعيهم ارادة العلي فجعل عموده منبراً يبشر منه ويردع باسم يسوع . وطار صيته فتوافدت الناس عليه زرافات وبينهم الامراء والأساقفة طالبين نصيحة او تعزية او بركة او شفاء . وكانوا ينتشرون حوله مشتركين في الصلاة فيطل عليهم عند العصر مرشداً معزياً شافياً . وأتاه يوماً خليفة الرسولين حاملا القربان الاقدس . فناوله بيده وعاد معجباً متخشعاً . (بتصرف عن سنكسار المطران ميخائيل عساف) .

وُيروى ان انطيوخوس ابن سبينوس حاكم دمشق قال ان النعمان ملك الحيرة جاء بربعه وحلّ في بادية دمشق ودعاه لتناول الطعام معه . فقام اليه وما ان استوى بهما المقام حتى سأله النعمان عن سمعان العمودي قائلا هل هو اله في نظر قومه ام بشر . فأجاب انطيوخوس انما هو بشر مثلنا ولكنه يخدم الله . فقال النعمان لقد طبق صيت هذا الرجل الآفاق ولقد عظم شأنه بين عشائرنا فانهم ما فتئوا يفدون عليه زرافات ويتقادون الى وعظه وارشاده . ويخشى شيوخنا ان تؤدي هذه الزيارات المتكررة الى دخول قومنا في النصرانية والى موالاة الروم بدافع الدين . وقد اضطررت انا بدافع المصلحة أن أحرم على قومي الاتصال بهذا الرجل مهدداً بعذاب الموت كل من تخوله نفسه الالتجاء الى سمعان والاصغاء اليه . ولكني رأيت في منامي رجلا جليلا يدخل علي ممسكاً سيفاً ويأمر بجلدي فيطبق بي خمسة من أعوانه ويجلدوني جلداً . ثم سمعته يقول لي حذار حذار لما منعت قومك عن زيارة سمعان اولا تدري اني اقطعك ارباً ارباً . فألغيت المنع وسمحت باعتناق النصرانية . وقد انتشرت النصرانية بيننا وأصبح لنا أساقفة وقساوسة (١) .

وكان سمعان كلما ازداد الناس عليه اقبالا ازداد هو لنفسه تعذيباً واذلالا . وفوق تعذيبه افتقده الله بأمراض مؤلمة وسمح بالحط من سمعته والنيل

1) *Nau, F., Les Arabes Chrétiens de Mésopotamie et de Syrie, (Paris, 1933), 38.*

من قداسته . ولكنه كان يصبر ويسكت ويتواضع بل كان يشكر لاولئك الذين ارادوه بسوء لأنهم على رأيه كانوا يعاملونه كما تستحق آثامه ونقائصه . ثم فاضت روحه في السنة ٤٦٩ . وظنـه الناس يصلي فسجدوا حول عموده واشتركوا في الصلاة . وطالت عليهم صلاته يومين كاملين فصعدوا اليه فوجدوه جثة هامدة . فجعلوا ذخائره في كنيسة كاسياني ثم نقلوه الى كنيسة الاتحاد بالتوبة . وبقي عموده مزاراً شهيراً وبنى الرهبان حوله ديراً وكنيسة لا تزال آثارها تنطق بالعظمة حتى يومنا هذا (١) .

أساقفة الحيرة : وتوفي النعمان ملك الحيرة في السنة ٤١٨ فتعاقب في الحكم بعده كل من المنـذر الاول (٤١٨ ــ ٤٦٢) والاسود (٤٦٢ ــ ٤٨٢) والمنذر الثاني (٤٨٢ ــ ٤٨٩) والنعمان الثاني (٤٩٩ ــ ٥٠٢) فقاسى بعضهم شدة لتنصر قومهم وحمى آخرون النصارى في فارس عنـد الضيق ولاسيما المنذر الاول . واشترك أساقفة الحيرة في القرن الخامس في مجامع محليـة ترأسها كثوليكوس سلفكية ووافقوا على مقرراتها فأمسوا من النساطرة (٢) .

المونوفيسيون والحيرة : وفي مطلـع القرن السادس نشط المونوفيسيون لبث دعوتهم في الحيرة فأمها شمعون الارشمي وأقام فيها ودعا الى بدعته فاستجاب له بعض النصارى وبنى اشرافهم كنيسة او اكثر . « وكان غيوراً جدلا حاذقاً درباً » (٣) . ثم أوفد سويروس الانطاكي اسقفين مونوفيسيين في السنة ٥١٣ الى بلاط المنذر الثالث (٥٠٥ ــ ٥٥٤) ليدعواه الى القول بالطبيعة الواحدة . ويروى انه تظاهر بالأسف الشديد عندما تناول حديثهما ميخائيل رئيس الملائكة . فلما سئل عن سبب تأسفه قال اولا يؤسف لموت رئيس الملائكة . فطمأنه الاسقفان مؤكدين ان الملائكة لا تموت . فانتفض المنذر وقال متهكماً وهل يموت الاله المتحد بالمسيح

1) *Théodoret, Hist. Ecc., XXVI ; Delahaye, H., Les Saints Stylites XXXI XXXII.*
2) *Synodicon Orientale (Chabot), 285 Lietzmann, H., Das Leben des Heiligen Symeon Stylites ; Dawes, E. and Baynes, N. H., Three Byzantine Saints, (Oxford, 1948).*
٣) البطريرك اغناطيوس برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص ٢٥١ .

بطبيعة واحدة على الصليب. فاكتفى الاسقفان وبقيت الحيرة نسطورية خالصة(١).

وظل المنذر الثالث هذا وثنياً يذبح للعزى ويقدم لها افضل ما عنده . فقد جاء في بعض المراجع ان هذا المنذر قدم في السنة ٥٤٤ ذبيحة لهذا الغرنوق ابن الحارث الغساني الذي وقع في يده اسيراً في احدى غزواته (٢) وانه ضحى باربع مئة عذراء وقعن تحت براثنه في حمص لمناسبة دخوله اليها (٣).

المنذر وخلفاؤه : ومات المنذر فتولى زمام الامور ابنه عمرو (٥٥٤ ـ ٥٦٩) وكان مسيحياً . فأنشأت امه هند الغسانية زوجة المنذر الميت ديراً في الحيرة . ونقشت في صدره بموجب رواية ياقوت العبارات التالية :

«بنت هذه البيعة هنـــد بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر امة المسيح وام عبـــده وبنت عبيدة في ملك ملك الاملاك خسرو انو شروان في زمن مار افريم الاسقف . فالاله الذي بنت له هـــذا الدير يغفر لها خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبـــل بها ويقومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر» .

ويستدل من هذا ان الملك عمرو ابن المنذر كان نصرانياً لأن النقش علا صدر الدير في ايام ملكه (٥٥٤ ـ ٥٦٩) ويظهر ان النصرانية لم تثبت بعد عمرو . فلما مات رجع خليفته او المنذر ابن المنذر الى الوثنية (٤) . ونشأ ابنه النعمان فيها يذبح للأصنام حتى تنصر على يد الكاثوليكوس صبر يشوع في السنة ٥٩٤ ـ وجاء في تاريخ ابن خلدون (ج ٢ ص ١٧١) انه تنصر على يد عدي ابن زيد (٥) .

جزيرة تيران : ومما جاء في المراجع خبر اسقف تيران . وتيران جزيرة عند مدخل خليج العقبة اشتهرت في القرون الاولى بجماركها وسلطتها على التجارة البحرية عبر البحر الاحمر . ومما يروى عنها انها سقطت في السنة ٤٧٠ في يد عربي اسمه امرؤ القيس *Amorkesos* قدم اليها من المناطق الخاضعـــة لفارس فاحتلها

1) *Théodore le lecteur, Hist. Ecc., II, 35 ; Zonaras, Ep. Hist. XXVIII, 4.*
2) *Procope, De Bello Persico, III, 28.*
3) *Zacharie le Rhéteur, Hist. Ecc., VIII, 5 ; Michel le Syrien, II, 178 - 179.*
4) *Evagrius, Hist. Ecc., VI, 22.*
5) *Aigraie, R., l'Arabin, Dict. Hist. Ecc., Géog. III, 1225 - 1233 ; Charles, H., le Christianisme des Arabes Nomades sur le Limès et dans le Désert Syro - Mesop. Aux Alentours de l'Hégire, (Paris, 1936), 55 f.*

وطرد موظفي الروم منها ثم ما لبث ان أوفد اسقفاً اسمه بطرس الى الامبراطور لاوون ليقدم خضوعه ولينال منه لقب فيلارخوس عرب البتراء . وتذكر المراجع ان الامبراطور استدعى هذا الزعيم اليه ومنحه السلطة على جزيرة تيران ومناطق غيرها . ثم عادت الجزيرة الى حكم الروم المباشر بنزول القائد رومانوس فيها عام ٤٩٨ ولكنها احتفظت باسقفيتها . فاننا نقرأ في اعمال مجمع اوروشليم المحلي المنعقد عام ٥٣٦ عن انسطاسيوس اسقف تيران . ولعله كان خاضعاً لكنيسة سيناء(١).

حمير : ولا نعلم بالضبط متى تسربت النصرانية الى اليمن « والعربيـــة السعيدة » . ولكننا نقرأ ان الامبراطور قسطنديوس أوفد في السنة ٣٥٦ بعثة يرأسها الراهب الآريوسي ثيوفيلوس لتفاوض في حرية الاتجار وحرية المعتقد ولتنشر رسالة السيد المخلص . وأفلح ثيوفيلوس فيما يظهر وانشأ كنيسة في عدن وكنيسة غيرها في ظفر . ولا نعلم بالضبط ما اذا كان هذا الراهب نجح في تأسيس كنيسة ثالثة في هرمز عند مدخل خليج الفارسي (٢). ويؤكد ثيودوروس القارىء ان النصرانية لاقت نجاحاً في حمير في عهد انسطاسيوس الامبراطور (٤٩١ ـ ٥١٨) وان النصارى في هذا البلد البعيد خضعوا لاسقف يرشدهم ويدبر امورهم (٣) ولعل هذا الاسقف هو سلوانس عم يوحنا الذيكرينوميئوس (٤) .

نجران : ولا يختلف اثنـــان فيما نعلم في ان نجران كانت أهم مواطن النصرانية في الجنوب . ولعلّ الفضل في تنصر أهلها يعود الى كنيسة انطاكية . فقد جاء في كتاب السيرة لابن هشام (طبعـــة اوروبة ٢٠ ـ ٢٢) وفي تاريخ الرسل والملوك للطبري (طبعة اوروبة ج ١ ص ٩١٩) ان قافلـــة عربية أسرت راهباً سورياً اسمـــه فيميون *Phemion* فنزلت به الى نجران فهدى أهلها طريق الصواب . ويذكر ياقوت كعبة في نجران يقال لها البيعة بناها بنو عبد المدان بن

1) *Bardy et Brehier, Expansion Chrétienne, op. cit., IV, 517 - 518; Lammens, H., Les Chrétiens à la Mecque à la Veille de l'Hejire, Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1918, 191 - 231 ; Aigrain, R., Arabie, Dict. Arch. Hist. Ecc., III, col. 1253 f.*
2) *Philostorge, Hist. Ecc., III, 4 - 6.*
3) *Théodore le Lecteur, Hist. Ecc., II, 58.*
4) *Miller, Fragments Inédits de Théodore le Lecteur, Rev. Arch., 1876, 400.*

الديان الحارثي على بناء الكعبة فعظموها مضاهاة لكعبة مكة . وكان فيها اساقفة « معشمون » .

وكانت اليهودية قد تسربت الى بلاد اليمن من جراء خراب اوروشليم . وكان آخر ملوك حمير ذونواس يهودياً . فاشتدت المنافسة بين النصارى واليهود وانقلبت عداء مريراً . وكان ذونواس يرى في النصرانية ما يذكره بالاحباش ومطامعهم في اليمن . فأوقع بالنصارى في السنة ٥٢٣ مذبحة نجران ثم جمع من نجا منهم وخيرهم بين القتل واليهودية . فاختاروا الموت استشهاداً . فخدّ لهم اخدود النار. وروى بعض المحدثين انه نزل في ذلك ما جاء في سورة البروج: «قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليهـا قعود » . ومما جاء في الطبري ايضاً ان دوس ذا ثعبـان أفلت ولجأ الى امبراطور الروم يستنصره على ذي نواس وان يوستينوس قال له: « نأت بلادك عنا فلا نقدر ان نتناولها بالجنود ولكني سأكتب الى نجاشي الحبشة وهو أقرب ملوك النصرانيـة الى بلادك » . ويروى ايضاً ان النجاشي انتصر على ذي نواس مرتين متواليتين في السنة ٥٢٣ وفي السنة ٥٢٥ . وهنا رب معترض يقول كيف اضطهد يوستينيوس اصحاب الطبيعة الواحدة في بلاده ثم تعاون معهم في الحبشة واليمن . والجواب ان صاحب القسطنطينية كان يعتبر نفسه حامي ذمار النصرانية في كل المسكونة (١) .

★

1) *Vasiliev, A. A., Justin I and Abyssinia, Byzant. Zeit., 1933, 67 - 77 ; Simeon de Beit Arscham à Simeon de Gabboula, Atti della R. Accademia dei Lincei, 1881.*

الفصل السابع والعشرون

القوانين والنظم والطقوس والأعمال الخيرية

في القرن السادس

يوستنيانوس والقانون الكنسي : عُني الآباء في القرنين الرابع والخامس بجمع القوانين المسكونية والمحلية ولكنهم لم يوفقوا الى درسها وتمحيصها وتنسيقها وتبويبها . وكان بعض هذه القوانين قد وضع لمناسبات خصوصية انتهى امرها . فزالت فائدة القانون بزوال الظرف الذي دعـا الى وجوده . ونشأت ظروف جديدة تطلبت عودة الى الاجتهاد والتشريع .

وكان يوستنيانوس يرى في نفسه رئيساً للدولـة وحامياً للكنيسة في آن واحد فأمر بجمع القوانين الكنسية ودرسها والغاء الباطل منها وسن ماتقضي به الظروف الجديدة . فظهر بارادته السنية قانون الاكليروس (*Nov 123*) وقانون الاديرة (*Nov. 133*) وغيرهما .

نوموقانون يوحنا المحامي : والنوموقانون اصطلاح يوناني مركب مؤلف من كلمتي نوموس الشرع المدني وقانون الشرع الكنسي . ويوحنا المحامي هو البطريرك يوحنا القسطنطيني (٥٦٥ ــ ٥٧٧) الذي نشأ محامياً في انطاكيـة ثم تولى تمثيل الكرسي الانطاكي في القسطنطينية . فلما شغر الكرسي القسطنطيني كما سبق واشرنا شرطن يوحنا كاهناً ثم رقي الى السدة البطريركية. وما ان استتب له الامر حتى بادر لجمع القوانين المدنية التي تتعلق بالاكليروس والكنيسة واضاف اليها جميع القوانين الكنسية . ثم نسق ما جمع وبوّبه لتسهيل الوصول الى محتوياته فظهر ما يعرف في تاريخ الكنيسة بنوموقانون يوحنا المحامي .

ويستدل مما تبقى من آثار هـذا الحبر الفقيه الجليل انه استعان بمجموعة من نوع مجموعته صُنّفت في السنة ٥٣٤ وانه اعتمد قوانين الرسل وقوانين المجامع المسكونية الاربعة الاولى ومجامع انقيرة وقيصرية الجديدة وسرديكة وانطاكية

وغنغرة واللاذقية وببعض قوانين القديس باسيليوس الكبير وقد استخرجها من رسائله وعددها ثمانية وستون قانوناً . وانتقى هذا البطريرك ايضاً من اثني عشر قانوناً يوستنيانياً مدنياً ما تعلق بامور الكنيسة فنسقه تنسيقاً ونشر في سبعة وثمانين فصلا (١) .

البنتارخية : وتبنى يوستينانوس قرارات المجامع المسكونية السابقة فاعتبر الكنيسة الجامعة مؤلفة من خمس بطريركيات *Pentarchia* لا سادسة لها وهي بطريركية رومة القديمة وبطريركية رومة الجديدة وبطريركية الاسكندرية وبطريركية انطاكية وبطريركية اوروشليم . وعمل بالتقليد الموروث وبقرارات المجامع فقدم بطريرك رومة القديمة على سائر البطاركة وجعل بطريرك رومة الجديـدة الثاني بعده . وأعطى المرتبة الثالثة في الكرامة لبطريرك الاسكندرية والرابعة لبطريرك انطاكية والخامسة والاخيرة لبطريرك اوروشليم . وشملت سلطـة بطريرك رومة القديمة بموجب هذا الترتيب كل الغرب وذيقوسية البرية الشرقيـة وضمت بطريركية رومة الجديدة ذيقوسيات تراقية وآسية والبونط وخضعت مصر وصعيدها وليبية والقيروان لسلطة بطريرك الاسكندرية . واعتبر بطريرك انطاكية بطريركاً على ذيقوسية الشرق ما عدا فلسطين الاولى والثانية والثالثة. وتبعت هذه الفلسطينيات الثلاث بطريرك اوروشليم المدينة المقدسة. وظلت كنيسة قبرص تتمتع باستقلالها عملا بقرار مجمع افسس . وأصبح هذا الترتيب كله قانوناً شرعياً بموجب النوفليتين المئة والثالثة والعشرين والمئة والحادية والثلاثين . وهذه هي المرة الاولى التي ورد فيها لقب بطريرك في معاملات رسمية .

واللقب بطريرك لفظ يوناني.وهو مركب من الكلمة اليونانية *Patria* أي العشيرة والكلمة اليونانية *archi* اي الرئيس ، فيصبح البطريرك شيخ العشيرة . وجاء لبلصامون في رسالته في امتيازات البطاركة ان اول من أطلق عليه هذا اللقب

1) *Pargoire, J., l'Eglise Byzantine de 527 à 847, 78 - 79 ; Zacharie Von Lingenthal, Über den Verfasser und die Quellen des Nomokanon in XIV Titlen.*

رئيس عشائر اليهود (١) . فان اليهود بعد خراب اوروشليم وتشتتهم اصطلحوا ان يقيموا عليهم رؤساء اسموهم بطاركة وجعلوا لهؤلاء البطاركة مساعدين اطلقوا عليهم لقب رسول . وعلى هذا الاساس لُقّب اسقف انطاكية بطريركاً لانه اعتُبر كبير الامة او الطائفة المسيحية في انطاكية وزعيمها المطاع . وجاء في رسالة كتبها بطرس الثالث البطريرك الانطاكي الى رئيس اساقفـة اكيليا ان البطريرك الانطاكي وحده اختص منذ القدم باللقب بطريرك وان البطاركة الآخرين لقبوا بهذا اللقب جوازاً لا وجوباً وان لقب الحبرين الروماني والاسكندري هو بابا ولقب زميليهما في رومة الجديدة واوروشليم هو رئيس اساقفة (٢) .

وفي الثامن من حزيران سنة ٥٣٣ كتب يوستنيانوس الى البابا يوحنا الثاني يفيد انه سيوافيه بجميع ما يتعلق باحوال الكنائس لانه هو رئيسها وانه سوف يُسرع في اخضاع أحبار الشرق وضمهم اليه (٣) . وجاء في قانون صدر في هذه السنة نفسها ان على ابيفانيوس بطريرك رومة الجديدة ان ينبىء بطريرك رومة القديمة بجميع المسائل الدينيـة لان رومة القديمة ما فتئت تدحض الهرطقات الشرقية (٤) . وجاء في النوفيلة التاسعة ان احداً من الناس لا يشك في عظمة حبر رومة وجلاله (٥) . كتب يوستنيانوس هذا كله واكثر منه ولكنه تدخل في شؤون أحبار رومة تدخلا اجبارياً فضيق على فيجيليوس مثلا ولم يتورع عن مخالفته في امر العقيدة . ولعله ذهب الى أبعد من هذا فاعتبر نفسه سيد الباباوات والبطاركة وصاحب القول الفصل في ادارة الكنيسة وفي معتقدها (٦) .

وتبادل البطاركة الخمسة الرسالات السلامية وبينوا معتقداتهم فيها عند وصولهم الى العرش وتبادلوا ذكر اسمائهم في ذيبتيخة الاحياء فقرأها شماس علناً في اثناء القداس واوفدوا الى عاصمة الدولة وكلاء يمثلونهم امام البلاط . وتبادلوا

1) *Balsamon, Pat. Gr., Vol. 138.*
2) *Patrologia Graeca, Vol. 120, Col. 757.*
3) *Patrologia Latina, Vol. 66, Col, 15 ; Code I, 1, 8.*
4) *Code, I, 7.*
5) *Zachariae, I, 12. .*
6) *Alivisatos, H., Die Kirchliche Gesetzgebung des Kaisers, Justinian I, Berlin, 1913 ; Ostrogorsky, G., Hist. of Byz. State. (Oxford, 1956), 71.*

هؤلاء الوكلاء *apocrisarios* بين بعضهم في بعض الاحيان . وكان بين هؤلاء رجال افذاذ . فغريغوريوس العظيم بابا رومـة قضى مدة في القسطنطينية قائماً باعمال ابوكريساريوس رومة ومثلـه يوحنا المحامي فانه قبل تسنمه العرش القسطنطيني كان ابوكريساريوس الكرسي الانطاكي في القسطنطينية (١) .

نظـام الاسقفية : وقضت قوانين يوستنيانوس بحصر حق انتخاب الاساقفة في ايدي الوجهاء والاكليروس . فكان على هؤلاء ان يتفقوا على ثلاثة من المرشحين فيرفعـوا اسماءهم الى البطريرك او المتروبوليت او مجمع الاساقفة المحلي لانتقاء واحد منهم ورفعه الى رتبة الاسقف (٢) . وكان للامبراطور في الواقع او لممثله المحلي القول الفصل في هذا ايضاً .

وحاول يوستنيانوس الاصلاح فوضع حداً ادنى لسن المرشح وجعلـه خمسة وثلاثين سنة . وعالج السيمونية بان عين المبلغ الذي توجب دفعه الى الاساقفة المنتخبين وأوجب بقاء كل اسقف في ابرشيته ومنع تغيبه عنها اكثر من سنة واحدة ومنع ايضاً مجيء الاساقفة الى عاصمة الدولة بدون موافقة المتروبوليت (٣) .

وأحاط بالبطاركة والمطارنة عدد من الموظفين . وأهم هؤلاء في القرن السادس السنكليوس *Syncellios* وهو المستشار الاكبر والوكيل الذي يقوم مقام البطريرك او المطران في اثنـاء غيابه . وجاء في المصادر ما يدل على ان بعض المطارنة اوفدوا وكلاء عنهم الى العاصمة والى المقر البطريركي . وان هؤلاء كانوا يدعون ابوكريساريوسيين ايضاً . وفي المصادر اشارات الى الرفرنداريوس *Referendarios* وهو المستشار العادي . وأطلق على مدير اوقاف الكنيسة وامين ممتلكاتها لقب ايكونوموس *Economos* وعُني سكيلاريوس *Sacellarios* بمراقبة الأديرة والرهبـان كما أشرف ذيذاسكاليوس *Didaskalios* على تلقين المؤمنين قواعد الايمان (٤) .

1) *Brehier, L., Normal Relations between Rome and the Churches of the East before the Schism of the Eleventh Centory, Constructive Quarterly, 1917.*
2) *Novelles, CXXIII, CXXXVII.*
3) *Code, I, 3 ; Novelles, VI, LXVII, CXXIII, CXXXVII.*
4) *Pargoire, J., op. cit, 63 - 65.*

وتمتع الاساقفة في هذا القرن بصلاحيات قضائيـة واسعة . فكان لهم وحدهم حق النظر في خروج الاكليريكيين على انظمة الكنيسة (١) . ومنحهم يوستنيانوس حق النظر ايضاً في الدعاوي التي أقامها العلمانيون على رجال الاكليروس ولكنه حفظ لاؤلئك حق استئناف هذه الاحكام امام المحاكم المدنية (٢) . وظل المتداعون العلمانيون يترافعون امام المحاكم الاسقفية في الدعاوي المدنية . ووافق يوستنيانوس على هذا الترافع في جميع المدن ما عدا العواصم واشترط ان يكون برضى الطرفين (٣) .

وقضى قانون يوستنيانوس بتنظيم محاكم خصوصية مؤلفـة من الاساقفة للنظر والبت في الدعاوي التي تقام على الاساقفـة . ولكنه لم يعبأ بما أمر به فانه كثيراً ما نظر هو بنفسه في بعض هذه الدعاوي . وحذا حذوه يوستينوس الثاني عندما عزل انسطاسيوس البطريرك الانطاكي (٥٧٠) لانه تفوه بمـا لا يليق عن شخص الامبراطور ولانه اتهم بتبذير أموال الكنيسة (٤) .

ويرى رجال الاختصاص ان اساقفة هذا القرن تدخلوا في سير الامور المدنية تدخلا فعلياً فرفعوا أصواتهم عندالحاجة ليمنعوا حاكماً عن التحكم والتعسف او لينفذوا القانون ضد الفسق والفجور او ليقفوا سداً منيعاً في وجه الهرطقة (٥). وتطلبت ظروف مصر أكثر من هذا فمنح الامبرطور بطريركين من بطاركتها الارثوذكسيين ابوليناريوس وافلوغيوس صلاحيات مدنية وعسكريةمطلقة أصبحا بموجبها نائبي الامبراطور في مصر وقائدي جيوشه فيها (٦) .

جمهور الاكليروس : ودخل تحت هذا التعبير في القرن السادس الكهنة والشمامسة والشماسات والايبوذياكونات والقراء والمرتلين . وتوجب على المتقدمين

1) *Novelle, LXXXIII.*
2) *Novelle, CXXIII.*
3) *Episcopali Audientia, Code I, 4 ; Bell, H. I., the Episcopalis in Byzantine Egypt, Byzantion, 1924, 157 ff.*
4) *Brehier, L., Vie Chrét. en Orient, Fliche et Martin, op. cit., IV, 539.*
5) *Ibid., 539 - 540 ; Bury, J. B., Later Roman Empire, II, 361.*
6) *Diehl, C., l'Egypte Chrétienne et Byzantine, (Hist. de la Nation Egyptienne), III, 534 - 535.*

من سر الكهنوت وعلى العذارى والارامل اللواتي رغبن في الخدمة كشماسات ان يكونوا جميعهم قد بلغوا الاربعين من العمر . وافترض في من طلب الرسامة كشماس او ايبوذيا كون ان يكون في الخامسة والعشرين او ما فـوق ذلك . وأصبح السن الادنى للقراء والمرتلين ثمانية عشر عاماً . وجاز لجميع هؤلاء ان يكونوا متزوجين شرط ان يكون زواجهم قد تم قبل الرسامة . وحرم الزواج ثانية باستثناء القراء والمرتلين . ولا تخلو المراجع الاولية من الاشارة الى رتبة الخور اسقف . فقد جاء في تاريـخ بروكوبيوس الفلسطيني المعاصر ان خور اسقف الرصافة *Sergiopolis* تولي قيادة الحامية فيها وفاوض الفرس في حصار السنة ٥٤٣ (١) . ويرى العلامـة غيلمان الالماني ان البريودفيتس *Preiodeutes* البرديوط الزائر بدأ في هذا القرن يحل محل الخوراسقف وانه كان خاضعاً تابعاً لاساقفة المدن (٢) . وكثر عدد الاكليريكيين في هـذا العصر فاضطر يوستنيانوس ان يحصر عددهم فجعلهم خمس مئة وخمسة وعشرين في كنيسة الحكمة الالهية في القسطنطينية . وكان بين هؤلاء ستون كاهنا ومئة شماس (٣) .

حق الامان : وكان ثيودوسيوس الثاني قد وسع منطقـة الحرم التي لا تهتك فجعلها تشمل الكنيسة وما حواليها حتى مداخلها الخارجية . وجاء لاوون الاول فأباح للمفلسين في الثامن والعشرين من شباط سنة ٤٦٦ حق الاحرام وبرّأ الكنيسة من كل التزام تجاه الدائنين (٥) ولكن يوستنيانوس رأى في هذا كلـه توسعاً لامبرر له فأباح لعماله الدخول الى مناطق الحرم لالقاء القبض على القتلـة والزناة والخاطفين المغتصبين كما سمح بجباية الاموال الاميرية في داخل الكنيسة وبتوقيف الممتنعين عن ادائها . وأوجب على الاسقف ان هو عارض في شيء من هذا ان يتحمل بنفسه المبالغ المطلوبة وان يدفعها من جيبه الخاص (٦) .

1) *Procope, Bellum Persicum, II, 5 ; De Aedif., II, 9 ; Chapot, Resapha Sergiopolis, Bull. Corresp. Hellen., 1903, 288 ; Brehier, L., Vie Chrél., op. cit., IV, 540.*
2) *Gillmann, Das Institut der Chorbischofe im Orient, 146.*
3) *Novelle, III, 1.*
4) *Mansi, V, Col. 437 - 445 ; Martroye, l'Asile et la Législation Impériale du IV au VI Siècle, Mem. Soc. Antig., 1919, 82, 82 - 90.*
5) *Code Justinien, I, 12.*
6) *Novelles, XVII, XXXVII, CXXVIII.*

الاوقاف : وشملت الاوقاف في هـذا القرن الهبات على انواعها (كالاراضي وبيوت السكن والمخازن والعائدات السنوية) والضرائب الشرعية على ممتلكات الهراطقة والوثنيين والتركات غير الموصى بها ولا سيما الاكليركية منها (١) .

ووافق يوستنيانوس على هذا كله ووسع حق انتفـاع الكنيسة من مرور الزمن ومنع نقل ملكية الاوقاف واحتباسها الدائم تحت مرتب معين . ونظّم حقوق الواقف فأوجب عليه القيام بتعهداته واعترف بحقه في ادارة اوقافه ولكنه لم يسمح له بفرض اكليريكي معين على الاسقف لخدمة هذه الاوقاف (٢) .

وكان المجمع الخلقيدوني قـد أوجب في قانون السادس والعشرين تعيين مدّبر اوقاف *Economos* لكل كنيسة فحدّد يوستنيانوس صلاحيات هذا المدّبر وأوجب انتقاءه من بين رجال الاكليروس . ونظر الامبراطور ايضاً في كيفية انفاق اموال الكنائس فعين ما وجب دفعه الى رجال الاكليروس وما جاز انفاقه لممارسة الطقوس وصيانة الاملاك واعاشة الفقراء (٣) .

الرهبان والاديرة : وتكاثر الرهبـان في القرنين الخامس والسادس فأصبحوا الوفاً وعشرات الوف . ولم يؤثر القول بالطبيعة الواحدة في عددهم عند اليعاقبة . ولم تختلف نظم هؤلاء عن نظم الرهبان الارثوذكسيين فظلّ باسيليوس الكبير زعيم المعسكرين وبقيت مثله العليا مثل الطرفين . وغصت تلال انطاكية وابامية وآمد والرها بالاديرة . وانتثرت الصوامع في بعض انحاء البادية . وأثر هذا كله في نفس يوحنا افسس فصنف « سير النساك الشرقيين » ضمّنه ثماني وخمسين ترجمة (٤) .

وتنوعت طرق الترهب واختلفت وسائل الامانة . فقام الى جانب الاديرة قلايات *Kellia* آوت كل منها ناسكاً واحداً اشتهر بورعـه وزهده وقداسته فاطلقت له الحرية لقهر الجسم كيف شاء . واشتهر من هؤلاء في جهات انطاكية

1) *Knecht, System des Justinianischen Kirchen - Vermogensrechtes, 67 - 72; Code Justinien, I, 3.*
2) *Novelles LVII (537), CXXII (546).*
3) *Brehier, L., le Monde Byzantin, Institutions, 524 - 526.*
4) *Douwen et Land, Iohannis Episcopi Ephesini, Amsterdam, 1889.*

الذين اختاروا رؤوس الاعمدة مقراً لهم فقضوا السنين الطوال عليها وبين هؤلا السمعانان الاكبر والاصغر . وقد سبقت الاشارة الى الاكبر فلتراجع في محلها . ويذهب بعض رجال الاختصاص الى ان عدد العموديين لم يكن قليلا (١) .

وقضت مقررات المجمع الخلقدوني بخضوع الرهبان المسلطات الاكليريكية ولكن نصوصها بقيت حبراً على ورق . وكثر عدد الرهبان التائهين *Sarabaites* الذين عاشوا متنقلين متسولين غير خاضعين لاية سلطـــة من السلطات الروحية . فحاول يوستنيانوس ان ينظم الحياة الرهبانية من الناحية الادارية القضائية . فأخضع اديرة كل ذيقوسية الى سلطة المتروبوليت وأكره جميع الرهبان ان يعيشوا في أديرة معينـــة وأجاز الانحباس شرط ان يتم في داخل الدير . وتوجب على الطالبين الجدد ان يمروا في دور « المبتدىء » وان يظلوا فيـــه ثلاث سنوات . ولا يقبلون نهائياً الا بعد التثبت من انهم ليسوا ارقاء هاربين . وحرم عليهم ترك الدير تحريماً . وسنت قوانين خصوصية لتنظيم حياة الراهبات .

وكان على الرهـــبان في كل دير ان ينتخبوا رئيساً لهم هيغومينوساً *Hegoumenos* او ارشمندريتاً (٢) يدبر امورهم ويمثل رهبنتهم ما دام حياً قادراً على العمل . وكان الهيغومينوس مطلق الصلاحيـــة لا يستشير رهبانه الا في بعض الامور الهامة كنقل الملكية واحتباسها بطريقة الحكر . ولكنه كان مقيـــداً بالتيبيكون الذي حفظ قانون الرهبانيـــة وأشياء اخرى . ورأى يوستنيانوس ان الرقابة مفيـــدة فأوجب تعميم نظام الاكسرخوس الذي كان سائداً في بعض الأبرشيات أي ان يعين كل متروبوليت اكسرخوساً لزيارة الأديرة في الأبرشية والتثبت من انتظامها . وكان في استطاعة هذا الاكسرخوس ان ينتدب زائرين *Stationarii* لهذه الغاية نفسها . اما في القسطنطينية فان هـــذا المفتش الزائر كان يدعى سكيلاريوساً *Sacellarios* (٣) .

1) Leclercq, H., Antioche, Dict. Arch. Chrét., I, Col. 2831 - 2832 ; Lietzmann et Hilgenfeld, Das Leben des Heiligen Symeon Stylites ; Lassus, J., Images des Stylites, Bull. Inst. Fr. de Damas, II, 67 - 82.
2) Pargoire, J., Archimandrite, Dict. Arch. Chrét., I, Col. 2739 f.
3) Novelle CXXXIII, (539).

الاسكيم : وكان الاسكيم الرهباني يتألف من ثوب فضفاض من الصوف الخشن او شعر الماعز . وكانوا يسمونه *Kolobion* وهو أصل اللفظ العربي « جلابية » . وتردى الرهبان فوق الجلابية جبة دعوها المنذية *Mandya* اماغطاء الرأس فأنـــه كان قبعة عالية عرفت بالكلفكيون *Kamelaukion* . وتبع هذه لاطية دعيت كو كوليوناً *Koukoulion* . وشد وسط الراهب زنار جلد . وزين الاسكيم بكامله بطرشيل دعي أنالافوساً *Analabos* . (١)

الصوم والصلاة : وامتنع الرهبان عن اللحوم وتناولوا الطعام مرة واحدة في اليوم . وصاموا الصوم الكبير (سبعة اسابيع) وصوم الميـــلاد وصوم الرسل وصوم رقاد العـــذراء . وصلوا ست ساعات في كل يوم ولكنهم كرسوا ليالي البارامون كلها للصلاة .

الليتورجية : وكانت لغة كنيسة انطاكيـــة لاتزال يونانية فجاءت ليتورجيتها باليونانية . ولم تكن سريانية او عربية الا في بعض القرى النائية في داخل البلاد (٢) . وصلى المؤمنون بموجب ليتورجيـــة يعقوب اخي الرب . وكانت هذه في القرن السادس مسبوكة باللغتين اليونانية والسريانية . ولا بد ان تكون قد نقلت الى العربية ايضاً لكثرة المؤمنين العرب في ريف سورية وفلسطين وعند حدود البادية . اما في كنائس آسية وتراقية والبونط واليونان فان الليتورجية السائدة كانت اما الليتورجية التي تدعى باسم ليتورجية الذهبي الفم او باسيليوس الكبير (٣) .

البناء : وكانت معظم كنائس هـــذا القرن بسيليكات في طرازها . والبسيليكة بناء مستطيل الشكل شيـــد في العصور اليونانية القديمة للاجتماعات العمومية . وتميز هذا البناء عن سواه في انه حوى صفـــين من الأعمدة قسمت

1) Brehier, L., l'Art Chrétien, 118, 132 - 133 ; Diehl, C., Justinien, 500, Fig. 163.
2) Brehier, L., Vie Chrét., op. cit., IV, 547.
3) Pargoire, J., op. cit., 97 - 99 ; Placide de Meester, Liturgies Grecques, Dict. Arch. Chrét. Lit., VI, Col. 1591 - 1662 ; Stefanescu, Illustration des Liturgies dans l'Art de Byzance et de l'Orient, Bruxelles, 1936.

ارضه الى ثلاثة أقسام مستطيـــلة متساوية وانه أفسح في منتصف جداره الرئيسي محلا خصوصياً في شكل حنية لتمثال الإله وان النور كان يدخل اليــه من نوافذ فوق رؤوس الأعمـــدة ودعي مجموعاً منوراً . واحتفظ الآباء في هذا القرن نفسه بالأبنية المدورة والمثمنة والمصلبة للتعميد او لدفن الشهداء . وكنت اذا قصدت الدخول الى احدى الكنائس تمر في صحن كبير مفتوح تحيط به أورقة معمدة . فاذا ما انتهيت منه وجدت نفسك في النرثكس *Narthex* وهو غرفة خارجيـــة لاصقة ببناء الكنيسة عند مدخلها الرئيسي .

وقامت المائدة عند رأس هذا البناء مقابل الحنية . وخصص ما يجاورها الى الاسقف والكهنة . واقيم للاسقف عرش في الحنية وراء المائدة . وقسم البهو كله الى قسمين غير متساويين أصغر وأكبر . وفصل الأصغر القريب من المائدة عن الأكبر وراءه بحاجز مزين وخصص للخوروس . وانتصب المؤمنون للصلاة في القسم الأكبر الباقي من البهو. اما الموعوظون فانهم وقفوا اما وراء المؤمنين عند مدخل البهو الرئيسي او في الطبقة الثانيـــة من البهو التي اقيمت في جانبي الكنيسة فوق الأعمدة وأطلت على البهــو والخوروس . وكان الايقونوستاسيس *Iconostasis* لا يزال مجهولا (١) . ولا تزال كنيسة القـــديس اندراوس في القسطنطينية (خوجه مصطفى جامعي) تحفظ هذا الترتيب حتى يومنا هذا .

الأواني : ولنا في الرسوم التي تزين بعض الصواني الفضيـــة الانطاكية الباقية ما يحفظ لنا أشكال مذابح ذلك العصر وموائده وما استعمل من الأواني كالبوتيريون *Poterion* والمراوح *Rhiphidia* وملاعق الافخاريستية وحقاق الميرون والمباخر (٢). ولا نزال نتبرك بأناجيل تعود الى ذلك العهد وقد كتبت بماء الذهب على الرق . ومما تجـــدر الاشارة اليه ان بعض كتب الخدمة كان لا يزال بهيئة دروج ملفوفة لفاً (٣) .

1) *Ebersolt, J., Monuments d'Architecture, Byzantine, Paris, 1934 ; Vincent et Abel, Bethlehem, Paris, 1914 ; Brehier, L., Anciennes Clotures, Congrés des Etudes Byzantines, Paris, 1936.*
2) *Bréhier, L., Les Trésors d'Argenterie d'Antioche ; Diehl, C., l'Ecole Artistique d'Antioche, Syria, 1921 ; Ibid., Un Nouveau Trésor d'Argenterie Syrienne, Syria, 1926.*
3) *Diehl, C., Manuel d'Art Byzantin, I, 245 - 261 ; Ebersolt, J., La Miniature Byzantine, Paris, 1926.*

وتتميز الملابس الحبرية في هـــذا القرن أكثر من قبل فيظهر الاسقف مكسيميانوس مثلا في فسيفساء رابينة (٥٤٧) مرتدياً القميص والصاكوس فوقها وواضعاً الاوموفوريون على كتفيه وحاملا الصليب بيـــده . ويواكبه الكاهن والشماس وقد تردى كل منهما بقميص ابيض ذي أكمام واسعة .

الصلوات : وقضى قانون يوستنيانوس (١) على اكليروس كل كنيسة بالصلاة اليومية . وكانت هـــذه الصلاة قد قسمت في مصر الى ثلاثة أقسام : صلاة نصف الليـــل *Mesonyktikou* وصلاة السحر *Orthos* وصلاة الغروب *Lykhnikon* . اما في القسطنطينية وفي سائر الولايات فانها اقيمت في الساعـــات السبع التي انتهت بالاسبيرينوس *Hesperinos* والابوذيبنون *Apodeipnon* صـــلاة النوم . وتليت مقتطفات من الأسفار المقدسة واضيف اليها ترانيم منظومة ملحنة . وأتحفت كنيسة بيروت في هذا العصر الكنيسة الجامعة رومانوس المرتل . وكان يهودياً حمصياً فاهتدى ونبغ في النظم والتلحين وأمّ العاصمة فأصبح مرتل الكنيسة اليونانية الاكبر (٢) .

الاسرار : وأصر آباء هذا القرن السادس على ممارسة سر المعمودية في الكنائس دون سواها . ولام الآباء المجتمعون في القسطنطينية في السنة ٥٣٦ من قال بالطبيعة الواحدة على التعميد في المنازل الخصوصية (٣) وعمد الآباء بالتغطيس ثلاث مرات وآثروا اجراءه لمناسبة الأعياد الكبيرة كعيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد الفصح وعيد الصعود . والحقوا التثبيت بالتعميد . وعمدوا الأطفال في اليوم الاربعين بعد الولادة وتساهلوا حتى السنتين .

تناول المؤمنين : ويستدل من رسوم صينية الكأس التي وجدت في ريحة ان المؤمنين في كنيسة انطاكية في هذا العهد تقدموا من جسد الرب ودمه مغطين اليدين وانهم تناولوا الخبز اولا ثم الخمر من الكأس نفسه . وجرت المناولة بعد

1) *Code I, 3.*
2) *Krumbacher, K., Gesch. der Byz. Lit., 653 - 705 ; Maas, Die Chronologie der Hymnen des Romanos, Byz. Zeit., 1906, 1 - 44.*
3) *Novelles LVIII, LXI ; Mansi, VIII, Col. 895 - 899.*

الاصوام الاربعة ولمناسبة اعياد الميلاد والرسل والفصح والعذراء . وهنالك ما يدل على ان البعض تناولوا يومياً وان آخرين استأذنوا للمناولة في بيوتهم(١).

خدمة القداس : ويرى رجال الاختصاص ان آباء القرن السادس لم يبدأوا الخدمة بتقديم المقدمة الى المائدة كما نفعـــل اليوم . وهم يؤكدون ان قداس الموعوظين بدأ بالايصوذن الصغير وبالتريصاغون والبخور وانه بعد تبادل المحبة بين الكاهن المصلي والشعب كانت تقرأ مقتطفات من النبوات والرسائل والانجيل . وبعد هذا كله كان على احد الشمامسة ان ينادي : « ايها الموعوظون اخرجوا » لانهم كانوا لا يزالون غير معمدين . ولدى خروجهم كان أحـــد الشمامسة يقدم الطلبات السلامية . ثم يتلى دستور الايمان (لاول مرة في السنة ٥١١ كما اشرنا) ويجيء الايصوذن الكبير فيحمل الشمامسة المقدمة الى المائدة ويرتل الشعب التسبحة الكروبية . وبعـــد البركة وقبلة السلام تقرأ ذيبتيخة الأحياء والأموات. والذيبتيخة دفتان مرتبطتان تصفحان وتغلقان كتب عليها اسماء الذين عمروا الكنيسة وغيرهم من الأحياء والأموات . ثم يتبـــع الأنافور والتسبيح الافخاريستي وذكر اسرار الفداء فالابيكليسيس *Epiclesis* (الابتهال الى الروح القدس). ويعود الشماس الى الطلبات السلامية ثم يتم تبادل المحبة ويكسر الخبز وتجري المناولة ويرفع الشكر ويصار الى الحل *Apolysis* (٢) .

الايقونات : وشاع في هذا القرن تكريم الايقونات . ففاخرت الرها بتلك التي قالت ان السيد المخلص نفسه أرسلها الى أبجر ملك الرها (٣) وبالمنديل الذي انطبع عليه شكل وجهه . واعتبرت هذين الرسمين من يد غير بشرية فدعيا *Acheiropoietes* (٤) . واشتهرت صورة العذراء التي نسبت الى لوقا الانجيلي نفسه فنقلتها الامبراطورة بلشيرية الى القسطنطينية . وأقدم ما لدينا من ايقونات القرن السادس ما وجده في سيناء العلامة الروسي بورفيريوس اوسبنسكي وهي تمثل

1) *Bréhier, L., Vie Chrét., op. cit., IV, 550.*
2) *Ibid. 547 - 548 ; Moreau, Les Anophores des Liturgies de Saint Jean Chrysostome et de Saint Basile, Paris, 1927.*
3) *Runciman, S., Some Remarks on the Image of Edessa, Cam. Hist. Journ., 1931, 238 - 252.*
4) *Brehier, L., Icones non faites de main d'homme, Rev. Arch., 1932, 68 - 77.*

القديسين سرجيوس وباخوس وبين هالتيها صورة مصغرة للسيد المسيح . وهي من محفوظات متحف كيف *Kiev* ومن ايقونات هذا القرن صورة السيدة حاملة الطفل في متحف الامبرطور فريدريك في برلين وصورة يوحنا المعمدان في متحف كيف ايضاً . (١) وجميع هذه مصورة بالالوان الممزوجة بشمع العسل لحمايتها من الرطوبة وقد ظهرت فيها العينان جاحظتين كانهما تنظران من دار البقاء .

الذخائر : واشتدت العناية بما تبقى من آثار القديسين فلم تخلُ منها كنيسة من الكنائس . وقضى العرف في هـــذا القرن بان ينقل الى كل كنيسة مستجدة أثر من آثار القديسين الابرار تبركاً واستشفاعاً . ومما يروى من هذا القبيل انه عند تجديد بناء كنيسة الحكمة الالهيـــة في القسطنطينية بعد ثورة السنة ٥٣٢ نقلت اليها قطعة من الصليب المقدس وحجارة بئر السامرية وابواق اريحا وان البطريرك ميناس نقل في السنة ٥٤٧ الى كنيسة الرسل الاطهار بقايا القديس اندراوس. وقد سبقت الاشارة الى ما جرى من هذا القبيل في بعض كنائس الكرسي الانطاكي فلتراجع في محلها .

وعني الاباطرة عنايـــة كبيرة بجمع الذخائر وحفظها . فوضعت بلشيرية يد الشهيد الاول اليمنى في الكنيسة التي شيدت على اسمـــه في قصر القديس اسطفانوس في دفنة . وفي السنة ٥٧٤ نقلت قطعة من عود الصليب من ابامية الى القصر في القسطنطينية . ويروى عن يوستينوس الثاني انه اعتبر الذخائر افضل ما يهدي الى اصدقائه ولاسيما عود الصليب فأرسل شيئاً منـــه الى البابا والى الملكة راديغوند لدى دخولها الى الدير في بواتية في السنة ٥٦٩ (٢) .

الحج : وبـــدأ الاتقياء بزيارة الاماكن المقدسة في اوروشليم وبيت لحم والناصرة وغيرها من مقامات فلسطين منذ اوئل القرن الرابع . وتقاطروا زرافات

1) *Bréhie, L., Les Icones dans l'Histoire de l'Art, Mélanges Ouspensky, 1933, 150 - 173 ; Wulf et Alpatov, Denkmaeler der Ikonenmalerei, Dresden, 1925; Baynes, N. H., Idolatry and the Early Church, (Byzantine Studies, London, 1955), 116 - 134.*
2) *Ebersolt, J., Sanctuaires de Byzance, Paris, 1921.*

من جميع انحاء العالم المسيحي للوصول اليها والتضرع فيها وذلك لمناسبة عيد القيامة او عيد رفع الصليب . ولم يقتصر الحجاج في حجهم على زيارة هـذه الاماكن بل قصدوا غيرها في سورية ومصر . واشهر محجات الكرسي الانطاكي في هذا القرن مقام سمعان العمودي حيث قامت كنائس اربع حول صحن مخمس حوى في وسطه عمود سمعان (١) .

الاعمال الخيرية : وكانت الكنيسة قد عنيت منذ نشأتها بالفقير والمريض واليتيم وابن السبيل . فلما انتصرت على الوثنية وأصبحت كنيسة الدولة كثر دخلها واشتد ساعدها فتنوعت اعمالها وظهرت الملاجىء والمياتم والفنادق والمستشفيات. وقام بهذه الاعمال جميعها رهبان اتقياء وراهبات صالحات وارامل متعبدات.

وجاء يوستنيانوس فأحيى قانون السنة ٣٨٢ ومنع التسول (٢) . ثم اعتبر جميع المؤسسات الخيرية شخصيات معنوية قضائية فضمن اموالها وراقب اعمالها . وسمح للواقف او الاسقف ان يعين مدراءها ولكنه اوجب خضوعها للاسقف ومنح هذا حق التدخل في امورها وملاحقة مدرائها امام محكمته . وسمح لهؤلاء بحق الاستئناف امام مجلس المتروبوليت (٣) . وانشأ الامبراطور دائرة اوقاف رسمية اكليريكية وأصبح رئيسها الاورفانوتروفوس الاعظم مدير الاسعاف العام (٤) .

العلم والتعليم : واحتفظت الكنيسة الجامعة بحقها في تعليم المؤمنين قواعد الايمان فخلت جامعة القسطنطينية وغيرها من مؤسسات الدولة من اي كرسي لهذه الغاية . وظل تدريس اللاهوت وتوابعه منوطاً بالاساقفة ومن يستعينون به لهذا الغرض . وتابعت مدرسة انطاكية سيرها في هذا السبيل . اما مدرسة الرها فانها اقفلت بأمر من الامبراطور زينون سنة ٤٨٩ وانتقل اساتذتها الى داخل الحدود الفارسية واستقروا في نصيبين . ويرجح العلماء وجود المدارس في الاديرة ذلك ان

1) *Evagrius, Hist. Ecc., I, 14 ; Ebersolt, J., Monuments, 173 ; Diehl, C., Art Byzantin, I, 35 - 38 ; Leclercq, H., Dict. Arch. Chrét., Col. 2380 - 2388.*
2) *Code Justinien XI, 26 ; Novelle LXXX.*
3) *Novelles, CXXIII CXXXI.*
4) *Diehl, C. Justinien, 530.*

يوستنيانوس أوجب على الرهبان مطالعـة الاسفار المقدسة وتعاليق يوحنا الافسسي (١) .

والجدير بالذكر هنا ان آباء القرن السادس حذوا حذو سلفائهم رجال القرن الرابع امثـال باسيليوس الكبير فاطلعوا على المصنفات الكلاسيكية وغرفوا غير خائفين . وذهبوا الى ابعد من هـذا فاجازوا الاستعارة من مصنفات الوثنيين في بعض ما ورد من نقوش على انصاب القبور (٢) .

واشهر علماء هـذا القرن لاونديوس البيزنطي . ولد في القسطنطينية سنة ٤٨٥ وتلقى علومه فيها . وبعد ان زار رومـة في السنة ٥١٩ أم فلسطين ليقضي الباقي من حياته في دير القديس سابا . فدخل بعمله هذا في نطاق بحثنا لشدة أثر هذا الدير في الفكر الانطاكي . واهمية مصنفاته في تاريخ الفكر الكنسي تعود الى المحاولة التي قام بها للتوفيق بين العقيدة الارثوذكسية وفلسفة ارسطو . وكان من الطبيعي ان يبحث لاونديوس في النسطرة والطبيعة الواحدة وان يرد على الاثنتين. وهو اول من استعان باللفظ اليوناني *Enhypostasis* لتبيان العلاقة بين الطبيعتين في الابن (٣) .

وعاصر لاونديوس عـالم سرياني جنح الى القول بوحدانية الوجود هو اسطفان بار صوديلي . ولد في الرها في منتصف القرن الخامس ورحل الى مصر فقال ان كل طبيعـة مساوية في الجوهر للذات الالهية والجوهر الالهي . ومات ابن الصوديلي في السنة ٥١٠ (٤) .

وديونيسيوس الكاذب *Pseudo Dionysios* ذاك الـذي انتحل اسم ديونيسيوس تلميذ الرسول بولس واول اساقفة اثينة هو من كتاب هذا العصر ايضاً . ولد وثنياً في سورية الشمالية وقال بالافلاطونية الجديدة ثم تنصر وصنف

1) *Novelles, CXXXIII; Jean d'Ephèse, De Beatis Orientalibus, CIII, CYI.*
2) *Waltz, P., l'Inspiration Païenne et le Sentiment Chrétien dans les Epigrammes Funéraires du VI Siècle, Paris, 1931.*
3) *Bary, J. B., Later Roman Empire, II, 373 - 375 ; Ruegamer, Leontius Von Byzanz ; Tixeront, J., Dogmes, III, 4 - 9, 152 - 158.*
٤) البطريرك اغناطيوس برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص ٢١٦ – ٢١٧ ؛
Fotheringam, Stephen Bar Sudaili the Syrian Mystic and the Book of Hierotheos, Lyden, 1886.

ليربط التصوف باللاهوت فضل وأصل في الشرق والغرب معاً طوال الف سنة (١).

وأنجبت كنيسة انطاكيـة في القرن السادس محامياً ووالياً ومؤرخاً هو ايفاغريوس *Evagrios* الانطاكي. ولد في انطاكية في السنة ٥٣٦ وتلقى علومه فيها. واستوظف فعين في الماليـة في عهد طيباريوس وأصبح والياً في زمن موريقيوس. وعني بالتاريخ الكنسي فصنف كتباً ستة عالج فيها تاريخ الكنيسة منذ مجمع افسس في السنة ٤٣١ حتى السنة ٥٩٣ فأكمل اعمال سلفائه المؤرخين سقراط وسوزومينس وثيودوريطس. وتوفاه الله بعد السنة ٥٩٣ وقبل السنة ٦٠٠

واخيراً لا بد من الاشارة الى المؤرخ يوحنا ملالا *Malalas*. فانه أبصر النور في انطاكية ونشأ فيها. وكتب في تاريخ العالم منذ اقدم العصور حتى اوائل عهد يوستنيانوس او اواخره (٢) وذلك باللهجة اليونانية الدارجة «ليكون كتابه في متناول العامة من مدنيين واكليريكيين». وكتابه هـذا محشو بالترهات والمغالطات فقد جاء فيه، على سبيل المثال، ان قائداً رومانياً اسمه بيبلوس اسس بيبلوس على الساحل الفينيـقي فدعيت باسمه. ومن مغالطاته انه عطف على المونوفيسيين ومالأهم. ولكنه على ضعفه لا يخلو من الفائدة لكثرة اخباره وتنوعها ولشدة تاثيره على بعض المؤرخين المتاخرين (٣). ويستدل من تضاعيف هذا الكتاب ان معظمه دُوّن في انطاكية وان القسم الاخير منه فقط صنف في القسطنطينيـة. والقول انه من آثار البطريرك القسطنطيني يوحنا الثالث قول ضعيف (٤).

★

1) Bardy, G, *Autour de Denis l'Aréopagite*, Rech. Sc. Rel., 1931, 201 - 204; Echos d'Orient, 1932, 466 - 469; Stein, E., *Sur le Pseudo-Denis de Tel-Imahré*, Bas Empire, II, 827 - 831.
2) Bury, J. B., *Later Roman Empire*, II, 435.
3) Krumbacher, K., *Gesch. der Byz. Lit.*, 326; Olmstead, A.T., *Malalas*, Chicago Theol. Seminary Register, 1942, 22.
4) Stein, E., *Bas Empire*, II, 703-704.

الفصل الثامن والعشرون

فوقاس وهرقل

٦٠٢ — ٦٤١

وصول فوقاس الى الحكم: وتمرد الجند في خريف السنة ٦٠٢ وعبروا الدانوب بامرة فوقاس أحد ضباطهم واتجهوا نحو عاصمة الدولة. وكانت القسطنطينية خالية من الجند. فحشد موريقيوس متطوعة من سكان العاصمة ودفع بهم الى الأسوار. وكان قسم كبير من السكان قد سئم كبرياء الامبراطور وأساليبه الارستقراطية وجشع أصحاب الأملاك الكبيرة والأموال الوافرة الذين عززهم الامبراطور. فلما اقترب فوقاس والجند من العاصمـة شعر موريقيوس بتذمر الجمهور وخشي ممالأة ابنه ثيودوسيوس ونسيبه جرمانوس للجند فأمر بالقاء القبض على جرمانوس فنفر الشعب وأخلى المتطوعة مراكزهم على الأسوار ففر الامبراطور بعائلته عبر البوسفور الى نيقوميذية. فنادى الشيوخ والشعب في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ٦٠٢ بفوقاس امبراطوراً. فدخل هذا في اليوم التالي ناثراً الذهب نثراً. ثم وجه الى نيقوميذية من ذبح موريقيوس وعائلته ذبحاً.

هجوم الفرس: وكان موريقيوس قد كتب الى ابرويز شاه الفرس يستنجده. وسمع ابرويز ايضاً بالثورة التي أعلنها نرسيس القائد في السنة ٦٠٣ في الرها فرأى ان يستغل فرصة مناسبة. فزحف بنفسه الى الرها وحاصرها. ثم تغلب على الروم بين الرها ونصيبين في السنة ٦٠٤. وفي السنة ٦٠٥ سقطت دارا بيده فاتجه ابرويز نحو سورية وارمينيـة. واحتل قائده شاهين ارضروم *Theodosiopolis* وارمينيـة الصغرى في السنة ٦٠٥ — ٦٠٦ وغزا الاناضول فوصلت طلائع جيشه الى خلقيدونية في السنة ٦١٠. وقام قائد آخر اسمه شهربراز

فاحتل ماردين وآمد والرها والرقة . وفي السنة ٦١٠ أمسى الفرات الحد الفاصل بين الدولتين (١) .

فوقاس وكنيسة انطاكية : واتخذ فوقاس موقفاً حازماً من الشقاق الذي كان قد حل بكنيسة انطاكية بين المنوفيسيين اليعاقبة والارثوذكسيين ابناء الكنيسة الجامعة فأيد هؤلاء تأييداً تاماً . ومنع اجتماعات اليعاقبة وضيق على بطريركهم اثناسيوس الجمال في مقره في القبـــة بين حلب ومنبج (٢) . ولكن اليعاقبة تذامروا وتشجعوا فعقدوا اجتماعاتهم وتشاوروا . وتوافد رؤساؤهم على انطاكية واجتمعوا في احدى كنائسها فاضطرت السلطات ان تفرقهم بالقوة . فامتنعوا فاكرهوا اكراهاً وكثرت ضحاياهم (٣) .

ووصل الى انطاكيـــة في السنة ٦٠٨ انسطاسيوس بطريرك الاقباط المنوفيسيين واجتمع بزميله اثناسيوس الجمال . فخالف بعمله هـــذا أوامر الامبراطور واستهدف جزاءه . فنهض القائد بونوسيوس الى انطاكية وأمر بفض الاجتماع . فثار اليعاقبة في وجهه فأخضعهم بالقوة . وتناولت سيوف جنوده عدداً كبيراً منهم فكانت مجزرة مؤلمة (٤) .

ويقول ثيوفانس المؤرخ ان فوقاس رغب في تنصير اليهود فأمر بتعميدهم فثاروا في انطاكية فجرد بونوسيوس قوة عليهم فذبحهم تذبيحاً (٥) . ولكن كولاكوفسكي المؤرخ الروسي الذي بحث هذا الامر بحثاً دقيقاً يرى ان ثيوفانس يخلط في امر تعميد اليهود بين فوقاس وهرقل ويؤكد ان الذين ثاروا على فوقاس هم اليعاقبة لا اليهود . ويأخذ كولاكوفسكي برواية انطيوخوس القائد (٦). فيرى

1) *Diehl, C., Le Monde Oriental, Serie Glotz, 140-141.*
2) *Michel le Syrien, II, 375-377; Nau, F., Athanase, Dict. Hist, Géog. Ecc., IV, Col. 1363-1364.*
3) *Jean de Nikiou, (Zotenberg), 540.*
4) *Ibid.; Michel le Syrien, II, 378; Saint Theodore de Sykae, Acta Sanctorum, III, 66.*
5) *Theophanes, a. 6101.*
6) *Antiochus le Stratege, (Trad. Russe), Vizantijski Vremennik, 1914, 8-9.*

ان اليهود استغلوا الموقف فأ يدوا السلطات في نزاع سياسي بينها وبين الخضر فأوقعوا باليعاقبة خسائر في الارواح كبيرة (١) .

مصرع البطريرك الانطاكي : وتقدم الفرس واحتلوا في السنة ٦٠٨ ــ ٦٠٩ منبج وخلقيس وحلب . وكان فوقاس لا يزال منهمكاً في توطيد سلطتـــه فلم يعط الخضر شيئاً مما وعد . فقاموا عليه وأهانوه علانية في الهيبودروم . فأشتد النزاع بينهم وبين الزرق وعم معظم المدن الكبرى . وحدث مثل هذا في انطاكية فاستغل اليهود الظرفين الداخلي والخارجي وتـــدخلوا في مشادة الاحزاب في انطاكية فأوقعوا بالمسيحيين خسائر في الارواح جسيمة (٢) .

وكان انسطاسيوس الاول قد توفي في اواخر السنـــة ٥٩٨ فخلفه على كرسي الرسولين انسطاسيوس الثاني (٥٩٩ ــ ٦١٠) الراهب السيناوي المحامي . الذي نقل الى اليونانية مصنف البابا غريغوريوس *Regula Pastoralis* ، القوانين الرعوية ، فلما دخل الفرس الشهباء واشتد الضجيج في انطاكية استغل اليهود الظرف فيها وحاكموا انسطاسيوس الثاني محاكمة اعتباطية وتفننوا في تعذيبـــه واعدامه (٣) . ويقول برنيقيوس ان اليعاقبة دبروا المكيدةولكنه قول ضعيف(٤) ودبر اليهود تدبيراً مماثلاً في صور ولكن مطرانها أفسد عليهم الخطـــة فخسروا بدورهم خسارة كبيرة (٥) .

اللقب بطريرك المسكونة : وعظم قدر لاوون بابا رومة في منتصف القرن الخامس وارتفعت منزلة زميله ديوسقوروس بابا الاسكندرية واستوكف برهما فعظما باللقب « المسكوني » . ولعل اوليمبوس اسقف افازة *Evaza* هو أول من استعمل هذا اللقب . فانه خص ديوسقوروس به في مجمع التلصص في

1) *Koulakovsky, Critique du Témoignage de Théophanes sur les Dernières Années du Regne de Phocas, Istoria Vizantijski Vremennik, 1914, 1-14; Brehier, L., Rome et Const., Fliche et Martin, op. cit., V, 74-75.*
2) *Devresse, R., La Fin Inédite d'une Lettre de S. Maxime, Rev. Sc. Relig., 1937, 3-4.*
3) *Theophanes, Chron. a. 6101.*
4) *Pernice, Eraclio, 23; Duchesne, L., l'Eglise au VI, Siècle, 372-373.*
5) *Eutichios, Annales, Patr. Gr., Vol. 111, Col. 1084.*

افسس سنة ٤٤٩ (١) . وحذا حذوه ثيودوربس الشماس الاسكندري عندما خاطب لاوون لمناسبة المجمع الخلقيدوني في السنة ٤٥١ (٢) . وجاء مثل هـذا ايضاً في الرسالة التي وجهها رؤساء الأديار في القسطنطينية الى البابا اغابيتوس في السنة ٥٣٥ (٣) .

وأعلن زينون كتابه الاينوتيكون فأيده فيه اكاكيوس بطريرك العاصمة (٤٧٢ ــ ٤٨٨) واعترض سمبليكيوس بابا رومة فحل الشقاق بين الحبرين فاتخذ بطريرك القسطنطينية لقب بطريرك المسكونة وتبعه في ذلك خلفاؤه . وفي السنة ٥١٨ وجهت الأوساط الاكليريكية الانطاكية رسالة الى البطريرك القسطنطيني يوحنا الثاني (٥١٨ ــ ٥٢٠) فاعتبرته بطريركاً مسكونياً (٤) . وكتب هـذا البطريرك الى زميله الاوروشليمي ووقع متخذاً اللقب «البطريرك المسكوني» (٥).

وجاء يوستنيانوس بقوانينه وشرائعـه فاعتبر كل بطريرك قسطنطيني بطريركاً مسكونياً . وأشار الى حبر رومة بما يجوز تعريبـه هكذا : صاحب القداسة رئيس اساقفة المدينـة الاولى رومة وبطريركها *Sanctissimos Archispiscapus Almae Urbis Romae et Patriarcha* (٦) . وفي اعمال المجمع المسكوني الخامس ما يؤيد هذا كله فالاشارة الى بطريرك القسطنطينية مقرونة باللقب بطريرك المسكونة (٧) .

بيلاجيوس الثاني يحتج : وعلمت رومة بهذا كله فتغاضت عنه ولم تعره اهتماماً . ثم نشبت مشادة بين غريغوريوس الاول بطريرك انطاكيـة وبين استيريوس والي الشرق . فعقد بسبب هذه المشادة مجمع في القسطنطينية في السنة ٥٨٧ . وتألف هذا المجمع من اساقفـة ومطارنة وبطاركة وقضاة . وترأس

1) *Mansi, VI, Col. 855.*
2) *Mansi, VI, Col. 1005.*
3) *Mansi, VIII, Col. 895.*
4) *Mansi, VIII, Col. 1038.*
5) *Mansi, VIII, 1066 - 1067.*
6) *Code I, 1.*
7) *Gelzer, H., Der Streit uber den Titel des Aekumenischen Patriarchats, Iahrbucher fur Prot. Theol., XIII, 549 ff.; Vailhe, S., Le Titre de Patriarche Oecuménique, Echos d'Orient, 1908, 65 - 69.*

جلساتـه يوحنا الصوام بطريرك القسطنطينية . وخرج غريغوريوس نقي الثوب بريئاً (١) . ولكن بيلاجيوس الثاني بابا رومة (٥٧٩ ــ ٥٩٠) اعترض على عقد المجمع بدون علمـه وعلى اللقب « بطريرك المسكونة» الذي ورد في اعمال المجمع مقروناً باسم بطريرك القسطنطينية (٢) . وشدد بيلاجيوس على وكيله في عاصمة الدولة ألايشترك مع يوحنا ما دام مستمسكاً بلقبه . اما الصوام فانه لم يكترث لهذا كله ولم يعبـأ بتهديدات بيلاجيوس . فاكتفى بيلاجيوس بان شكا أمره الى زميليه الآخرين بطريركي الاسكندرية وانطاكية (٣) .

غريغوريوس يشدد النكير : وخلف بيلاجيوس على سدة رومـة غريغوريوس الكبير (٥٩٠ ــ ٦٠٤) . وكان ورعاً تقياً فرأى في أقدام زملائه القسطنطينيين على التلقب بالمسكوني خطراً يهدد وحدة الكنيسة فكتب الى يوحنا في السنة ٥٩٥ رسالة جاء فيها :

« أذكر ان سلام الكنيسة يشوش بترفعك الاحمق . فيا ايها الاخ الحبيب أحب من كل قلبك التواضع الذي يحفظ اتفاق جميع الاخوة ووحدة الكنيسة المقدسة الجامعة فانبولس لما سمع بعضاً يقولون انا لبولس وانا لابولس اضطرب من تجزئة جسم المسيح فصرخ ألعل بولس صلب لاجلكم او باسم بولس اعتمدتم ! » (٤) .

وتوفي الصوام في الثاني من ايلول من هذه السنة نفسها ٥٩٥ متميزاً بالصوم والتقوى والعلم والتصنيف محرزاً « بالتواضع رفعة وبالمسكنة غنى » (٥) . وتبوأ السدة القسطنطينية بعده كيرياكوس . فكتب رسائل السلام الى الكنائس وفي طليعتها كنيسة رومة القديمة . فأجابه غريغوريوس عنها مهنئاً . ثم كتب له ان يترك لقب « البطريرك المسكوني » اذا كان يرغب في السلام . وكتب الى وكيله سبنيانوس الا يخدم القداس معه ما لم يترك اللقب .

وكان غريغوريوس قد كتب الى انسطاسيوس بطريرك انطاكية في اذار

1) *Evagrius, Hist. Ecc., VI, 7; Mansi, IX, Col. 213-217.*
2) *Saint Grégoire, Reg. Greg. V, 44.*
3) *Bréhier, L., Rome et Const., op. cit., V, 64-65.*
4) *Jaffé-Wattenbach, 1352, 1357, 1360.*
5) *Orologion, Sep. 2.*

السنة ٥٩٣ يهنئه بالعودة الى السدة البطريركية بعد وفاة سلفه غريغوريوس ويهدي اليه مفاتيح الرسول (١). فلما بدأت المشادة بينه وبين يوحنا الصوام وجّه رسالتين احداهما الى انسطاسيوس والاخرى الى بطريرك الاسكندرية موجباً الابتعاد عن تلقيب احد بلقب رئيس كهنة مسكوني مؤكداً ان الامبراطور يخاف الله وانه لا يفعل شيئاً ضد الانجيل والقوانين متأسفاً ان يصبح يوحنا المتواضع متكبراً راجياً ابقاء الكنائس على ما كانت عليه وحفظ الاساقفة الخاضعين لهما من الفساد مختتماً بالعبارة : « فصلّوا من اجلي لكي توافق اعمالي اقوالي » (٢). وعلم موريقيوس بما تمكن من ألفة بين انسطاسيوس الانطاكي وبين غريغوريوس فطلب الى الحبر الانطاكي في السنة ٥٩٧ ان يبرّد غيظ حبر رومة ويسكّن غضبه. فكتب انسطاسيوس كتاباً لطيفاً الى صديقه غريغوريوس ورجاه الا يفسح المجال للشر وان يعود الى اللطف والملاينة. فلامه غريغوريوس على تهاونه وأطلعه على مضمون الرسائل التي تبودلت بينه وبين كيرياكوس (٣).

فوقاس واللقب المسكوني : وتمرّد فوقاس وذبح موريقيوس واولاده فالتجأت امهم قسطندية وبناتها الثلاث الى دير أقمن فيه. فطلب فوقاس الى البطريرك المسكوني تسليم البنات وامهن. فأبى كيرياكوس ووبّخ فوقاس على ظلمه (٤). وكتب غريغوريوس الى فوقاس مهنئاً متملقاً ثم توفي في السنة ٦٠٤ فخلفه سبنيانوس فمات بعد بضعة أشهر فتولى بونيفاتيوس الثالث. وتابع بونيفاتيوس سياسة التملق فأمر فوقاس في التاسع عشر من كانون الثاني سنة ٦٠٧ بأن تعتبر كنيسة رومة زعيمة جميع الكنائس *Caput omnium ecclesiarum* (٥). ثم منع كيرياكوس من استعمال اللقب المسكوني (٦).

الفتح الفارسي : (٦١١—٦١٤) وركل هرقلُ فوقاسَ برجله. ونادى

1) *Reg. Greg., I, 25.*
2) *Reg. Greg., V, 41.*
3) *Reg. Greg., VII, 24; Jaffé-Wattenbach, 1470.*
4) *Patrono, Conflitti, 72.*
5) *Doelger, Reg., XIII, 41; Jaffé-Wattenbach, 1906.*
6) *Liber Pontificalis (Duchesne), I, 316.*

الشيوخ بهرقل امبرطوراً. فكتب هرقل الى ابرويز يعلمه بالقصاص الذي انزله بفوقاس ويؤكد له ان اعادة السلم بين الدولتين أصبح ميسوراً. ولكن ابرويز لم يجب. وكانت جيوشه قد قطعت الفرات واحتلت قرقيسية عند مصب الخابور والرقة الى شماليها. ثم تقدم شهربراز وتوغل في سورية الشمالية فاحتل ابامية وانطاكية في ربيع السنة ٦١١. ثم زحف على حمص فاستولى عليها ودخل دمشق في السنة ٦١٣. وعاد هرقل الى المفاوضة فلم يفلح. فرأى ان يجابه الفرس في جبهتين في آن واحد. فأنفذ فيليبيقوس بجيش الى ارمينية وقام هو واخوه تيودوروس الى سورية الشمالية ليصدا ابرويز عن لبنان وفلسطين ومصر. فالتقى الجيشان واشتبكا حول في السنة ٦١٣ اسوار انطاكية. فدحر الروم وتراجعوا الى مداخل قيليقية فغلبوا فيها ايضاً واحتل الفرس طرطوس وقيليقية باكملها (١) وفي السنة ٦١٤ تابع الفرس زحفهم الى الجنوب بقيادة شهر براز وزحفوا من قيصرية فلسطين الى اورشليم وهي البلد المقدس عند اعدائهم. فحصروها عشرين يوماً ثم دخلوها عنوة فقتلوا جموعاً غفيرة من النصارى سبعة وخمسين الفاً واسروا خمسة وثلاثين الفاً واحرقوا الكنائس والقوا القبض على البطريرك زخريا واستولوا على عود الصليب وارسلوه الى فارس (٢). ولكنهم أبقوا على كنيسة المهد لما شاهدوا في فسيفسائها من تكريم للمجوس (٣). وكان شهربراز قد حالف اليهود على النصارى. فلما تم له ما أراد نفى من المدينة المقدسة جميع اليهود ثم أمر بترميم الكنائس. وفي ربيع السنة ٦١٧ عاد شهربراز الى الفتح فزحف على مصر وأدخلها في طاعة الشاه.

الفرس والكنيسة : واستعان ابرويز بالكنيسة الفارسية فاذخر عدداً من اساقفتها وقساوستها النساطرة والمونوفيسيين وألحقهم بجيشه الفاتح وأحلهم محل الارثوذكسيين حيثما حل. فخلت جميع الابرشيات الانطاكية الشرقية من اكليروس الكنيسة الجامعة. وشغر الكرسي الانطاكي بعد مقتل انسطاسيوس

1) *Pernice, Eraclio, 61-63.*
2) *Antiochus le Stratège, 9-15; Couret, La Prise de Jernsalem par les Perses en 614; Vincent et Abel, Jerusalem Nouvelle, II. 926-930.*
3) *Duchesne, L., Roma 1913, 283.*

الثاني مدة من الزمن . وجاء في تاريخ ميخائيل السرياني ان هـــذا الكرسي ظل شاغراً ثمانية وثلاثين عاماً (١) . ولكن جاء ايضاً في لائحة قسطنديوس البطريرك المسكوني ان غريغوريوس الثاني تولى من السنة ٦١٠ حتى السنـــة ٦٢٠ وان اثناسيوس الثالث خلفه حتى السنة ٦٢٨ ثم مقدونيوس حتى السنـــة ٦٤٠ فجاورجيوس حتى السنة ٦٥٦ (٢) . ويوافق هذا الترتيب درج الاسماء نفسها في لائحة الأرج الزكي (بعبدا ١٨٩٩) .

مجمع طيسفون : (٦١٤) وشقّت على ابرويز علة النصارى، وكانوا دخلوا في طاعته الوفاً الوفاً ، فتعهدهم برعايتـــه الشخصية ودعا رؤساءهم الى الاجتماع في قصره في طيسفون في السنة ٦١٤ للتداول والتشاور والاتفاق (٣) . فتوافدوا على العاصمة اساقفة و « فلاسفة » اي رهباناً . وكان بينهم فيما يظهر زخريا بطريرك اوروشليم الذي سيق الى طيسفون اسيراً . وترأس اجتماعهم بأمر الشاه كل من سمباد البغرتوني الارمني وطبيب الشاه . واشترك ابرويز في أعمال هذا المجمع بشخصه . وبحث المجتمعون قرارات مجامع نيقية والقسطنطينية وافسس وخلقيدونية . ويستدل من نص المؤرخ سيبيوس ان ابرويز تكلم في الطبيعـــة والطبيعتين وانه لم يوافق على موقف النساطرة فأمر باخراجهم من المجمع ثم أقر الأرمن في موقفهم وأصبح القول بالطبيعة الواحدة في نظر السلطات الفارسية قولاً مشروعاً (٤) .

هرقل الصليبي الاول : وكان هرقل قد استشفع الى العذراء في السنة ٦٠٩ عندما بدأ يستعد للحملة على القسطنطينية . فعاد اليها مستشفعاً في شتاء السنة ٦٢١ واعتزل الرياضة الروحية تأهباً للقيام بواجب مقدس : واجب الدفاع عن الدولة والكنيسة والدين . وفي الرابع من نيسان من السنـــة ٦٢٢ تقدم من المائدة المقدسة متناولاً جسد الرب ودمـــه . وفي الخامس من الشهر نفســـه دعا اليه كلا من البطريرك المسكوني سرجيوس والحاكم بونوس والشيوخ وكبار

1) *Duchesne, L., l'Eglise au VI Siècle, 371-375.*
2) *Neale, J. M., History of the Holy Eastern Church, 167.*
3) *Sebeos, 113-116.*
4) *Marquart, Osteuropaeische und Ostasiatische, Streifzuge, Leipzig, 1903.*

الموظفين والوجهاء والاعيان والتفت الى البطريرك وقال : « اني اعهد الى الله والى والدته واليك بهذه المدينة وبابني من بعدي » وبعد الصلاة في كنيسة الحكمة الالهيـــة والابتهال والتوسل تسلم ايقونة السيد المخلص وأقلع بجنوده الى خليج نيقوميذية ثم الى غلاطية وقبدوقية لاكمال التعبئة والتموين . ومن هنا القول ان هرقل اول الصليبيين .

وقام هرقل بحركة التفاف واسعة النطاق واتجـــه بجيشه شرقاً مهدداً مواصلات العدو في آسية الصغرى وطرق تموينه . فحاول شهربراز ان يصرف هرقل عن خطتـــه فغزا قيليقية . ولكن هرقل لم يعره انتباهاً . فاضطر القائد الفارسي ان ينقلب الى الشرق ليحول بين هرقل وهدفه . وتواقع الخصمان في ارمينية في السنة ٦٢٢ فدارت الدائرة على الفرس وسجل هرقل نصراً مبينـــاً . وانسحب الفرس من قبدوقية والبونط . وعاد هرقل الى القسطنطينية لينظر في أمر الآفار . وفي ربيع السنة ٦٢٣ استأنف الهجوم في الشرق فقطع ارمينية واحتل دوخان ونشقفان ثم توغل في اذربيجان واتجه نحـــو تبريز (كنزاكه) ليفاجيء ابرويز في قصره فيها . ففرّ ابرويز من المدينة ودخلها الروم فأحرقوا معبدها الكبير وتعقبوا الفرس الهاربين وهم ينهبون ويدمرون . ثم رجع هرقل خوفاً من حركة التفافيـــة خشي ان يقوم بها شهربراز او شاهين او الاثنان معاً . وبانتصاراته هذه تسنى لهرقل ان يستمد من شعوب القوقاس المسيحية ما عبأ به الصفوف . وكرّ كرة اخرى الى الميـــدان في السنتين ٦٢٤ و٦٢٥ فضرب شهربراز عند بحيرة وان ثم ضربه في قيليقية عند نهر ساروس . فاضطر القائد الفارسي ان يتراجع الى الشرق . وعدل هرقل الى البونط لتمضيـــة فصل الشتاء . ثم نوى ان يتحرك من البونط بجيش عظيم في السنة ٦٢٦ ليستأنف انتصاره على الفرس ولكن تقدم الآفار في البلقان وحصارهم القسطنطينيـــة اضطراه ان يؤجل قصده هـــذا حتى السنة ٦٢٧ . وفي صيف السنة ٦٢٧ قام الخزر حلفاء هرقل بحصار تفليس وهبّ هو الى محاربة ابرويز فانحدر الى وادي الزاب ونازل خصمه في الثاني عشر من كانون الأول عند اطلال نينوى فأوقع به هزيمة شنعاء . ثم عبر الزاب متجهاً شطر طيسفون عاصمة الفرس فاحتل

المقر الملوكي في دستجرد وانتزع منه ثلاث مئة لواء رومي كان الفرس قد استحوذوا عليها في انتصارات سابقة وأطلق سراح الوف من الاسرى . ولما كان جيش شهربراز لا يزال كاملا سالماً وكانت خطوط الدفاع عن طيسفون قوية منيعة آثر هرقل التربص لعدوه في تبريز فقطع جبال الزاغروس في ابان الشتاء وبلغ الى تبريز سالماً في الحادي عشر من آذار سنة ٦٢٨ .

وكان شيرويه ابن ابرويز قد تمرد على والده وتسنم العرش في الثامن والعشرين من شباط من السنة ٦٢٨ فكتب الى هرقل يطلب الصلح . فصالحه الامبراطور على شروط أهمها : العودة الى الحدود القديمة واطلاق الاسرى وارجاع الصليب المقدس . وقبل شيرويه بهذه الشروط فاتصل هرقل بشهربراز لتنفيذها وكان هذا القائد لا يزال مستولياً على شطر وافر من املاك الروم في آسية — وبعد مفاوضات طويلة اجتمع هرقل وشهربراز في ارابيسوس في آسية الصغرى في حزيران من السنة ٦٢٩ . وعرف هرقل كيف يحدث شهربراز عما كان يراود نفس هذا القائد . وكان شهربراز يطمع بعرش الفرس فعلّله هرقل بالأمل فأسرع القائد الى تنفيذ المعاهدة وأجلى جيوشه عما كان يحتله من اراضي الروم .

الصليب المقدس : وجاء في تاريخ انطيوخوس القائد ان أبرويز أودع الصليب زوجته المسيحية فحفظته في مكان امين في طيسفون (١) . وجاء لميخائيل المؤرخ السرياني ان الفرس سلّموا الصليب المقدس الى الروم في منبج وانه نقل منها الى حلب فحمص فدمشق فطبرية وان هرقل نفسه تسلمه في طبرية وقام به الى اوروشليم (٢) . وجاء لسيبيوس ان هرقل أدخل الصليب الى المدينة المقدسة في موكب باهر الجلالة ظاهر الابهة ملأت هيبته الصدور وتخشعت امامه العيون (٣) . ويضيف ثيوفانس ان هرقل أمر بأخراج اليهود من المدينة قبل

1) *Antiochus le Stratège dans Koulakovsky, op. cit., 38.*
2) *Michel le Syrien, II, 427.*
3) *Sebeos, 90-91.*

وصوله اليها وان البطريرك زخريا اشترك في هذا الموكب المهيب (١) . وتدل القرائن والنصوص ان وصول هرقل الى اوروشليم تمّ في الحادي والعشرين من اذار سنة ٦٣٠ وان الاحتفال برفع الصليب الى مكانه جرى في يوم الاحد التالي (٢) .

الاكاثيسطون : (٦٢٦) وفي السنة ٦١٧ عبر الدانوب جمع غفير من الصقالبة ناقلين معهم عيالهم وامتعتهم فانتشروا في البلقان وجزر ايجه وشواطىء آسية وعاثوا في البلاد فساداً وطوقوا تسالونيكية وحصروها شهراً كاملاً . ولم تكد تنجلي المحنة وينقضي عامان حتى كرّ الصقالبة كرةً اخرى جارين وراءهم الآفار . وما زالوا حتى بلغوا الى ضواحي القسطنطينية . فنهبوا ودمروا واحرقوا وسبوا . ولم يتراجعوا الا بعد ان زاد لهم هرقل الاتاوة .

وقضت الحرب الفارسية بتغيب الامبراطور عن العاصمة ثلاث سنوات متتالية . فعاد الآفار الى سابق سيرتهم وارادوا هذه المرة اقتحام العاصمة نفسها في السنة ٦٢٦ . وتقدم الفرس في الحرب حتى خلقيدونية فنكث خاقان الآفار بعهده واندفع بجموعه الى اسوار العاصمة . وكان الامبراطور قد أقام البطريرك المسكوني سرجيوس وصياً على ابنه ونائبه في الحكم . فهب البطريرك بفصاحته وشجاعته يثير الهمم ويشدد العزائم فيطوف العاصمة بالشعائر الدينية ويعلو بنفسه الاسوار ومعه ايقونة المخلص وايقونة العذراء . فأصبح على تعبير احد المعاصرين خوذة العاصمة ودرعها وسيفها . ويقول معاصر آخر : « ان البطريرك ما فتىء يواجه قوات الظلمة والفساد بايقونتي المخلص والعذراء حتى ادب في قلوبهم الرعب والخوف فكانوا كلما عرض البطريرك من الأسوار ايقونة الشفيعة حامية العاصمة أعرضوا هم عن النظر اليها » (٣) .

وجمع الفرس اسطولاً وحاولوا الوصول الى الشاطىء الاوروبي عبر البوسفور ولكنهم اخفقوا لان مراكب الروم بددت شملهم عند القرن الذهبي

1) *Theophanes, Chron., a. 6020.*
2) *Vincent et Abel, op. cit., 191, 205.*
3) *Pisides, G., Bell. Acaricum, V, 371.*

« فصبغت المياه بدمهم وغطت البحر بجثثهم » . وانقض خاقان الآفار بجموعه على الاسوار لآخر مرة في العاشر من تموز فارتد خائباً وهو يقول : « اني رأيت امرأة متوشحة بأثمن الاثواب تطوف الاسوار من اولها الى آخرها » !

وهكذا نجت العاصمة من هذا الخطر المداهم فعزا سكانها انتصارهم على الفرس والآفار الى السيدة العذراء حامية المدينة وشفيعتها . ونظم البطريرك سرجيوس تسبيحته الشهيرة الاكاثسطون التي لا تزال نرددها ونرنمها باللحن الرابع حتى يومنا هذا مساء كل جمعة من الاسابيع الخمسة الاولى من الصوم الكبير :

اني انا مدينتك يا والدة الاله
أكتب لك رايات الغلبة يا جندية محامية
واقدم لك الشكر كمنقذة من الشدائد
لكن بما ان لك العزة التي لا تحارب
اعتقيني من صنوف الشدائد
حتى اصرخ اليك
افرحي يا عروساً لا عروس لها (١) .

والأكاثيسطون لفظ يوناني معناه « الذي لا يجلس فيه » اي انه لا يجوز الجلوس عند تلاوته . وقد اختلف العلماء رجال الاختصاص اختلافاً كبيراً في الناظم وتاريخ النظم . فقال بعضهم ما قلناه اعلاه (٢) وقال آخرون غير ذلك فأرجأوا النظم حتى ايام لاوون الثالث (٧١٧ ــ ٧٤١) ولم يعينوا الناظم (٣) . ولمس غير هؤلاء تشابها شديداً بين هذا المديح وبين بعض ما ورد للقديس افرام السرياني فقدموا النظم حتى القرن الرابع وقالوا باضافة ابيات اليه تعبر عن النصر عند القسطنطينية (٤) .

تنصر اليهود : وكانت قلوب اليهود قد دمنت على رومة منذ خراب اوروشليم وتشتيت الشمل فجاشت صدورهم عليها بالغل . فلما تنصرت الدولة

1) *Orologion.*
2) *Diehl, C. et Marçais, G., le Monde Oriental, 148; Krumbacher, K., Gesch. der Bys. Lit., 671-673; Baumstark, Bys. Zeit, 1907, 656-658.*
3) *Brehier, L., Vie de l'Eglise, Fliche et Martin, op. cit., V, 496-497.*
4) *Krypiakiewicz, P. F., De Hymne Acathisti, Byz. Zeit., 1909, 357-382.*

الرومانية وأصبحت النصرانية دينها الرسمي اضمر اليهود العداوة للدولة وخاتلوا (١) . وكان ما كان من أمر الفوضى في عهد فوقاس فنصب اليهود الحبائل الخفية وضربوا النصارى ضربات مؤلمة وعاونوا الفرس على الفتح (٢) .

وقد سبقت الاشارة الى موقف يوستنيانوس من اليهود فلتراجع في محلها. واذا جاز لنا اعتماد رواية انفرد بها راو واحد قلنا مع اغابيوس المنبجي ان موريقيوس طرد اليهود من انطاكية (٣) . ولا يجوز القول مع ثيوفانس كما سبق واوضحنا ، ان فوقاس أمر بتعميد اليهود (٤) .

وبدا لهرقل من اليهود ما دعا الى التحذر من كيدهم وأوجب التيقظ من مكرهم ولكنه لم ينكر عليهم افعالهم ولم يظهر لهم سؤ صنيعهم الا بعد انتهاء الحرب الفارسية . فقد جاء في تاريخ سيبيوس الارمني انه عند انتهاء الحرب الفارسية جاء ثيودوروس اخوهرقل بجيشه الى الرها وحاول الدخول اليها فمنعه يهودها فحاصرها وكاد يفتك بهم لولا تدخل هرقل وأن الامبرطور أمر بخروجهم من المدينة ففروا من وجهه والتجأوا الى عرب البادية (٥) . وقام هرقل الى فلسطين معيداً الصليب المقدس ووصل الى طبرية فحل ضيفا على بنيامين اليهودي احد وجوه البلدة ثم استنكف لما علم ان هذا اليهودي الكبير اشترك في اضطهاد النصارى فخرج من بيته واستقر عند افستاثيوس النابلسي المسيحي وأكره بنيامين على التنصر ففعل (٦) .

وجاء في حوليات افتيخيوس ان يهود الجليل اوفدوا الى طبرية من رحب بالامبراطور المنتصر وقدموا له الهدايا وطلبوا الامان فأمنهم ببرآءة رسمية حملت الخاتم الامبراطوري (٧) . ولكنه بعد ان دخل المدينة المقدسة أبعد اليهود

1) *Chapot, La Frontière de l'Euphrate, 22-23; Pargoire, J., L'Eglise Byzantine, 172-174.*
2) *Andreades, Les Juifs dans l'Empire Byzantin, Annuaire, de la Soc. des Etudes Byzant., 1929, 23 ff.*
3) *Agapius de Maboug, Patr. Or., VIII, 3.*
4) *Theophanes, Chron., a. 6101.*
5) *Sebeos, 94-95.*
6) *Theophanes, a. 6120.*
7) *Eutychius, Annales, Pat. Gr., Vol. 111. Col. 1089-1090.*

عنها الى مسافة ثلاثة اميال احتراماً للصليب المقدس (١). وجاء في حوليات افتيخيوس ايضاً ان نصارى اوروشليم رووا لهرقل ما انزله بهم يهود المدينة من تعذيب وتقتيل وان رهبان المدينة المقدسة حضوا الامبراطور على التنكيل باليهود جزاء ما فعلوا فأمر بهم فذبحوه. ولكنه قول ضعيف لا يجوز الأخذ به (٢).

وظل الامبراطور آخذاً بقانون يوستنيانوس في معاملة اليهود حتى السنة ٦٣٤. وفيها زحفت القبائل العربية على فلسطين فلم يقو سرجيوس على الصمود في وجهها فتراجع امامها. وما كاد يبدأ بالانسحاب حتى تطوع اليهود لخدمة العرب. فتجسسوا لحسابهم ونقلوا اليهم المعلومات الضرورية. وسمسروا لهم فاشتروا منهم ما غنموا من مال ومتاع واسرى (٣). ومما يروى من هذا القبيل انه عندما استولى العرب على جزيرة رودوس اسقطوا صنمها المشهور، احدى العجائب السبع، فتقدم اليهود منهم وابتاعوا نحاس الصنم (٤).

فامتلأ هرقل غيظاً وثار ثائره فأصدر في السنة ٦٣٤ امراً عاماً بوجوب تنصير اليهود اينما كانوا وحيثما حلوا (٥). وارسل الرسل الى ملوك الافرنج والقوط مبيناً الضرر من بقاء اليهود على دينهم موجباً تنصيرهم بالقوة (٦).

فعل واحد ومشيئة واحدة: وأدى استيلاء الفرس على ارمينية وسورية ولبنان وفلسطين ومصر وبقاؤهم فيها خمس عشرة سنة الى اضطهاد أبناء الكنيسة الجامعة لعلاقتهم بالقسطنطينية وتمسكهم بعقائد الكنيسة الجامعة كما كان طبيعياً ان يؤدي ذلك الى تنشيط اليعاقبة وكل من قال بالطبيعة الواحدة. والواقع انه لما عاد هرقل الى هذه الاقطار وجد ان جميع البطاركة هم من أتباع الطبيعة الواحدة. فعاد الى معالجة هذا الانشقاق في الكنيسة لتوحيد الكلمة وجمع الصفوف خصوصاً لأن الأخطار كانت لا تزال تحيط بالامبراطورية وتهدد كيانها.

1) *Theophanes, Chron. a. 6120.*
2) *Eutychius, Annales, Pat. Gr., Vol. 111, Col. 1089-1090.*
3) *Jean de Nikiou, op. cit., 569-575; Theophanes, Chron., a. 6135, 6145.*
4) *Sebeos, XXX; Les Méfaits des Juifs, Trad. Macler, 102-103.*
5) *Michel le Syrien, op. cit., II, 414-417.*
6) *Doelger, Reg. 207; Fredegaire, IV, 95; Gesta Dagoberti, XXIV; Leclercq, H., L'Espagne Chrétienne, 342 - 344; Bardy, G., Trophées de Damas, Introduction, Patr. Or., XV.*

وكان طبيعياً ايضاً ان يشعر البطريرك سرجيوس صديق هرقل الامين بالضعف الذي نجم عن هذا الاختلاف في العقيدة ذلك بان البطريرك كان سوري المولد يعقوبي النشأة (١) وانه كان يمارس الحكم ويطلع على خفايا الامور في اثناء الحرب الفارسية.

ويرى بعض الباحثين ان القول بفعل واحد *Energeia* كان قد بدأ في مصر في بعض الاوساط القبطية منذ اوائل القرن السابع وان القول بالطبيعة الواحدة جرّ هؤلاء الى القول بالفعل الواحد. وكان افلوغيوس بطريرك الاسكندرية الارثوذكسي قد حارب هذا القول بشدة وحزم (٢).

فلما تسلّم هرقل ازمة الحكم وبدأ التعاون بينه وبين سرجيوس البطريرك المسكوني تراءى لهذا انه بامكانه ان يجد مخرجاً سليماً من الأزمة اللاهوتية المستحكمة ووسيلة لتوحيد الصفوف. فقال بالطبيعتين مع آباء المجمع الخلقيدوني ولكنه خرج من القول باقنوم واحد الى القول بفعل واحد. وادعى ان سلفه ميناس قال قوله من قبل في رسالة وجهها الى زميله فيجيليوس بابا رومة (٣).

ولا يخفى على اي ارثوذكسي ان هذا القول لا يتفق والعقيدة الصحيحة. فالمسيح في نظرنا اله كامل وانسان كامل. وطبيعته البشرية لا يمكن ان تكون كاملة وهي ناقصة الارادة والفعل. وبالتالي فالقول بالطبيعتين يلزمه الاعتقاد بالفعلين والمشيئتين باتحاد وبلا انفصال. فيسوع لم يرد ولم يفعل شيئاً من حيث هو اله فقط ولا من حيث هو انسان فقط بل كاله وانسان معاً بدون اختلاط او انقسام.

وهام سرجيوس في اودية الضلال. وجرّه القول بالفعل الواحد الى القول بالمشيئة الواحدة. وليّن ومهد في مصر اولا فاتصل في بادىء عهده بفرقها الضعيفة الصغيرة بالهرمسيين والاكيفاليين وبث الدعاية بينهم. فوافقه بعضهم فاضطر الراهب انسطاسيوس السيناوي ان يرد عليه بين السنة ٦١٥ والسنة ٦٣٠

1) *Teophanes, Chron., a. 6121.*
2) *Bardenhewer uber Trinitat und Incarnation. Theol. Quart., 1896.*
3) *Mansi, XI, Col. 225, 528.*

مبيناً ضلاله وذلك في كتابه « المرشد » *Hodegos* (١) . واتصل سرجيوس في السنة ٦١٥ بثيودوروس اسقف فارانة *Pharan* سيناء وأوضح له رأيه فقال ثيودورس قول البطريرك المسكوني وأم القسطنطينية لزيادة البحث والتنقيب(٢) وفي السنة ٦١٧ قبل الدعوة الجديدة جاورجيوس أرساس رئيس فرقة البولسيين . واراد البطريرك الاسكندري يوحنا الرحوم ان يعاقب جاورجيوس على ضلاله فلم ير الى ذلك سبيلا لدخول مصر في طاعة الفرس (٣) .

ولما كانت السنة ٦٢٣ التقى هرقل في ارمينية ببولس اسقف الارمن في قبرص فتحدث اليه في رأي سرجيوس . وأرسل سرجيوس الى بولس نص رسالة ميناس الى فيجيليوس . وكتب هرقل الى اركاديوس متروبوليت قبرص محذراً التعليم بالمشيئتين (٤) . وفي السنة ٦٢٦ انتهز هرقل فرصة اقامته في لازقة ففاوض كيروس *Cyrus* اسقف فاسيس في بلاد الاكراد ونصح اليه ان يكتب الى سرجيوس . فقبل كيروس وكتب الى سرجيوس (٥) فأجابه هذا (٦) بانه وجد بين رسائل احد اسلافه ميناس رسالة وجهها الى فيجيليوس بابا رومة اشار فيها الى فعل واحد ومشيئة واحدة (٧) . وأضاف انه لا يعرف احداً من الآباء يؤيد القول بالمشيئتين . وهكذا قال كيروس بالمشيئة الواحدة .

مؤتمر منبج : وسر هرقل بكيروس وازداد شجاعة . ودخل الرها في السنة ٦٣٠ واخرج النساطرة من كتدرائيتها وحولها الى اليعاقبة . وفي يوم الميلاد أم هذه الكنيسة للصلاة وتقدم من المائدة المقدسة . فامتنع الاسقف اشعيا عن مناولة الامبراطور مشترطاً رفض طومس لاوون وقرارات المجمع الخلقيدوني . فغضب هرقل وطرد الاسقف واستعاض عنه بغيره (٨) . وفي اثناء وجوده في

1) *Patr. Gr. Vol. 89, Maspero, J., Patriarches d'Alexandrie, 336-339.*
2) *Eckenstein, Lina, Hist. of Sinai (1921), 131.*
3) *Maxime le Confesseur, P. G., XCI, Col. 332.*
4) *Hefélé—Leclercq, op. cit., III, 333-334.*
5) *Mansi, XI, Col. 525-627.*
6) *Mansi, XI, Col. 560.*
7) *Jean de Nikiou, op. cit., 520-521.*
8) *Michel le Syrien, II, 411-412.*

الرها فاوض هرقل اثناسيوس الجمال بطريرك اليعاقبة في أمر المشيئة الواحدة (١) وأشار على سرجيوس ان يكتب اليه ايضاً (٢) .

ثم رأى الامبراطور ان يتصل بالجمال . فالتقيا في منبج في اثناء السنة ٦٣١ واصطحب الجمال اثني عشر اسقفاً بينهم اشعيا بطل رواية الرها . وتفاوض الكبيران فاعترف الامبراطور ببطريركية اثناسيوس على انطاكية مقابل اعتراف البطريرك بالجمع الخلقيدوني . فقبل الجمال . ثم استدعى الامبراطور كيروس وطلب اليه ان يوضح قضية المشيئة الواحدة ففعل فقال البطريرك قول كيروس وتبعه في ذلك عدد من الاساقفة والرهبان . وظل اثناسيوس بطريركاً على انطاكية وحده حتى وفاته في السادس والعشرين من تموز سنة ٦٣١ (٣) .

وروى ابن العبري اليعقوبي عن ديونيسيوس التلمحري ما ترجمته : واذ بلغ الملك (هرقل) الى منبج مثل لديه البطريرك اثناسيوس ومعه اثناعشر اسقفاً . وطلب منهم جميعا صورة ايمانهم . واذ تلاها اوسعها مدحاً ولكنه لم يغفل عن تكليفهم بقبول المجمع الخلقيدوني واذ أبوا غضب الملك عليهم وكتب الى كل المملكة ان من لا يسلم بالمجمع الخلقيدني يجدع أنفه وتصلم اذناه ويؤخذ بيته (٤) . وهو قول ضعيف لا يقبله الثقاة (٥) .

وجاء الى الجزيرة كاثوليكوس الارمن ازر فقابل الامبراطور فيها وبحث معه أمر المشيئة الواحدة فقال بها . ثم تناولا معاً وعاد الكاثوليكوس الى أسز يبشر بالعقيدة الجديدة (٦) .

رهبان بيث مارون : وانتقل هرقل من الجزيرة الى سورية الشمالية فزار انطاكية ولم يعين خلفاً لاثناسيوس الجمال (٧) . ثم قصد المدن والاديار فاستقبل

1) *Ibid., II, 402-403.*
2) *Doelger, Regesta, 204.*
3) *Chronica Minara, Scryptoirs Syri, 112.*
4) *Michel le Syrien, II, 411-412; Bar-Hebraeus, Chron. Ecc., I, Col. 261-275.*
5) *Duchesne, L., L'Eglise, au VI Siècle, 497; Brehier, L., La Nouvelle Crise Relig., Fliche et Martin, op. cit., V, 115-116.*
6) *Doelger, Reg. 203; Sebeos, op. cit., 91 - 92; Laurent, J., L'Arménie entre Byzance et l'Islam, 137.*
7) *Chronica Minora, op. cit., 112.*

فيها استقبالا حسناً حافلا . ولدى وصوله الى حمص هرع رهبان بيت مارون الى الترحيب بقدومه فأكرم وفادتهم وأقطعهم أراضي واسعة (١) . وقبلوا دعوته فيما يظهر وأيدوه . وكيف لا يؤيدونه وهو الملك وهم الملكيون « ولو شاؤوا لجابهوا المبتدعين (اليعاقبة) بالشدة لا باللين . ولكن بما ان الملك أخذ باللين فهل على الملكيين الا السير على الخطة عينها! » (٢) ومن هنا قول ميخائيل السرياني: « اما رهبان الموارنة في منبج وحمص وفي البلدان القبلية فقد أظهروا كيدهم . وقبل المجمع عدد كبير منهم واستولوا على أكثر الكنائس والاديار » (٣) والمجمع المشار اليه في هذا النص هو المجمع الخلقيدوني عقدة العقد في نظر ميخائيل واليعاقبة . والمعنى المقصود هو ان رهبان دير القديس مارون قبلوا الحل الذي حمله هرقل اي قبلوا القول بالطبيعتين مع المجمع الخلقيدوني وبالمشيئة الواحدة مع سرجيوس وهرقل (٤) فأظهروا كيدهم واستولوا على أكثر الكنائس والاديار . ولا يخفى ان رهبان القديس مارون كانوا قد قبلوا قرار المجمع الخلقيدوني منذ ظهوره وانهم كانوا قد ضحوا في سبيل هذا القبول ثلاث مئة وخمسين راهباً شهيداً (٥) . فاذا كان ميخائيل يعني بنصه هذا ان رهبان القديس مارون قبلوا القول بالطبيعتين فقط يصبح ترحيبهم بهرقل في حمص ضرباً من المجاملة لا يستحق « اقطاع الاراضي الواسعة » ولا يخولهم « الاستيلاء على أكثر الكنائس والاديار » فهرقل اراد تسوية واسعة وتوحيد الصفوف فعرض القول بمشيئة واحدة وبطبيعتين لاسترضاء اليعاقبة والارمن والاقباط .

ولا يجوز « الجزم في شيء مما تقدم ذكره لأن جميع مراجعنا متأخرة . فديونيسيوس التلمحري الذي أخذ عنه ميخائيل السرياني من أعيان القرن التاسع (٨١٥ ــ ٨٤٥) وقد ضاع مصنفه ولم يبق منه سوى ما اختصره ميخائيل السرياني وغيره . وميخائيل هذا ولد في ملاطية سنة ١١٢٦ وترهب في دير مار برصوم

1) *Eutichius, Annales, Patr. Gr., Vol. 111, Col. 1039.*
2) *Doumit, Mgr. M., Les Maronites, 5.*
3) *Michel le Syrien, op. cit., II, 412.*
4) *Brehier, L., La Nouvelle Crise, Fliche et Martin, op. cit., V, 116.*
5) *Dib, Mgr. P., L'Eglise Maronite, 51-61.*

وسيم بطريركاً على اليعاقبة في السنة ١١٦٦ وتوفي في خريف السنة ١١٩٩ . وافتيخيوس هو سعيد ابن البطريق بطريرك الاسكندرية منذ السنة ٩٣٣ حتى السنة ٩٤٠ . واذا كان لا يجوز الجزم في صحة هذه الروايات « المستلقة المتآلفة » فانه لا يجوز ايضاً اغفالها جميعها او بعضها كما فعل بعض الآباء الأحبار وغيرهم ممن عُني بتاريخ الموارنة . وسنعود الى هذا عند الكلام عن ظهور بطريركية مارونية مستقلة .

فارس وارمينية ومصر : وليس من العلم بعد هذا كله ان نقول مع المطران يوسف دريان (١٣٧) « انه لم يكن للمونوثيلية اثر بشكلها المعروف في كل سورية قبل الفتح العربي وانه لم يبقَ مجال لدخولها بعد الفتح » . وقد يفيد هنا ان نذكر اندفاع احد اساقفة دمشق في سبيل هذه المونوثيلية نفسها وذهابه الى فارس قبل الفتح العربي للتبشير فيها بالحل الجديد (١) . فانه بينما كان هرقل لا يزال في حلب مثل امامه وفد فارسي مؤلف من الكاثوليكوس وبعض الأساقفة وبين للأمبراطور اسس الايمان في فارس فرضي الامبراطور واشترك مع الوفد في الصلاة والمناولة (٢) . واكمل هرقل جولته في سورية وعاد الى الجزيرة فعلم في الرها ان الأوساط الأرمنية لا تجمع على تأييد الكاثوليكوس في موقفه الجديد من المجمع الخلقيدوني فأوعز الأمبراطور الى الكاثوليكوس ان يدعو الاساقفة الى مجمع جديد يبت في الأمر . فاجتمع الاساقفة في كارين (ارض روم) في السنة ٦٣٣ و كرروا تأييدهم لرئيس كنيستهم (٣) .

واستغل المونوفيسيون في مصر الظرف الفارسي فاستأثروا بقيصرية الاسكندرية وجلس بطريركهم فيها . وسيم جاورجيوس بطريركاً على الاسكندرية في السنة ٦٢١ ولكنه لم يتمكن من الوصول فبقي في القسطنطينية وتوفي فيها في السنة ٦٣١ . وأعجب هرقل بمواهب كيروس وباندفاعه في سبيل الفعل الواحد والمشيئة

1) *Bar Nebraeus, op. cit., II, 110.*
2) *Thomas de Marr, The Book of Governors, II, II, 124 - 126; Labourt, Le Christianisme dans l'Empire Perce, 242-243.*
3) *Patr. Gr., Vol. 132, Col. 1251; M., The Church of Armenia, (London, 1955), 33.*

الواحدة فجعله بطريركاً ووالياً على مصر (١) . وما كاد يصل اليها في خريف السنة ٦٣١ حتى فرّ بنيامـــين بطريرك المونوفيسيين واختبأ (٢) . فخـــلا الجو لكيروس فكتب اعترافاً بايمانه بالمشيئة الواحدة ودعا المونوفيسيين للموافقة عليه. فقبـــله السويريون فوراً فلاينهم البطريرك . ورفضه اليوليانيون فضيق البطريرك عليهم . ففروا واستشرفوا في حركة الفتح الاسلامي نوعاً من الانقاذ (٣) .

البطريرك صفرونيوس : وكانت كنيسة دمشق قد انجبت شاباً غيوراً مؤمناً مندفعاً هو صفرونيوس العظيم . وكان صفرونيوس قـــد تعلم البيان وعلمه واتخذ لنفسه لقب الحكيم . ثم قـــدم النذر في الاسكندرية ولبس الاسكيم فيهـــا والتحق باحـــدى رهبانياتها . ووضع مواهبه بعد ذلك تحت تصرف بطاركتها المستقيمي الرأي فعـــاون كلاً من افلوغيوس وثيودوروس ويوحنا الرحوم في سعيهم لهـــدي المونوفيسيين . ولدى وصول الفرس الى مصر خرج صفرونيوس منها واتجه نحو قرطاجة ورومة . ثم عاد الصليب الى اوروشليم فعاد صفرونيوس الى الشرق الى فلسطين نفسها وانعكف متأمـــلاً في دير القديس ثيودوسيوس بالقرب من بيت لحم .

وقُدر لكيروس ان ينجح في مصر ، كما سبق وأشرنا ، فذاع خبر نجاحه في فلسطين وعم الاوساط الرهبانية وطرق مسامع صفرونيوس فاقض مضجعه . فعول على القيام بذاته الى مصر للاتصال بكيروس وانقاذه من الضلال . ولم يعبأ صفرونيوس بمشاق السفر وكان قد بلغ الرابعة والثمانين ، فقام الى مصر وذهب تواً الى الاسكندرية وارتمى على اقدام بطريركها راجياً العدول عن القول بالفعل الواحد والمشيئة الواحدة (٤) . ولكن كيروس لم ير رأيه فأعلن الراهب الشيخ عزمه على السفر الى القسطنطينيـــة لمناقشة سرجيوس نفسه في الامر . فزوده كيروس بنسخة عما وزع فيموضوع الاتحاد ورجاه عرضها على زميله القسطنطيني.

1) *Sévère d'Aschmounein, Vie de Beojamin, Patr. Or., I, 489-492; Theophanes, Chron., a. 6121; Butler, Arab Conquest of Egypt, 508 ff.*
2) *Vie de Benjamin, Catr. Or., I, 490.*
3) *Mansi, XI, Col. 561-564.*
4) *Patr. Gr. Vol. 91. 91, Col. 112-143; XI, Col. 532-533.*

ووصل صفرونيوس الى العاصمـــة واتصل ببطريركها وناقشه . فاتفق الاثنان على تدوين ما يقولان حصراً للمعنى وعرضـــه على المجمع الدائم في القسطنطينيـــة . ونظر المجمع في ما دوّن فقال بوجوب الابتعاد عن المشاحنات الكلامية والاستمساك بقرارات المجامع . فوعد سرجيوس انه سيكتب لكيروس ان يكف عن البحث في الموضوع (١) . وعاد صفرونيوس الى ديره في بيت لحم.

ولدى عودة الشيخ الوقور الى مقره في بيت لحم اثيرت قضية خلافة يعقوب اخي الرب . وكان الكرسي لا يزال شاغراً منـــذ وفاة موذيستوس في أواخر السنة ٦٣٠ . فلما لمع صفرونيوس في دفاعـــه عن الايمان القويم انتخب بطريركاً على اوروشليم . وقد اختلف العلماء في تاريخ هذا الانتخاب فقال العلامة الاب فان سان الدومينيكي بأنه تم في السنة ٦٣٦ (٢) . وخالفه آخرون فحددوا السنة ٦٣٤ تاريخاً لهذا الانتخاب (٣) . ومما جاء عن هذا الموعد ان تسليم العكاز تم قبيل عيد الميلاد وان البطريرك الجديد لم يتمكن من قيادة المؤمنين الى بيت لحم لظهور العرب في ضواحيها وقلة الامن (٤) .

وقضى العرف والتقليد بأن يوجه البطريرك الجديد ومجمعه رسائل سلامية الى سائر البطاركة تنبىء بالانتخاب الجديد وتنقل بياناً بايمان البطريرك المنتخب . فدعا صفرونيوس المجمع الاوروشليمي واطلع اعضاءه على نص ايمانـــه ثم وجه الرسائل الى البطاركة . وجاء في رسالته السلامية الى سرجيوس كلام واضح في الثالوث والتجسد وقول ناصع بالمشيئتين والطبيعتين ورجاء بايفاد ابوكريساريوس يحمل الجواب ويمثل البطريرك في اوروشليم (٥) .

سرجيوس واونوريوس : ونادى مكسيموس القسطنطيني بمثـــل ما نادى به صفرونيوس فخاف سرجيوس واضطرب ومنع جماعته عن المذاكرة في

1) *Grumel, Recherches sur l'Histoire du Monothélisme, Echos d'Orient, 1929, 21-23.*
2) *Vincent et Abel, Jérusalem Nouvelle, II, 930.*
3) *Brehier L., Nouvelle, Crise Relig., op. cit., V, 120-121.*
4) *Patr. Gr. Vol. 87, Col. 3201 f.*
5) *Patr. Gr., Ibid., Col. 3148; Mansi, XI, Col. 831-843; Grumel, op. cit., Echos d'Orient, 1929, 24 f.*

الموضوع وكتب للبابا اونوريوس يستوضح رأيه. فأجابه البابا انه من حيث المشيئة يعترف بمشيئة واحدة في المسيح — « *Unde et unam voluntatem fatemur* » (١) — ومن حيث الفعل لا يسمح ان يذكر احد لا فعلا ولا فعلين (٢) . وعقد صفرونيوس المجمع الاوروشليمي ودفع برسائله السلامية الى البطاركة فاضطرب البابا اونوريوس وكتب له والبطاركة بمعنى رسالته الاولى (٣) . فأيد هرقل موقف اونوريوس وسرجيوس وكيروس من قضية الفعلين فأصدر ارادة سنية في السنة ٦٣٤ ـ ٦٣٥ حرم فيها البحث في الفعل الواحد والفعلين (٤) .

الاكثيسيس : (٦٣٨) واستهال هرقل أمر العرب وغزواتهم وكاد ينشق صدره ورغب رغبة اكيدة في توحيد الصفوف وظن ان مثل هذا التوحيد يتم بمجرد صدور ارادة ملكية . وتوفي صفرونيوس في السنة ٦٣٨ سنة دخول العرب الى المدينة المقدسة . فأصدر الامبراطور بياناً *Ekthesis* بالايمان الصحيح في اواخر السنة ٦٣٨ وأوجب قبوله والعمل بموجبه (٥) .

وأهم ما جاء في الاكثيسيس قول المجمع الخلقيدوني بالثالوث والتجسد الالهي وتحريم البحث في الفعل او الفعلين ووجوب القول بمشيئة واحدة وبطبيعتين بدون اختلاط او انفصال .

وعقد سرجيوس مجمعاً محلياً في السنة ٦٣٨ وصدّق الاكثيسيس ثم مات (٦) . فخلفه بيرّوس . وكان هذا قد اشترك في اعداد نص الاكثيسيس فوافق عليه موافقة سلفه سرجيوس . (٧) وخلف صفرونيوس في الكرسي الاوروشليمي سرجيوس اليافاوي فقال بالمشيئة الواحدة . وكان مقدونيوس

1) *« Aussi ne reconnaissons - nous qu'une seule volonté de Notre - Seigneur Jésus-Christ, car notre nature a été évidemment prise par la divinité, et prise en état d'innocence, telle qu'elle était avant la chute . . . » : Mansi, XI, Col. 547-544; Liber Pontificalis, (Duchesne), I, 323-328,*
2) *Hefelé-Leclercq, III, 347, n. 1, 356, n. 1.*
3) *Brehier, L., Nouvelle Crise Relig., op. cit., V, 122 - 123; Duchesne, L., l'Fglise au VJ, Siècle, 407-412; Tixeront, Hist. des Dogmes, III, 166 - 170.*
4) *Dolger, Reg. 205; Theophanes, Chron., a. 6121.*
5) *Mansi, X, Col. 991-998; Hefelé-Leclercq, III, 338 ff.*
6) *Mansi, X, Col. 999.*
7) *Mansi, X, Col. 1002-1004; Lheodhanes, Chron., a. 6121.*

البطريرك الانطاكي لا يزال مقيماً في القسطنطينية نظراً لاضطراب الاحوال في سورية وسائر ولاية الشرق فأيد الاكثيسيس وقال بالمشيئة الواحدة (١) .

وحمل نص الاكثيسيس الى الاسكندرية ورابينة الماجيستروس افستاثيوس فابتهج كيروس وهلل . وتوفي اونوريوس في خريف السنة ٦٣٨ فخلفه في الكرسي الرسولي سويرينوس . واوفد سويرينوس ابوكريسياريوساً الى القسطنطينية ينبىء البلاط والبطريركية بانتخابه ويرجو الامبراطور تصديق الانتخاب والسماح بتسليم العكاز . فاشترط هرقل الاعتراف بمضمون الاكثيسيس قبل التصديق . وتوفي هذا البابا في السنة ٦٤٠ ولم يحرّم القول بالمشيئة الواحدة . اما خلفه يوحنا الرابع (٦٤٠ ـ ٦٤٢) فانه عقد مجمعاً محلياً وحرّم القول بالمشيئة الواحدة (٢) .

1) *Hefelé-Leclercq, III, 360-391.*
2) *Liber Pontificalis, (Duchesne), I, 328 - 329; Theophanes, Chro., a. 6121; Patr. Gr., Vol. 90, Col. 125.*

الفهارس

سلسلة البطاركة (٣٤ - ٦٣٤)

الفهرست الهجائي

سلسلة البطاركة

٣٤ – ٦٣٤

١ : بطرس الرسول

٢ : أفوذيوس *Evodios*

٣ : اغناطيوس ثيوفورس المتوشح بالله ولعله توفي بين السنة ١٠٦ والسنة ١٠٨ او في السنة ١١٥ .

٤ : هيرون *Hirona*

٥ : كرنيليوس ولعله تولى في السنة ١٢٨

٦ : ايروتوس *Eroutos* ولعله ترأس في السنة ١٤٢

٧ : ثيوفيلوس توفي بعد اذار السنة ١٨١ او ١٨٢ او ١٨٥

٨ : مكسيمينوس توفي في اذار السنة ١٩٠ او ١٩١

٩ : سرابيون ١٩١ – ٢١٢

١٠ : اسقليبياذس ٢١٢ – ٢١٨

١١ : فيليطوس ٢١٨ – ٢٣١

١٢ : زيبنوس *Zebennos* ٢٣١ – ٢٣٨

١٣ : بابيلاس (بابولا) ٢٣٨ – ٢٥٠

١٤ : فافيوس (فابيوس) ٢٥٠ – ٢٥٢

١٥ : ديمتريانوس شتاء السنة ٢٥٢ – ٢٥٣ حتى السنة ٢٦٠ – ٢٦١

١٦ : بولس السميساطي ٢٦٠ – ٢٦٨

١٧ : دومنوس ٢٦٨ – ٢٧١

١٨ : تيمايوس *Timaios* ٢٧١ – ٢٧٩

١٩ : كيرلس ٢٧٩ – ٣٠٣

٢٠ : تيرانوس *Tyrannos* ٣٠٤ – ٣١٤

٢١ : فيتاليوس ٣١٤ _ ٣١٩

٢٢ : فيلوغونوس *Philogonos* ٣١٩ _ ٣٢٤

٢٣ : افستاسيوس *Eustathios* ٣٢٥ _ ٣٣٠

٢٤ : بافلينوس *Paulinos* ٣٣٠ _ ٣٣١

٢٥ : افلاليوس *Evlalios* مدة قصيرة غير محددة حسب رواية ثيودوريطس

٢٦ : افرونيوس *Euphronios* ٣٣٢ _ ٣٣٣

٢٧ : فلاكيلوس *Flacillos* ٣٣٣ _ ٣٤٤

٢٨ : اسطفانوس ٣٤٢ _ ٣٤٤

٢٩ : لاونديوس *Leontios* ٣٤٤ _ ٣٥٨

٣٠ : افذوكسيوس ٣٥٨ _ ٣٥٩

٣١ : انياقوس *Annianos* ٣٥٩

٣٢ : ملاتيوس ٣٦٠ _ ٣٦١

٣٣ : افظويوس *Euzoios* ٣٦١ _ ٣٧٦ ثم دوروثيوس

٣٤ : ملاتيوس ٣٧٨ _ ٣٨١

٣٥ : فلافيانوس ٣٨١ _ ٤٠٤ وبافلينوس وايفاغريوس

٣٦ : بورفيروس ٤٠٤ _ ٤١٤

٣٧ : الكسندروس ٤١٤ _ ٤٢٤

٣٨ : ثيودوتوس *Theodotos* « عطاالله » ٤٢٤ _ ٤٢٨

٣٩ : يوحنا ٤٢٨ _ ٤٤١ وخلفه ابن اخته

٤٠ : دومنوس الثاني ٤٤١ _ ٤٤٩

٤١ : مكسيموس ٤٥١ _ ٤٥٥ خلع خلعاً

٤٢ : باسيليوس ٤٥٧ _ ٤٥٨

٤٣ : اكاكيوس ٤٥٨ _ ٤٥٩

٤٤ : مرتيريوس ٤٥٨ _ ٤٧١

٤٥ : بطرس القصار ٤٦٤ _ ٤٦٥ _ ٤٦٦ _ ٤٦٧ _ و٤٧٥ _ ٤٧٦
و٤٨٥ _ ٤٩٠

٤٦ : يوليانوس ٤٧١

٤٧ : يوحنا الثاني ٤٧٧

٤٨ : اسطفانوس الثاني ٤٧٧ _ ٤٨١ وهو هو الذي يدعى ايضاً الثالث

٤٩ : كالانذيون ٤٨١ _ ٤٨٥

٥٠ : بالاذيوس ٤٩٠ _ ٤٩٨

٥١ : فلافيانوس الثاني ٤١٨ _ ٥١٢ خلع ونفي الى البتراء

٥٢ : سويروس الانطاكي ٥١٢ _ ٥١٨ فر الى مصر

٥٣ : بولس الثاني ٥١٩ _ ٥٢١ اكره على التنازل

٥٤ : افراسيوس ٥٢١ _ ٥٢٦ توفي في أثناء الزلزال

٥٥ : افرام ٥٢٧ _ ٥٤٥ قومس الشرق سابقاً

٥٦ : ذومنينوس لا ذومنوس ٥٤٥ _ ٥٥٩

٥٧ : انسطاسيوس السينايتي ٥٥٩ _ ٥٧٠ لجأ الى القسطنطينية

٥٨ : غريغوريوس ٥٧٠ _ ٥٩٣

٥٩ : انسطاسيوس ثانية ٥٩٣ _ ٥٩٨

٦٠ : انسطاسيوس الثاني ٥٩٩ _ ٦٠٩ استشهد على يد اليهود

٦١ : غريغوريوس الثاني ٦١٠ _ ٦٢٠

٦٢ : انسطاسيوس الثالث ٦٢٠ _ ٦٢٨

٦٣ : مقدونيوس ٦٢٨

٦٤ : اثناسيوس الجمال اليعقوبي الذي وافق على برنامج هرقل

* * *

الفهرس المعجمي

— ب —

— ك —

— ل —

المطبعة البولسية
شارع القدّيس بولس - جونيه
ص.ب: ١٢٥ - جونيه (لبنان)
هاتف: ٩١١٥٦١-٩٣٣٠٥٢-٩٣١٦٩٩

EDITION
1988

*

Editions de la LIBRAIRIE St. PAUL

* Beyrouth - Rue du Liban
B.P. 11 - 4459
Tél.: 444973 - 448806 - 449801

* Jounieh - Rue St. Paul
B.P. 125 (LIBAN)
Tél.: 911.561 - 933.052

ASAD
RUSTUM
20

THE CHURCH OF THE CITY OF GOD GREAT ANTIOCH

BY

ASAD J. RUSTUM, M.A., PH. D.
Historian to the Apostolic Thronos of Antioch

« Εἰς μίαν, ἁγίαν, καθολικὴν καὶ ἀποστολικὴν Ἐκκλησίαν »

VOL. I

34 — 634 A.D.

EDITIONS ST. PAUL
BEYROUTH & JOUNIEH
(LIBAN)